

موسوعة أعلام المغرب

تنسيق وتحقيق

محمد هبّي

أستاذ التاريخ بجامعة محمد الخامس سابقاً

الجزء الخامس

1101 . 1150 هـ



دار الفرب الإسلامي

موسوعة أعلام المغرب

تتألف من تسعة نصوص تراثية يُنشر بعضها لأول مرة
وتترجم لأبرز الشخصيات المغربية حسب تسلسل سنوات
وفياتهم من بداية الاسلام إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري.

1 - 1400 هـ / 622 - 1980 م

نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني

تأليف

محمد بن الحسين القادري

القسم الثالث

تحقيق

محمد هجبي أحمد التوفيق

General Direction of the Library of the Ministry of Education (G.D.L.)

الهدية العامة	رقم التسمية
770.161	770.161
رقم التسمية	رقم التسمية
770.161	770.161

مع

تذكرة المحسنين
بوفيات الأعيان وهوامد السنين
لعبدالكبير الفاسي

جميع الحقوق محفوظة
لمنسق ومحقق الموسوعة

الطبعة الأولى

نشر دار الغرب الإسلامي
باتفاق خاص مع المحقق

1417هـ - 1996م

دار الغرب الإسلامي

ص . ب . 5787-113 بيروت

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

العشرة الأولى من المائة الثانية عشرة

العام الأول منها

ابراهيم بن حسن الكوراني الشهرزوري

فمنهم أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني المدني، أصله من شهرزور من جبل الكرد⁽¹⁾. وفي القاموس شهرزور مدينة زور بن الضحاك. وقال في زور إنه ملك بنى شهرزور انتهى.

وقال عبد الحق في اختصار اقتباس الأنوار للرشاطي: شهرزور نهر من بلاد أذربيجان. ثم قال وأنشدنا الفقيه الحافظ أبو علي الصديقي قال: أنشدنا أبو محمد السراج لنفسه:

وعسدت بأن تزوري كل شهر
وتسقى بنبينا نهر المعالي
فزوري قد نقضت الشهر زوري⁽²⁾
إلى البلد المسمى شهرزور
وشهر صدودك المحتوم صدق
ولكن شهر وصلك شهر زور⁽³⁾

قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في فهرسته في حق صاحب الترجمة ما نصه: نشأ ببلده وقرأ هنالك ومهر في المعقولات والعريضة، ثم قدم بغداد وأقام بها ثم ارتحل إلى دمشق ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز وأقام بالمدينة المنورة طالبا طريق الإرادة على يد الشيخ صفى الدين أبي العباس أحمد القشاشي، وإليه ينتسب في الطريق وهو الذي أقام بزايته بعده. وتوفي في نامن⁽⁴⁾ وعشرين من رجب سنة إحدى ومائة وألف، ودفن بزايته بالمدينة المشرفة. وولد سنة خمس وعشرين وألف. وله مؤلفات كثيرة في فنون شتى. ومن مؤلفاته: تكميل التعريف لكتاب التصريف؛ وحاشية شرح الأندلسية للفيصري في العروض؛ والنبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس؛ والجواب العتيد لمسألة⁽⁵⁾ أول واجب ومسألة التقليد؛ وضياء الصباح في شرح بهجة الأرواح؛ وأجوبة في مسألة تقبيل اليد⁽⁶⁾ والمصافحة خلف الصلوات؛ والمتممة⁽⁷⁾ للمسألة المهمة؛ والقول الجلي في تحقيق قول

(1) في س: الكراد.

(2) صحف هذا الباب في س. فكتب نظره الأول: وعدت تزور كل شهر

(3) سقطت الأسماء كلها من ط.

(4) في س: نان

(5) في س: في مسألة

(6) في س: تقبيل الله وهو تصحيف.

(7) في ط: المتممة.

الإمام زيد بن علي؛ وتحقيق التوفيق بين كلام أهل الكلام وأهل الطريق؛ وقصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل؛ وشرح العقيدة المسماة بالعقيدة الصحيحة؛ وإشراق الشمس بمعرفة (8) شرح الكليات الخمس؛ وبلغه (9) المسير إلى توحيد العلي الكبير؛ وعجالة (10) دوى الأشباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ والقول المبين في مسألة التكوين؛ وإنباه (11) الإنباه عن تحقيق إعراب لا إله إلا الله؛ وإضافة العلام (12) بتحقيق مسألة الكلام، والإلماع المحيط بتحقيق الكسب والتوسط (13) بين طرفي إفراط وتفريط؛ ومسلك الاعتدال إلى فهم آفة خلق الأعمال (14)؛ وإتحاف الذكي (15) بالتحفة المرسله إلى النبي، ومراقبة الصعود إلى صحة القول بوحدة الوجود؛ وغاية المرام في مسألة ابن الهمام؛ ونبراس الإيناس (16) بأجوبة سؤالات (17) أهل فاس؛ ومسلك السداد إلى مسألة خلق (18) أفعال العباد؛ وإمداد ذوي الاستعداد لسلك مسلك السداد، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب [أهل] (19) السلف، وغير ذلك. ويروي عن مشايخ كثيرين مذكورين في فهرسته، واعتماده على الشيخ الفساشي [و] (20) الذي عول عليه في علم الظاهر وقرأ عليه ببلده وأكثر عنه هذا الشيخ الإمام ملا محمد شريف بن ملا يوسف القاضي ابن القاضي محمود بن ملا كمال الدين الكردي الكوراني الشاهدي (21) الدويني (22) الصديقي. ويروي أيضا عن الشيخ سلطان المزاحي المصري والشيخ عبد الباقي الحنبلي والشيخ نجم الدين بن محمد بن الشيخ بدر الدين محمد ابن الشيخ رضي الدين بن محمد العامري الغزوي ثم الدمشقي الشافعي وغيرهم. انتهى كلام صاحب الفهرسة المذكورة (23).

(8) في المخطوطات الثلاث: بتعريف

(9) في ك و س: نقله.

(10) في ك: عالجة.

(11) في ط: انتباه.

(12) في ط و س: العلم.

(13) في المخطوطات الثلاث: الكسب الوسيط.

(14) في ط: الأفعال

(15) في ك و س: الركني.

(16) في ك: الأنفاس.

(17) في ط: مسألة

(18) في ط و س: أخلاق.

(19) ساقط من س .

(20) ساقط من س و ك.

(21) في ك و س: السنوي

(22) في المخطوطتين السابقتين: الروسي.

(23) في م: انتهى كلام أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي.

وقد أغفل رحمه الله تعالى بيان مسائل شنيعة (24) معروفة عن صاحب الترجمة [ذكرها عنه أئمة عصره] (25).

فمنهما القول (26) بأن القدرة محدثة (27) تؤثر في أفعال العباد وأن قيدها بأفئدة الله تعالى قدرها، وألف في ذلك ثلاث رسائل لنصرة قوله ورد على إمام الحرمين في ذلك قال الشيخ [قال الشيخ السنوسي في شرح الكبرى] (28) والذي يقطع به تنزيهه هو وغيره من الأئمة مما نقل عنهم من شبه ذلك، وأصل ذلك إنما صدر عنهم في مناظرة مجادلة لإفحام خصم قويت منافرتة للحق فاحتالوا لسوقه للحق بتدريج. والمعلوم عن إمام الحرمين كما في الإرشاد له تصحيح مذهب أهل الحق. ولما تمسك صاحب الترجمة بالقولة المذكورة وانتصر لها فوقع في أمر شنيع فقيض الله من أهل عصره من انتصر للحق وبينه وأوضح برهانه.

[وقد انتصر الأئمة لرد عليه في ذلك منهم الإمام سيدي المهدي بن أحمد الفاسي وقد ألف رسالة في الرد عليه بما لا مزيد عليه] (29).

ومنها أنه ألف في تصحيح مسألة الغرائيق التي [يذكرها بعض في تفسير] (29) سورة النجم (30).

قال في النينة: وسمعت أنه ألف تأليفا في شبيه المعلوم [ينتصر به للمعتزلة] (31) ثم سمعت أن له تأليفا في [آبة] (32) إيمان فرعون لعنه الله وكذا سمعت أن له تأليف متعددة في إحياء أمور أمثال هذه وندرتها في هذا الزمان الذي رق فيه الدين وعم الجهل والتقليد وعمجة الصدر وقلة اليقين واتباع كل ناعق انتهى. وتلطف أبو سالم عن أشياء نحو هذه نسبت إلى صاحب الترجمة وإلى شبخه القشاشي فدفعها عنهما فانظرها. وأما مسألة خلق الأفعال فقد ألف في الرد عليه فيها سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وولد عمه الحافظ الضابط المتقن المحقق محمد المهدي بن أحمد الفاسي [صاحب الشروح الثلاثة على دلائل الخيرات وغيرها من التأليف المحققة] (33) فألف كتابا سماه النينة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق الأفعال الشهيرة، وقد أحاط بنقل كلام أئمة أهل السنة فيه وأحسن

(24) في ك: تسعت عليه

(25) لم يرد في ط.

(26) في ط: انه يقول.

(27) في ط: الحادثة

(28) في ك: قال الشيخ اليوسى.

(29) ما بين معقوفتين زيادة في ط

(30) في م و ط: الحج.

(31) زيادة في ط.

(32) ساقط من ط.

(33) زيادة في م

في الرد على صاحب الترجمة ونقل في إجماع الأمة على كفر من نسب الاختراع لغير الله وخرج ما نقل عن إمام الحرمين (في ذلك على أحسن وجه. والفصل في ذلك هو قول الشيخ السنوسي في شرح الكبرى ونصه: وما نقل عن إمام الحرمين) (34) من أن له قولاً بأن القدرة الحادثة تؤثر في الأفعال [لكن لا] (35) على سبيل الاشتغال (36) كما يقوله القدرية بل على أقدار قدرها الله تعالى فهو قول مرغوب عنه لا يصح القول به ولا تقليده [إن صح ذلك عنه] (37) لفساده قطعاً وعدم جريه على السنه عقلاً ونقلاً. ثم قال السنوسي: وأنا أعجب من القول الذي نقل عن الإمام كيف يصح أن يقوله مع ما أكثر في الإرشاد وغيره من الأدلة لتصحيح المذهب الحق وهو مذهب الأشعري ومبالغته في التنكير (38) والنضليل لمن يعتقد أن للقدرة الحادثة أثراً مآ. انظر تمامه [في شرح الكبرى وقد نقله سيدي المهدي المذكور بتمامه مع نصوص الأئمة القاضية ببطلان ما ظهر من صاحب الترجمة وبين بدعته. وقد نصر قول سيدي المهدي المحققون من أئمة وقته كالشيخ الإمام أبي علي الحسن بن مسعود] (39) اليوسي، ومن جملة ما كتبه على الكراسة المشتملة على تأليف أبي عبد الله المهدي المذكور ما نصه: فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة والنبذة الموضوعات فالفيتها محتوية في مسائل الجبر والقدر على الجملة المقنعة لأهل البصيرة، بل الخلاصة المتمتعة لكل طيب السريرة، فجازى الله جامعها خيراً لقد صدع عن الخبر اليقين غير ذي منن، وأطلع الصبح المبين لذي عيبين وحرر ما يجب اعتقاده وقرر ما يضمحل به انتقاده، مع لطائف لأهل الإشارات تهون على النفوس الجموح ما عسى أن يطرقتها من الاستعدادات (40) فما في هذه الكراسة هو الأمر المعول عليه والحق المرجوع إليه انتهى المراد منه. وكتب أيضاً بعض أهلنا إلى سيدي الحسن بن مسعود اليوسي رسالة يعلمونه بقول صاحب الترجمة وبطلب أن يجيبهم مما فتح الله عليه في ذلك فأجابهم بما نصه ومن خطه نقلت:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه. من الحسن بن مسعود اليوسي إلى السادات الفضلاء القادة النبلاء الفقهاء النبيهين الأريسين الحسينيين الشريفيين المنيفيين أبي محمد سيدي العربي وأبي محمد سيدي عبد السلام ابني الطيب القادري الحسيني والفقهاء النبيه سيدي المهدي بن أحمد الفاسي سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم وما ذكرتم فيه من نزول تلك النازلة الغربية واستنجادكم إياي في الكلام علبها جزاكم الله تعالى خيراً في النصح لأنفسكم ولعباد الله تعالى وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئاً من تأليف ذلكم الرجل في درعة أوقفني عليها أستاذنا

(34) زيادة في ط.

(35) لم يرد في ك و س.

(36) في ط. الاستقلال.

(37) لم ترد في ك و س.

(38) في ط: التنكير.

(39) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

(40) في ك. الاستعدادات.

أبو عبد الله ابن ناصر رحمه الله واستنهضني للكلام عليها فهمت تم وهبت (41) في عوائق، واليوم إن شاء الله أستغل بها ونقرر ما هو الحق من الطريقة [الأشعرية] (42) وتعرض إن شاء الله لكل ما احتج به على نحلته جملة وتفصيلا، وقد انحنى لإحياء بدعة قد أمبتت منذ زمان، وتصدى لإثبات شرك الأفعال ثم لإثبات شرك الوسائط جملة نعوذ بالله منه ومن هفوته، وهي نزعة لم يجد الشيطان لإبدائها أحسن من لسان هذا الرجل المنسوب إلى العلم والإمامة [وهكذا كان معظم البدع والنحل برزت واشتهرت على السنة رجال بعثت فيهم فقبلت منهم] (43) فتنحل إلى البدع نسأل الله السلامة من مثل ذلك وأن بجنبنا من كل بدعة وكتب عقب كلام سيدي الحسن اليوسي السابق على الكراسية [والرجل المذكور هو صاحب الترجمة أحد المخاطبين بالرسالة المذكورة فيما كتبه على هامشها بخطه: وممن انتصر للرد على صاحب الترجمة] (44) الإمام سيدي محمد بن أحمد الفسطيني بما نصه:

الحمد لله الذي حرس سماء العلم بنجوم العلماء، وأرسى أرضه أن تميد بصحيح الرواية عن القدماء، وحفظ طريقه من كل شيطان رجيم، بكل ذي فهم سليم، قائم بالحق داع إلى الصراط المستقيم، فغدت سماء العلم بنجومها محروسة، وأرضه بجبالها مرصوصة، وطريقه بالداعى إلى الهدى مخصصة. وصلى الله على مولانا محمد القائل وما ينطق عن الهوى: يحمل الدين من كل خلق عدو له، وعلى آله. وصحبه الذين أظهروا الدين وأبطلوا عنه شبه المضلين حتى سهل مطلبه وعذب مشربه. وبعد فقد طالعت الموضوع المسمى بالنبذة اليسيرة واللمعة الخطيرة فوجدته اسما طابق مسماه، ومؤلفا نور الله قلب مؤلفه ومن شرك الشرك حماه، فلا غرو إن كان مهديا لهداية الله له وتوفيقه إياه. ولقد حمى بسيف براهينه حرمة التوحيد وحماه، وطعن بمشرفيات دلائله في نحر كل من رام أن يلعب الحق هواه، وأحرق بنور بصيرته كل جهول لا يعرف منطوق الحق ولا يصح فحواه، فما اشتمل عليه ذلك الموضوع هو الحق الصريح الذي لا يعول إلا عليه، والمعتمد الصحيح الذي لا يلتفت إلا إليه، فما هو إلا كمياء السعادة وإكسير النجاة، والذي يرفع الله لمعتقه في الجنة درجات. فلا يعدل عنه ذو عقل سليم، بل من استولى عليه سلطان الهوى وغدا [يعقرب نفسه لسليم أي لمدمع] (45):

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسندا وبغيا إنه لذميم

اللهم أمتنا على توحيدك، وأهدنا إلى سلوك سبيل نبيك، وامن علينا بما مننت به

(41) في ط: ذهبت.

(42) ساقط من ك.

(43) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س

(44) ما بين معقوفتين زائد في م وط.

(45) في ك: يعرف نفسه، وفي س: يعرض نفسه لسلم أي لمربع.

على أوليائك، إنك على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم أنبيائك، وعلى آله وأصحابه خواص حضرتك وأصفيانك، وكتب محمد بن أحمد القسنطيني (46) ثلاث خلت من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين بعد الألف انتهى من خطه.

والحاصل أن صاحب الترجمة ظهرت منه شنائع وبدع، وقوى عليه الرد في ذلك، وأجمع مشايخ فاس على الرد عليه، إلا أن منهم من اقتصر على الرد وبيان الحق فقط، ومنهم من شنع عليه حتى إنني رأيت بظهر الورقة الأولى من النبعة اليسيرة بخط مؤلفها ما نصه: الحمد لله، بلغنا أن المشرفي المذكور بمحوه الذي ألف في المقالة المذكورة المردودة بهذا بعث نسخة من تأليفه ذلك لأهل تنبكتو من بلاد السودان فكتبوا له سورة الكافرون جوابا عن كتابه والله الموفق سبحانه. انتهى بنصه.

وأما مسألة الغرائيق فألف فيها صاحب الترجمة رسالة سماها اللعنة السنية في تحقيق الإلقاء في الأمنية، وقد رأيتها ومضمونها الكلام على ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم قال: (أَقْرَأَيْتُمْ أَلْأَنْتَ وَالْعَزْزَى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى تِلْكَ الْغَرَائِيقُ الْعُلَا). القصة المشهورة عند المفسرين وصحح صاحب الترجمة حديثها، وهو حديث باطل وقصة موضوعة.

قال عياض في الشفا: هذا حديث لم يخرج أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سالم [ومثله للبرار] (47) متصل. وقد نفى القصة غير واحد من حذاق المفسرين كأبي حيان والبرهان البقاعي وغيرهما، ولو سلم صحة حديثها جدلاً لكان خبر آحاد معارض بالقاطع وهو وجوب العصمة فلم تبق عبرة به.

والحاصل أن هذه القصة ليس لها وجه أصلاً وقد قام ببيان ذلك ورده وبسط شنائعه بهذا وأزيد الإمام الأوحى شيخ الجماعة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، فألف رسالة تعرض فيها لكلامه مفصلاً حتى لم يترك عليها غبار، وجزم ببطلانها، إلا أنه تلى مع في العبارة كما فعل معه في مسألة الكسب السابقة، وذلك منه حرص على نفعه ورده إلى الحق بالظن إشارة وأبين عبارة وإطفاء للبدع قبل شيوعها، إذ بالملاحة تزيد شيوعاً واشتهاراً فبستلى بها ضعفة اليقين مع أنه بين ما في ذلك من المنع والاستحالة ولم يلبس له عند المسارة بل غلظه عليه ولم يسامحه في شيء مما يستدعيه المرام ويقتضيه المقام حتى زال الوهم والرين، ووضع الصبح لذي عبتين. وقول شيخ شيوينا أبي عبد الله السناري: وكان رأي شيوينا فيه أي في صاحب الترجمة مختلفاً في كيفية الرد عليه، فمنهم من سلك مسلك الملاطفة والشفقة، ومنهم من سلك مسلك الغلظة والرد والزجر ليعترف بغيره

(46) في م: القسطنطيني.

(47) زيادة في م.

وما أدب به من كلامهم. وأما رد كلامه فقد اتفقوا عليه بأنه بلغ من الشناعة والبشاعة والخروج عن السنة غاية ذلك. وأما تناء صاحب الرحلة عليه، بعني أبا سالم العاشي، وتناء غيره عليه من الأئمة ممن ألف الفهارس وغيرهم فالمفام اقتضى ذلك، إذ ليس ذلك المقام مقام الرد والبحث عن القدر والتجريح والتعديل وبيان من تكلم أو اتهم أو رمى بشيء من البدع وتحقيب المسائل وإنما هو عد الأشياء وذكر أسانيدهم ومروياتهم وأشماخهم ومؤلفاتهم. وقد طلب القاضي عباس مع جلالته من الزمخشري الإجازة مع اشتهاار اعتزاله وبدعته وتعصبه، وفي رجال الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الصحيحة المحتج برجالهم فإنهم قد خرجوا عن كثير من المبتدعة غير ما رروا من بدعتهم واحتجوا بهم وقد ترجم لهم الأئمة وأثنوا عليهم بالحفظ والضبط وبينوا بدعتهم فبنحط من روايتهم ما رروا مما هو دعي إلى بدعتهم، ومن الشيوخ من كان لا يبين ما رمى به بعضهم بل بنفر عن مطالعة كتابه وكلامه ويحذر من النظر فيه وكذلك فعل بعضهم بمن رمى من الصوفية وكان يقول إن فهمه قبيح وكلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد والله أعلم بحقيقة حال ذلك (48) ونحو هذا، ذكره الشيخ زروق وغيره في كتب الحاتمي وما ضاهاها فإنه قال في كتابه عدة المرید لما تكلم في تقسيم العلوم وذكر علم التصوف والأحوال وأن أعلى ما يطالع كتب ابن عطاء الله وما نحا نحوها ما نصه: وأما كتب الحاتمي وما جرى مجراها فلها رجال، لهم في الحقائق مجال، وعندهم في التمييز مجال، فلا تشتغل بها في البداية إلا غوي، ولا في النهاية إلا خلي، ولا في التوسط إلا ذكي يأخذ ما بان رشده ويسلم ما وراء ذلك لبس من آفاته، وقد أولع بها قوم فضلوا وأضلوا وفارقوا العمل بما توهموه فزلوا، وربما ادعوا بما فهموه وتنسموه حالاً لأنفسهم فافتضحوا بشواهد الأحوال كما قل:

مَنْ تحلَّى بحليَّة لبس فسـ كذبتهُ شواهدُ الامتحان

ولما تكلم في قواعد علي ما حذر الناصحون منه من الكتب جملة وعلي ما حذروا من مواضع منه ذكر أن من جملة أمثلة القسم الأول كتب الحاتمي كلها أو جلها الفتوحات وغيرها، فانظر ذلك فيه إن شئت. ونقل شيخ شيوخنا المحقق محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه مرآة المحاسن في الفصل التاسع من الباب الأول أن والده المذكور كتب في رسالة كتبها لبعض أصحابه: ولم تزل تطالع كتب ابن عطاء الله وما شابهها لأنها أقرب للتعريف والجمع على الله، ودع ما سواها ككتب الشيخ الحاتمي والشيخ ابن الفارض لأنها تسد عنك باب الفتح.

وقال المناوي في ترجمة الشيخ عمر بن الفارض من طبقات الصوفية بعد أن ذكر

(48) ورد ما تقدم بعبارة مخالفة في م نصها:

وقال الشيخ شيوخنا أبو عبد الله السنائي في كتابه الذي سماه جهد المقل الفاصر في نصرة الشيخ عبد القادر ما نصه، وكان رأي شيوخنا فيه، أي صاحب الترجمة، مختلفا. فمنهم من كان على مذهب صاحب الترجمة وقد أجاز لغير واحد منهم، ومنهم من كان لا يرى ذلك بل ينفر من مطالعة كلامه ويحذر من النظر في تأليفه ويقول إن علمه قبيح وكأنه يعني كلامه في علم الباطن وطريق القوم وبعض مسائل الاعتقاد.

جماعة ممن اختلف فبهم من الكفر الى القطبانية، وعد منهم ابن الفارض والحامى وابن سبعين وتلميذه الشنستري وغيرهم، ما نصه: والذي أذهب إليه وفاقا لبعضهم هو أنه يجب اعتقادهم (49) وتعظيهم ويحرم النظر في كتبهم على من لم يتأهل لتنزيل ما فيها من الشطحات على قوانين الشريعة المطهرة وقول بعض جهابذة الفقه والأثر: لا يؤول إلا كلام المعصوم لا غيره وإن جل قائله فهو غير معبر، وقد ملأ ذلك القائل كغيره كتبه الفقهية والحديثية بتأويل النصوص والوجوه واعتنى بالجمع بين الكلامين المتنافضين وتنزيل الخلاف على حالين متفارين انتهى باختصار وتلخيص.

وقال في ترجمة الشيخ الحامى: وأفوى ما احتج به المنكرون عليه أنه لا يؤول إلا كلام المعصوم، ويرده قول الإمام النووي في بستان العارفين إنه يجب تأويل أفعال أولياء الله التي قد بنكر ظاهرها. قال النووي وإذا يجب تأويل أفعالهم وجب تأويل أقوالهم إذ لا فرق انتهى باختصار. وقال الشيخ زروق في آخر الباب السابع من قواعد: التوقف في محل الاشتباه مطلوب، أي التوقف فما لا يتبين وجهه من خير أو شر، ويبنى الطريق على ترجيح الظن الحسن ويبنى عند موجهه وإن ظهر معارض حتى قال ابن فورك رحمه الله: الغلط في إدخال ألف كافر أهون من الغلط في إخراج مومن واحد بشبهة ظهرت منه، ثم قال: وقال قوم: ما أدى إليه الاجتهاد جزم به، ثم أمر الباطن إلى الله تعالى، فمن ثم اختلف في جماعة من الصوفية فسردهم وذكر منهم من تقدم ذكره، ثم قال: وقد سئل شيخنا أبو عبد الله القوري وأنا أسمع فقيل له: ما تقول في ابن العربي الحامى؟ فقال: أعرف بكل فن من أهل الفن من ذلك، فقيل له: ما سألتك عن هذا. قال: اختلف فيه من الكفر إلى القبطانية. فقل له فما ترجح؟ قال: النسليم. قلت لأن في التكفير خطرا، وتعظيمه ربما عاد بالضرر من جهة اتباع السامع لمبهماتة وموهماته، والله أعلم انهي بتغيير ما وقال في بعض شروحه على الحكم العطائية: قلت لشيخنا أبي العباس الحصري: إنهم ينكرون على ابن العربي الحامى، فقال: والله إنه ليستحق الإنكار. لكن ممن هو أعلى منه لا ممن هو في السناديس انتهى (50). وقال في بعض آخر: ذكر لي أن النووي سئل عنه فقال: الكلام كلام صوفي، وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون.

ووقفت على جواب للشيخ ولي الدين العراقي في المسألة مدار كلامه على أنه يتكلم في الكلام بما يعطيه ظاهره ولا يتعرض للقائل لاحتمال أن يكون مراده غير ظاهره أو تاب من ذلك قبل موته انتهى. وقال في شرح نونية الشنستري بعد نقله ما قاله شيخه القوري في ابن العربي من ترجيحه التسليم ما نصه قلت: وذلك لأن التعرض للتكفير مخطئ ويتعذر إثبات مزبته مع ما ظهر به مضر وعلى ذلك يحمل ما وقع من عز الدين بن عبد السلام من

(49) في س: اعتماده.

(50) هنا في ك طرة، نصها:

[جمع سداس وهو الطاق الممتوح في الميضة التي يتغوط فيه ويسقط في جوفه البول والغائط وسمى سنادسا لأنه يسد على الغائط والبول كما تسد الباب على ما يجعل في داخل جوفها].

إنكاره واعتقاده مخالف لإنكاره. انتهى باختصار وتلخيص ما كلام [الشيخ المسناوي رحمه الله ونقلته بنمائه لما جمع من النقول المفيدة والفوائد العديدة سيما ما يتعلق بصاحب الترجمة وقصاري أمره أن يكون ممن ينحو منحاهم لو سلم من التصريح بالاعتزال، وقد نحا منحى طريق الحاتمي شيخه صفي الدين] (51) القشاشي وشيخه الشناوي وكثير من المشاركة ممن هم من الطريقة الحاتمية.

من حوادث السنة

استبدال النعال الأصفر بالسود

ومن حوادث هذا العام [ما قيده بعضهم في ثاني وعشرين ربيع الأول نهى السلطان مولاي اسماعيل عن لبس السباط الأسود ومنعه في سائر أقطار المغرب وأمر] (52) الناس بلبس السباط الأصفر وترك لبس السباط الأسود فتركوه، وأما ما يزعم بعض الناس أنه إنما أحدث لبس السباط من زمن استيلاء النصارى على العرائش فلما أخذت أحدثوا لباس السباط الأسود حزنا عليها، والذين أحدثوه هم أهلها الذين أخرجوا، وتبعهم الناس في ذلك ليس بصحيح ومما نجزم ببطلانه أنني رأيت سباط الولي الصالح سيدي علي الصنهاجي شيخ المجذوب وزمنه أقدم من استيلاء العدو على العرائش بكثير وهو أسود عند قوم يتبركون به مذخر عندهم [إلا أن يكون في الأصل غير أسود وأسود بطول الزمان] (53).

خروج ركب الحاج ومعه الحسن اليوسي

وفي عشرين من جمادى الثانية خرج ركب الحج ومعه سيدي الحسن بن مسعود اليوسي بقصد [الحج] (54) وجهه إليه أمير المؤمنين.

عزل القاضي العميري عن فاس

وفي يوم الجمعة عاشر شعبان عزل القاضي سيدي سعيد العميري عن قضاء فاس العليا وولى مكانه سيدي عبد الواحد (55) البوعناني.

شق جوف امرأة عليلة بمكناس وشفائها

ومن العجب [ما رأيته مقيدا بخط بعضهم والله أعلم بحقيقته:] (56) أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس شق جوفها فعالجها بعض الأطباء وأخرج منه علة ووزن فيها خمسة وثلاثون رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك وشفيت من علتها وكان ذلك في هذا العام.

(51) ما بين معقوفتين زائد في ط.

(52) ما بين معقوفتين مستدرك أيضاً من ط.

(53) زائد كذلك في ط.

(54) زيادة في م. وفي الحوليات.

(55) في ط: عبد الله.

(56) إضافة من ط.

العام الثاني من العشرة الأولى

محمد الخرشي

فمنهم الشيخ الكبير، العالم الشهير، سيدي محمد الخرشي صاحب الشرح الكبير والصغير على مختصر خليل، والصغير أكثر تداولاً بالمغرب من الكبير. قال أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد الفاسي في فهرسه: الشيخ الفقيه المشارك العلامة ملحق الأحفاد بالأجداد أبو عبد الله محمد بن الشيخ عبد الله الخرشي المعروف نسبه [قال أبو عبد الله الطيب الفاسي في بعض مقدماته: ويعرف أهله] (57) بأولاد صباح الخير، روى عن أبيه وعن الشيخ إبراهيم اللفاني وعن الشيخ علي الأجهوري. وقال فيه أبو سالم في رحلته: الشيخ العالم الناسك الورع المتقشف الزاهد المتعفف مدرس المالكة، سمعت عليه أوائل كل من الكتب السنة وأجاز لي وللجماعة (58) انهى بنصه.

ولصاحب الترجمة شرح على صغرى الشيخ السنوسى بعشه بعد الفراغ من تأليفه إلى أمير المؤمنين السلطان المظفر الهمام مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني بتحفة به وبهنيه مع ذلك بفتح العرائش الذي كان على يده وعن أمره [في سنة الترجمة هذه] (59) ويذكر له فرحه بذلك، وأجابه المولى المذكور بمكتوب بدع [من إنشاء بعض أدباء وقته] (60) ونص الحاجة منه وفي صحبه هذا الكتاب بلغتنا تحليتكم الأثيرة، ومنحتكم التي هي أنفع مكتسب وأنفس ذخيرة، وهي شرحكم الأبهى للعفيدة الصغرى التي هي من أجل العقائد، وتحليتكم جيدها من غرر المباحث بما هو أجمل من درر القلائد، فوقع ذلك منا موقع الاعتباط، وارتبطت أغراضه الأنيقة بجواهر القلوب غاية الارتباط، فلکم من معنی بعيد إلى الأفهام قرب، وذي عجمة من ألفاظ المشايخ عرب، ومبحث ناقص من مباحث المهمات كُمل، وجاد على المستفيد بامتع مما منه أمل. وكأين نقرر من تقرير، وتحرر من تحرير، طالما اعتاصت خباياه على الماجد التحرير. ولطائف معان أزال عن جمال محياها اللثام، ووضع جرائدها المستصعبة على أطراف التمام. إلى غير ذلك من المطالب اللطيفة، والفرائد المستحسنة المنيفة. نقبل الله تعالى في ذلك أعمالكم، وبلغ من جمیع الخيرات العاجلة والآجلة آمالكم، آمين يا رب العالمين. غير أنه حفظكم الله ربما وقعت فيه بعض مسائل للنظر فيها مجال، وللبحث فيها موضع عند من أجاد النظر وأجال، وأرجو بحسب سلامة الطوية، وكرم هاتكم الأخلاق الطاهرة الزكية، ان لا بأس يذكر الواحدة منها لتعرض على هاتكم الأنظار (61) وتختبر بمعيار الفكر ممن حواه ساحكم الأحفل من جهاذة النظار.

(57) استدراك من ط.

(58) في ك: والجماعة.

(59) في ط و س: في السنة التي قبل هذه.

(60) في م: من إنشاء بعض أدباء وقته عن إذن من ساعده في ذلك من علماء حضرته

(61) في ك: الأقطار

ففي مبحث أقسام الحكم العفلي بعد تعريف كل منها وذكر سر العدول فيها عن المصادر إلى الأوصاف المشتقة منها كما ذكره المصنف في بعض كتبه ما نصه وأما ما وقع لأبي محمد عبد القادر من أن هذه المصادر لا تعرف كما صرح به علماؤنا فهو شيء غير معروف عندهم ولا ندري من هؤلاء الذين يمتنعون تعريف المصادر بل كتبهم مشحونة بذلك كتعريف المؤلف الألوهية بالاستغناء والافتقار إليه وهو مصدر، وتعريف ابن عرفة التقليد بأنه اعتقاد جازم بغير دليل، وتعريف الزكاة على أنها مصدر بأنها إخراج جزء من المال، وتعريف المازري وغيره الطهارة بأنها إزالة النجاسة أو رفع الحدث بالماء، وتعريف النحويين التثنية بأنها ضم اسم إلى مثله وغير ذلك. فإن هذا الكلام الانتقادي تتعلق به على وجه الاختصاص في الأقتصار ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أن ما ذكره أبو محمد من أن هذه المصادر يعني الوجوب وقسميه لا تعرف هو الأمر المشهور المعروف المتعاطى بين الخاص من أئمة الصناعة والجمهور قال ابن عرفة في الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب الأول من كتابه الذي حاذى به طوابع البيضاوي ما نصه: المسألة الأولى في تصوراتها يعني الوجوب وما معه بديهية، وفيها لا يمكن تعريف شيء منها إلا ببيان دورية لا يمكن تعريف واحد منها إلا بسلب الآخر عنه انتهى. وتتبع كل ما لأئمة الفن في ذلك يطول، فراجع كلام الفخر في المباحث المشرقية وأقره ابن الرقام في الملخص وسلمه الأثير الأبهري وغيره وكلام السعد في المقاصد وشرحه والعرض في الموائف وغير ذلك، وقد بلغت المسألة من الشهرة إلى أن كانت مذكورة في مثل الحواشي الياسينية على شرح المصنف، وما شأنه ذلك يجعل عظيم قدره عن إغفاله والتوقيف فيه فضلا عن التصميم على إنكاره.

المبحث الثاني: (62) أن تفرير تعاريف هذه الحقائق وإنكار ما ذكره أبو محمد بفتضى اعتقاداً أن هذه المطالب نظرية وأن تعاريفها المذكورة حقيقية وأنها مع ذلك صحيحة وكل ذلك محل منع. أما الأول وهو أنها ضرورية غنية عن الكسب بتصريح غير ما واحد من أئمة الفن بذلك، كما قبل فيما تقدم عن ابن عرفة أنها بديهية، وقال السعد: تصورات هذه المعاني يعني الوجوب وما معه ضرورية حاصلة لمن لم يعرف طرق الأكساب وكذا في المتعدد من شروح الطوابع وغير ذلك. وأما الثاني وهو أن تعاريفها غير حقيقية فلنصريح جماعة من أئمة الفن أيضا بذلك قال السعد عقب ما سبق ما نصه: قد تعرف تعاريف لفظية ولذلك لا يتحاشى أن يقال الوجوب امتناع قبول (63) العدم وقال في الشرح بعد أن ذكره: إنها ضرورية، وقد يقال على سبيل التنبيه الوجوب اقتضاء الشيء الوجود إلى آخر كلامه. وقد حرر المحقق النصير الطوسي في شرح الإشارات إلى الأعراض الذاتية لموضوعات العلوم

(62) في ط: المبحثان الثاني والثالث طويها اختصاراً

(63) في ك: قبل.

إذا ذكرت أولاً قبل التصديق بموجودها لا تعرف إلا بحسب الأسماء دون الماهيات والحقيفة وبسطه يوقف عليه في محله، وتبعه على ذلك تلميذه القطب الشيرازي في أوائل شرح أصل ابن الحاجب والسعد في شرح الرسالة الكاتبية: وظاره ان هذه المطالب هي الأعراض الذاتية لموضوع علم الكلام التي نثبتها المتكلم في مسائله فيما يفيد ثبوتها من صحيح الأدلة، ولهذا قال في محل المقاصد:

تمسدها الأحكام لا نزاع ووجوب الجواز الامتناع
تقع في المحمول من مسائله فهي مبادئه ومن وسائله

وهذا نظير ما قال ابن الحاجب في الأحكام الشرعية وقرره جماعة من شروحه ومحشيه وأقرره، وأما الثالث وهو ان التعاريف المذكورة لهذه المطالب على تقدير أنها حقيقة هي غير صحيحة. فما سبق عن الفخر وغيره من أنها دورية لا يمكن تعريف شيء منها إلا بسلب غيره عنه وذلك ظاهر بأدنى التفات فإن تعريف الواجب بأنه الذي لا يتصور في العقل عدمه تعريف له بامتناع العدم واستحالته، وكذا يقال في تعريف الجائز بأنه الذي يصح في العقل وجوده وعدمه لأن الصحة بمعنى سلب الامتناع ونفي الاستحالة. وأما تعريف المستحيل بأنه الذي لا يتصور في العقل وجوده فتعريف للشيء بنفسه لأن عدم التصور المأخوذ في تعريفه هو معنى الامتناع والاستحالة المعروفة فكان تعريفه بذلك تعريفاً له بنفسه، لكن لما كانت التعاريف المذكورة لفظية بحسب التنبية والنعريف اغتفر فيها ذلك كما قال السعد وغيره.

وليس كل ما يُغتفر في اللفظي يغتفر في الحقيقي لأن الأول من قبيل التصديقات والإخبار عن مسمى اللفظ المجهول بأنه هو مسمى اللفظ المعنى بقبل المنع وتقام عليه الأدلة النقلية عن أهل الوضع بخلاف الثاني على ما قال ابن الحاجب وغيره. وللسيد الشريف في شرح المواقف مزيد تحرير تتأكد مراجعته. ويتحقق هذه النبذة بضمحل الانتقاد الذي أشرتم إليه من أن تصدير التعاريف المذكورة بالنفي متعقب من حيث إن النفي يجب اجتنابه في التعاريف. وما درى هذا المنتقد أن ذلك الاجتناب إن ثبت عنهم إنما هو في التعاريف الحقيقية للأمور الوجودية دون اللفظية وتعاريف للأمور العدمية والاعتبارات العقلية، وليته درى بأي شيء يعرف المصنف ونبوعه كالمقترح والشرف الفهري التنزهات وأوصاف السلوك كالقدم مثلاً.

المبحث الثالث: أن مقتضى ما ذكره في التعقب على أبي محمد يفهم أن معنى التعريف عندهم هو خاص بالمصادر المذكورة لا بتجاوز إلى الأوصاف المشتقة منها وأنه مع ذلك عام في كل مصدر غير مقصور على الوجوب وصاحبيه، ولذلك جيء في النقص بخصوص المصادر دون أوصافها وعم فيها بذكر التفليد والطهارة ما معهما، وكلا الأمرين

غير مسلم. أما الأول فلأن المصدر متوس (64) من وصفه ولازم له فامتناع تعريفه لتعذره كما ذكره الفخر الرازي وغيره امتناع لتعذر وصفه، لأن تعذر الأعم واللازم تعذر للأخص والملزوم. وتصريحهم بامتناع تعريف المصدر تلويح جلي بامتناع تعريف وصفه المشتق منه. وبالجملة فالقول بأنهم إنما منعوا تعريف الوجوب والإمكان والامتناع دون الواجب والممكن والممتنع مما لا معنى له ولا قائل به وليس في كلام أبي محمد ما يدل عليه وإنما مقصوده كما تقدم بدلالة السياق منع كل من المصدر والوصف المشتق منه من الأمور الثلاثة. وأما الثاني وهو أن المنع عام في كل مصدر غير مقصور على الواجب وصاحبه حتى يتوجه النقص بتعريف التقليد والظاهرة فهو غير مراد لأبي محمد ولا لغيره من الأئمة وليس في كلام واحد منهم ما يفهم ذلك العموم ولا بوجهه بادننى وجه لأن السياق دال على أن الكلام في الوجوب وما معه تم في الإتيان بكلمة الإشارة من كمال بيان الغرض على أتم وجه ما [لا] (65) بحتمل معه [حمل] (66) لفظ المصادر على العموم في كل مصدر مصدر حتى تندرج الألوهية والزكاة، وإن أمكن ذلك الحمل مع ترك الإشارة على ضرب من التأويل ونوع من النساهل انتهى ما قصدنا من إيراد المکتوب السلطاني المذكور.

وفد أجل السلطان المذكور مكان صاحب الترجمة قدر مكانه وأظن في مكاتبتة تعظيماً لقدرة وتنبهها بأمره فمن ذلك قوله في صدر المکتوب المذكور: إلى كبير فقهاء عصره، وإمام أئمة الأقطار والأمصار لا خصوص قطره الفسيح ومصره، خاتمة المحققين وبقية سلف المؤيدين والموفقين وقدوة المجتهدين ونخبة المنقطعين لخدمة المعارف والمتجردين، النسمة الطاهرة، والبركة الباطنة والظاهرة، ذي السنن الأنوري والعرفان الأبهري أبي عبد الله الشيخ محمد الخرشى المالكي الأزهرى. أعلى الله مقامه، وأعانته على ما فيه من تهذيب المفاسد الدينية أقامه، ومتع المسلمين بإنشاء أثره، ومن عليه من الكمالات العلمية والعملية بقضاء جميع وطره، السلام عليك أيها الفجر اللامع والبحر الذي طيب المعاطش وقرط المسامع، ولا زالت نفحات الفتوحات تترادف عليكم وتتوالى، وأنوار عوارف المعارف تتكاثف بهاتيكم الأرجاء الأريجة وتتلالا. هذا وإنها الماجد الدار، والقطب الذي عليه بين أفاضل وقته المدار، منذ ولانا الله أمور عباده وأفامنا فضلا منه لحياطة دينه وكلاءة بلاده، لم نزل نجهد في جمع الكلمة بحسب الإمكان، ونجد في حسم مادة البغى بكل محل من الآفاق المغربية ومكان، ونحتفل بطهارة أديم الأرض من وضر الشرك، ونبسهل في استئصال شاقة أهل الضلالة والجهالة والإفك، حتى أسعف الإسعاف والحمد لله بنيل ذلك

(64) في ك: متوهم.

(95) غير وارد في س.

(66) استدرارك من س و ط.

المؤمل، ولم يكن إلا على حسن الثقة بالله في تحصيل ذلك الأرب المعول. انتهى ما تعلق
الغرض به من الرسالة المذكورة، وهي طويلة جدا في غاية الاتقان والتدقيق.

والموجود في التقايد أن صاحب الترجمة توفي في هذا العام عام اثنين ومائة وألف.
وفي فهرسة سيدي الطيب الفاسي أنه توفي [في ذي الحجة] (67) سنة إحدى ومائة وألف.

محمد بن عبد الكريم الجزائري

ومنهم الفقيه الأديب الشريف الحسيني محمد بن عبد الكريم الجزائري. أخذ عن عدة
شيوخ من المشاركة والمغاربة منهم الشيخ سعيد فدورة [شراح السلم في المنطق] (68) وهو
عمدته، والشيخ عبد القادر الفاسي، والشيخ الحسن البوسي وأبو عبد الله السوسي الجزائري
المتوفي سنة ثلاث وعشرين وألف والقشاشي والأجهوري والشيخ محمد الزرقاني والبابلي
وغرس الدين الأنصاري والشبراملسي والفكون والزمزمي والقبيلوي وزين العابدين الطبري
والشيخ علي الحلبي والشيخ يوسف الفيشي والغنيمي والشيخ أحمد المنوي والشهاب
الأفندي والصفوي الشامي وتيخه الشنوي والشنواني وأحمد السنهوري وشمس الدين محمد بن
محمد الفيشي نسبة إلى قبيلة بكسر القاء، في مشايخ كثيرين عد منهم في المنح البادية
نحو [كذا وكذا] (69) شيخا. وكان قدومه لفاس سنة ثلاث وثمانين وألف [فلزم بها الشيخ
عبد القادر الفاسي] (70) وكان ذا كرا للأدب والتواريخ حسن المجالسة متمتع المحاضرة [وقد
على السلطان مولانا إسماعيل وأكرمه مرارا وكان يجله ومعظمه] (71)، توفي بفاس سنة
اثنين ومائة وألف ودفن خارج باب الجيسة. وبنى على قبره بيت بروضة ابن جلول عن سار
المار إذا أعبدت الطريق الممرور عليها لحارة المرضى، وترك ولده الخير الأفضل سدي عبد
الكريم هو الآن في قيد الحياة، كان الله لنا وله.

وفي محاضرات سيدي الحسن اليوسي: حدثني الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد
الكريم الجزائري قال: حج بعض الأشراف فلما وقف على الروضة المشرفة على ساكنها أفضل
الصلاة والسلام قال:

إِنْ لَيْلَ زُرْتُمْ بِمَا رَجَعْتُمْ؟ يَا أَكْرَمَ الرُّسُلِ مَا أَقُولُ

بالقاف المعقودة، فسمع من الروضة المشرفة بتلك اللغة:

قُولُوا رَجَعْنَا بِكُلِّ حَيْرٍ وَأَجْتَمَعَ الْفَرْعُ وَالْأُصُولُ

(68) استدراك من ط.

(69) استدراك من ط أيضاً

(70) زيادة في ط.

(71) زيادة في ط كذلك.

أحمد بن محمد الشريف التونسي

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد الشريف التونسي. في بعض المقدمات: الفقيه العالم الدراكة، قرأ على منبجفة فاس [وسمع من] (72) أبي عبد الله محمد المرايط الدلائي تارح التسهيل وسيدي عبد العادر الفاسي وولده أبي عبد الله محمد وغيرهم. وكان فقيها مدرسا عالما بأحكام الوثائق وعللها. وكان رفيق سيدي محمد مباراة الأصغر في سماط عدول فاس القرويين وفي الأخذ عن الشيوخ. ويصفه بالأخلاق الحسنه والسرة الممدوحة المستحسنة. وكان القاضي بردلة ينود بقدره ويقدمه على أتراه من أبناء عصره ويعترف له بصحة النسب ورفعة الحساب، وربما أتاه في أحكام القضاء. توفي سابع عشر جمادى الثامنة عام اثنين ومائة وألف ودفن بإزا. سدى على حماموش خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الأندلس قرب مصلى العمد.

محمد بن أحمد الحرشنى

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الحرشنى الفاسي. ذكر أن له شرحا على مختصر خليل لم يكمل وشرحا على شمائل الترمذي. أخذ عن أبي العباس المزوار [ثم] عن أبي محمد عبد القادر الفاسي و[أخذ عنه] (73) العالم النوازي أبو عبد الله محمد حمدون بناني، توفي أوائل ذى الحجة عام اثنين وتسعين ومائة وألف.

الحسن بن مسعود اليوسى

ومنهم الإمام الكبير، المحقق السهير، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، سبب السنة القائم عن وجود أهل عصره، بجزيل المنة، أبو على الحسن بن مسعود اليوسى. قال فى محاضراته: أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن على بن يوسف وهو أبو القبيلة ابن داوود ابن بدراسن بن يلنى. فهذا ما نعد من النسب. ثم قال: وأما اليوسى فأصله اليوسفى كما مر من أن يوسف هو أبو القبيلة وبسفظون الفاء فى لغتهم.

قلت: وهذا أعجب، فإن جده يوسف هذا هو رابع الآباء ومع قربه من زمنه نقرع منه خلق كنبرون فإن القبيلة اليوم كبيرة جدا ولا عجب من أمره الله.

كان صاحب الترجمة رحمه الله عالما ماهرا فى المعقول والمنقول بحرا زاخرا فى المعارف والعلوم، وخص عن أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي [خليفه] (74) الوقت اعنتاء به ومبالغة فى نصحه ومحبتة فيه راجيا منه أن يكون على سرة الخلفاء.

(72) فى ط . أحد عن

(73) فى م: ولازمه.

(74) فى م: أمير.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرعسة وحرصا على سنن المهتمدين] (75) توتر في ذلك فضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حشما قرأ أطبق الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلاتق، ما لا تتفق لغره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] (76) بتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع آخر فكثر الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمشاة وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلفت عن مجلسه [جماعة من المشاهير] (77) وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال في ذلك بيتين واعتذر عنهما في محاضراته بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولا بد لها أحاسانا من سفطات. قال: فمن ذلك قولي:

مَا أَنْصَفْتُ فَاسُ وَلَا أَعْلَامَهَا عِلْمِي وَلَا عَرَفُوا جَلَالَتهُ مَنْصِبِي
لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَوْا إِلَيَّ كَمَا صَنَّا رَأَيْ سِنِينَ إِلَى الْعَمَامِ الصَّيْبِ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك وانذر، ومنهم من ضج فامتطى مطية التقرير، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يقع لذلك [المسمع] (78) التفات واعتبطوا به اغتباطهم بالأهل والشبيبة وصحة الأبدان، فكان حلولة فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق] (79) أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح في شعره إليه، من قول القائل:

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ بَسْمَعُهُ رَأَيْ سِنِينَ تَتَسَابَعَتْ جَنَدَبَا
فَأَصَاحُ يَرْجُو أَنْ تَكُونَ حَبَا وَتَقُولُ مِنْ قَرَحِ أبا رَبَا

قال في المحاضرات: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوك في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه المحاضرات الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كثيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونقل محفوظات كثيرة نظما ونشرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوى الفضل وخلو الدنيا من أهل العلم والجدود والكرم.

(75) غير وارد في ك وط.

(76) في م الأمير

(77) في ط: قوم.

(78) في م: لقوله.

(79) في م. فسمعوا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَمُّوا وَقَالُوا مَرَحِبًا بِالْمُقْبِلِ
وَبَقِيَّتْ فِي خَلْقِي كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَاوَسَتْ فِي مَنَهْلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمَّاحِ فَلَا سَمَّاحَ وَلَا يَرْجِي لَدِي كَسْرَمَ فَلَاحَ
رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مُسَّخُوا كَلَابًا فَلَيْسَ لَدَيْهِمْ إِلَّا النَّبَّاحُ
وَأَضْحَى الظَّرْفُ عِنْدَهُمْ قَبِيحًا أَلَا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْفِيبَّاحُ

فأشفي الغليل راجيا الغليل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقييل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعيان علماء (80) فاس أرسل له بطافة فيها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أَنْصَفْتُ فَاسَ وَمَنْ أَنْصَافَهَا أَبَدًا سَفُوطُ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
تَنْفِي الدُّجَاجِلِ أَجْلًا بَلْ عَسَاجِلًا فَكَأَنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةٌ بِثَرِبِ (81)

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبه] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشسر لقوله تعالى: «وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى فأجاب عن الأبيات المكتوبة في البطاقة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونشره وغزله فقال:

(80) هنا هي ك طرة نصيها:

وقفت في بعض التفاييد أنه الإمام المجاصي، وذكر بدل البيت الثاني في الأصل بيتا آخر بضم.

مِثْلُ السَّيِّئَةِ أُخْرِجَتْ أَنْفَالُهَا إِذْ أُبْرِزَتْ أَنْفَالُهَا لَمْ تَرْمَسِ

وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي رضى الله عنه بقوله:

بَلْ يُعْرِفُونَهُمْ فَاسًا سَبَقُوا جَهْلَ الَّذِي يَقْمُوكَ غَيْرُ مُكْذَبِ

تُخْرِزِي الدُّجَاجِلُ عَسَاجِلًا أَوْ أَجْلًا فِي فَاسٍ وَهِيَ طَرِيدَةٌ مِنْ يَتَسَرَّبِ

(81) الشطر الثاني مكسور، وهنا طرة أخرى في ك نصها: المجيب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي فقال له: البادئ أظلم وأنت أزلت حلاب الوقار وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وأصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن.

(82) في م: أخرجته.

وقياما منه بالذب عن الدين [وحماية للرعية وحرصا على سنن المهتدين] (75) توتر في ذلك قضايا متعددة. وأقبل الناس عليه إقبالا عظيما، فكان حشما قرأ أطيع الناس عليه وغص عليه المجلس بالخلاتق، ما لا يتفق لغيره، مع استمالة العامة إليه، فكان بسبب ذلك لا يدعه [السلطان] (76) يتقرر في موضع، بل يأمره بالرحيل لموضع آخر فبكثر الناس عليه أكثر من ذلك وهلم جرا. ودخل مدينة فاس ودرس بها مرارا، فمنها سنة تسع بمئناه وسبعين بموحدة وألف إذ خربت الزاوية البكرية فأقبل طلبة العلم للأخذ عنه. وتخلقت عن مجلسه [جماعة من المشاهير] (77) وما منهم بصدد التعليم إلا من هو محتاج لمجلسه، فقال في ذلك بيتين واعتذر عنهما في محاضراته بقوله: ولكن للنفس فرطات، ولا بد لها أحيانا من سقطات. قال: فمن ذلك قولي:

مَا أَنْصَفْتُ فَاْسُ وَلَا أَعْلَمُهَا عِلْمِي وَلَا عَرَفُوا جَلَالَةَ مَنْصِبِي
لَوْ أَنْصَفُوا لَصَبَّوْا إِلَيَّ كَمَا صَبَّأ رَأَيْ سِنِينَ إِلَى الْغَمَامِ الصَّبَّيِّ

فمنهم من أنصف وأذعن واعترف بما له عليهم من المنن، ومنهم من بمقتضى البديهة أنكر، ثم عند التأمل اضمحل ذلك واندرثر، ومنهم من ضج فامتطى مطبة التفریح، فصرح في نظمه بأمر شنيع، ولم يقع لذلك [المسمع] (78) التفات واعتبطوا به اغتباطهم بالأهل والتسببية وصحة الأبدان، فكان حلوله فيهم حلول القطر زمن المحل وبقية صرفت بين النحل [فتحقق] (79) أمره أنه كما نبههم عليه، ولمح في شعره إليه، من قول القائل:

وَحَدِيثُهَا كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَأَيْ سِنِينَ تَتَّبَعَتْ جَذْبًا
فَأَصَاحُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَنَا وَتَقْسُولُ مِنْ قَسْرَحِ أَيَّا رَبًّا

قال في المحاضرات: وإنما استسألت واستغفرت الله من المدح والافتخار لأن ذلك مباح في الشعر مسلوک في سائر الأعصار والأمصار. وهذه القضية أظنها من أسباب تأليف كتابه المحاضرات الذي لم يسبق لمثله، ضمنه التعريف بنفسه وأفصح عن معان كثيرة، وتخلص لوجوب عدم الإذعان لأهل المناصب، ومنه الحسد ونقل محفوظات كثيرة نظما ونثرا في العزلة والصبر على الأذى والإعراض عن السفهاء والتأسف على ذهاب ذوى الفضل وخلو الدنيا من أهل العلم والوجود والكرم.

(75) غير وارد في ك وط.

(76) في م: الأمير.

(77) في ط: قوم.

(78) في م: لقوله.

(79) في م: فسعرا.

فمن ذلك قول القائل:

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا وَقَالُوا مَرَحِبًا بِالْمُقْبِلِ
وَبَقِيَتْ فِي خَلْقِي كَأَنَّ حَدِيثَهُمْ وَلَعُ الْكَلَابِ تَهَاوَشَتْ فِي مَنْهَلِ

ومن ذلك:

مَضَى دَهْرُ السَّمَّاحِ فَلَا سَمَّاحَ وَلَا يُرْجَى لِدَيْ كَسْرَمَ قَلَّاحُ
رَأَيْتُ النَّاسَ فَدُ مُسْخُوا كَلَابًا فَلَسْ لِدَيْهِمْ إِلَّا النَّبَّاحُ
وَأَضْحَى الظَّرْفُ عِنْدَهُمْ قَبِيحًا أَلَا وَاللَّهِ إِنَّهُمْ الْقَبَبَّاحُ

فأشقى الغليل راجبا للقليل وأطال جدا لما بين به آفة القال والقليل، جزاه الله جزاء المتقين وأدام أمثاله حماية للسنة والدين.

ومن المحكي أن بعض أعبان علماء (80) فاس أرسل له بطاقة فيها جواب عن قوله السابق: ما انصفت فاس الخ، والجواب المكتوب فيها هو هذه الأبيات:

بَلْ أَنْصَفْتُ فَاسَ وَمَنْ أَنْصَافَهَا أَيْدَا سُفُوطِ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
تَنْفِي الدُّجَاجِلِ أَجِلًا بَلْ عَاجِلًا فَكَأَنَّهَا هِيَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَةٌ يَتْرَبِ (81).

فلما قرئت عليه لم يجبه، لكن كتب له لفظة: «سلاما» وحدها، فلما ردت البطاقة لمرسلها ورأى ذلك [أعجبه] (82) واعترف ببراعة الجواب وبين لأصحابه أنه يشبر لقوله تعالى: «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا». وكان من جملة من حضر [المجلس] (83) جدنا أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فأجاب عن الأبيات المكتوبة في البطاقة بهذه الأبيات وهي من نظمه ونثره وغزله فقال:

(80) هنا في ك طرة نصها. وقفت في بعض النقايد أنه الإمام المجاصي، وذكر بدل البيت الثاني في الأصل بيتا آخر نصه.

مِثْلُ الْمَدِينَةِ أُخْرِجَتْ أَنْفُسَالَهَا إِذَا أَبْرَزَتْ أَنْفُسَالَهَا لَمْ تَرْتَبْ
وأجابه أيضا العلامة سيدي محمد بن عبد القادر العاسي رضى الله عنه بقوله:

بَلْ يَعْزِفُونَهُمْ فَاسْتَشَيْفُونَا جَهْلُ الَّذِي يَفْئُفِرُكَ عَشِيرُ مُكْدَبِ
تُخْرِى الدُّجَاجِلُ عَاجِلًا أَوْ أَجِلًا فِي قَسَاسٍ وَهِيَ طَرِيدَةٌ مِنْ يَتْرَبِ

(81) الشطر الثاني مكسور، وهنا طرة أخرى في ك نصها: المعجب المذكور هو سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. ولما وقع الجواب المذكور وهو: بل انصفت الخ، بيد أبي علي، طالع به شيخ الجماعة أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي فقال له: البادئ أظلم وأنت ازلت جلهاب الرقار وأبحت عذارك لمعارضتك الأحداث وإصغائك لمقال من لم يساوك في علم ولا سن.

(82) في م، أخجلته.

مَا أَنْصَفْتَ قَاسٍ وَلَا مِنْ شَأْنِهَا
يَا أَهْلَ قَاسٍ مِمَّا الَّذِي أَغْنَاكُمْ
فَلَقَدْ سَقَطْتَ وَمَا صَدَقْتَ وَإِنَّهُ
لَا تَتَّعِبَنَّ قِدُونَ مَا حَاوَلْتَهُ
أَطْرُقَ كَذَا هَذَا الْإِمَامَ مُعْظَمِ
فَلَأَنْتَ نَطْفَى نُورِ رَبِّكَ جَاهِدًا
أَوْ كَالَّذِي رَامَ الصَّعُودَ إِلَى الْعَلَا
لَا تَعْجِبِينَ إِذَا الْأَكْسَارُ حَلَقَتْ

إِنْصَافُ ذِي شَرْفٍ جَلِيلِ الْمَنْصَبِ
عَنْ نَبِيلٍ غَبِيَتْ مِنْ غَمَامٍ صَيِّبٍ
مِنْ شَأْنِ نَفْسِ الْمُدْعَى وَالْمُعْجَبِ
خَرَطُ الْقَتَاةِ وَامْتِطَاءُ الْكَوْكَبِ
فِي سَائِرِ الدُّنْيَا بَغْيِيرَ تَعْجَبٍ
بِالنَّفْخِ بَغْضًا كَالْجَهُولِ الْمَذْنَبِ
بِأَتَانِهِ الْعَرَجَا وَلَمْ يَسْتَوْجِبْ
عَمْرًا فِكْمٍ مِنْ مَا جَدَّ لَمْ يَنْجِبِ { 84 }

ومدحوا صاحب الترجمة بأمداح كثيرة وأثنوا عليه بأنظام خطيرة. فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب القادري بمدحه ويصف حالة حلوله حينئذ بفاس مخاطبا له:

حَيِّتْ بِكَ الْأَرْضُونَ مِنْذُ حَلَلْتَهَا
أَنْتَ الَّذِي أَنْهَلْتَ مَنْ بَحَرَ الْهُدَى
أَنْتَ الَّذِي لَمَّا رَقِيتَ سَمَا الْعَلَا
قَدْ جِئْتَ بَحْرًا مِنْ عُلُومٍ زَاخِرًا
قَسَمَا بِمَرُوءَةٍ وَالصَّفَا وَبِزَمَزَمِ
مَا حَازَ دُوْ عِلْمٍ وَلَا دُوْ هِمَّةِ

وَحَيْتُ بِنُورِ هَذَا كُلِّ نَفْسٍ
فَسَقَيْتَ مِنْهُ مَرِيدَهُ بِكُؤُوسٍ
نَارَتْ لَنَا بِسَنَّاكَ كُلُّ شَمُوسٍ
مُسْتَظْلَعًا مِنْهُ بِكُلِّ نَفْسٍ
قَسَمَ الْنَقْيِ وَالْبَرِّ غَيْرَ غَمُوسٍ
كَلَّا وَلَا دَانِي مَقَامِ السُّوسِيِّ

فأجابه بأبيات تأتي إن شاء الله في ترجمته. ومما نظمه صاحب الترجمة في شأن من يؤذيه من علماء أهل سجلماسة:

حَيُّ الْأَحْبَةِ عَنِّي أَيُّنَمَا ذُكِرُوا
وَلَا تَحِيُّ لَنَا مَا قَدْ عَاهَدْتَهُمْ
وَقُلْ لَذَاكَ السُّجْلَمَاسِيِّ إِنْ لَنَا
إِنْ الْمَنَافِقِ لِلْعَسَوَاتِ مَلْتَمَسِ
وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ إِنْ كُنْتَ مَنْتَهَسًا
فَبَانَ أَسْلَاكَ الْآرْدَانَ قَدْ أَكَلُوا
أَهْلُ سَجْلَمَاسَةَ الْأَبْدُونَ إِنْ نَطَفُوا
لَوْلَا الْأَكْسَارُ أَلَّ الْمُصْطَفَى نَزَلُوا

وَحُصُّ مِنْ جِبْرِتِي قَوْمًا هُمُ الْغُرُرُ
سَجِيهٍ فِيهِمُ الْإِبْدَاءُ وَالضَّرُّ
عَرَضًا مَصُونًا فَلَا تَهْتَكُهُ يَا غَدْرُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا اسْتَبْصَرُوا عَدْرُوا
لَحْمَ الْوَرَى فَعَلَّ كَلْبٌ لَيْسَ يَنْزَجِرُ
لَحْمَ الْكَلَابِ فَذَاكَ الْفَعْلُ مَذْخَرُ
وَالْوَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا اقْتَدَرُوا
بِأَرْضِهِمْ آخِرَ الْأَرْمَانِ مَا ذُكِرُوا

وحق لمن يؤذي [مثل] (85) صاحب الترجمة أن يقال فيه أكثر من هذا لأنه من العلماء العاملين والسادات الكاملين، وقد أفنى نفسه في الذب عن الشريعة وحرر فصولها وأسس أصولها المنيعه، فلقد كان سيفاً من سيوف الدين، وصارماً بقرى هام الملحدين، ومتمعاً للطفأة (86) المفسدين. ومن بديع احتراسه تصريحه بأن بلدة هذا الشخص إنما شرفت بأهل بيت الرسول ولا شك أن سجداسة بلدة مشرفة بأل البيت الكرام، ومنحهم الله بهم من منائح الفضل العظيم، بل وسعد بهم بلاد المغرب حتى أقام الله منهم الخلفاء (87) الذين أطفأ بهم نيران الفتن، وتدارك بهم الضعفاء والمساكين فأزال عنهم المحن، ومن وقف على ما وقع من الفساد في المغرب قبل ظهور هؤلاء الشرفاء تحققة علماً، وأحاط بصحته جزماً، وقد ذكرنا بعضاً منه فيما تقدم مفترقا في السنين، فليراجع. وكان ورود هؤلاء الشرفاء على سجداسة أواسط المائة السابعة كما ذكره سيدي إبراهيم بن هلال في مناسكه.

وكان صاحب الترجمة آية في المعقول والمنقول وإليه المرجع فيهما، وآية في النبيل والإدراك مع الحظ الوافر في الأدب وحفظ دواوين الشعر، يستحضر ديوان أبي تمام وأبي الطيب والمعري ويسرد قصائدها عن ظهر قلب، ومدحه الشيخ الإمام الورع الزاهد سبدي أحمد العطار المراكشي الأندلسي بقصيدة مطلعها:

صَدَدَتْ وَالصَّدُّ مِنْكَ غَيْرُ مَعَهُودِ وَبِالْوِصَالِ قَصَرْتَ كُلَّ مَمْنُودِ
فَمَا اجْتَرَأَ مِي وَمَا أُمْسِيَتْ مُشْكِيَا بِنَقْضِ عَهْدٍ وَلَا إِخْلَافِ مَوْعُودِ
حَتَّى نَظَمْتُ (88) عَقُوداً مِنْ حُلَاكٍ حَكَّتْ شَمَائِلَ الْحَسَنِ الرَّضَى ابْنَ مَسْعُودِ
فَتَى لَهُ قَسْدٌ فِي الْفَضْلِ رَاسِخَةٌ وَمَنْزِلٌ فِي الْعَقَافِ غَيْرُ مَجْهُودِ

وأجابه بقصيدة مطلعها قوله:

ما نفحة الأرض من أرجائها عود [89]

ولصاحب (90) الترجمة مراسلات ومحاورات مع السلطان المظفر الهمام أبي النصر المنصور بالله أمير المومنين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى السجداسي، ووقفت على رسالة من ذلك نصها.

(85) زياده في م.

(86) في س و ط: العتاة

(87) في م: الملوك

(88) كذا في م وهو الأتسب، وفي ك فصت.

(89) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(90) هنا يبتدى بتر طويل في ط لنضع صفحات، وستنبه على نهايته.

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، ورضي الله تعالى عن الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى خليفتنا أمير المؤمنين الإمام قطب المجد ومركزه، وفخار الفخار ومثزره، وأساس الشرف الفادح ومنبعه، ومناطق الفضل الشامخ ومجمعه، السلطان الأعظم، الأجل الأفخم مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف لازلت أعلامه منسورة، وأيامه على العز واليمن مقصورة، وسلام على مولانا ورحمة الله تعالى وبركاته. هذا ولا زائد عندنا سوى المحبة لسيدنا وغاية التعظيم والإجلال، والدعاء له بصلاح الحال، وذلك بعض ما أوجبتته يده علينا المبسوطة بالبر والإحسان، والتفضل والامتنان، والنوقير والاحترام، والإنعام والإكرام، مع ما له علينا وعلى غيرنا من الحقوق التي أوجبتها منزلته السلطانية، ومشايبته العلوية الفاطمية، فكتبتنا هذه البطاقة، وهي في الوقت منتهى الطاقة، وكنا كثيرا ما نرى من سيدنا التسوف إلى الموعدة والنصح، والرغبة في افتتاح أبواب الريح والنجح، فأردنا أن نرسم لسيدنا بعض ما إن وفق (91) لنهوض إليه رجونا له ربح الدنيا والآخرة، والارتقاء إلى الدرجات الفاخرة، ورجونا وإن لم نكن أهلا لأن نعظ أن يكون سيدنا أهلا لأن يتعظ، وأن يحتمي من جميع المذام ويحتفظ. فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له، والناس كلهم عبيد لله تعالى وإماء له والسلطان واحد من العبيد، وقد ملكه الله تعالى عبده ابتلاء وامتحانا، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عباده وله الدرجة العالبة عند الله تعالى، وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه (92) في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغبر حق ومتعرض لعقوبة الله تعالى الشديدة وسخطه. ولا يخفى على سيدنا حال من تسلط على رعيته يروم تملكهم بغير إذنه (93) كيف يفعل به يوم يتمكن منه، ثم نقول إن على السلطان حقوقا كثيرة لا تفي بها البطاقة، ونقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها: الأول جمع المال من حق وتفريقه في حق. الثاني: إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله، وفي معناه تعمير الشغور بما تحتاج من عدد وعدة. الثالث: الانتصاف للمظلوم من الظالم، وفي معناه كف كل يد عادية عليهم منهم ومن غيرهم. وهذه الثلاثة قد اختلت كلها في دولة سيدنا، فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع أو بالغفلة، فإن تنبه وفعل فقد فاز وفي ذلك صلاح الوقت وصلاح أهله وسبوغ النعمة وتشمول الرحمة، والافقد أدينا الذي علنا.

أما الأمر الأول فليعلم سيدنا أن المال الذي يجبي من الرعية قد أعده الله تعالى للمصالح التي ينتظم بها الدين وتصلح الدنيا من أهل البيت والعلماء والقضاة والأئمة والمؤذنين والمجاهدين والأجناد والمساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح، ومثال هؤلاء

(91) في س: وقفنا، وهو تصحيف.

(92) في س: على الله تعالى.

(93) في ك و م: بغير أمره

كأيتام لهم ديون قد عجزوا عن [الوصول إلى] قبضها إلا بوكيل، ومثال الرعية مثل المديان والسلطان هو الوكيل، فإن استوفى الوكيل الدين بلا زيادة ولا نقصان وأداه إلى اليتامى بحسب ما يجب لكل فقد برئ من اللوم ولم تبق عليه تباعة للمديان ولا لليتيم وحصل له أجران: أجر القبض وأجر الدفع، وإن هو زاد على الدين الواجب بغير رضى المديان فهو ظالم للمديان، وإن نقص بغير موجب فهو ظالم لليتيم وكذا إن استوفى الديون وأمسكها ولم يدفعها لأربابها فهو ظالم لهم. فلنظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جرؤا ذبول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وامتسوا العظم وامتصوا المخ ولم يتركوا للناس ديناً ولا دنياً، أما الدنيا فقد أخذوها، وأما الدين فقد فتنوهم عنه وهذا شيء شهدناه لا شيء ظنناه، ثم إن أرباب الحقوق فد ضاعوا ولم نصل إليهم حقوقهم. فعلى السلطان أن يتفقد الجباة ويكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكلام من يزين له الوقت، فإن أكثر الدائرين به طلاب الدنيا لا يتقون الله ولا يتحفظون من المداينة والنفاق والكذب، وفي أفضل منهن قال جد سيدنا أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: المغرور من غررتموه، وأن يتفقد المصالح ويبسط بد الفضل على خواص الناس وأهل العلم والدين والخير ليكتسب محبتهم ونأعهم ونصرهم كما قيل:

أسادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وقد جُبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولا يهملهم فيتمنوا غيره ويتطلبوا دولة أخرى كما قيل:

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غسر أنه يريد سواها فهو يهوى انتفالها

وليعلم سيدنا أن السلطان إذا أخذ أموال العامة ونثرها في الخاصة وشيد بها المصالح فالعامه يدعون له ويعلمون أنه سلطان وتطيب قلوبهم بما يرون من إنفاق أموالهم في مصالحهم وإلا فالعكس، وأيضا السلطان متعرض للسهام الراشقة من دعوات المظلومين من الرعية، فإذا أحسن إلى الخاصة دعوا له بالخير والسلام والبقاء فقابل دعاء بدعاء والله الموفق.

وأما الأمر الثاني فقد ضاع أيضا، وذلك أنه لم يتأت في الوقت [الآن] (94) عمارة الشغور وسيدنا قد غفل عنها. فقد ضعفت اليوم غاية. وقد حضرت بمدينة تطاون (95) أيام

(94) في م: «الإ». ومثله في الاستقصا.

(95) في م: تطاون

مولانا الرتبند رحمه الله فكانوا إذا سمعوا الصريخ تهتز الأرض خيلا ورماة. وقد بلغني اليوم أنهم سمعوا صريخا (96) من جانب البحر ذات يوم فخرجوا سعون على أرجلهم بأيديهم العصي والمقالع، وهذا وهن في الدين، وغرر على المسلمين، وإنما جاءهم الضعف من المغارم الثقيلة وتكليفهم الحركة (97) واعطائهم (98) العدة كسائر الناس. فعلى سيدنا أن يتفقد السواحل كلها من القلعية (99) إلى ماسة ويحرضهم على الجهاد والحراسة بعد أن يحسن إليهم ويعفيهم مما بكلف به غيرهم وينرك لهم خيلهم [ورجالهم] (100) وعدتهم وبزيدهم ما يحتاجون إليه، فهم حماة بضرة الإسلام وينحصرى فيمن بوليه تلك النواحي أن يكون أشد الناس رغبة في الجهاد ونجدة في المضايق وغيره على الإسلام [وأهله] (101) ولا يولي فيها من همته ملء بطنه والاتكاء على أركته.

وأما الأمر الثالث فقد اختل أيضا لأن المنتصيين للانتصاف بين الناس هم العمال في البلدان وخدامهم [و] (102) هم المستغلون بظلم الناس. فكيف يزيل الظلم من فعله؟ ومن ذهب يشتكي سبقوه إلى الباب فزادوا عليه فلا يقدر أحد أن يشتكي. [فليتق سيدنا دعوة المظلوم] (103) فليس بينها وبين الله حجاب، وليجتهد في العدل فإنه قوام الملك وصلاح الدين والدنيا. قال الله تعالى: «إن الله بأمر بالعدل والاحسان [وإيتاء ذي القربى] وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون». وقال تعالى: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز». ثم ذكر المنصورين وشرائط النصر فقال: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر». فضمن تعالى للملوك النصر وشرط عليهم هذه الأمور الأربعة، فمتى اختل عليهم أمر الرعية وتسلمت عليهم من يفسد عليهم الدولة علموا أن ذلك من إخلالهم بهذه الأمور، فكان عليهم الرجوع إلى الله تعالى وتفقد ما أمرهم به ورعاية ما استرعاهم إياه. وقد اتفقت حكماء العرب والعجم على أن الجور لا يثبت معه الملك ولا يستقيم، وأن العدل يستقيم معه الملك ولومع الكفر، وقد عاش الملوك من الكفرة المثين من السنين في الملك المنتظم والكلمة المسموعة والراحة من كل منغص لما كانوا يتحافظون عليه من العدل في الرعية استصلاحا لدنياهم، فكيف بمن يرجو صلاح الدنيا والدين [والآخرة]. وقال بعض الحكماء: الملك بناء والجند أساسه. فإذا ضعف

(96) في ك و س: يعزق.

(97) في م: الحركات

(98) في م: وإعطاء

(99) في م: قلعية.

(100) زياده في ك.

(101) كذلك زياده في ك.

(102) زياده في م و س.

(103) في م. فليتق الله سيدنا، وليتق دعوة المظلوم.

الأساس سقط البناء. فلا سلطان إلا بجند. ولا جند إلا بمال. ولا مال إلا بجباية، ولا جباية إلا بعمارة. ولا عمارة إلا بالعدل، فالعدل أساس الجمع، وصنع أرسطاطاليس الحكيم للإسكندر الشكل المستند عنه وكتب عليه: العالم بستان سياحه الدولة، الدولة سلطان تعضده السنة، السنة سياسة سوسها الملك، الملك راع بعضده الجيوش، الجيش أعوان بكفلهم المال، المال رزق يجمعه الرعية، الرعية عبيد بقودهم العدل، العدل مألوف وبه صلاح العالم، العالم بستان انهي. وقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته). وقال صلى الله عليه وسلم: (إن رجلاً يخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة). وقال صلى الله عليه وسلم أو كما قال: (ما من والٍ يلى ولا بة إلا جاء يوم القيامة وبده مغلولتان. فإمّا عدل بفكّه وإما جورٌ يُوبقه). وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: رأيت عمر علي قتب يعدو به بعيره بالأبطح فقلت: يا أمر المؤمنين، أين تسير؟ قال: يعبر شرد من إبل الصدقة أطلبه. فعلت: أذلت الخلفاء من بعدك. فقال لا تلمني، والذي بعث محمداً [بالحق] عليه السلام لو أن عنقا ذهب بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة، ألا إنه لا حرمة لوالٍ ضيغ المسلمين، ولا لوالٍ () (104) المؤمنين، وقد رأى رضي الله عنه شيخاً يهودياً يسأل علي الأيووب فقال عمر: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية مادمت شأها ثم ضبعناك اليوم. وأمر أن يجرى عليه قوته من بيت المال. وليعلم سيدنا أن أول العدل أن يعدل في نفسه فلا يأخذ لنفسه من المال إلا بحق وليسأل العلماء عما يأخذ وما يعطي وما يأتي وما يذر، وقد كان بنو إسرائيل يكون فيهم الأمير علي يد نبي، فالنبي يأمر والأمير ينفذ لا غير، ولما كانت هذه الأمة المشرفة انقطعت النبوة بنبيينا خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه النبيين، فلم يبق إلا العلماء يقتدي بهم. قال صلى الله عليه وسلم: (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل). فكان حقاً على خلفاء هذه الأمة أن يتبعوا العلماء ويتصرفوا على أيديهم أخذاً وعطاء. وقد توفى النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وكان قبل ذلك يبيع ويشترى بالسوق لعسالة، فلما بوع أخذ متاعه إلى السوق على عادته حتى رده علماء الصحابة وقالوا له: إنك في شغل بأمر الحلافة عن السوق، وفرضوا له ما بكفى عياله وحملوا المال على يد أمين، وكان هو وغیره فيه سواء يأخذ منه بما اقتضته الشريعة لنفسه ولغيره، وهكذا سيرة الخلفاء الراشدين من بعده. فعلى سيدنا أن يقتدي بهؤلاء الفضلاء، ولا يفتدي بأهل الأهواء (105)، ويسأل من معه من الفقهاء الثقات كسيدي محمد بن الحسن وسيدي أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون في الله لومة لائم، فما أمره به مما ذكرناه ومما لم نذكره فعله، وما نهوه عنه انتهى. هذا سبيل النجاة إن شاء الله تعالى، نسأل الله أن يرزق سيدنا توفيقاً وتسديداً، وإرشاداً وتأييداً، وأن يصلح بوجوده البلاد والعباد وأن يحسم سسيقه أهل الزرع

(104) بياض في م.

(105) في ط و س: بأهل الهوى

والفساد آمن والحمد لله رب العالمين، وكتب العبد الفقير الذليل الحسن بن مسعود اليوسي تاب الله عليه آمين. انتهى.

والأحاديث التي ذكر كلها في الصحيح بالألفاظ التي ذكر وبغيرها إلا أن قوله: ما من وال الخ الذي عزاه المنذري لصحيح ابن حبان من رواية إبراهيم بن هشام الغساني عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من والي ثلاثة إلا لفي الله مغلولة يمينه فكه عدله وغله جوره انتهى. وأورد المنذري في ترغيبه أحاديث كثيرة في هذا المعنى. وأما حديث: علماء أمتي كأنياء بني إسرائيل، فقال السيوطي في الدر المنثور: لا أصل له. نعم أخرج صاحب الترجمة الأربعة عن أبي الدرداء: علماء أمتي ورثة الأنبياء، وسيدي محمد ابن الحسن المجاصي المذكور في كلامه تأني ترجمته في العام الذي بعد هذا، وسيدي أحمد بن سعيد هو المجلدي تقدمت ترجمته في العشرة العاشرة من المائة الحادية عشرة. وكان الخليفة مولانا إسماعيل المذكور يثني عليه خيرا، وما يحكى عنه في ذلك أنه كان يقول: علماء الوقت على أربعة أقسام: قسم لا يخاف إلا من الله ولا يخاف منا، يعني نفسه. وقسم يخاف من الله ومنا، وقسم يخاف منا ولا يخاف من الله، وقسم لا يخاف من الله ولا منا، ويمثل للقسم الاول بصاحب الترجمة (وتركنا ذكر أصحاب التماثل الثلاثة إذ كل نفس بما كسبت رهينه، عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) (106).

وقد فاز صاحب الترجمة أبدنه فلم تتحمل بشيء من غمزات المسلمبن إلا ما سعى لهم في المصالح وارتكاب المخاطرة في إرشاد السلطان إلى ما هو واجب عليه بأشد من الخطاب المتقدم في الرسالة المنقولة مشافهة (107) حيث سعى للمسلمبن في المصالح ونصح الخليفة المذكور غير ما مرة وقد راجعه برسالة أخرى أطول من هذه (108) حواليا عن ما نعت به بطانة السلطان الذين بلونه ويقربون منه، واجتمع معه وشافهه، وقضاياه (109) معه كثيرة. وكان صاحب الترجمة غاية في الجود والسخاء وجامعا لكثير من الأخلاق العظيمة. وقد (110) استعار منه عمنا الأرضى النزبه الأدب الفقه الصوفي أبو العباس أحمد ابن الفقيه العدل الأرضى عبد الفادر القادري الحسن بن نسخة من صوت القلوب لأبي طالب المكي كان يملكها وخاطبه بهذين البيتين:

أَحْبَبَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَتْ قُصْدًا لِيَابِكِ كِي أَحْصَلَ مِنْ نَصِيبِ
وَهَا قَلْبِي بِجُوعِ الْجَهْلِ بَغْتَى وَعِنْدَكَ سِدِّي قَوْتُ الْقُلُوبِ

(106) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

(107) زيادة في م وط.

(108) هنا في هامش ط طرة نصها: يدل خطابها أنها جواب عما بحثه به من يوالي السلطان في كلام الشيخ صاحب الترجمة في هذه الرسالة وغيرها، والتعرض لجلت جميع ذلك يطول جدا وان كان لا يخلو من فوائد والله أعلم.

(109) في م و س. وقضياته.

(110) في ط حكي لنا ولده أبو عبد الله محمد بن العالم أبي العباس أحمد أن أباه المذكور استعار من صاحب الترجمة..

فأرسله إليه في الحين وقال له: هو لك وَبَتْ هبته إياه منجزاً⁽¹¹¹⁾ ولما رحل صاحب الترجمة للحجاز سنة إحدى ومائة ونزل طرابلس ومر بدار سيدي أحمد بن عبد الله إذ كان مع الركب المغربي حينئذ حاجا، فترجل سيدنا أحمد عن دابته ودخل عليه بعد الإستئذان، وكانت لهما معرفة إذ كان صاحب الترجمة حيث كان بفاس يأتي إليه ويطلب منه الدعاء يستشير به، فأذن له فدخل عليه إلى الدار التي هو نازل فيها وقام إليه فتلقاه⁽¹¹²⁾ وفرح به وقال له إنني هممت أن أتيك وبعثت بعض الطلبة بسأل عن منزلك فأتيك، ثم انصرف سدى أحمد إلى منزله. فذكر ذلك [عم والدنا] أحمد بن عبد القادر القادري في رحلته. [ولصاحب الترجمة فهرسة جيدة وقد أشار فيها لعلوم كثيرة وفوائد غزيرة، ولما أشار إلى علم التاريخ قال فيه فقد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية، وقد يخصص بخبر دون غيره، وقد يختص بالدولة الإسلامية، وقد يكون في أعمال الأعيان ووفياتهم، وقد يكون في اختطاط البلدان أو المساجد والرباطات ونحو ذلك، وكل ما سحتاج فيه إلى شيء من أمور الشرع كتاريخ سكة معلومة أو مكبال معلوم أو مسجد عتيق أو السقى فلان من الرواة بفلان أو مكان التفاته، أو كون فلان من المتقدمين أو المتأخرين أو من الصحابة أو لا وغير ذلك، فهو داخل في العلوم الشرعية وما سوى ذلك فخارج عنه غير أنه إن أفاد فائدة أخرى كالاختبار والاستبصار وكالاقتزاز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهد أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه وغير ذلك من المصالح فهو محمود. انتهى.

وأنتنا بهذه النبذة لما فيها من المناسبة لهذا الكتاب. ومن فوائده الجليلة أنه ذكر حقيقة الإقراء فقال: الإقراء تصحيح المتن وحل المشكل والزيادة على هذا ضررها أكثر من نفعها. قال ولا بد أن يدرج فيما ذكر من تصحيح المتن أو حل المشكل التنبيه على النقص أو الحشو وتوجه ما يحتاج إلى السوجه ونحو ذلك، فهذا وظيفة الإقراء، وهذا كله للمبتدئ. وأما غيره فيعامل بما يليق به، وإن لم يكن ماهرا طبيبا فضرره أكثر من نفعه والله أعلم. وقضباته في العلم كثيرة جزاه الله عن المسلمين خيرا⁽¹¹³⁾.

ولد صاحب الترجمة سنة أربعين وألف ونسأ في ديانة وعفة وصيانة، قال في فهرسته: وسافرت إلى بلاد القبلة للتعليم فبعد أن ختمت القرآن العظيم الخنمة الأولى سافرت مع معلمي القرآن فذهبت معه إلى زيارة الولي الصالح أبي الطيب بن يحيى الميسوري ومن معه في بقعته من الصالحين فزرتهم، ثم ذهبت لزيارة الشيخ أبي يعزى، ووقع في سماعي أن الناس يطلبون الحوائج عنده فحضر في عقلي ثلاث حوائج، وهي العلم، والمال، والحج وذلك مبلغ عقلي في صغري. أما اثنتان فقد حصل منهما ما لا أنكره من فضل الله تعالى له الحمد

(111) في ط أيضا: وسمعت من غير ولد عمنا المذكور من أقاربنا بهذا الوجه أو قريب منه والله أعلم.

(112) في ط: يتلقاه

(113) ما بين معقوفتين زيادة في ط.

والمنة، وأما الثالثة فنرجو من فضل الله أن يمن بها علينا مبرورة متقبلة وسببا للفوز برضاه، ثم قال: وكنت أطلع المورد العذب للجوزي وبحر الدموع له فأطالع حكايات الصالحين كأويس القرني وإبراهيم بن أدهم وإبراهيم الخواص وغيرهم فانتقشت تلك المآثر في عقلي ووقعت حالاتها في قلبي فكان ذلك بذرا (114) لما أنعم الله به علي من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسلم لهم انتهى.

ثم تصدر للأخذ عن المشايخ:

فمنهم الحسين بن محمد المدواني قرأ عليه القرآن ومنتزومة الرقعي، وكان دأب هذا الشيخ كتب اللوح من القرآن ثم القراءة فيه ثم محوه وهكذا إلى أن مات.

ومنهم الشيخ العلامة الزاهد أبو بكر بن الحسن التطافي، قرأ عليه ختمه من القرآن وحضره في الرسالة ومختصر خليل وجمع الجوامع والخلاصة. والتطافي ممن أخذ عن الشيخ الإمام العلامة المدرس الفهامة المحقق الحافظ الزاهد الورع مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الشريف السجلماسي الحسنی.

ومنهم الأستاذ الصالح أبو العباس أحمد الدراوي إمام القصة السجلماسية وكان ظاهر الصلاح وظهرت له كرامات.

ومنهم قاضي سجلماسية الفقيه المشارك سيدي محمد بن عبد الله الحسنی، حضر عنده جملة من الرسالة والصغرى والفلسادي وكان محمود السيرة في ولانته.

ومنهم أبو فارس عبد العزيز الفلالي، قرأ عليه الألفية لابن مالك ولايته والخزرجية. ومنهم أبو عبد الله محمد بن محمد التجمعتي قرأ عليه [ألفية ابن مالك والقرآن، وله تحقيق في مهمات النحو.

ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد التجمعتي. قرأ عليه [115] جملة من مورد الظمان ومن مختصر خليل وغيره.

ومنهم الشيخ الإمام الماهر العلامة قاضي القضاة أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان السكتاني [صاحب الحاشية على الصغرى] [116] حضر عنده جملة من مختصر السنوسي في المنطق ومحصل المقاصد [117] لابن زكري وتقدمت ترجمته عام اثنين وستين وألف.

ومنهم سيدي محمد المزوار المراكشي، قرأ عليه جملة من تهذيب مختصر السنوسي، وكان من مشاهير وقته في فنون العلم.

[114] في ط: يدماً

[115] ما بين معقوتين ساقط من ط.

[116] زيادة في ط

[117] صحف في المخطوطات فكتب: مختصر المقاصد.

ومنهم الإمام العالم محمد بن ابراهيم الهشتوكي، قرأ عليه تنقح القرافي في الأصول وجملة من مختصر خليل ومورد الظمان.

ومنهم الإمام الماهر سيدي عبد العزيز بن أحمد الرسموكي، قرأ عليه جملة من مختصر خليل.

ومنهم الأستاذ الولي الصالح سيدي محمد بن ناصر الدرعي، وتقدمت ترجمته، قرأ عليه التسهيل وحضره في جملة من المختصر والتفسير والمدخل والإحياء والبحاري والشفا وطبقات الشعرائي ومواعظ ووصايا وأخذ عنه عهد الشاذلية. قال صاحب الترجمة: وانتفعت به ظاهرا وباطنا.

ومنهم العلامة سيدي أحمد بن علي بن عمران السلاسي ثم الفاسي، تقدمت ترجمته، سمع عليه كبرى السنوسي.

[ومنهم الفقيه الفاضل أبو العباس أحمد بن سعيد. حضره في مختصر خليل وقرأ عليه رسالة الاسطرلاب، وتقدمت ترجمته] (118).

ومنهم خاتمة النحاة الشيخ أبو عبد الله محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي، قرأ عليه تلخيص المفتاح ومواضع من الخلاصة وصدرًا من تفسير القرآن وأجازه في فنون، تقدمت ترجمته.

وتذاكر مع غير هؤلاء كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، وتقدمت ترجمته. وكالشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد السنوسي المرغيشي وتقدمت ترجمته. ذكر ذلك كله في فهرسته [ونص ما أجازه به سيدي عبد القادر الفاسي كما في فهرسة] (119) صاحب الترجمة:

الحمد لله الذي شيد بالعلماء أركان الإسلام، وجعل ذكرهم تاجا على مفرق الأيام، والصلاة والسلام على سيد الأرسال الكرام، وعلى آله وأصحابه الأعلام، وبعد، فقد طلب مني الأخ في الله الفقيه العلامة، المحقق الفهامة، الصدر الأوحى، والعالم المفرد، ورئيس القراء والمتهين (120) للمناصب العلمسة السنية السماء البازل في إيصال النفع لطلابه غاية المجهود أبو علي الحسن بن مسعود السنوسي، يسر الله مرغوبه، وأجزل من سعادة الدارين حظه ومطلوبه، أن تجيزه فيما لنا من مقروء ومسموع، ومجاز من مفرد ومجموع، فأحبت دعواه، وساعفته فما تمناه، فقلت: أحزت الفقيه المذكور، الحبر المشهور، فيما يصح لي وعني روايته على الخصوص والعموم، من كل منتور ومنظوم، بما اشتملت عليه فهرسة شيخ شوخنا أبي العباس بن علي المنجور، وفهرسة ابن غازي، والمنشوري، وابن الزبير، بإجازة

(118) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(119) زيادة من ك و س.

(120) كذا في ط و م، وفي س و ك: المنهني

عمي ابي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي، وأبي عبد الله محمد العربي، وهما عامتان عن شيخهما الإمام القصار وعن غيره من أشياخهما وبإجازة شيخهما القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم، وهي عامة أيضا عن المنجور، وبسماعى عن غيرهما من أشباخي أبي العباس المقري، وأبي عبد الله الجنان، وأبي محمد عبد الواحد بن عاشر. والله ينفع الجميع ويبلغ من محبته ومعرفة غاية الأمل، قال ذلك وكتبه عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي غفر الله ذنبه، وأصلح قلبه، وستر عيبه، آمين، أول جمادى الأولى عام واحد وتمانين وألف، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

ولصاحب الترجمة مؤلفات منها زهر الأكم في الأمثال والحكم. وله حاشية جلييلة على مختصر الشيخ السنوسي في المنطق وشرحه، وله تأليف كبير في الهيلة وله إسمان أحدهما منهاج الإخلاص (121) من كلمة الاخلاص والآخر: مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص؛ والقول الفصل في تمييز الخاصة عن الفصل؛ وكتاب المحاضرات جعله كالجواب عما أجاب به بعض أهل فاس عن بيتيه السابقين وهما: ما أنصفت فاس ولا أعلامها علمي الخ وسلك فيه سبيل التلطف والإرشاد لسبيل التصوف؛ وديوان في الشعر ساجل به فحول البلغاء من المتقدمين؛ وحاشية على شرح الكبرى؛ والقانون في ابتداء العلوم، وشرح على قصده الدالية في مدح شيخه ابن ناصر، وله شرح على جمع الجوامع سماه الكوكب الساطع ولم يكمل، بلغ فيه إذا الفجائية، وحاشية على تلخيص المفناح لم تكمل، وتقييد في قضية العكاكزة تضمن فضحتهم وبيان خروجهم من الدين، وله كلام في كراريس مع قاضي سجلماسة الشيخ عبد المالك النجموتي في قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت علم كل شيء، وقد كانت قراءته كلها فتحا رباننا كما أخبر هو عن نفسه في فهرسته، وجال في المغرب فقرا في الزاوية البكرية وبمراكش ودرعة وسجلماسة. قال بعض تلامذته: وقد حدثني بعض الثقات أن جميع من لقيه من الأتباخ يتعجب من إدراكه وتحصيله وإتقانه ويقول: يكون لهذا الرجل شأن عظيم في الإدراك السليم، ومما كتب له به أستاذه أبو عبد الله بن ناصر:

أَبَا عَلِيٍّ جُزَيْتَ الْخَبَرَ وَالنَّعَمَا وَتَلَّتْ كُلُّ الْمُنَا [مِنْ] رَبَّنَا قَسَمَا
يَا مَرْحَبًا بِكَ كُلُّ الرُّحْبِ لَا بَرَحَتْ قَرَانِحُ الْفِكْرِ مِنْكَ تَجْتَنِي حِكْمَا

ولما خاطبه الشيخ بهما أخذ علمه في الزيادة وفاض بحره، وعظم في الرتبة قدره، ومن ملحه أن بات عنده جماعة من الفقهاء فأرسل إليهم مع ظرف الطعام هاذين البيتين:

كُلُّوْا وَاغْذِرُوْنِي فِي التَّخْلُفِ إِنِّي
رَأَيْتُ اتَّبَاعَ الطَّرْفِ لَيْسَ مِنَ الطَّرْفِ
وَأَحْسَنُ طَرْفِي تَرَكْتُ ضَيْفِي كَمَا بَشَا
وَلَيْسَ ارْتِقَابُ الطَّرْفِ مِنْ شَيْمِ الطَّرْفِ

(121) في موطأ - منهاج الخلاص.

وَمِنْ عَجَبِ نَظْمِهِ قَوْلُهُ لِأَهْلِ فَاسٍ لَمَّا لَمْ يَدْعُنُوهُ لَهُ:

عَلَى رَسَلِكُمْ يَا أَهْلَ فَاسٍ فَيَأْتِينِي فَتَى لَسْتُ بِالْقَدِيمِ الْعَبِيِّ وَلَا الْعَمْرِ
أَنَا الْأَصَارِمُ الْمَاضِي وَيَأْتِي نَافِتٍ يُخَلِّفُ فِي الْبَحْثِ الْأَدِيمِ وَلَا يُفْهَرِي

وكان قدومه من الزاوية البكرية الى فاس وسكنها بها آخر المحرم سنة تسع وسبعين وألف، وبقي بها إلى سنة أربع وثمانين ثم ارتحل عنها ورجع إلى فاس فدخلها أيضا في شوال عام خمسة وتسعين. قال تلمذه العلامة أبو عبد الله بن زاكور: فأقام بها أياما، ونقع بها إلى كل ظمآن إلى رؤيته أواما، وأعاد نيران الجوانح على الأفئدة بردا وسلاما، فلازمت منه بحرا زاخرا، ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا، وتألفت من أسراره في تلك المدة ما أعدته لنوائب الأيام. ولما ظفرت بالاجتماع به، وأبان لي عن وجوه خزائن الأدب وعروبه، سألته أن يشفع لي ذلك بطريقة شيخنا الذي سهل لمريد الحقيقة المسالك، وجلى بأنوارها دياجر الخطب الحالك، من ليس لفضائله حاصر، أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر، فدس الله روحه، وبرد ضريحه، فانظرتني لغد ذلك اليوم فبات سهري يذوذ عن ورد جفوني سوار النوم، شغفا بمنار تلك الطريقة، وكلفا بمجاز تلك الحقيقة، مخاطبا بقولي، واصفا سهر لييلي.

عَنْ نُورِ هَدْيِكَ تُغَسِّرُ الْأَدَهْرُ مُبْتَسِمُ
هَشْتُ لِلْفَسَاكِ فَاسٍ إِذْ حَلَلْتُ بِهَا
فَرَهْوَهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُنْتَظِمُ
أَبْهَجْتُ عَبْدَكَ إِذْ وَأَفَاكَ مَكْتَسِبَا
وَأَفَاكَ يَطْلُبُ نَهْجَ النَّاصِرَةِ إِذْ
وَأَهَا لَهَا رَغْبَةً مَا كَانَ أَنْفَسَهَا
أَمْهَلْتُهُ لَعْدَ فَبَاتَ فِي سَهْرٍ
يُخَاطَبُ اللَّيْلُ كَيْ تَفْتَرَّ هَمَّتُهُ
يَا عَتِيرَ اللَّيْلِ كَمَا سُورَ الصُّبْحِ أَعِدْ
إِنْ لَمْ تَجِدْ لِي بِصُبحِ صَحْتٍ مِنْ أَسْفِ
لَأَزِلْتَ مِسْفِيَّاسَ عِلْمٍ بَسُنْضَاءٍ بِهِ

بَا وَاحْسِدًا وَرَدَّتْ مِنْ يَحْضِرِهِ أَمَمُ
وَفَاسٌ لَوْلَا سَنَا وَجُودِكُمْ عَسَمُ
وَأَنْسُهَا بِكَ يَا مَوْلَايَ مُلْتَمِمُ
إِنَّ الْجَوَى بِكَ يَا مَوْلَايَ بِنَحْسَمُ
فِي النَّاصِرَةِ نَصْرٌ لَيْسَ بِنُصْرَمُ
بِمَثَلِهَا تَسْتَعِدُّ الْأَيْنُقُ الرُّسَمُ
يَنْجِدُهُ الْوَجْدُ إِذْ أَعْوَزَهُ الْحَلْمُ
عَنْ تُغَرِّ صُبحِ فَيَبْدُو لِلْمَنَى عِلْمُ
قَدْ كَادَ يَلْحَقُنِي مِنْ طَوْلِكَ الْهَرَمُ
وَاحْرَ قَلْبَاءُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ
إِذَا بَدَتْ ظَلَمَاتُ الْجَهْلِ تَزْدَجِمُ

فساعدني رضي الله عنه في إنجاز مرغوبي، وقضاء مطلوبي، ولم أزل طائفا بكعبة أنواره، وقاطفا ما راق من أزهار العلم ونواره، إلى أن ودع راحلا، وأعاد بستان الأمانتي قاحلا. انتهى كلام ابن زاكور.

ولا شك أن الشيخ ابن ناصر هو عمدة صاحب الترجمة. قال في فهرسته: وهذا الشيخ هو الذي أخذنا عنه العهد والورد وإليه ننتسب، وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انقطاع ما. انتهى.

وفي المحاضرات: وكان من حديثي معه أنه لما تهيأ للحجة الثامنة أمرني بحاجة قضيتها له، وسافرت إليه من الزاوية البكرية فرأيت منه إقبالا خارجا عن المعتاد، وشبعته إلى أن جاوز سجلماسة بمرحلة، وألهمت اتخاذ الدعاء له ورداً بعد صلاة الصبح ببعض الطريق، فلما قفل من حجه ذهبت إليه وجعلت أطلب منه في خلوه، فقال: أما الدعاء فإني في سفرتي هذه ما دخلت مقاما ولا مزاراة ولا توجهت إلا جاء الله بك في لساني بهذا الدعاء: اللهم اجعله عينا يستقى منها أهل المشرق وأهل المغرب، فكنت أتعجب بما استحقت هذا الدعاء، قال ولما صنعت القصيدة الدالية في مدحه وتهنئته بالحج أدخلها إليه ولده الفقيه الناسك الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد، فخرج الي وقال: يقول لك الشيخ: جعلك الله عينا يستقى منك أهل المشرق وأهل المغرب. قال وهذا اللفظ يحتمل الدعاء والخبر نسأل الله تعالى أن يحقق لنا ذلك انتهى باختصار. لكن قوله وكل من نذكره سواه فإنه على طريق انقطاع ما هذا منه رحمه الله استغراق في شيخه المذكور، وإلا فقد انتفع بغيره كما ذكر هو نفسه في فهرسته، لكن شأن أهل الطريقة لا ينتسبون إلا لمن فتح لهم فيها على يده أداء لحقها وغبطة بها وخوفا من غيرة أشياخهم الذين فتح الله لهم على أيديهم أن يفرطوا معهم في حقوق الأدب والله أعلم.

وما خصه به الشيخ ابن ناصر من الدعاء هو كذلك رسم له في القدر واهتدى اليه الشيخ بخصوصه بنورانيته. قال ابن عطاء الله: متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك (ولبعضهم في هذا المعنى):

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما علمتني الطلباء

ثم إن المحققين على أن الدعاء لا يكون سببا لشيء وإنما يطلب من المرء لإظهار العبودية. قال ابن عباد في شرح الحكم: لم يأمر الله تعالى عباده بالطلب له في السؤال منه إلا لبظهر افتقارهم إليه ومثولهم بالتضرع والخضوع بين يديه ليكون ذلك إظهارا لعبوديتهم وفيما بحق ربوية ربهم، لا لأن يتوصلوا به إلى حصول ما طلبوه ونيل ما رغبوه مما لهم فيه منفعة. وهذا فهم العارفين بالله تعالى. وبدل على هذا المعنى ما يذكره المؤلف الآن وهو قوله كيف يكون طلبك اللاحق، سببا في عطائك السابق، جل حكم الأزل، أن ينضاف إلى العلل. (وصاحب الترجمة سبق له من الله في قضائه وقدره أن يكون بالحالة التي بدا بها أمره من أول شأنه إلى وفاته قبل أن يوجد في الوجود لا بدعاء الشيخ له، وهذا أمر عام فيه

وفي غيره⁽¹²²⁾ وكان والده الشيخ مسعود رأى في نومه ورد عيني ماء إحداهما له والأخرى لولد عمه علي والد العلامة سيدي عثمان البوسى، قال غير أن عين علي كنا نستقي بها في بلدنا وعيني خرجت إلى ناحية أخرى، وكانت العين النى هي لى أقوى ماء وأكثر فيضا، ثم فسر ذلك بمولودين ينفع بهما، فكان الأمر كذلك. ثم إن صاحب الترجمة عظم به النفع للمسلمين، وأحبى الله به السنة والدين، وتأديبه بالعلم الظاهر اندرج فيه التأديب بالعلم الباطن، فنفعه أعم، وحاله أتم. قال في المحاضرات: حضرني الآن كلام فأردت أن أنبه علمه وعلى طرف منه فإن شرحه يطول. وذلك أنا بعد وفاة الأستاذ ابن ناصر لم نزل نسعى في نفع الناس بتعليم ما يحتاجون إليه من دينهم أورد النوافل والأذكار التي يتزودون بها لمعادهم ويتحسبون بها ويتقربون إلى ربهم عاملين في ذلك على وجه المواخاة والمعاونة على البر والنصيحة لا على وجه المشيخة، وعلى وجه التعليم والإرشاد لا على وجه التربية، ثم إنه جرى على ذلك ما عادته أن يجري من كلام مذكر أو منتصح، وأخبرني بعض أصحابي أنه جرى كلام بينه وبين بعض القضاة المتصدرين للتدريس فتكلم له الفاضل في شأنى وقال له على وجه النصيحة فيما زعم فما ألجأ فلانا إلى تلقين الأورد؟ فهل رأيتم مريدا بشروط الإرادة قط؟ فلما حدثني بذلك قلب له: أما أنا لم تر مريدا كذلك، وكيف نراه إلا أن يتداركنا الله برحمته. وقد كان الشيخ زروق يحكي عن شبخه أبى العباس أحمد بن عفة الحضرمى أنه كان يقول لهم: لو فتشتم من أقصى الأرض إلى مغاربها على مرید صادق فى أحواله لم تجدوه، فكيف بالعارف الكامل، ومع ذلك فانتقاص الزمان وانتقاص أهله لا يوجب انقطاع الدين ولا ارتفاع النصيحة، فإن هذا النقص سار في الدين وفي العقول وفي الأوقات وفي الإمامة الكبرى والصغرى وفي النصيحة وغير ذلك، وهو قضاء جار أخبر به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قبل كونه في الأحاديث الكثيرة، وإليه يشير القائل:

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
إن دام هذا ولم يحدث له غيسر لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

هذا وباليته دام، فإن الأمر لا يزيد إلا شدة، والخير إلا إداراً حتى ينقرض انقراضاً. غير أن المعنبر في كل زمان ما هو فيه، وحكم الله جار في كل بحسب حاله، والدين مستمر والحق ظاهر حتى يأتي أمر الله. ثم يلزمك أيها الناصح في مثل هذا مثل ما يلزمنا، وما كان جوابك فهو جوابنا، فإنك تصدرت للتعليم فهل رأيت بعينك متعلما على شروط التعليم المعتبرة أو رأيت نفسك على شروط المعلم وعلى من يجلس إليك شروط المتعلم فإن تجد ذلك صحيحاً ظاهراً وباطناً فتصدر وإن وجدته مختلاً فكيف يحل لك أن تتصدر، وارتفاع الشرط يوجب ارتفاع المشروط، وقد قال معلم لا توتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها فإن

(122) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

أجاب بأنه ارتكب أخف الضررين أو أن العلم أمتع جانباً من أن يصل إلى غير أهله ونحو ذلك فذلك هو جوابنا بعينه والله المسؤول والموفق أن يجاوز عنا بعفوه ويتغمدنا برحمته إنه ولي ذلك والقادر عليه، انتهى.

والمراد من جلب هذا الكلام بيان حال صاحب الترجمة هل كان من أهل التربية وأئمة الطريق أو مقصوراً على تعليم العلم فقط، فبان أنه كان من أهل النصح والتذكير والتعلم والإرشاد لا على وجه التربية وفيه نصريح بالرد على من نسب له التربية في الطريقة، اللهم إلا أن يحصل ذلك لمتعلمه ضمناً بأمر وجداني [من آثار الانفعال للعلم والانتقاد للعمل به والمواظب وحسن الإلقاء وبروزه من الغلب - كما قمل - إن الكلام إذا برز من القلب وليج القلب، وإذا خرج من مجرد اللسان لم يجاوز الأذان] (123). وبقي مستورا بالعلم. وقد سمعت بعض أشياخنا يثنى على العالم الكبير سيدي دارس بن اسماعيل دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح من فاس - حرسها الله - ويقول إنه من أهل الولاية الكبرى إلا أنه ستره العلم [بمعنى أنه يحصل من السماع منه والتأدب منه ما يحصل من معنى التربية] (124). وكان لصاحب الترجمة أصحاب وأتباع وإقبال من الناس، ولا يكون مجلسه إلا غاصا بالأعيان. وكان محققاً للدراية والرواية، له عارضة كبيرة في النقل والتحفيق. وحكي لنا أنه بقي في تدريس تفسير الفاتحة بفاس نحو سنة أشهر. وهو ممن يستحق أن توضع مجلدات في ترجمته، إلا أن هذا القدر هو المتيسر لنا على قدر قصورنا، والله الموفق.

وتوفي - رحمه الله - عقب قفوله من الحج يوم الاثنين خامس عشر ذي الحجة متم عام اثنين ومائة وألف، ودفن [بازاء داره] (125) بموضع يعرف [بقرية] تمزيزت بقرب قرية صفرو على [أقل من] مرحلة من فاس. ونقل بعد نحو عشرين سنة إلى موضع آخر هنالك فوجد كما دفن - رضى الله - على ما حكى.

[ووقع مثل هذا للشيخ الجزولي فإنه نقل من مدفنه أولاً إلى مراكش بعد مدة تزيد على سبعين سنة فوجد كما دفن] (126) ومثل هذا معلوم وقع لغير واحد من الأولياء نقعنا الله بهم.

(123) ما بين معرفين زيادة في ط.

(124) ساقط من ط أيضاً.

(125) ساقط كذلك من ط.

(126) ناقص من ط أيضاً.

من حوادث السنة

فتح مدينة العرائش

ومن حوادث هذا العام فتح مدينة العرائش (127)، وذلك أن أمير المؤمنين، المجاهد في سبيل رب العالمين، الخليفة مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسنى السجلماسى وجه إليها الجيوش مع وزيره القائد عبد الله الرويسى (128) وأكثر عليهم من الأمر بالقتال ونسب إليهم عدم النصح، وألحوا بالقتال على من بها من الروم إلى أن اقتحموها عنوة وفتحوها وغنموا أهلها. وأما كتب به مولانا إسماعيل إلى قائده عبد الله الرويسى ما نصه بعد البسملة والتصلية: خديمتنا القائد عبد الله بن حمدون الرويسى سلام عليك ورحمة الله وبركاته وأصلح الله رأيك وسهل علينا فى فتح العرائش وجعله على بديك. واعلم أنك عندي ممن لم يشتم في خدمتنا ومن انصح الناس إلينا وتحب الخير إلينا أكثر من جميع الناس، وليس عندي في خدامي مثلك ولا أعز منك كما تعلم منى ما ذكرته لك. ثم الآن ظهر لي أنك غير ناصح لدين الإسلام حيث وجهتك إلى فتح العرائش ولم تقم بالواجب الذي عينته عليك.

ويجب على من ولاه الله أمر المسلمين مثلنا إذا ولي أمرا على القتال أن يكون من أهل النجدة فى القتال، ومن أهل المحبة فى نصر دين الإسلام ومحو دين الكفار.

فاخترناك عن غيرك وجهناك لذلك لظننا أن فيك ما وصفناه لك، والآن خاب المظنون فما نوبناه فيك، والله هو حسبي وحسبك ونعم الوكيل. وإن أردت أن نقدم عليكم بنفسى وما يكون ما نوب المسلمين من الكلفة أنت المتحمل بإثمنا فأنا فاعل ذلك، ولبس أنا أفضل ممن فعل ذلك قبلى ولا أنت أفضل من سيف الدولة ولا أبى فراس وابن حمدان الذين قاموا بما وجهناك إليه عند غيرنا. فى 13 من ذى القعدة عام 1100.

فلما قرأ الرويسى هذا الكتاب بكى وقال هو وصفنى بما ذكر فى خدمته لم يسألني لأن ذلك من فعل الخلفاء لأمرائهم، وحست وصفنى بعدم النصح للإسلام أخذت فى نفسى عليه. ثم تقلد سيفه وما نزع حتى فتحت، واشتد فى القتال ليلا ونهارا وما نام ليلة إلى أن فتحت. انتهى] (129) فجىء أولا بمن كان بها من المقاتلة أذلة سوى من هو ساكن بها ومن هرب فى البحر فبلغ عدتهم إلى ألف وسبعمئة. فمن مولانا إسماعيل على طاغيتهم وأطلقه فقط وأرسله إلى بلاده، فصدده بذلك إيصال الخير. ثم أمر بمجىء من بقي من سكانها من الروم فجىء بهم عن آخرهم إلى مكانس ينسائهم وذرائهم، ولم يحضرتي الآن تحقيق عددهم. وأما الأموال والأهوات والأسلح فبدا للمجاهدين فى ذلك ونهبوه ولم يتأت إلى أمير المؤمنين جمعه ونخميسته لعدم الحصر فيه فعفا عن فعل ذلك ووكل أمره إلى الله، ولم

(127) لم يرد خبر فتح العرائش في ط ولا م.

(128) هكذا وردت، بياء التصغير - مكررة فى هذا النص. والمعروف أنه الروسى.

(129) هذه الرسالة وما بعدها مما كتب بين معقوفتين زيادة فى س وكتبت فى هامش ك.

يحصل له منه إلا المدافع والمهازي، واكتفى بفوز الفتح والأسر وقيل في فتحها قصائد وأنغام، فمن ذلك قول جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسنى:

علا عرش دين الله كل عسراش
وكل عريش منه ثلث عسروش
وأسلم للإسلام من يعد كفره
أتاهم من الإيمان جيش مؤيد
وثار عليهم كل شههم عشمئتم
علوهم بأسسياف أسالت رؤوسهم
وباترهم حوش البسزاة بغاتها
فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوعى
وهان عليهم كل هول وهائل
نبذناهم من ذلك الحصن بالعدا
أبتأهم من بينه بين بئس
ترى كلهم في الأرض يادي ذلة
بساق بأيدي الجيش سوق مهانة
بعض يداً أو ينتف الرأس واللحى
كانهم الغريان قص جناحها
هنيئنا بعز المومنين وجمعهم
هنيئنا بنصر الله أمة أحمد
بهذا ليهننا عيش كل مرفق
لنا النصر والبشرى لنا يامامنا
أبو النصر اسماعيل ناصر ديننا
زعيم أساطين الشرى وهمامهم
ملك له يمن به صصار كلنا
مبارك ميمون النقيبة في النرى
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا
فسل عامري معمورة عن فتوحه
لقد كان ديناً فتحها فانفضى به
به سعدت أهل المغارب كلها

وهذا بنصر الله حصن العسراش
ورجت به رجاً صسواعق نابش
بوقع سسيوف لا برشسوة رائش
فناجزهم ما بين رام ورائش
وكل كمي مسرع الضرب باطش
فصاروا سريعاً بين سار وطائش
وقد أنخنوهم فيه إثنان فاتش
وذلوا لسديس الله ذلة داهش
وربقة أسر بعسد طول تهارش
فباوا بخزي في الحفيسة فاحش
وأتى لهم بعسد النوى والتشاوش
كسيفا كئيباً بأله غير ناعش
يهز حشاه الخوف هزة راعش
لأن لم يمّت من قبل موت الهوارش
ويلت بوئل من سواكب حافش
واذلال أهل الكفر أهل الفسواحش
وامدادهم منه بجند مسباطش
بهذا ليفرح دائماً كل عائش
هزير الوعى غيظ العسود المناقش
وحامي الحمى بالمرهقات البواطش
وسيد أقبال الورى دون خمامش
يروح ويغدو في أجل مسعابش
له الفتح في أوساطها والهوامش
وما أذعنت من قبله لبشسائش
وسل طنجة من قبل هذا العسراش
كذلك ما في الأرض من كل هامش
فبالشرق من جراه لهفة عاطش

نعم إنه من تَبَعَةِ نبوثة
لذاك ملوك الأرض طراً تهابته
ومما الترك إلا في دواهٍ دهتهم
له سطوة في أرضنا هاشمية
ليهنك يا فخر الملوك وذخرها
لك الفتح ممدودٌ فجاهدْ عدونا
فلا تحشَ حياً ما حسيّت قبائمه
ودام لكل المسلمين ظلالكم

وفرع زكي طيب النشر عارش
فكلهم ما بين مدهي وداهش
صدورهم جاشت بأعظم جائش
يذوب لها قلب الحسود المُخادش
من الله تأبيد علي كل حائش
وحشهم وما أوقى لهم كل حائش
لك النصر عند المُلتقى والتهاش
ودمنا به في طيبات المعاش

غزو العكاكزة

ثم بعد فتح العرائش غزا مولانا إسماعيل الطائفة المبتدعة المعروفة بالعكاكزة المجتمعين من قبائل بلاد تادلا ونواحيها، ورئيسهم الداعي إلى بدعتهم الذين اجتمعوا عليه يعرف بالحطاب، وتقدم التنبية على التقييد الذي ألفه سيدي الحسن اليوسي في بيان بدعتهم وضلالهم، فراجع، لأن بيان ذلك هنا يستدعي طولاً، ولما غزاهم مولانا إسماعيل قتل ممن لم يستتب ويرجع عن بدعتهم ثلاثة وستين، وذلك في أوائل ذي الحجة (130).

عزل عبد الواحد البوعناني عن قضاء فاس

وفي سابع عشر جمادى الثانية عزل سيدي عبد الواحد البوعناني عن قضاء فاس الجديد وتولى مكانه الفقيه ابن رضوان الفلالي. وكان سيدي عبد الواحد المذكور تولى الفتوى بفاس الإدريسية [قبل عزله عن القضاء بيومين] (131)

نزول رعدة فيها حجر كالرمان

وفي ثامن وعشرين من رمضان نزلت رعدة نزل فيها حجر مثل الرمان إذا هرس وجد في بطنه دم وأصاب بعض الزرع فأهلكته، ويقال إنه نزل معها حبات، ويخلق ما لا تعلمون.

(130) ورد حمر غزو العكاكزة مختصراً في ط.

(131) ساقط من ط.

*** —***— **تذكرة المحسنين** —***—***—

الحسن بن مسعود اليوسي

الشيخ الإمام العلامة المشارك الأصولي المعقولي المنطقي البياني العروضي المبارك
الجليل أبو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، مغير بتصرف لسان العامة من اليوسفي
نسبة إلى يوسف وهو أبو قبيلتهم بن داوود بن يدراسن الذي هو أبو قبيلة آيت يدراسن يوم
الاثنين الثالث والعشرين من الحجة الحرام من السنة بعد قدومه من الحج يوم الأحد السابع
والعشرين من شوال السنة، ودفن ببلاده بتمازات قرب صفرو.

سليمان بن إبراهيم العثماني

وثاني عشر ملوك الدولة العثمانية السلطان سليمان بن إبراهيم.

العام الثالث من العشرة الأولى

محمد بن الحسن المجاصي

فمنهم القاضي الشهير، الفقيه العلامة المدرس المفتي النافذ البصير، الخطيب البليغ الواعظ، المحقق المحرر الحافظ، أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي [به شهر، وفي بعض التقايد: المغراوي من مغراوة الجزائر] (132) لم يبينوا حاله في القضاء وإنما ينسبونه للعلم والتدريس [وتقدم وصف الحسن اليوسي له في رسالته] (133) ولي قضاء فاس الإدريسية آخر جمادى الثانية عام تسعة وسبعين وألف بعد عزل حمدون المزوار. وفي ثامن وعشرين من رجب أربعة وثمانين وألف [ولي خطبة مسجد القرويين] (134) بعد أن عزل عنها سيدي محمد البوعناني وفي رابع القعدة من عام ثمانية وثمانين عزل عن القضاء والخطبة والفتوى. وولى القضاء والخطبة والإمامة والفتوى مكانه العربي بردقة، ثم طلب صاحب الترجمة من بردلة أن يوليه بعض ما ولي (135) فامتنع فأخذ صاحب الترجمة في التدريس في الفرويين من غير ولاية إلى أن ولاه مولانا اسماعيل قضاء حضرة مكناسة الزيتون. وسبب ولايته قضاء فاس أن أمير المومنين مولانا الرشيد بن الشريف الحسيني رفع حكماً إلى قاضي فاس حمدون المزوار فلم يتضح له بما يحكم به (136) وطال أمر الخصمين وهما ينظران القاضي فيما يحكم به بينهما وهو يقول لهما لم أجد الآن نصاً في المسألة أمهلوني حتى أنظر ما أحكم به بينكما. فوشى به إلى مولانا الرشيد وقالوا له: إن أحد الخصمين المحكوم عليهم فيها من أصحابه، فظن مولانا الرشيد أنه يداهنه فعزله، وقال لا أولي على أهل البلاد (137) إلا من كان غريباً ليس من أهلها فيكون الناس عنده سواء ولا يداهن أحداً. فنظر إلى الطلبة الذين في المدارس فلم يجد فيهم أنجب من صاحب الترجمة، ففي الحين ولاه قضاء فاس، فسلك فيه مسلكاً حسناً. وكفى به أن سيدي الحسن اليوسي ارتضاه للمشورة لما كتب الرسالة المتقدمة في ترجمته إلى مولانا إسماعيل فراجعها. [وهذه المسألة مما اختصت بها فاس فما ولي أحد من أهلها ولاية إلا وكان بعض أهل تلك الخطة في أشر حال وتفاق، وما ولي أحد خطة من غير أهلها إلا وكان أهل تلك الخطة بخير، فإذا أساء فيهم سهل عليهم الشكاية به، بخلاف إذا كان الوالي متهم فإنه يصعب عليهم الشكاية به من نفاق من هو يتافقه منهم. وما أراده السلطان من اتخاذ القاضي غريباً هو من أسباب

(132) زيادة في ط.

(133) ساقط من ط.

(134) ساقط أيضاً من ط.

(135) في ط: أن يتركه معه في فتوي فاس أو خطبة مسجدنا المذكور.

(136) عبارة ط: رفع إليه بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بقاس، فكلف بها قاضيه حمدون المزوار....

(137) في ط: على قضاء فاس.

العون على العدل وتيسره، وما زال أهل العدل يحتاطون لذمتهم بالعدالة. وانظر فعل القاضي ابن محمود فإنه حكى عنه في التشوف انه لما ولي قضاء فاس اتخذ زياتا بمكناسة بقضي منه الضروريات لثلاث تكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ما. انظر لفظه فقد طال عهدي به، وكان صاحب الترجمة من أهل التثبيت في الأحكام والتحري.

ومما حكى لنا في ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصمين حتى يفرغ لتأمله وكان مظنة فراغه يوم الخميس فيمضي الى شبخه إمام الجماعة أبي محمد عبد القادر ابن علي الفاسي ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر.

[فإذا فرغ بتأمله يوم الخميس مع بعض الفقهاء وما رجح] فيحفظه ويحكم به على الخصمين وهذه سيرة عالية تدل على قوة الديانة فجزاه الله خيرا عن شريعة نبيه وعن علمائها المهتمين [138]. وله أجوبة حسنة تدل على ما له من العارضة في العلوم؛ وله تقبيل في الأشراف الجوطيين وقد قال في آخره أدركت والذي رحمه الله وعمأ لي من حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير ابن يعقوب المغراوي، وينتمون للجانب العلوي ولا يرتفعون في ذلك. ورأيت رسم شرفه وظهائر لا أدري أين صارت. وكان أبي يقول إنهم من ذرية صالح مشهور يدعى بسيدي يعقوب أو بأبي يعقوب وأنهم يعرفون هناك بنى مرزية سموها بيت يعرف بذلك. أما أبي فإنما ولد بحوز فاس ببني ورثين على ما حدثنا به، وبأيديهم رسم الإراثة بنسوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم والله يحقق لنا النسبة الروحانية وبرعانا بعين رعابته في الدارين وأدعو بدعاء القطب العارف بالله: اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه والسلام على من يقف عليه محمد بن الحسن المجاصي بتاريخ تسعة وتسعين وألف. انتهى.

[ومن خطه نقلت وهو مما يدل على شدته وقوته في دين الله حيث لم يصرح من عنده لا بدخول في النسب ولا بخروج منه بل وحكى ما وقف عليه كما هو وطلب من الله تبارك وتعالى الالتحاق بهذا النسب العظيم وذلك هو مصدر قوله صلى الله عليه وسلم فيما اتفق الجماعة على تخريجه من انتسب الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (راجع ألفاظه على اختلافها في الكتب الصحاح من كتب الحديث)، فالوعيد كما يشمل الداخل يشمل الخارج من نسبه الذي لا يعرف لنفسه سواه من غير وجه. الاحتياط ما فعل هذا الشيخ - رحمه الله - وقد اتسع أهل هذا الزمان ومن قلبهم بهتك حرمة هذه النسبة بالانتساب لها من غير وجه وبينون ذلك على أوهام لا حقيقة لها كما اتسع آخرون في هتك أعراض قوم منسويين ولا مانع لهم من نسبتهم فينفونهم بأوهم وأباطيل لا يقبل الشرع شيئا منها مع ما قام بهم من الجهل وعدم التمييز حتى في المسائل الضرورية من الدين. فليحذر العاقل من جميع ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وراجع ما تقدم لنا في هذه المسألة في ترجمة السيد عبد القادر بن عبد الله الشبهي فيما تقدم من عام تسعة وتسعين بمثناة فهما وألف⁽¹³⁹⁾. وذكر لي بعضهم أن لصاحب الترجمة نظماً في الشرفاء وتقييداً في العكاكزة [ولم أقف على شيء من ذلك ولم أحفظ لصاحب الترجمة شيخاً إلا سيدي عبد القادر الفاسي المتقدم ذكره وتخرج به جماعة من الفقهاء] (140).

وممن قرأ عليه محمد العربي بن الطيب العادري وشقيقه جدنا عبد السلام وكان يشني عليه الثناء الجميل بالعلم والمشاركة والحفظ الجزيل.

توفي صاحب الترجمة عصر يوم السبت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومائة وألف ودفن عند الغروب من يومه بمكناسة الزيتون بروضة سيدي أحمد الحارني.

محمد الشاذلي الدلائي

ومنهم الفقيه العلامة المشارك الحافظ الأديب الخير الدين أبو عبد الله محمد المدعو الشاذلي بن الإمام محمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي تقدم نسبه وتراجم جماعة من أقاربه. كان أعجوبة الزمان في الحفظ والإتقان والغوص على المعاني الدقيقة البديعة والنكت الفاتحة الرفيعة يقوم على مختصر خليل وبحفظ الكثير من حكم العرب وأمثالها ووقائعها وأيامها. ويجيد الشعر وله البراعة في النظم والنثر ذكر عنه أنه أقرأ ألفية ابن مالك مائة مرة، ومقامات الحريري نحو ثلاثين ختمة. ولد ببلادهم الدلاء، وقرأ على أبي العباس بن عمران، وسيدي العربي الفاسي، ثم سكن فاسا ولقي بها مشايخها، ودخل مراکش ولقي أئمتها، ثم عاد إلى فاس وتولى خطبة مدرسة [أبي عنان] المتوكلية بطالعة فاس، وغالب تدريسه كان بها. وقرأ عليه مشايخ فاس منهم عمنا محمد العربي وجدنا عبد السلام ابنا الطيب القادري قرأ عليه مختصر خليل من البيوع الى الميراث، وتأتي ترجمة ولده أبي عبد الله محمد، وحفيده القاضي أبي عبد الله محمد البكري.

توفي صاحب الترجمة بفاس خامس عشر جمادى الأولى عام ثلاثة ومائة وألف.

أحمد حجي السلوي

ومنهم الولي سيدي أحمد حجي دفين ثغر سلا. قال فيه أبو العباس بن أبي عسيرة الفاسي في رحلته: الكامل الأوصاف على الإطلاق، الحائز الولاية بالاستحقاق، لكرم نفسه، وأعماله ليوم رسمه، أخلاقه صافية. حدثني من أتق به أنهم لم يشاهدوا في مشايخ عصره من يشبهه في أخلاقه، مع الاجتهاد ودوام الأوراد، الجمال يغلبه، والجلال في الأسماء يلعبه، قد جمع بين الحاليتين، وورث القسمتين. أخذ عن الملامتي الصالح سيدي عبد الله الجزار، عن

(139) الفقرة الأخيرة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من ط.

(140) استدرارك من ط أيضا.

سيدي الحارثي بن موسى دفين بهت، عن سيدي موسى بن علي دفين بهت أيضا، عن سيدي أحمد الحارثي، عن الجزولي.

توفى صاحب الترجمة سنة ثلاث ومائة وألف انتهى. وقد حكى لنا بعض الطلبة أنه رأى مقيدا عنده أنه وجد في قلبه قساوة فتوجه في ذلك لله تعالى ودام راغبا لله في رفع ذلك، فسمع يوما هاتفا يقول له إنك تصافح الشهود، أو كلام هذا معناه. وانظر من سيدي عبد الله الجزار هذا. وبموضع لنا قرب روضة أبي مدين من الكفادين بفاس قبر عليه قوس متقن سمعت من بعض أقاربنا أنه ولى يقال له سيدي الجزار، ولا أدري أهو المذكور هنا أم غيره.

محمد ابن قرّيش التطاوني

ومنهم الشيخ الإمام عالم تطوان أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن سعيد بن سعيد بن أحمد بن قرّيش اليجمي التطاوني. كان فقيها نحريا علامة لو ذعبا ألمعيا. بهذا وصفه سيدي عبد القادر الفاسي في أرجوزته التي أجازها فيها.

توفي صاحب الترجمة عن سن عالية بتطوان، ودفن بقرب سيدي طلحة [الدرج خارج باب النوادر من تطاون وسيدي طلحة المشار إليه من عقب عبادة بن الصامت الخزرجي الأنصاري الصحابي النقيب البدي المشهور] (141).

تذكرة المحسنين

محمد الشاذلي الدلائي

الفقيه العلامة الحافظ، الخطيب الأديب المجيد الواعظ، سيدي محمد المدعو الشاذلي ابن الشيخ الكبير سيدي محمد بن الولي الكامل المارف الواصل سيدي أبي بكر الدلائي، ودفن بالروضة المعروفة لهم بوادي الزيتون داخل باب الفتوح.

محمد بن الحسن المجاصي

والفقيه العلامة المشارك قاضي الحضرتين ومفتهما سيدي محمد بن الحسن المجاصي المغراوي نسبة إلى مغراوة الجزائر، ودفن بروضة الولي سيدي علي بن حماد خارج مكناسة الزيتون.

[141] زيادة في س.

العام الرابع من العشرة الأولى

عبد الرحمان المعروف بمُعَاد التواتي

فمنهم الوليُّ الصالح المتبرك به سيدي عبد الرحمان المعروف بمُعَاد [بوزن غراب، وربما قيل فيه أبو عهد] (142) التواتي دفين [خارج] باب الجيسة من فاس وروضته ملتصقة بسورها قرب ضريح سيدي يوسف المصمودي. وكان صاحب الترجمة مشهوراً بالصلاح عند الكافة من أهل فاس، ذو أحوال وكرامات لا يأكل إلا من عمل يده، يؤجر نفسه للخدمة بالفاس ويجلس حتى يفرغ من إنفاق ما خدم به وكان لا يشرب من ماء داخل لفاس بل له قلة يأتي بالماء لشربه من خارجها.

توفي يوم الجمعة ليلة المولد من عام أربعة ومائة وألف [ولا أعرف شيخه ووقع النزاع بين الناس في دفنه فحفر له ثلاثة مقابر في مواضع كل يريد دفنه حتى غلبت الطائفة التي دفن في قبرها وياتوا يحرسونه ليلا يخرجهم الذين لم يدفن عندهم فيردوه الى قبرهم الذي حفروه له. وحكى بعض الصالحين أنه سمع امرأة من الأموات تقول لامرأة أخرى اليوم نستريح من العذاب قالت لها ما السبب في ذلك فقالت لها اليوم يدفن بجوارنا رجل صالح فيشفعه الله فبنا، فبقي السامع في ذلك اليوم يرجوه إلى آخر النهار لما رأى من الخلاف بين الناس إذ كل يريد دفنه عنده فغلبت الطائفة الذين أرادوا دفنه بجوار تلك المرأة فأنوا به إلى جوارها بعد بأسه من ذلك لأنهم كانوا يريدون دفنه في باب المحروق] (143).

مسعود بن عبد القادر الطليطلي

ومنهم الفقيه الموقت أبو الفضل مسعود بن الموقت العلامة المشارك أبي محمد عبد القادر الطليطلي الأنصاري الأندلسي الفاسي دارا. تقدمت ترجمة والده. قرأ صاحب الترجمة على مشايخ فاس، وحصل التوفيت على سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي، وكان ماهراً فيه، ناسكاً خيراً ديناً. تولى توقيت منار القرويين وليها سنين عديدة ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون وولاه توقيت منار جامع قصبته، ثم توفي بفاس سنة أربع ومائة وألف.

من حوادث السنة

إزالة سارية عبد القادر الجيلالي من القرويين

ومن حوادث هذه السنة، ففي عشرين من جمادى الثانية أزيلت السارية التي كانوا ينسبونها لمولاي عبد القادر الجيلاني وكانت بالصف الأول من مسجد القرويين قرب الخلوة المنسوبة للشيخ المذكور بأمر من قاضي الوقت أبي عبد الله بردلة.

(142) زيادة في ط.

(143) بقية الترجمة المكتوبة بين معقودتين ساقطة من ط.

قال مؤلفه محمد بن الطيب: وهذه النسبة في السارية والخلوة وغيرهما جارية منذ قديم على لسان عامة أهل فاس، وهي من الكذب المحض بحسب ظاهر اللفظ، فإنهم يقولون خلوة مولانا عبد القادر الجيلاني فظاهاه أنها محل متعبده، إذ ذاك هو مدلول الخلوة، وهو من الكذب الصراح فإن الشيخ مولاي عبد القادر الجيلاني لم يدخل للمغرب أصلا بل ولا خرج من مكانه لناحية، وإنما محل استقراره بغداد وما والاها. وإنما خرج للحج ورجع من عامه، وهذا لاشك فيه، ومن أراد الوقوف عليه فليطالع محله من بهجة الأسرار للشيخ الشنطوني، والروض الناظر لأمين الدين الهاشمي وغبطة الناظر للحافظ ابن حجر وغير ذلك، فضلا عن أن بلغ مدينة فاس حتى يتعبد في القرويين، ولكنهم يزعمون أن بعضهم رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني مناما في الموضوع الذي سموه بالخلوة (144) فصاروا يتبركون به لأجل ذلك. ومنهم من يزيد التبرك بماء من معدة بالمحجة التي تحتها لقسم ماء سمر لدور متعددة ويدخل يده فيها ويمر به على وجهه، وهذا أبعده. ولا شيء من ذلك يفيد بركة الشيخ عبد القادر الجيلاني، وإنما تنال بركته بالدعاء له والهداء والصدقة له وتلاوة القرآن على القول بوصولها للميت. نعم يتبرك بذلك الوضع من حيث كونه من المسجد الأعظم بفاس ومحل تلاوة القرآن لأن له وقفا على حزابين طلبية يفرؤون أحزابا من القرآن به مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل الصلوات وبعد صلاة الصبح كما هو مشروط في أصل وصية الوقف. ومطلق التبرك في مثل هذا قريب.

وأما تتبعه وتأكيده كما عليه كثير من عامة فاس فلا شك أنه منكر، لأن ذلك الموضوع إنما له من الحرمة ما لسائر المسجد وتصح فيه العبادات التي تصح في المسجد إن لم يقدر في ذلك التحجير القائم به الآن، وأما في القدر الزائد فلا يقع فيه العمل الموقوف له يقرؤون فيه. ومن هذا المعنى نسي الصحابة - رضوان الله عنهم - موضع شجرة بيعة الرضوان مع عظيم شأنها التي جلس النبي صلى الله عليه وسلم تحتها وباعه أهل الحديبية الذين هم أفضل الصحابة، وباع بإحدى يديه الأخرى عمّن غاب مهن كان خرج معهم وذكرها الله في كتابه إذ قال تعالى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» الآية، فلم يثبت على معرفة موضعها الصحابة الذين بايعوا تحتها فضلا عن غيرهم [مخافة أن ينتطرق أمر لا يليق] (145).

وفي محاضرات الشيخ اليوسى عن الشيخ أبي القاسم الغازي أنه كان يقول نزلت عليّ الفطبانية (146) تحت شجرة فيقول أصحابه له لِمَ لَمْ تُرْنَا تلك الشجرة؟ فيقول خفت أن (144) هنا في هامش ك طرة نصها: «فلو قال رأيته مناما يصلى فيها وكان ممن لا يتهم بالكذب لكان صادقا قياسا على حديث: رأيت موسى يصلى في قبره».

(145) زيادة في م وط.

(146) هنا في ك طرة نصها.

قوله الفطبانية إذا كان المراد بها الصغرى يعني أحد الأقطاب الأربعة يكون صادقا في دعواه وأما القطنانية الكبرى التي يعبر عن صاحبها بالقطب الجامع فلا يكون قطبا جامعا إلا من كان من آل صلى الله عليه وسلم من بني الحسن بن علي لا من بني الحسين. انظر العيطي على الهزنية.

تمركوا السبع وتعبدوا الصورة (147)، أي يتركونه هو ويستغلون بالشجرة.

قال الشيخ موسى: نعم التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لا بأس به وله أصل في فعل الصحابة فقد كان ابن عمر بمر براحلته حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم ويتحرى الأماكن التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم وذلك مذكور في الصحيح. انتهى.

قلت: ويمكن البحث فيه بأن فعل ابن عمر من الحرص على السنة والمحافظة على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم لصحة العبادة ولما في فعله صلى الله عليه وسلم من الأسرار التي لا يحاط بها والله أعلم. قال الشيخ البوسني، وفي بلاد المغرب مواضع اشتهرت بآثار الصالحين ووقع التغالي فيها، منها سألة في رباط سلا لا يعرف بها إلا أنها مزاراة يزورها الناس ويتبركون بها ولم يظهر من السبرك بالصالحين فيها لهذا العهد إلا يحيى بن يونس وهو معروف بها، ولا نعرف له ترجمه. وملوك بني عبد الحق وهم معروفون [بالظلم والجور] (148) ولا بأس بهم (149) وكل ما يذكر فيسها سوى ذلك ويوجد في بعض الأوراق المجهولة من الأخبار فلا يعرف له أصل ولا يعول عليه (150)، ومنها ميسرة من بلاد ميسور حيث مدفن الشيخ أبي الطيب بن يحيى الميسوري، ويقال لها تامغروت قال بعض أولاد أبي الطيب ما ثبت فيه شيء إلا أنه كان متعبدا لأسلافنا. قال ومنها رباط شاكرا بدكالة وهو مشهور وكان مجمعا للصالحين من قدم. وفي التشوف أن شاكرا ذكر أنه من أصحاب عقبه بن نافع الفهري انتهى.

وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس: الخلوة إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر بنائها الأمير المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، وكان انتهاه بنائها في أواخر رمضان عام اثنتين وستين بمئنة وسبعمئة بموحدة، ورتب فيها طلبية يقرؤون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها. وقد غيروا السوم ذلك الختم بما هم عليه اليوم. فهذه حقيقة أمرها والله أعلم.

(147) في ط: البعورة، وفي م البغورة

(148) زيادة في س.

(149) في هامش ك طرة: «بل هم رؤسا- البأس وأصل كل سوء».

(150) ها في ك طرة أخرى نصها.

«بل عليه المعول عند أهل هذا الفن من المفارقة وبه العمل وبه يحتجون، بل كتبهم فيها، وجدت مقيدا كذا وكُتب على كلام فلان بكنا ورأيت طرة فيها كذا وفي تقييد كذا واليوسى جهل هذا الأمر ومن جهل شينا عاده».

العام الخامس من العشرة الأولى

أحمد المريني

فمنهم المرابط الصوفي الصالح سيدي أحمد المريني وهو بتازة، وبها دفن (151).

الهوراري الفاسي

ومنهم الفقيه المقرئ الأستاذ (152) الهوراري، توفي في أواخر رمضان بفاس،

محمد المدعو حَمُّ الصقلي

ومنهم الشريف سيدي محمد المدعو حَمُّ بن أحمد طاهر الصقلي الحسني، توفي يوم عيد المولد الثاني عشر من ربيع الأول عام خمسة ومائة وألف..

إدريس المدعو ابن إدريس العمراني

ومنهم الشريف سيدي إدريس المدعو ابن إدريس العمراني الجوطي الحسني.

مات بالردم الذي أسقطت الدار بالريح الجنوبية في هذا العام، فسقط على الشريف جدار بالريح وهو ماراً تحته فمات، ودفن بحانوت بظهر الحائط الشرقي من مسجد الشرفاء. فلما أمر أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني المسجل ماسي ببناء مسجد الشرفاء وتوسيعه والزيادة فيه على الهيئة التي هو عليها الآن في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أدخلت في قبة المسجد وجعلت مزاراة للحرم المذكور، فمنها يزورن ضريح مولانا إدريس من ناحية الطريق المجاورة لشرق قبته.

من حوادث السنة

هبوب ريح جنوبية قوية بفاس

ومن حوادث هذه السنة أن في عاشر ربيع الأول هبت ريح جنوبية عظيمة واسترسلت نحو ساعتين أسقطت دورا وأقلعت أشجارا كثيرة، ومات بالردم أناس.

تولي أحمد بن الحاج قضاء فاس

وفي المحرم ولي العلامة البركة سيدي أحمد بن الحاج قضاء فاس الجديد المرينية.

(151) تراجم هذا العام كلها ساقطة من ط و م؛ وإنما ذكرت فيهما موجزة أثناء ذكر حوادث السنة.

(152) بياض بقدر كلمة أو كلمتين في ك و س؛ وكتب في ك و س : الجهوراري، ولعله تصحيف.

العام السادس من العشرة الأولى

عبد الواحد بن محمد أبو عنان

فمنهم الفقيه العالم المدرس المفتي النبيه الخطيب أبو محمد عبد الواحد ابن العلامة سيدي محمد شهر بأبي عنان. ولى الخطبة والفتوى (والتدريس) بجامع القرويين، وولى قضاء فاس الجديد البيضاء، ووجهه سلطان المغرب الى الجزائر رسولا إلى عاملها لآل عثمان الغز من ملوك الترك، فلقى جماعة من مشايخها، وقرأ بفاس على جماعة من المشايخ، منهم والده، تقدمت ترجمته وترجمة والده أيضا. وعلى سيدي عبد القادر الفاسي، وولده سيدي محمد، وكان أديبا فصيحاً كريم الأخلاق ذا فتوة ونجدة بارع القلم خطيباً واعظاً [مدرساً ضابطاً، وفتاويه موجودة تدل على مهارته واتساع ملكته] (153).

توفي ثامن عشر صفر عام ستة ومائة وألف.

محمد بن علي مروان الأندلسي (154)

ومنهم الفقيه الأستاذ الموجود المقرئ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي مروان الأندلسي [متزله بحومة العيون من فاس القرويين] (155) له شهرة في علم القراءات وتجويد القرآن.

توفي بفاس عام ستة ومائة وألف.

محمد ابن العروسي

ومنهم سيدي محمد بن العروسي.

توفي بمكناسة الزيتون في العشرين من شعبان عام ستة ومائة وألف.

العربي بن الطيب القادري

ومنهم الفقيه العلامة المشارك المتفنن الحافظ المؤرخ النسابة المتفي الصالح البركة الأشهر، الصوفى الأنور الأطهر، الناسك السالك الأورع عم والدنا الشفيق، وصنوه ومؤازره في طلب الطريق، جدنا للأمام أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني [تقدمت ترجمة والده والكلام على نسيه] (156)، كان رحمه الله من أهل التحصيل والتحقيق ضابطاً للعلوم سيما التاريخ والأنساب والفقه والحديث مرجوعاً إليه فيما أشكل منها حافظاً

(153) زيادة في م

(154) أخرجت هذه الترجمة في ط إلى ما بعد ترجمة محمد العربي القادري.

(155) ساقط من ط

(156) ساقط كذلك من ط.

لدقاتها معتنيا بالمهم منها مع الورع والزهد ولزوم العبادة والذكر في الخلوة والإقبال على الله وظهرت عليه أحوال وبركات. حصل العلوم على مشايخ فاس، منهم الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي قرأ عليه مقدمة الشيخ السنوسي وصغراه وشرحها لمؤلفها، كل ذلك مرة، وشمائل الترمذي مرتين، وصحيح البخاري مرة إلا بسيرا من آخره [كل ذلك بلفظ أخي صاحب الزاوية محمد عبد السلام (157)] وطرفا من مختصر خليل من أوله إلى الفوائت، ومواضع من التفسير والرسالة لابن أبي زيد، والإحياء وسيرة المعمرى كل ذلك مرة، قراءة تحقيق وتفهم [قال أخوه المذكور في فهرسته: واستفدنا منه كثيرا وانتفعنا بعلمه رحمه الله، يعني هو وأخوه صاحب الترجمة] (158) واستفاد منه كثيرا. ومنهم الإمام سيدي محمد ابن عبد القادر الفاسي، قرأ عليه الألفية ست مرات، ولامية الأفعال مرتين، ومحاذي ابن هشام مرة، والصغرى والرسالة مرة واحدة وطرفا من مختصر خليل وطرفا من جمع الجوامع لابن السبكي، وشرحه للمحلي والتلخيص وغير ذلك.، وصحيح البخاري نحو ست ختمات والنصف من الشفا لعياض كل ذلك بلفظ أخيه واستفاد منه ما لا يحصى. ومنهم الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي قرأ عليه تلخيص المفتاح وشرحه للسعد مرة، وجمع الجوامع للسبكي مرة، ومختصر السنوسي في المنطق، مرتين وكبراه إلا يسيرا من آخرها لم يكلمها الشيخ، وطرفا من التفسير والشمائل ومختصر خليل إلا اليسير منه، والشفا لعياض مرتين واستفاد منه كثيرا أيضا. ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الفاسي. قرأ عليه ألفية ابن مالك وتلخيص المفتاح مرة وغير ذلك. ومنهم الحافظ أبو زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي قرأ عليه نظم الخنزرجي في العروض، وأرجوزة ابن سينا في الطب [وجل هؤلاء الأشياخ تقدمت نراجمهم وتلى تراجم من بقي منهم] (159).

ولقي جماعة من مشايخ الصوفية أرباب القلوب، أهل التربية والسلوك والعلم الموهوب. فلقي الشيخ الولي سيدي قاسم الخصاصي فزاره مرارا وتبرك به، ولقي الشيخ الصوفي الفقيه العلامة سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليميني، واتصل بالشيخ بحر الحقيقة والعلم الرباني سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فنربى به وتأدب بأدبه واقتبس منه علوما لدينه ومعارف واقتصر على زوايته بالمخفية بفاس فلازم الصلوات الخمس [في الجامع الذي كان يؤم به وهي المعروفة بجامع سيدي خليل من حومة جزا ابن برقوقة من عدوة فاس الأندلس أطلق عليها هذا اللقب لأن مختصر خليل لما قدم به إلى فاس ابتداء تدرسه بهذا الجامع والله أعلم بغيبه، لأنه أخلصت له الدار التي هي موقوفة على سكتي المساكين الكاتنة بالحومة المذكورة قرب الجامع المذكور، وكان محل سكناه قبل ذلك

(157) زيادة في م.

(158) زيادة في م كذلك.

(159) زيادة في م.

وفي هذا المكان بياض بالأصول، وكتب بإزائه في هامش س: «بياض هنا نحو ستة أسطر».

بحومة رأس الجنان من فاس الفرويين، إذ هي محل سكنى أسلافنا بفاس. فلما صحب سيدي أحمد بن عبد الله انتقل لجزا ابن برقوفة لقربه من زاوية الشيخ المذكور. وبعد أداء الفرض بالجامع المذكور يسير إلى زاوية شيخه فيحضر الحزب ويتلو الورد ويلتزم الذكر.

هذا دأبه إلى أن توفي رحمة الله عليه (160) ورحل مع شيخه المذكور إلى الحجاز بقصد أداء فرض الحج، فأدى الفرض في رفقته، ولقي معه الشيخ العارف بالله سيدي محمد بن سعيد صاحب طرابلس ولزم شيخه المذكور حتى ظهرت له [وعليه] معالم الحقيقة، وتجلت له أسرار الطريقة، فأكمل سعده، ونم مجده، وأكمل الله له غرضه وتم مطلبه ومرغوبه وتداولته عناية الله تعالى بعظيم الأجر فنزل به مرض قدام به نحو أربع سنين من آخر عمره. وكان من المحبين في سيدي أحمد ابن عبد الله من المولاهين به والمحمكي عنه في ذلك أنه كان يقول لو ملئت فاس بالأولياء ما أعرج على أحد منهم سوى شيخى ابن عبد الله ولا التفت لسواه.

وكانت تأخذه الأحوال بمحضر شيخه، وربما غاب عن حسه وبخرج عن طوره مع أنه يعيب كثيرا على من يصدر منه ذلك حين يكون غير مغلوب عليه شديد الشكيمة في ذلك كثير التحافظ قائم بما أمر به مجتنب لما نهى عنه أشد اتباعاً للسنة، لا يعرف له كذب قط ولا يقول إلا الصدق.

ومما وقع له مع رجل يسمى محمد بن عيشون ويلقب بالشرائط أنه طلب منه أنه يضع كتابا في التعريف بصلحاء فاس وأخبارهم وشرع فيه وترجمهم مرتبين على السنين كما صنعنا هنا، فلما أكمل منه أربعاً وثلاثين كراسا وأجراه على نسخ ما جمع منه وأعطاه إياه لينسخ له مما كتب منه وليس فيه تبييض ولا ضرب كأنه مكتوب من أصل واحد، وأولهم مولانا إدريس بائي فاس (161)، وآخر ما أعطاه ينسخه له سيدي مجبر. ثم سافر صاحب الترجمة مؤلف الكتاب إلى أداء فرض الحج المذكور فلما قدم من الحج شغله المرض الذي نزل به ثم بعد مدة وجد بعض الاستراحة فأخبره بعض الفقهاء بأن ابن عيشون المذكور نسب التأليف المذكور لنفسه، وذكر اسمه في خطبته. ثم حصل التأليف المذكور بيده فوجد ابن عيشون حدف منه وزاد نسبه لنفسه وترجم والده وزعم أن شيخه سيدي حمدون الملافي وبعض أصحاب سيدي مسعود الشراط وبعض أهل الوقت [قال صاحب الترجمة ووالله ما علمه ولا فهمه فضلا عن أن يؤلف منه كلمة، ثم إن صاحب الترجمة لام ابن عيشون المذكور على ذلك فحجل منه واعترف لديه أنه لا شيء له فيه ومزق الورقة الأولى التي فيها زيادة نسبه لنفسه ثم بعد ذلك استنسخ ابن عيشون الورقة الأولى وزاد فيها نسبه لنفسه كما كانت] (162). وابن عيشون المذكور ممن يعجز عن فهم الألفاظ التي فيه فضلا عن جمعه،

160 كل هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين مستدركة من م.

161 في م: سيدي دراس.

162 زيادة في م.

وهو الموجود الآن بين يدي الناس. قال صاحب الترجمة فمن رآه يعلم أن نسبته لابن عيشون كذب محض، إلا ما زيد فيه فإنه بصح نسبته لابن عيشون. وسئل صاحب الترجمة هل تعرف ما زيد فيه وما نقص منه؟ فأجاب لا أعرف ذلك إلا إذا حضر الأصل وقد ضيعه لي هذا الظالم. وكان عزم علي جمع آخر ثم نزل به مرض فدام به نحو أربع سنين من آخر عمره إلى أن توفي منه. قال في صاحب الترجمة شقيقه [سيدنا الجد] (163) عبد السلام ابن الطيب الحسني آخر كتابه المقصد. وكان الحامل لي على تأليفه وجمعه، والحافز لي على انقار صنعه ووضع، والراغب إليّ فَمَا أديته وأداء ما أديته أخي العلامة المشارك المتقن الدراكة المحقق المتقن أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب القادري الحسني - أدام الله حفظه وأجزل من الخسرات حظه - فهو الذي كان السبب لي في تحصيله ويدته وتكميله وما زال بعد طلبه لذلك ورغبته فيه هنالك عوناً وظهيراً ومقرباً ونصيراً معيناً لي على استحضار المسائل، وتلك المحاسن والفضائل، حريصاً على تفصيله وترتيبها، وتهذيبه وتقريبه، إلى أن يسر الله تعالى إتمامه وأكمل سبحانه بغيته ومرامه. وكثيراً ما أنقل عنه فيما سلف، ولا أحليه بما به اتصف، وما منعني من وصفه بذلك وتحليلته إلا ما كان من قرابته وأخوته لأنه من أخص جنسي، ومدحه مدح نفسي. وإلا فهو حفظه الله علامة متقن مشارك ثاقب الذهن بصير بغوامض المدارك من ذوي الإتقان والتحقيق، والتنقيح عما خفي والتدقيق، خير مرضي نقي زكي، ذو حال سنى وقدر في الدين علي، قوال للحق، معرض عن الخلق، قرأ النحو والحديث والبيان والمنطق والكلام والأصول، وحصل له في ذلك اتصال ووصول.

فله بد في هذه الفنون العلمية وخصوصاً الحديث والعربية. وقرأ علي غير واحد من الفقهاء، وأمائل النبهاء، عمدته منهم اثنان: شيخنا العلامة المحقق الدراكة المدقق أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام أبي محمد عبد القادر الفاسي، وشيخنا علامة الزمان ووحيد الأوان أبو محمد الحسن بن مسعود اليوسي، أدام الله رعايتهما، قرأ علي الأول من سنة أربع وسبعين - بتقديم السين - إلى سنة تسع وسبعين. ومنها قرأ علي الثاني إلى آخر اثنين وثمانين قراءة ملازمة علي كل منهما انتهى.

وصاحب الترجمة هو كان الحامل للإمام المحقق سدي المهدي بن أحمد الفاسي علي تأليفه المسمى بالتحفة الصديقية وهو المشار إليه بقوله فيه حملني عليه بعض الشرفاء القادريين فيما أظن (164) وهو الحامل له تحقيقاً علي تأليف كتابه الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، وهو المخاطب بقول مؤلفه فيه في آخره بما نصه، فهذا أيها السيد الأطهر الشريف الأعز الفاضل الأنور التقي الأعف، الفقيه المشارك الأعراف، ما سألتني وألححت علي ما فيه غير مرة وجزاك الله خيراً عني في إخراجها مني.

(163) زيادة في م أيضاً.

(164) هنا في هامش ك طرة: «بل حملة عليه أحمد بن عبد القادر بن علي القادري».

ولصاحب الترجمة من المؤلفات اختصار التحفة المتقدم ذكرها وهو في غابة التهذيب والإلتقان، وتألّف فيه وفيات وولادات أولاد الشيخ عبد القادر بن موسى الحسني الجليلاني. وله كئاش في تقاييد محررة غريبة متقنة وقد كان تحت يد أبي رحمه الله - أعرفه ما يزيد على العشرين سنة محوز الأملاك وسمعت من أبي مرارا أنه ملكه بالنسراء من ولد صاحب الترجمة إلى أن مات والذي فادعى عليّ الورثة أن الكئاش رهن فقط فمكنت ولده منه بالفداء (165) رعيًا للرحم لكونه خالي وولد عم والذي الشقيق مع كبير سنه على شرط أن يبقيه تحت يدي حتّى استنتسخه فواجرت على نسخته المسن الثقة العدل عبد الرحمان بن محمد زاكور أحد شهود فاس. ولما فرغ من نسخته بنصه أخذه الولد المذكور ثم نقص منه كثيرا لتخيلات لم يرد اطلاع الناس عليها في الأنساب وإن كانت تلك البحوث صحيحة وبحث عليها في الكتب المنسوبة إليها فوجدتها كما قال (166) وبقيت النسخة التي نسخت لي قبل وصول الأصل ليد المبدل سالمة من ذلك الحذف [على اتقانها الأول] (167) وكذلك نسخة أخرى نسختها العدل الندرومي وكذلك أيضا أعرف نسخة أخرى عند الفقيه مولاي ادريس بن محمد بن أحمد العراقي الحسني وأظنها باقية عند ورثته الآن.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - آخر الحجّة من عام ستة ومائة وألف، ودفن بأعلي مطرح الجنة قريبا من قبة سيدي أحمد بن محمد اليمنى في الجنان الذي اشتراه سيدي أحمد بن عبد الله معن وأصحابه لدفن موتاهم، وترك من الذكور ولدا واحدا وهو صاحب قضية الكئاش المذكور، وهو الآن في سن عالية تقرب من الثمانين سنة. وهو أبو محمد عبد القادر. وكان له ولد اسمه محمد العربي توفي بالطاعون بمراكش سنة ستين ومائة وألف ودفن بزاوية جده مولانا عبد القادر بن موسى الحسني الجليلي فهو القبر المزور بها ولا أولاد له الآن والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين (168).

حوادث السنة

هبوب ريح عاتية وسقوط ثلج عظيم

ومن حوادث هذه السنة ففي خامس عشر ربيع الثاني ورابع عشر نونبر هبت ريح

(165) في م بدلا من العبارة الأخيرة: « قبعد أن ضننت به وامتعت مكنته من ذلك... »
 (166) في م بدل العبارة الأخيرة: « تم إن مفتدي الكتاب المذكور أفسده بالتغيير والزيادات والنقص لتخيلات أطمعته في الاعتراض على أبيه، وما أبعده من ذلك فلم يبق به عبرة لذلك.
 (167) زيادة في م.

(168) ورد في م تمنة للترجمة كلام شطب عليه، نص المقروء منه:
 [تركه والده صغيرا وكنا عمه فكان عند الثاني منهما من نحو تسان سين فسأنا نسأه سوء إذ كانت له خشولة في أهل الرئاسة والظلم فكان يأوى إليهم وتحلق بأخلاقهم وتمكن ذلك منه بل زادت أخلاقه في الطيش والخمول واتباع هوى النفس والاجترار على المحرم لمجرد الكذب مع كونه له سجية في الشعر وسليقة في النظم فنظم منه أنواعا كثيرة بالوزن بالصيغة من غير تعلم للفقير بل بحسب الاقتصار على ما سوغ له النظم من ذلك ومثل ذلك في كثير من العوام الذين ينظمون الشعر ولم نر في شعره مع كثرته ما فيه منفعة أو حكمة بل أكثره في الفضول والتجاسر في أمور يجب الإعراض عنها... وقد خرف عقله بما فيه من قديم من بلية الوسوسة في كل أمور... والله يعلم أني ما ذكرت هذا إلا لضرورة بيان الحال والحمد لله الذي عافانا من هذه البلياء).

عظيمة وطالت نحو الثلثين من الليل سقطت بها جذرات كثيرة مات بها أزيد من مائة وثلاثين نفسا، وفي ثاني عشر جمادى الثانية نزل ثلج عظيم وألهى الناس عن معاشهم أباما. ثم ورد الخبر من توات أنه نزل بهم ظلمة عظيمة من أول النهار الى الزوال وكان لا يعرف أحد منهم الآخر إلا بكلامه، ففطعوا الخروج من منازلهم وأسرعوا لطلب العفو من الله فنذاركهم الله بلطفه المرجو منه وكشف عنهم ذلك.

وضع المكوس في البلدان المغربية

[وفي آخر ذي الحجة وضعت المكوس في جميع البلدان المغربية بطلبها من بعض العمال علسها لها واللحة (كذا) منه على السلطان في ذلك] (169).

حصار سبتة المحتلة

وفي تاسع وعشرين من صفر أمر أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل بن الشريف الحسنى السجلماسى المسلمين ان ينزلوا على سبتة مرايطين إلى أن يفتحها الله عليهم [وعسن ذلك على بعض قبائل المغرب وولى على القتال عامله على طنجة القائد عبد الله بن بنى حمامة أهل جبل تمسمان من بلاد الريف. وهم فى هذا التاريخ إدالة في طنجة].

أولاد فنبش السلويون

وولى على آلات الحرب الحربية من النفوط والمهارز أولاد فنبش بكسر النون الأندلسسن من سكان ثغر سلا [وأصلهم من الأعلاج الجلالقة الذنن أسروا ثم أسلموا، ونسبهم يرجع الى القوطيين من بني يافت بن نوح] - (170) فنزلوا عليها ورموها بالآلات العظمى واستمروا كذلك].

غور عين وادي سبو

وفي أول يوم من المحرم من عام ستة ومائة وألف غارت عين وادي سبو ثم رجعت بعد أيام عديدة بحملة حمراء شديدة (171).

تذكرة المحسنين

محمد العربي بن الطيب القادري

العلامة مولاي محمد العربي بن الطيب القادري الحسنى.

أحمد بن إبراهيم العثماني

والثالث عشر من ملوك الدولة العثمانية السلطان أحمد بن إبراهيم، وتولي في هذه السنة الرابع عشر منهم السلطان مصطفى بن محمد وبقي تسعة أعوام ثم قامت عليه العساكر وأنزلوه عن كرسي المملكة وقتلوا المفتي الكبير ومات هو بعد ذلك بسنة.

(169) حادثه المكوس ساقطة من ط.

(170) ما بين معقوفتين ريادة في س وحدها.

(171) انفردت الحوليات بذكر حادثة غور عين عين وادي سبو.

العام السابع من العشرة الأولى

محمد بن محمد الشاذلي الدلائي

فمنهم الفقيه أبو عبده الله محمد بن العلامة أبي عبد الله الشاذلي بن الشيخ سبدي محمد بن الولي سيدي أبي بكر الدلائي، تقدمت جميع تراجمهم. أخذ صاحب الترجمة عن والده وعمه أبي عبد الله المرابط عن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي، وعن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وكان آية في علم البلاغة والأدب وترسيله العجب. ياهر الإشارة، رشيق العبارة، ولا غرو فإن الأدب سجية أهل الدلاء والعلوم اللسانية مما سخر الله لهم على الولاء:

[وهل ينبت الخطي إلاً وشيجه وتغرس إلاً في منابتها النخل] (172)

محمد بن الحسن اليوسي

ومنهم الفقيه الوجيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي. تقدمت ترجمة والده. كان من الفضلاء النبهاء، معدوداً في جملة الفقهاء، موصوفاً بالصلاح، مشهوراً بالخير والفلاح.

أخذ عن والده، واتبع بعده طارف مجده وتالده. ومن إنشاده:

اعسذر أخاك إذا رأيت زنادهً من دون ما ترَضَى فهُنَّ صلود
عقل العقول إذا تَطَنُّ ذُبابهً وعلى أخيك أسود وأسود

قوله زناده جمع زند اسم لما يقدح به النار، ويقال زند صلود إذا صوت ولم يُور، وتطن مصدره الطنين وهو صوت الذباب. والاسود جمع أسود وهي الحة العظيمة، والعقل المنع. والعقول يحتمل أن يكون جمع عقل بمعنى الذي يتميز به الانسان عن الحيوان، ويحتمل أن يكون وصفاً على وزن فعول بفتح أوله صيغ من العقل للمبالغة. والمعنى طلب العذر لمن يرى زناده غير مرضية لأن الزناد الصلود لا توري ناراً، ثم بين أن العقول أو أصحاب العقول إذا طنت ذبابه منعتها من الإدراك أخرى من غلبته الحيات والأسود وأين نسبتها من الذباب (173).

(172) ساقط من ط.

(173) ترجمة محمد اليوسي مقتضية في ط لا تعدو ثلاثة أسطر.

علي بن منصور الزموري

ومنهم الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن منصور [الزموري الشلح] (174) الفاسي، والد أبي عبد الله محمد بن منصور الذي تولى قضاء فاس [كان صاحب الترجمة عالماً مدرساً بمسجد القرويين بفاس] (175)، ولازم الشيخ أبا عبد الله مباركة شارح التحفة، وأخذ عن أبي علي اليوسي سمع عليه مختصر خليل ثم لازم بعده أبا محمد عبد القادر الفاسي، وذكره صاحب المطمع في جملة من طلب له الإجازة عن والده وعن سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي وأجازه. ودخل يوماً رجل من المجاذب إلى القرويين وقصد مجلس الشيخ اليوسي وقصد منه صاحب الترجمة دون الحاضرين من أهل المجلس ثم قال لصاحب الترجمة: أعطني عشره مزونات وأعطيك فيها مائة مشقال وألح عليه ولم يكن عنده ما يعطيه فأمره الشيخ اليوسي بالقبام من المجلس وأن يسير لباتيه بها، وذهب وجاء بها وأعطاها إياه، وانفصل المجذوب بها. ثم أخذ اليوسي يبحث أهل المجلس بتحسين الظن بسائر عباد الله، فلم ينفصل المجلس إلا والسلطان مولانا الرشيد بن الشريف الحسني السجلماسي ورد في تلك الساعة لفاس وكانت عاداته في دخوله فاس يدخل للقرويين ويخرج منها للمدرسة المصباحية فتعرض له الشيخ اليوسي وصاحب الترجمة معه في جملة من الفقهاء فأعطى مولانا الرشيد مائة متقال لكل واحد منهما فقال اليوسي لصاحب الترجمة: إن هذا المجذوب أدى دينه ولم يماطل.

توفي صاحب الترجمة يوم الجمعة سابع وعشرين من رجب عام سبعة ومائة وألف (176).

محمد ابن الحسن

ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الحسن، به عرف، الفاسي، الفقيه المشارك لازم الشيخ مباركة شارح التحفة ثم لازم بعده الإمام أبا محمد سيدي عبد القادر الفاسي، يقوم على مختصر خليل والرسالة [ويحفظ نحو النصف من مختصر ابن الحاجب الفرعي] (177) كان سريع الدمع.

توفي سنة سبع ومائة وألف [وأوصى أن يدفن بباب زاوية شيخه سيدي عبد القادر] ودفن بباب زاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين (178).

(174) زيادة في س.

(175) زيادة في م.

(176) ترجمة علي بن منصور مقتضبة أيضاً في أقل من ثلاثة أسطر في س.

(177) زيادة في س و م.

(178) ترجمة محمد بن الحسن ساقطة من ط.

محمد بن علال الغماري

ومنهم الناسك المتعبد أبو عبد الله محمد بن علال الغماري، كان رجلاً صالحاً كثير التلاوة، ورده ختمة من القرآن كل يوم بصوم النهار ويقوم الليل منقبضاً عن الناس. توفي بفاس عام سبعة ومائة وألف (179).

محمد بن إبراهيم ابن حم القصري

ومنهم الفقيه القاضي سيدي محمد بن إبراهيم عرف بابن حم الفصري (180) السريفي الشاوي، وتقدم ذكر أبيه وعمه وبعض أقاربه. قال في الرحلة الفاسية هضبة علاء تفر عنها الأوهام. وجملة ذكاء تشرحها الأفهام، فاق آترابه ومعاصريه بحدة نبله ومضائه، ونظم الرابسة في فلك قضائه. وذكر له أنظاما ومراجعات مع الأديب ابن زاكور، ثم قال: لقبته يعني صاحب الترجمة بشجر العرائش محل قضائه، وغيض إمضائه، ولا ولازلالى (كذا) (181) نحو ثلاث مرات.

توفي بها في جمادى الأخيرة سنة سبع ومائة وألف، ودفن بالقصر في بيت قرب سيدي علي أبي غالب (182).

ومن حوادث السنة

ريح عظيم لم يضر

ومن حوادث هذه السنة ريح عظيم لم يضر شيئاً.

(179) ترجمة الغماري ساقطة كذلك من ط.

(180) في س: الصرصري.

(181) في م هنا: «وأنا ما أقر هلالى، ولا نبع في الذكاء» كوتري ولا زلالى «ولعل في المخطوطتين الأخيرين بترأ.

(182) لم ترد ترجمة محمد بن إبراهيم في ط.

العام الثامن من العشرة الأولى

سالم ابن حمّ الشاوي

فمنهم الفقيه العالم القاضي سالم بن القاضي أبي العباس أحمد المعروف بان حم الشاوي السريفي القصري، نسبة لسريف. تقدمت ترجمة والده عام خمسة وسبعين وألف. قال في الرحلة الفاسية: كان صاحب الترجمة صدرا من صدور زمانه. وممن تزهى ترائب المها للمعارف بجمانه، وأوري له زند الذكاء اقتداحا، فأجال في كل فن قداحا، فجلى في ميدان الإجابة وبرّز، وطرّر المجالس وطرّز، وله تأليف مشهورة، وبالإجابة مذكورة. منها المنهاج شرح المرشد المعين لسيد عبد الواحد ابن عاشر. وله في فريضة الأدب سهم، وفي معاناة المعاني تحقيق لا يدخله وهم، وله مقطعات عجيبة، يصدع فيها بمعاني غريبة.

توفي بمكناسة الزيتون في سنة ثمان ومائة وألف هـ مختصرا (183) تركت منه ما نسب له من الشعر.

من حوادث السنة

امتحان شهود فاس

ومن حوادث هذه السنة أن في ثاني جمادى الأولى امتحن شهود فاس حتى طيف بهم في الأسواق وطبعت حوانيتهم. ومن الغد أخرج جماعة منهم [شكاة إلى القائد عبد الله بن حمدون الروسي فكتب إلى عامل فاس أن يعفو عنهم، فكف العمال عنهم وأطلقوا عليهم الشهادة].

شخص يدخل الديار في هيئة امرأة وهو رجل

وحدثت غريبة وهي أن شخصا كان يدخل الديار في حالة امرأة أمة. وكان يخدم النساء في الحمامات وغيرها وكانت تلازم ضريح سيدي أبي غالب دفين سريوة عدوة فاس الأندلس. ودام على حالته ثلاث سنين، فإذا بها وجدت رجلا [حكاه الشيخ المؤرخ الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الفاسي في بعض مقدماته] (184).

183) تقع ترجمة الشاوي في ط في أقل من سطرين ولعل في هذه الترجمة تداخلا أو خلطا مع الترجمة السابقة. فلراجع الرحلة العاسية.

184) زيادة هي م.

قدوم وفد من اصطنبول يطلب من مولاي اسماعيل مصالحة أترك الجزائر
وفي يوم عرفة قدم على أمير المومنين مولانا اسماعيل عشرة رجال من اصطمبول
بمهم كتاب من سلطانهم يطلب من الخليفة أمير المومنين مولانا اسماعيل الصلح من أهل
الجزائر (185) فاکرم الوفود وأسرع إلى الصلح الذي هو خير وتحاددوا في البلاد، وتعاهدوا
على تهنئة العباد.

توبيخ قاضي فاس وعلمائها بسبب مشكل العبيد
وفي هذا اليوم (يوم عرفة) من الشهر نفسه ورد على فاس كتاب من عند السلطان
بتوبيخ العلماء والقاضي وألزمهم الموافقة على تملك العبيد الذين في الديوان.
وفي آخر الشهر نفسه خرج السيد محمد اعليش لناحية القصر لقصد تملك الأحمر
والأسود من القبائل، والحوال والقوة بالله (186).

(185) في م بدل العبارة الأخيرة: يأمر سلطان المغرب بالصلح مع أهل الجزائر.
(186) انفردت الحوليات بإيراد مشكل العبيد.

العام التاسع من العشرة الأولى

محمد المهدي الفاسي

فمنهم الإمام الحافظ المحقق المشارك [المتقن] المتفنن الصوفي الزاهد الورع أبو عبد الله محمد المهدي بن الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن الناسك الخير أبي الحسن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت جمع تراجمهم. كان صاحب الترجمة من الأعلام الأكابر، ومن الفضلاء المشاهير، رئيساً في الضبط والاتقان وذلك بما أربى به على أهل الأزمان، مجدداً لتدريس العلم والتأليف في ذلك الزمان والتقيد والعبادة والإفادة والاستفادة [قال فيه صاحب المقصد: صاحبنا ومفيدنا السيد الفقيه النبيل المشارك العالم المحدث الصوفي الجليل الدراكة الواعية الجليل المصنف المفيد، المتقي الزاهد العفيف، الخير البركة أبو عبد الله المهدي إلى آخره ثم قال: [187] قرأ على أبيه وأعمامه [وعلى غير واحد ممن في طبقتهم من مشيخة فاس] [188] العربية والحديث والفقه والعقائد وغير ذلك. وعمدته قراءة ومجالسة واستفادة والده الشيخ أبو العباس أحمد، وعمه شقيق أبيه سيدي عبد القادر بن علي، وخاله الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. ثم صحب الإمام العارف الولي الصادق أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله والد سيدي أحمد يعني معن الأندلسي [ولازمه بقصد الاقتداء والاتباع والتبرك والانفعا فانتفع به نفعاً ظاهراً ونال منه بركة وخيراً وافراً وحصل له فتح في الطريق وذوق في التحقيق وبقي معه إلى أن توفي رضي الله عنه، وامتدت صحبته له سبع سنين ثم صحب بعده اقتداءً واتباعاً خليفته بزوايته ووراثته الشيخ العارف المحقق المجذوب والفاني المستغرق سبدي قاسم الخصاصي ولازمه إلى أن توفي سنة ثلاث وثمانين. وامتدت صحبته له عشرين سنة] [189] وهو الآن في صحبة خليفته ووراثته سيدي أحمد. وله تأليف عديدة، منها شرحان على دلائل الخيرات [أما الكبير منهما فهو تحفة الأخبار وهو في سفرين أجاد فيه ما شاء من نقل وتحرير، وأما الصغير فسماه مطالع المسرات نحا فيه منحنى التهذيب، مع الإفادة وحسن الترتيب. وله شرح عليه ثالث سماه التجريد لما في الكبير على الصغرى من المزيد] [190] ثم قال في المقصد: وثلاثة تأليف في السير [قسمي أحدها العقد المتضد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد، وهو في سفر كبير، والثاني سماه كفاية المحتاج، من خير صاحب التاج واللواء والمعراج، وهو في سفر صغير، والثالث سماه سماط الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر، في سفر كبير]. ثم قال: وثلاثة في أهل الله نقلنا عن بعضها فيما سلف فسمى أحدها ممتع الأسماع في مناقب الشيخ الجزولي والاتباع وما لهما من الأتباع، والثاني سماه الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع، والثالث سماه تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزروقة وواحد في أنساب العرب سماه داعي الطرب، وغيرها، وهو الآن في قيد الحياة لم

[187] ما بين معقوفتين ساقط من ط.

[188] ساقط كذلك من ط.

[189] ساقط أيضاً من ط.

[190] ما بين معقوفتين لا يوجد أيضاً في ط، وكذلك فقرات أخرى لم ير فائدة في الاستمرار في الإشارة إليها.

يولد له ذكر ولا أنثى، أبعى الله بركته، وأجرى عليه منته. وله تأليف سوى ذلك منها الدرّة الغراء في وقف القراء، تكلم فيه على الفصل والوصل؛ والنبتة اليسيرة واللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة احتوت على إتقان ما لأهل السنة في المسألة مع تحقيق وحرر، والجواهر الصفة من المحاسن الموسفة نحو كراسة احتوى على ترجمة جده أبي المحاسن. وروضة المحاسن الزهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية سبع نحو عشرة كراريس في الرباعي. ومعوته الناسك بالضرورة من المناسك. [وتحفة الناسك بالمهم من المناسك، وداعى الطرب باختصار انساب العرب] (191) وشفاء الغلة وانتشاع السحابة عن حكم السكران أول الملة، وتنزيه الصحابة، والرصاص المطفية في الذب عن أهل المخففة [رأبت كراسة واحدة منه بخط مؤلفه لكنها في القالب الكبير وخطه مزحوم جدا وغالب الظن أنه جله، وسبب جمعه لهذا التأليف أنه وقع من بعض طلبة (192) عمه سيدي عبد القادر إنكار واعتراض على حال سيدي قاسم حتى كذب مكتوبا وأرسله إلى أهل زاوية سيدي محمد بن عبد الله تضمن ألفاظا شنيعة فيها تنقيص لأصحاب سيدي محمد بن عبد الله وفيه خطاب لسيدي محمد بن عبد الله وهو ميت ولو كان باقيا حيا حاشاه من أن يوصف أو يخاطب بذلك، فأدركت سيدي المهدي نورانية الانتصار للحق فألف الكتاب المذكور. وكان بارع الخط في الكتابة في غاية الإتقان والتحرى في الضبط والبيان، دائم التثبت في المسائل، وله إدراك تام في أحوال أهل الطريقة ومقاماتهم، وكلامه فيهم عن ذوق مع طول الباع وغاية الاطلاع، وحيثما تكلم في فن لا يخالف قوله التحقن، ولا يحيد عن روبة التوثيق، وتأليفه كلها مبنية على التحرير والاحتياط في النقل والفهم المؤيد بالتنوير وبطيل في التراجم إن وجد النفل متسعا ويقصر ان لم يجد للقول موقعا. ولا ينكر هذا إلا غبي أو معاند أو جهول ذو ربة جاحد، وقد أثنى عليه بأكثر من هذا غير واحد ممن رأناه من جهابذة العلماء الأعوان، وأطبق الكل على وصفه بالحفظ والضبط والتثبت والثقة والإتقان، وأخذ عن مشايخ غير من تقدم منهم أبو العباس حمدون الأبار، والقاضي محمد بن سوذة ومحمد بن أحمد الزموري، وأحمد بن جلال وغيرهم ولزم من الصوفة سيدي محمد بن عبد الله، وسيدي قاسم الخصاصي، وسيدي أحمد بن عبد الله.

ولد - رضي الله عنه - آخر ليلة السبت السابع والعشرين من رجب عام ثلاثه وثلاثين

(191) هذا الكتاب الأخران مكرران مع ما سبق، وهما عمر مكرري في ط.

(192) هما في هامس س و ك طره، نصها:

« منهم العربي ردله فاضي الوفاء ومغنيه والنحوي عبد السلام حسوس ولما كثر ذلك منهم سد في وجوههم سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر العاسي الزاوية وعطلت الصلوات فيها ثلاثة أيام ولم يحلها. ولما كلم في حلها قال أردم أن نجعلها سبكه لأهل الغيبة كما يحسب الصناد النسكه لجمع الطيور تم تتمع في ذلك ورأى أن تلك المدد ععوبة ليس تكلم فيها بذلك وسراً من أن سوهم الجاهل أن يكون اادهم على ذلك وأن مكتوبه في تلك الرسالة صحح م لما كتب سيدي المهدي هذا التأليف المذكور وقع كلام أدى إلى انفصال بس أولاد سيدي يوسف بن محمد العاسي قضاوا فرسين أولاد سيدي عبد القادر ابن علي بن يوسف فرسه وما بعى من أولاد سيدي يوسف فرسه معتريسين بين أهل المخففة وأهل العلفيين، ومن ذلك اليوم انتقع العلم والصلاح من أولاد سيدي عبد القادر. انتهى »

وألف، وتوفي يوم السبت التاسع من شعبان عام تسعة ومائة وألف، ودفن بداخل قبة جده سبدي يوسف الفاسي وراء ظهره من أعلاها (193) بعد صلاة العصر.

أحمد بن العربي ابن الحاج

ومنهم الفقيه العلامة المستشار القدوة البركة المدرس النفاع أبو العباس سبدي أحمد ابن العربي المعروف بابن الحاج الفاسي ولادة ومنشأ. كان من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الفاضلين. ولي قضاء المدينة البيضاء وفاس الجديد ودرس بفاس الإدرسية وانتفع به خلق كثير [منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي ابنا الطيب القادري الحسني، قرأ عليه ألفية ابن مالك وغيرها. كان صاحب الترجمة كبير الصيت مشهور البركة معلوما بالصلاح وخالص النية]. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وغره من طبقتة. وكان حجة إماما.

ولد عام اثنين وأربعين وألف، وتوفي عام تسعة مائة وألف.

أحمد بن محمد العلمي السلامي

ومنهم الشريف الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر السلامي الوهابي العلمي من بني عبد الوهاب السلامي العلمي. قرأ على جماعة من نسيوخ فاس، وولي قضاء بلده العلم [ودرس العلم] وظهر فيه ظهور نار على علم. توفي عام تسعة ومائة وألف (194).

عبد الرحمان الرايس

ومنه الفقيه الأستاذ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد المدعو الرايس الفاسي. كان أستاذا مجودا مقرنا جمع السبع على الشيخ أبي زيد ابن القاضي وغيره، وأخذ عن الحافظ الفاسي، وأحمد بن الحاج وغيرهم، وتولي إقراء الطلبة بمدرسة العطارين القرآن بالروايات. وكان يدرس الألفية والتشافية والكراريس والرسالة ونظم الرقعي، فانتفع به أقوام. وكان ذا حالة مرضية، وكان يؤم بمسجد الففاصن من عدوة فاس القرويين، فكان يجمع بين العسائين

(193) هنا في هامش م و س طرتان متعارفان في المعنى، نص أولهما. «إنما ترك الدفن في ذلك المكان لكونه حجراً صلباً لكن بالغ سيدنا أحمد بن عبد الله في تكلف حجره وأحضر المعاول العظيمة والرجال وأهل الكد والجهد حتى فبح له القبر تمه اعننا، به لشدة محبته منه.» (194) سقطت ترجمة أحمد العلمي من ط

بأدنى سبب، فمرت بقرة بباب المسجد المذكور فقال بعض المداعبين يمازح صاحبها: أنهض
بقرتك للسير لثلاث ببول بباب المسجد فيجمع الإمام.
توفي عام تسعة ومائة وألف.

محمد ابن عيشون الشراط

ومنهم [المرايط المجذوب المحب لأولياء الله الغالب عليه التلذذ بذكرهم] (195) أبو
عبد الله محمد بن محمد [بن محمد] (196) ابن عيشون الملقب بالشراط الذي ينسب إليه أنه
هو الذي ألف التأليف المشتمل على التعريف ببعض صلحاء فاس. [وقد تقدم التنبيه على
ذلك في ترجمة مؤلفه عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري الحسني سنة ست ومائة
وألف] (197) ولد سنة خمس وثلاثين وألف حسبما رأيت بخطه [في هامش بعض تأليفه]
(198) وتوفي سابع صفر عامه تسعة ومائة وألف. ورأيت له تأليفا آخر ذكر فيه سلسلة
صالحى فاس من غير ترجمة لواحد منهم، وإنما يسردهم سردا [ويعين محل دفنهم من فاس،
وهو جامع لعدد أكثر مما اشتمل عليه التأليف المذكور، وتأليفا آخر في الأذان. وله تأليف
آخر في أشياخه، وكلامه في هذا التأليف يدل على حرصه في التعلق بأهل الخير عمنا الله
وإياه بفضله. ونسب نفسه في الطريق الى سيدي مسعود الشراط بواسطة أبيه ذكر ذلك في
التأليف المذكور في ترجمة سيدي مسعود المذكور، وكان يتردد للعلماء والفقراء ويستفيد
منهم] (199)

(195) ساقط من ط.

(196) محمد الثالث ساقط من ط.

(197) ساقط كذلك من ط.

(198) زيادة في م.

(199) هذا القسم الأخير من ترجمة ابن عيسون الشراط أتبعنا الأولى منه في النسخ التي بين أيدينا دون أن ننبه على ما
سقط أو راد في كل منها.

*** —***— **تذكرة المحسنين** —***— ***

أحمد بن العربي ابن الحاج

الفيقيه العلامة الحافظ الدراكة الهمام القدوة البركة الناصح النفاع قاضي فاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم سيدي أحمد بن الحاج العربي ابن الحاج. وتأليفه المدخل (199م) يدل على جلالته وعلو مقامه في العلوم. توفي غدوة الأربعاء مهل ربيع النبوي من السنة، ودفن بروضة سيدي عزيز بدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

محمد المهدي الفاسي

والشيخ الإمام، العلامة الهمام، المتفنن الصوفي أبو عبد الله سيدي محمد المهدي ابن الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن سيدي علي بن تاج العارفين أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي. وله شروح ثلاثة على دلائل الخيرات، وممتع الأسماع في الشيخ الجزولي ومن له من الأتباع، والسيرة النبوية الكبرى، وغير ذلك من التأليف الدالة على فضله وجزالة علمه. رضي الله عنه.، ودفن خلف ظهر جده أبي المحاسن داخل القبّة.

199م) في هامش مخطوط خ. ع طرة: سبق قلم منه رحمه الله.

العام العاشر من العشرة الأولى

عبد السلام بن الطيب القادري

فمنهم [نسابة حضرتنا وديباجة بيتنا] (200) جدنا للأب المباشر عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وأذكر في تحليلي إياه ما فاله ولد ناظم التحفة في وصف أبيه، ونص المحتاج إليه: إن بسطت القول أو عددت الطول، وأحكمت الأوصاف، وتوخيت الإنصاف، أنفدت الطروس، وكنت كما يقول الناس في المثل في مدح العروس. وإن أضريت عن ذلك صفحا فيئس ما صنعت، ولشر ما أمسكت من المعروف ومنعت، ولكم من حقوق الأبوّة أضعت، ومن ثدي المعقنة رضعت، ومن شيطان في غمظه الحق أظعت، ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت. وإن توسطت واقتصرت، وأوجزت واختصرت، فلا الحق نصرت، ولا أفنان البلاغة هصرت ولا سبيل الرشد أبصرت، ولا عن هذا الحدث أقصرت، هذا ولو أني أجهدت السنة البلاغة فجهدت، وأيقظت عيون الإجابة فسهدت، واستعرت مواقف عكاظ على ما عهدت. لما قررت من الفضل إلا ما به الأعداء قد شهدت. انتهى نقله في نفع الطيب [وقد تحققنا ان قدر صاحب الترجمة أمر أجمع عليه أهل زمانه] (201) وأثنى عليه بعض أهل زمانه وليس الخبر كالعيان. فمن ذلك ترجمة كتبها في التعريف به على تأليفه المسمى بالدر السني الفقيه الفصيح البليغ العدل الأرضي أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الغساني شهر بالوزير الأندلسي. ونصها:

الحمد لله الذي أفرغ على الإنسان، ملابس الجود والإحسان، وغمره بنعم لا يفي بشكرها اللسان، فهو يتقلب فيها بظهر لبطن وحدث عنها بما شئت من طرق هي مع غرابتها حسان. وصلّى الله على سدنا محمد المنعوت في التوراة والانجيل والفرقان، الكبير القدر العظم الشأن، وعلى آله المطهرين من الأدران، وعلى صحابته القادة الأعيان. أما بعد، فالقصد التعريف بمؤلف هذا الكتاب الشريف، هو السيد الفقيه العالم النزيه، العلامة المدرس النبيه، الفاضل المبارك الوجيه، شريف العلماء وعالم الشرفاء، المشارك الدراكة الأتور، الزاهد الورع الأطهر، ذو الأخلاق الحسنة، والأفعال المستحسنة، ا لبليغ المصقع، الأديب الأريب الأبرع، الباذل محبته في مرضاة الله، العطوف الشفيق على خلق الله، أبو محمد سيدي عبد السلام ابن السيد الأجل، العدل الأرضي المبيجل، سيدي الطيب بن السيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد (202) بن

(200) زيادة في م وط

(201) زيادة من ط وم.

(202) في س : سعد. مكان محمد السابع.

أحمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي [بن محمد] بن سراج الدين أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ الإمام الولي الكبير سلطان الأقطاب ومن تضرع شذاه وطاب، أبي محمد عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبد اله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى الماجد، بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن حسن المثني بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم، الملقَّب بالقادري نسبة إلى مولانا عبد القادر الجيلاني المذكور.

وكان - رضي الله عنه - سيداً صالحاً، ومقرئاً ناصحاً، وعالماً عاملاً، سيداً فاضلاً، وقدوة وإماماً، ومن الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، يميل إلى المساكين والضعفاء ويؤثرهم بنفسه (203) وكان لهم ملجأ وملاذاً والفا، تاركاً مراده لمرادهم، ساعياً في حوائجهم وأغراضهم، برأً وفتياً سنياً، نشأ في عفاف وصيانة، وثقى وديانة. بيته بيت أصالة وحسب، مع ما له من عراقاة النسب. لم يزل منذ نشأ حسن السيرة نقي الأطراف صافي السيرة مكياً على تعلم العلم وملازمة أهله، والانحياش إليه واقتفاء سبيله، إلى أن حصل له منه أوفر نصيب، ورَمَى فيه بسهم مصيب. فقرأ على جماعة من الأعلام الذين بهم الانتماء: منهم الشيخ الفقيه المشارك التزيه المبارك الصالح الأنور الزاهد الناصح أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الفشتالي، قرأ عليه القرآن بحرف نافع بروايته، والجرومية.

ومنهم الصدر العلم، والركن الملتزم، العالم القدوة الأعمد، المشارك المحقق أبو عبد الله سيدي محمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي، قرأ عليه الجرومية ثلاث مرات ومحاذي ابن هشام، ورسالة ابن أبي زيد، وطرفاً من مختصر خليل، وطرفاً من جمع الجوامع لابن السبكي، وطرفاً من شرح المحلي، وطرفاً من التلخيص للفرزويني، وأخذ عنه علم الحديث من ذلك صحيح البخاري ست مرات، ونحو النصف من الشفا للقاضي عياض، وجميع ما قرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه بلفظه، وقرأ عليه تحفة الحافظ ابن حجر واستفاد منه فوائد كثيرة.

(203) في المخطوطات: ويورثهم.

ومنهم الشيخ البركة العالم العلامة المحقق القدوة أبو محمد عبد الغادر بن علي الفاسي، قرأ عليه مقدمة الشيخ السنوسي وصغراه وشرحها للمؤلف، وصحيح البخاري بلفظه، وسمع عليه تفسير مواضع من كتاب الله عز وجل ومواضع من الرسالة، ومواضع من الإحياء للغزالي، وطرفاً من السيرة للبعري.

ومنهم الشيخ الامام العلامة فريد العصر في المعقول والمنقول أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، قرأ عليه تلخيص المفتاح مره، وشرحه للسعد مره، وجمع الجوامع كذلك، ومختصر الشيخ السنوسي [في المنطق، وجمل الخونجي، وكبرى الشيخ السنوسي]، وطرفاً من مختصر ابن الحاجب الأصلي، وطرفاً من الصغرى، وطرفاً من التسهيل، وطرفاً من التفسر، وطرفاً من الشمانل، ومختصر خليل إلا مواضع بسيرة، ومره أخرى لم تكمل، والشفا لعياض مرتين.

ومنهم الشيخ الفقيه العالم الفهامة المفتى ابلخ المشارك سيدي محمد بن أحمد الفاسي. قرأ عليه ألفية ابن مالك والتلخيص وطرفاً من المرصد في العقائد لعنه العلامة الأوح سيدي العربي، وطرفاً من الطالع المسروق في المنطق للعلم المذكور.

ومنهم الفقيه الفقيه الحافظ أحد قضاة العدل في الزمان أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن المجاضي. قرأ عليه الجرومة مرتين ونظم المجراد في الجمل، وألفية ابن مالك إلى الإضافة.

ومنهم الفقيه العدل العلامة الأستاذ الحافظ الخطيب البليغ فاضى المدينة البيضاء فاس المرينسة سيدي محمد بن علي الفلاكي. قرأ عليه الجرومية ثلاث مرات والألفية مره.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك التحرير القاضي الأعدل سيدي العربي بن أحمد بردلة الأندلسي. قرأ عليه الألفية، والصغرى، والسلم، ومختصر السنونسي في المنطق، ومن النكاح إلى البيوع من المختصر ومواضع متفرقة منه وطرفاً من رسالة ابن أبي زيد.

ومنهم الفقيه المشارك المحقق الأفضل الأتقى الحاج أحمد بن الحاج العربي بن الحاج، به عرف، قرأ عليه الألفية، واللامسة لابن مالك، وفواعد ابن هشام وطرفاً من المختصر.

ومنهم الفقيه العلامة المشارك البيهقي الأصولي المحقق قاضي مكناسة الزيتون سبدي محمد بن الحسن بن مدين (204)، به عرف، السوسي الأصل المكناسي الدار والمنشأ، قرأ عليه نظم الخرجي في علم العروض وطرفا من صغرى السنوسي.

ومنهم الفقيه المشارك الأديب سبدي عبد الرحمان بن الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي. قرأ عليه نظم الخرجي في العروض، ونظم ابن سينا في الطب.

ومنهم ناظر الفرويين الفقه المشارك سبدي عبد الوهاب بن سبدي العربي الفاسي قرأ عليه الخرجية.

ومنهم الفقيه الأستاذ المشارك الأنبل الفارئي الفصيح سبدي محمد بن مبارك المغراوي. قرأ عليه مورد الظمان للخراز.

ومنهم الفقيه المشارك الحافظ الخطيب الأديب سبدي الشاذلي بن الشيخ سيدي محمد بن الولي الصالح سيدي أبي بكر الدلائي. قرأ عليه من البيوع إلى الميراث من مختصر خليل، وطرفا من الاكتفا للكلاعي.

ومنهم الشيخ الإمام الولي الكامل العارف الراسخ المحقق الواصل سيدي أحمد بن محمد السني قرأ عليه من النكاح إلى الإجازة من مختصر خليل. فلما حصل من العلوم ما حصل، وبرع في فنون منها ونحمل من فرائدها اتصل (205) وصارت له في ذلك اليد الطولى والباع الكبير، تصدر للتدريس والإفراء بعبارة رائقة، والغوص على معان فائقة. وكان في البلاغة والإنشاء والنظم والنثر نخبة أهل زمانه، فاق في ذلك جمع أقرانه. وبرع في فن العربية والتصريف واللغة ومعرفة النسب، ولا سيما أنساب بني هاشم وخصوصا العلويين منهم، وإليه كان المرجع في ذلك بحضرة فاس، وعلمه الاعتماد فيما يقع الاختلاف فيه بين الناس. وكان يعرف البيان والمنطق والأصول. وكانت له مشاركة في الحديث والسير والفقه، وكان ذا ذكاء وفهم وتحقق، وبحرير للمسائل وحل لمشكلاتها مع فطنة وتدقيق، وغفلة عن أمور الدنيا وعن الركون إليها وإلى أهلها وعن زينتها وبهجتها، سالكا سبيل الهدانة، تاركا طريق أهل الغواية، ربي على ذلك منذ نشأ، وما مد اليد إلى ما لا يرضى مولاه ولا إلى ما

(204) في م . محمد بن الحسين أبو مدين.

(205) كان في المخطوطات، ولعل كلمات سقطت من العبارة الأخرى لتكون - حسب السياق - مثل: «ما اصل» أو «نحمل من فرائدها ما حمل».

بردبه خطنا ومنشأ، حتى جذبت أهدى العنابة، إلى بيت الصلاح والولادة، وهبت عليه نسمات الوصال، بأمر لم يكن منه على بال، ففاده منه زمام السعادة، إلى حيث الإفادة والاستفادة، حضرة حُقَّت بالأنوار، إذ صارت معدناً للأسرار، وحيث تنال المواهب الغزار، تحط الذنوب والأورار. خدم التوفيق بابها، وحمى بها المعالي ومدت أطنابها، حضره زين الزمان، وشمس الأوان جبل السنة الشامخ، وطودها الراسخ، بحر الحقائق العرفانية، ومنهل العلوم الربانية، الولي الإمام، هبة (206) الاثمام، وملاد الإسلام، وغوث الأنام، وملجأ الخاص والعام، بت الولاية والصلاح، ومعدن الأسرار والصلاح، بحر الجود، الذي لم نر ولم نسمع بمثله في الوجود، المتحقق بالشهود، الفذ الفريد الجامع، الكثير المنافع، الواقف بنفسه للمسلمين والمدافع، القدوة الأعمد، أبو العباس سدى أحمد، ابن الشيخ الإمام، الولي الكامل الهمام، كهف الإيقان، ومحل العرفان، والمتخلى عن كل عَرَضٍ قَان، محيي السنة والدين، وحبل الله المتين، سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي المحتد، الفاسي الآباء والمولد، فصاحبه (207) وانقاد إليه، وأقبل بكلته عليه، واعترف بما لديه، ولازمه نحو خمس وعشرين سنة، ومارس أحواله السنية وسيرته المستحسنة، وسمع من حفائقه، وعلومه ورفائقه، وفهومه وحكمه ولطائفه، وأسراره ومعارفه، ما لا بدخل تحت حد، ولا يحبط بمقوله الإحصاء والعد، ولا يدرك بالعقول، ولا تحويه النقول، مما هو جائز أن تشد إليه الرحال، وتخضع له فحول الرجال، واقتبس من أنواره، واقتطف من ثماره وأزهاره، واغترف من بحره الوافر المديد، واستفاد منه فوائد مع معونة من الله وتأبيده، وانتفع به أي الانتفاع، وهذب منه الأخلاق والطباع، وحكمه في نفسه، وانفرد لمأ عرفه عن أبناء جنسه، وانقطع به عن مألوفاته وعوائده ومستحسناته، وألقى إليه قباده، وجعل مراده مراده، وظهرت عليه بركته، وانطبع في قلبه محبته، وعمته فلبا وقالبا (208) رعابته. وكان سيدنا أحمد المذكور يحبه ويجله ويبر به غاية البرور، ويحسن به ظاهرا وباطنا، وينهاه عن ما خفى عليه من أموره وكان فيه كامنا، ويلزم مجالسه البهية، فيستفيد منها فوائد سنية، ونال منه حظا وافرا، وكان له مادحا وذاكرا، وأطلق الله منه اللسان، بما أودعه من الحسن والإحسان، فقال فيه فصائد عديدة، جسده فريدة، نظرب لها السامع، وتسبحستها المسامع، وجمع منها جملة وافرة في مجلد صغير [وجعل له خطبة] (209) سماه مصابح الاقتباس، في مدائح سيدنا أبي العباس، ثم ألف فيه تأليفا لم ينسح على منواله، ولم يجد أحد على مناله، سماه المقصد الأحمد، في

(206) كذا في المخطوطات ولعل الأصل «مناط» أو ما أسبها

(207) في م: فصبا به

(208) صغف في ك و س فكيب. قلبا وقابلأ.

(209) زيادة في م.

التعريف بسيدى ابن عبد الله أحمد، في مجلد [كبير، فاح منه عنبر وعبير] (210) وكانت له قدرة على التأليف، وقوة على التصنيف، فألف عدة من الكتب، منها هذا التأليف المكتوب هذا على ظهره المسمى بالدر السنى قيمن بفاس من أهل النسب الحسنى..

ومنها العرف العاطر، فمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر.

ومنها إغاةة اللهفان، بأسانيد أولى العرفان.

ومنها الإشراف، على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف (211).

ومنها معتمد الراوي، فى مناقب ولي الله سدى أحمد الشاوى.

ومنها نيل القربات، باهل العقبات.

ومنها رجاء الإجابة، بالبدريين من الصحابة.

ومنها مناهج (212) الرشاد، فى لامبة الإسناد.

ومنها وسيلة السالكين، بالعارفين الكاملين.

[ومنها تحفة النبيه، بنسب بنى طاهر وبنى الشبيه] (213)

ومنها عقد اللآل، ووسيلة السؤال، بما له صلى الله عليه وسلم من الآل.

ومنها: أداء الحقوق، فى إيداء الفروق.

ومنها تنبيه المعرضين، عن آبات السماوات و الأرضين.

ومنها تميم الأفرح، بنعيم الأرواح.

ومنها ذخيرة الاكتساب، فمن بدخل الجنة بغير حساب.

ومنها التسم المعقب فى توجيه الخلاف من المنطق.

ومنها معونة الإخوان [بمعرفة أركان الإيمان والإسلام والإحسان] (214).

[ومنها الحكم المنسوق، فى أحكام المسبوق] (215).

(210) زاده فى م كذلك.

(211) هم سدى عبد القادر الجيلانى، وسدى عبد السلام من مسيش، وسدى أبو الحسن الساذلى، وسدى محمد بن سليمان الخزولى.

(212) فى م و س. «نهج»

(213) ساهط من ط.

(214) سقط ما بين معقوفين من المحطوطات، وكب فيها بدلاً منه: فى الديانات.

(215) ساهط من ط.

ومنها مطلع الإشراق، في الشرفاء الواردين من العراق.

ومنها الروض الأنيق الزاهي، في أحكام المصلى والساهي. وغبر ذلك مما لم يحضرنه، والتقايد والأجوبة. وكل كلامه في غاية البلاغة والتحرير، كلام عالم نقاد تحريبي، جهيد فطن أثير، فلم يزل على تلك الحالة إلى أن انتقل إلى رحمة الله عند صبح يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول النبوي المفضل عام عشرة ومائة وألف، وعمره خمسون سنة. وصلى على مولانا محمد وآله وصحبه وسلم، انتهى، بحذف فيه ومن خطه نقلت (216).

وكتب عقبه الإمام المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد المسنوي الدلائي ما نصه: الحمد لله طالعت هذه الأوراق من إنشاء صاحبنا العدل الأرضي النزيه، الحسيب النبيه، الفصيح القلم واللسان، المتحلي من الفضائل بما فاق به الأقران، الماجد الأثر، أبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الشهير بالوزير، الفساني الأندلسي المحتد، الفاسي المنشأ والمولد، فوجدتها مطابقة فيما تضمنته من التعريف بشسختنا المذكور، المقدس المبرور، لما أعرفه من حال المعرف به وأعلمه من نشأته من غسر غلو ولا زيادة، بل ربما فصرت عن فضائله وفواضله المعلومة لجميع من خالطه. وقد أعجلني طالبها عما في غرضي من مزيد تصحيحها واختصارها وتنقيحها، فتركها على حالها [سوى ما أصلحت من بعض ألفاظها أو زدته لبيان أغراضها] (217) والله تعالى يكون لجمعنا بفضله، وكتب محمد بن أحمد المسنوي الدلائي كان الله له. انتهى. ومن خطه نقلت.

وقد أننى على صاحب الترجمة بعض أتيأخه وغيرهم من الأعيان، منهم شسخه سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي، فكتب علي نسخة من كتاب صاحب الترجمة المسمى بمطلع الإشراق المتقدم ذكره، ونص محل الحاجة مكتوب عليه: الحمد لله رب العالمى وصلواته وسلامه على سيد المرسلين وعلى آله وصحابتهم أجمعين. ويعد فيبيقول عبد الله سبحانه محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله به بما كان لأوليائه. قد تصفح هذا الكتاب المسمى بمطلع الإشراق] (218). الذي صنفه فتى الإفاضة، المشهود له بالإجادة، العلامة التحرير الأدب، الشريف المنيف الحسيب سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، فألفيته قد ساق سوقاً أنسقا، ونسج نسجا محكما وثيقا، ونظم من الفوائد دررها، وأبدى من وجوه المحاسن غررها، وأطلع في سماء المكارم قمرها، وسبق إلى جمع فضائل بغيظ

(216) قى م انتهى بصره ومن خطه نقلت، وبه إصلاح بخط الإمام المحقق أبي عبد الله المسنوي وكتب بظهر آجر ورقه منها ما نصه.

(217) زيادة فى م

(218) زيادة فى م.

جامعها، نهض إلى حفظ مسائل يطرب سامعها [وأثبت الحق لأهله، ونبه على حبازة الشرف في محله، فجزاه الله سبحانه على ما صنع، بجزيل جزائه الأوسع. فقد قام بالواجب، وقضى ديناً كان قضاءه من المتأكد اللازب، ولا غرو فقد كان أحق بتأديته وإظهاره، وأولى بتولي تنويحه وإشهاره، حماية لثورهم الباهر، وغيره من ذوي النسبة على نسبهم الطاهر، والله سبحانه يقيهم للأمانة أمنا، ويجريهم على السنن الأقوم الأنسى. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما انتهى. ومن خطه نقلت. والنسخة المكتوب عليها هذا بخط من ذكر موجودة الآن عند أولاد الشريف الفقيه، الماجد الوجيه، الطيب الأخلاق، الطاهر الاعراق، أبي العلاء مولاي ادريس العرافي الحسنى القاطن بقرن الشاطة من عدوة فاس القرويين] (219).

ومما كتبه الإمام سيدي المهدي الفاسي على الكتاب المذكور: وبعد فقد تصفحت هذا التأليف فألفيته ظاهر الآيات، باهر الآيات (220) قد احتوى على علم جم، وتحرير أتم، وفوائد عجيبة، ونكت وفوائد غريبة. وقد أتى على جميع مقصوده، ووفى بما ذكره من وعوده، (وأثبت من الحق لأهله ما هو ثابت لهم بتأييده بالنقول، ولم يبق بعده لقائل يقدر وجوده ما يقول) [(221) مع ما حواه من بلاغة وفصاحة، وحسن تنميق وملاحة، وأبلغ ترسيل وانساء، واحسانه فيه ما شاء، وما يجد له قارئه وسامعه من عذوبة واستطابة، لإصابته صوب الإصابة، وما تخلله من طلاوة، وكسائه من رونق حلاوة، تستلذه العقول، وتعجز عن أحاده الفحول. ولا عجب بأن يكون على أحسن وصف، وأتقن رصف، وهو نفشة عالم نحير، ذي تحقيق وتحرير، طالماً مارس الأنساب، وجال في طلاب معرفة الأحساب، فمز منها السقيم والصحيح، والدخيل والصریح، وعانى البلاغة فاستمسك منها بأوثق عراها، واستوى على أعلى ذراها. بل كيف لا يكون بديع الوضع، بالغ النهاية في حسن الصنع، تعجز عنه الأمثال، وتقصر عن مراده الأشكال، (ومصدره من شريف إلى شريف)، (222) فهو لا شك مستمد من مشكاة النبوة و أنوارها به تطيف. أما المؤلف فهو سليل الأستاذ الأعظم، والقطب الأفخم، والبحر الخضم، النجم الثاقب، التسيير الأوكل، ومن يدين بذكره وحيه البادي والحاضر، وإلى التمسك به والنعلق بأذباله يبادر، الشيخ أبو محمد عبد القادر (وأما المؤلف له فهو من نسل سلسلة الذهب، ذات البهاء والسناء وذهاب الذكر كل مذهب، وإذا بان هذا وعرف امحى فيه معان وممدود، وميز تميز المقصور من الممدود. فلا تسأل عما يشتمل من حسن

(219) الفقرة الطويلة المكتوبة بين معفوتين مستدركة كذلك من م.

(220) هكذا كررت كلمة الآيات في المخطوطات.

(221) زيادة في م.

(222) زيادة في م.

وإحسان، وإبداع ترصيف وإتقان، مع ما يكسوه من البهاء والنور، وينشأ عنه من الخبرة والسرور. وقد وجد محل أقول واسع المجال، وفتق لسانه بالقول فقال. فبالحقيقة ما هو إلا روضة الأنوار، وحديقة تمار وأزهار، تستنتق منه روائح الورد والنسرین والنبيلوفر والبنفسج والعرار، إلى غيرها من أنواع الرياحن وأزهار الأشجار، فجاءه الله بما جازى به السادة أمثاله وضاعف له إنعامه وإفضاله، بمنه أمين، وكتب عبيد الله تعالى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي، آواه الله من فيء هذه الشجرة السماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، ظلا ظلللا، ورزقه من المحترم بحرمة ما يكون له بالعمرة الأبدية والسعادة السرمدية كفيلا، وأبقى وجودها بركة للعباد، وجيدة ونورا في البلاد، بمنه وفضله، وجوده وطوله، أمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. والحمد لله رب العالمين. انتهى، ومن خطة نقلت [223) وكتب محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي. انتهى.

ومما كتبه الإمام المحقق سيدي الطيب بن سيدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي [ما نص المراد منه: ولقد طالعت هذا التأليف الشريف المسمى بمطلع الإشراف في نسب الشرفاء الواردين من العراق] (224) الذي جمعه عالم الشرفاء، وسربف العلماء، العلامة النحرير، العَلَمُ الشهير، ذو المجد الأثير، والقدر الخطير، أبو المجد سيدي عبد السلام بن السيد الطيب الشريف الحسيني القادري [فألفيته بهجة للناظرين، فتبارك الله أحسن الخالقين. فلقد ساق ذلك النسب الكريم في أحسن مساق، ورتبه ترتيبا تستعذبه الأسماع والأذواق، واحتمل فيه] (225) وجمع فأوعى، وبلغ من التحرير والتحقيق المنتهى، ونشر على بساط معانيه من جواهره الحسان، ونظم من مكنون ألفاظه عقود البواقيت والمرجان، وورص ديباجه بلآلي فوائد تلك المنافب والآثار، وجني من رياض تلك المسحاسن أطيب الأزهار وأحلى الثمار، [وألحق فيه الفروع بالأصول، وأحكم القواعد والفصول، وأيد المطالب بواضح البيّنات ومحرر النقول. فلا غرو إن عرف الحق وأثبتته لذويه] (226) فإنه من أهل البيت وهم أدري بما فيه. وكيف لا وهو في هذا الأمر [ممن] له القدم الراسخ واليد البيضاء، وانه غصن من الشجرة السماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء. انتهى من خطه.

(223) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معفوفتين مسدركة من م.

(224) مستدرك أيضا من م.

(225) زيادة كذلك في م.

(226) مستدرك كذلك من م.

ومما كتبه عليه معاصره الإمام الحافظ أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسطيني [ما نص محل الحاجة منه: هذا وقد طالعت مطلع الإشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق] (227) الذي أنفه الإمام العلامة التحرير، الدراكة الأثير، النسابة الشرف الحسن، سيدي عبد السلام بن الطيب القادري الكيلاني. فوجدته مبنياً على قواعد التحقيق وتحقيق القواعد، مملوءاً بفرائد الفوائد. قد حرر النقول، وأتقن الدلائل والفصول [وروي أحاديث شرفهم عن الثقات، وأسند أخبار فواضلهم عن أثبات، لها منها عليها شواهد، ومتابعات صححة وزوائد، فهي صححة السند، ولا كمسند أحمد] (228) فلتهنأ أبا محمد بمصنفاك الذي أبدعته فأنت بما ليس له مثال، واخترعت فجئت به على أكمل الأحوال، لقد تكلمت فأبلغت، ونقلت فحقت، واستدللت فأفحمت، وأظنيت فأصبت، فسجبت شكر أياديك، بارك الله لنا فيك. انتهى من خطه.

ومما كتبه عليه أيضاً العلامة الصوفي المحقق سيدي الحاج أحمد الجرندي [ما محل المراد منه: وبعد فقد أمرني من لا تسعني مخالفتي، وتعين علي إجابته، أن أتصفح هذا التأليف المكتوب، المحتوي على كل مطلوب ومرغوب، المسمى بمطلع الإشراق المشتمل على نسب ساداتنا الشرفاء الواردين من العراق، تأليف] (229) الإمام، العدة الهام، عكم الأعلام، والمجلى بعلمه عن علم الأنام، غياهب الظلام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب الشريف القادري، قدر الله له مقادير الحسني، وبلغه من فضله ما تمنى، وجعله مثابة للناس وأماناً، ولم يزل مقام إبراهيم حساً ومعنى، إلى أن قال: فلله در مؤلفه من عالم تحرير، موصوف بالتحقيق والتحرير. قد انقاد له العلوم وتوقفت عليه الآراء والفهوم، فتواليقه تستلذها النفوس، ونكزع فتشرب منها بغير كؤوس، وخصوصاً حوضه في الأحساب، وإجالة فكره في معرفة الأنساب، فلا أحد فيها يضاهيه، ولا سير سيره فيها أو مدانيه، ولا يستطيع النسخ على ذلك المنوال، إلا الخواص من فحول الرجال. لقد طالت ممارسته لها، فعلم أصولها وفروعها، وميز منها السقيم والصحيح، والمكني عنها والصريح، فالحق ما شهد به لأهله، وأفشاه بتدوينه ونشره، فأهل مكة أعرف بشعابها، وبطون أوديتها و آكامها. انتهى ومن خطه نقلت.

ومما كتبه عليه القاضي العلامة أبو مدين السوسي شارح السلم وغيره: وكيف لا و مصنفه بحر المعارف الزاخر، وبالاتمء إلى نسبه الباهر تفنخر المفاخر (230) انتهى بخطه.

(227) كذلك مسدرك من م.

(228) م. م. أيضاً.

(229) زيادة في م كذلك

(230) هكذا في م، وهو الأنسب، وكتب معارده قرينة من هذه في ك وس يظهر عليها نصيف

ومما كتبه عليه شبخه العلامة الورع أبو العباس سدي أحمد بن الحاج ما نص المراد منه: وقد قام مؤلفه - رضى الله عنه وبلغه من مامله أدناته و أقصاه - [بحق هؤلاء السادات الكرام، الفضلاء الأعلام، وأبان به من رفع قدرهم ما يبقى على طول الأنام] (231). انتهى من خطه.

ومما كتبه الشيخ سدي محمد ولد الشيخ المرابط الدلاني شارح التسهيل (ما محل الحاجه منه: هذا وقد شرفنى بعض الشرفاء العراقيين، والسراه الحسينيين، بالوقوف على) [232]. التصنيف المحبر، والتألف المعبر، صنعة مولانا الإمام، الحبر الهمام، محلي جبد الدهر من بآلفه وأوضاعه، ومخترعته وإبداعه، مما تنقطع الأطماع دونه، ونود السهب العوالى أن تكونه، المستنّف أسماع المعاني بمنطقى جواهره، والمُروّق أفنان البلاغة بموانق أزاهره، المبدع فى أنواع الإنشاء، اللاعب بأطرافه كيف شاء، وحسد العصر، وعميد المصر، المقابل بالاذعان والانسسلام، أبي محمد عبد السلام، ابن مولانا الطب معنى وحسا، وذاتا ونفسا، الجيلي بلداً، القادري نسبا ومحتدا. لازالت أمامه مسرقة، وأنواء أفضائه مغدقة] (233).

ناهيك به من حير فد عطر السماكن أرجه، وبحر ملاً الخافقن بيجه، فد سحر الألباب نظما، من ورد عذب كوتره لا نظما. فما له من ماهر فد حاك ديباج البراعة فى هذا المصنف وفوق، وقوم فيه أود البيان وثقف، ونظم فيه درر الفصاحة فى أسلاكها، وضّم دراري الأدب فى أفلاكها، واستجلى مخدراتها فأسفرت عن لنامها، وأقتنى إليها يعد فض حنامها، فعذارى المعاني من جمالها سافره، وعيون الأمانى يرواشفها ساحرة. فد انحشرت إليه وجوه البلاغة فحازها، وانحسرت بإشاراته إليها فحقق حقائقها ومجازها. وكيف لا وقد انصر لهذا الجانب الأعلى، والجانب المعلى، الذي هو جربومته، وصرحاء عمومته. لقد وجد - كلاه الله - للمقال مجالا، وألقى لوضعه الشريف ويحره المنف نساء ورجالا، زاحموا التربا بالمناكب، وجاوزوا هامة الجوزا - بالكواكب، الرضعاء من ندى النبوة أليانها، والحائزون من المآثر الأثرة ألباها، فمجرد ذكرهم بنهض بلاغة البلغا، وسنكص رؤوس من كابر الحق منهم وبغا:

كرر على حدسهم يا حادي فحدسهم تطفى لهيب فؤادي

(231) زيادة فى م.

(232) زيادة فى م كذلك.

(233) زيادة أيضا فى م.

[انتهى المراد منه. وقد أطل، وما أعوزه المقال، وقد اقتصرنا على هذا القدر، ففيه ما يتلج الصدر] (234) ومن خطه نقلت.

ومما كتب عليه مفتي فاس وخطيب جامعها الأعظم قاضي فاس العليا العالم الفقيه، النوازي الوجيه، سيدي عبد الواحد بن محمد شهر بأبي عنان [ما نص المحنّاج منه: وبعد فقد من الله عليّ بمطالعة مطلع الإشراف] (235) تأليف الفقيه العلم (236)، الحجّة البالغة والركن المُسنّم، الجامع لأتمتات العلوم، ومالك أزمّة المنشور والمنظوم، الهمام الماهر، والإمام الباهر، شريف العلماء، وعالم الشرفاء، رئيس فوارس الأفلام، أبي محمد مولانا عبد السلام، ابن مولانا الطيب بن مولانا أبي عبد الله محمد الشريف الحسيني الشهير بالقادري خلد الله فخره، وأبقى مدى الأيام ذكره. ولما سرحت فسه الناظر، وأجلت فيه خاطر، وجدته منظراً غربياً، وبحراً عميقاً، ومنزعا عجيباً، وروضا أنيقاً، يزرى بأعجوبات الزمان ومنتزهات الدنيا، وتستحسن منه العين [أجمل] من نهر الأبلّة بلا شك ولا ثنيا:

هو البحر إن حدّثت عن مُحكماته ضعفت عن استيفاء تلك العجائب
وإن رام فكر أن يحسب بوصفه أحاط عليه العجز من كل جانب

[قام فيه مؤلفه بحقوق الشرف، وأزال فيه عن وجه الإصابة الكلف، وأسكن الدآر بانبها، وأعطى الفواس باربها] (237). فله دره من إمام قال الحق وبينه، وجمع ما افترق من شمله ودوئه، وشرح بما فتح الله عليه فيه جميع الصدور، وملاً قلوب المحبين للجناب العلي بأنواع السرور، فزادنا تبينا، وزاد على ما عنده بقنا.

[فيا واقفاً منه على شرح مُشكلٍ أبان له المعنى الذي لم يكن ظهراً
سألتك بالرحمان ثم رسوله ترخّم على من أتعب القلب والبصر
وباخت بالأشباح فسه زمانه أولي العلم بالتنزيل والفقه والأثر
و أبرة للناظرين حدقة مُدبّجة الأرجاء بالنور والزهر

(234) ما بين معرفتين مستدرك من م.

(235) مستدرك من م كذلك.

(236) هذا ما يقتضيه سياق السجع، وفي المخطوطات. العالم، إلا أن يكون الأصل: العالم العلم، فوقع إسقاط.

(237) زيادة في م.

لقد كفاك والله المطالعة، ولمسبق لك إلا الإذعانُ له عند المراجعة [238] فهو من الثقات، والعلماء الأثبات، كشرراً ما صدر منه الاعتناء بهذا النسب الشريف، وأبان فيه الصحيح والسقيم والقوي والضعيف، فأهل مكة أعرف بشعابها، والبعل أدرى بزوجه ولو كانت بنهاياها. انتهى من خطه.

ومما كتب عليه شيخه سدي الشاذلي (239) بن محمد بن أبي بكر الدلائي: [وبعد فيقول أفقر العبيد إلى مولاه محمد بن محمد الشاذلي: قد وقفت على المطنّف العجيب، والمؤلف البديع الصنع الغريب، الموسوم بمطلع الإشراف، في نسب الشرفاء الواردين من العراق، تأليف الإمام الكبير، والجهيد الناقد البصير، صاحب الفلم العالي، والفدم الذي رسخت أناملها على هام المعالي، جامع أشتات الفصائل على التمام، المزبل عن وجوه خبابا العلوم والمعارف النقاب والتمام، مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب الحسن بن القادري، أبغى الله سناه وسناه، ويلغه من مقاصد الدارين غاية أمله ومناه. سرحت الطرف في مراتعه الحسان، وأجلت الفكر في مرابعه المزينة بتعب بؤان، وتاملت ما احتوى عليه من النكت الشريفة والفوائد، وما انطوى عليه من الدرر الثمينة والفرائد، فوجدته نزهة للأبصار، وفرجة أطبارها، روضة غناء فصرت علمها المحاسن، وياكرها الوسمي فسقاها حوداً غير مفسد ولا اسن، وبحر علم سوى أنه عذب المذاق، ويدر تم لا يعترى أضواءه كسوف ولا محاق، ما شئت من تحسب وبتدقيق، وترصيع وتنسيق، ودليل واضح، وبرهان وسبيل لائح، وبيان أصول وقواعد، وتحريير فروع وشواهد، ورياض مانعة موقنة، وحياض نابغة متدفقة. فلقد أبدع مؤلفه وأجاد، وذلل الصعب العويص فانقاد. ورفع عن الناظر في هذا النسب الشريف التعب، وأوقفه عند الحيرة والالتباس على غناه المرام والطلب، وأثبت الحق لأهله بالدليل، وسلك إلى معرفة الصواب نهج السبيل، وأزاح ما يختلج بالخواطر والنفوس، وجدد من أعلام هذا النسب العلي ما يخشى عليه التلاشي والدروس، فأرغم بذلك أنف كل حاسب، وألقم الحجر فم كل كاشح مارد، وأدخل فلوب المحبين من السرور والحبور، ما لا يزال يتجدد على توالي الأعصار وتعاقب الدهور، ولعمري ما فيض اللقاص بحق هذا الوظيف، والصدى لحماية هذا النسب الشريف، ولا أمد بالأقدار والمعونة، ولا نمهد له هذا الأمر الجليل من غير كبر تعب فيه ولا مؤونة، إلا على من له سبحانه به عناية سابقة، وسعاده له بفضل الله تعالى وكرمه في دار الجزاء لا حقة. فقد أتى بما نكص دونه الأكابر والأعسان، ولا دلس أقمع للخصم من المشاهدة والعيان. ولقد قام بأعظم فروض الكفاية والعسن، من أزال عن آل بيت النبوة كل

[238] ما بين معقوفتين في م وحدها

[239] في م هنا: وتقدم ما كتبه عنه سدي الشاذلي عام سبعة فراجعه.

ليس في نسبهم الرفيع ورين. وإنما دافع عن حوزة المسلمين والإسلام، من ذب بلسانه وسنانه عن عترة سد الأنام، فحق على كل من له للدين الحق أنساب، أن يتلقَى بالقبول والتسليم ما يرد عليه من هذا الكتاب. فقد تضافرت على صحته النقول، وتظاهرت فيه الأدلة المسلمة من المعقول والمنقول. وقد كرع مؤلفه من مناهل التحقيق، وسلك لتحصل مرامه كل نقب وطريق، فالفضل منه وإليه، والمحاسن كلها مقصورة عليه. وكيف لا وهو من صريح آل بيت النبوة والرسالة، ومن أهل السادة الشامخة والرفعة والجلالة، الذين منحوا من نصائح الرضوان أوفرها، ومن نفائح العرفان أعظها. وهم عصمة الله وعروته الوثقى، وحبله المنسج الذي من تمسك به لا يضل ولا نسق. جعلنا الله ممن تمسك بأذنانهم الضافسة، وتروى من مناهل حبه العذبة الصافية، بمنه وكرمه امين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتسلم تسليماً [(240)

وبقى علماء آخرون أثنوا على صاحب الترجمة بمثل النناء المذكور، اكتشفنا عن نقل شيء من كلامهم اختصاراً لئلا يفضي ذلك إلى الطول، منهم العلامة القاضي أبو عنمان سعيد بن أبي القاسم العميري، ومالك زمانه أبو محمد الحسن بن رحال، والعالم النبيل أبو عبد الله بن الحسن البوسى، والعلامة إمام المحققين أبو عبد الله المسناوي، والقاضي أبو العباس بن ناجي في آخرين. وقد أنشأ الفقيه الأديب، العالم الصوفي النجيب، أبو عبد الله الطيب بن مسعود المريني مقامة في مدح سدى أحمد بن عبد الله معن. وأثنى فيه على صاحب الترجمة ومدح فيه كتاب المقصد الذي ألفه صاحب الترجمة في سدى أحمد المذكور مطلعها:

[لأمرؤا عليك وما درؤا بالمقصدِ ورأوا سلامى للسلامة مرشد] (241)

ومنها:

لو كان يدرك وصفه مدأحه	طراً لكان أحقهم ذو المقصد
فلقد أتى فيه بما نسبى النهى	ويزيد في إيمان كل مؤحد
ما ان رأى راء له شهياً ولا	راو روى خبراً كهذا المرشد
فيه الفضائل والمكارم جمه	ما حازها في وقتنا من أمجد
نعم الذخيرة والجليل قلم ندع	شوقاً لشخصيتهم أو منجد

(240) افرد م باثبات النص الكامل لما كبه الساذلى اللاتى

(241) زيادة فى م.

العاني ويجلو غممة القلب الصدى
 متعجبياً وانشق شذاها ترشدا
 ورد المعين بحوضه وتورد
 والحوض والروض الأنيق الأبعد
 عبيد السلام القادري الأوحدي
 أسمع من خير صحبح مسند
 بيديع لفظ للجُمُوح مُقْبِد
 أو عز مسقداً الشرى بمهد
 ومن اقتفى سبل المحامد يحمدي
 للخلق مأجوراً ليرم المشهد
 إلا السعيد ومن أتاه تسعد
 هذا هو الكنز الذي لم ينقدي
 عاني وبنفي كل خطب أكد
 وتولها وتحبيرا لم يعهد
 فالشمس ما وضحت لعين الأرمدي
 هذا مناقب فوق كل تعدي

ويانس (242) الصبّ الغربب ونعش
 سرح لحاظك في رياض صفاحه
 وأنح ركب العزم نحت لوائه
 بغنبك عن زهر الربيع وزهوه
 واشكر لجسامعه الموقف سبدي
 ماذا به طيبت يا ابن الطيب ال
 وأقدتنا من كسمياء علومكم
 ما ذب (243) عن كنز وحرز مانع
 وسلكت منهاج التحق للعلا
 لازلت نفاعاً مفيداً ناصحاً
 هذي مواهب ربنا ما نالها
 هذا هو الحسَنُ البدع طرازه
 هذا هو السحر الحلال يروح ال
 ويزيد في القلب المشوق تولعاً
 حلّ الخلي وما اقنضاه رأبه
 هذي نواقب زهراء في الدجاسة

وهي طويلة تزيد على سنين بيتنا. ومن نظم سيدي الطيب المريني المذكور في مدح صاحب الترجمة مع رفع نسبه وفي أخيه (244) محمد العربي المتقدم ذكره في عام سنة (صع مدح أهل البيت ومحبيهم) (245) هذه الفصيذة:

(242) كذا في الأصول، ولعل الصواب : ونزس.
 (243) كذا في م. وهو الأنسب. وفي المخطوطتين الآخرين : ما ناب
 (244) عبارة م: مع رفع نسبه مبتدئا به وأخيه.
 (245) زيادة في م

شرف البرية حب آل محمد
عز الإتمام ودخيرهم وعيماهم
وهم الكرام ذوو المسفاخر والوقا
فاقوا الوجود بهمة ومروءة
ولهم مزايا في الوري مشهورة
هم زينة الدنيا وبهجة حسنها
فسالأرض منهم ذات حसन رائق
تزهو بهم فخراً على شيب السما
فبفضلهم فاز الرجال فبلغوا
لم لا وقد حازوا بئوة من به
خير العباد رسولنا المختار من
من عهد آدم لم يزل في خطوة
مزال عسرفهم الذكي معطراً
ونهاؤهم كالشمس أضحى لائحاً
فبكل قطر حل بعض رجساليهم
ولنا بحمد الله أوفر قسمة
منهم بنو الشيخ العظيم البر عب
قسوم هداة لا يزال حليفهم
أوردت سلسلة الموالى منهم
ورأيت ذكرهم المبارك قربة
خصصت صاحبى ابن عبد الله شيخ
الهمام محمد العري مع
العالمان الفاضلان الخيرا
ابن الفقيه محمد كهف الأنا
ابن السمي محمد بن محمد

أهل المكارم والجناب الأصعد
وملاذهم عند الملم المكيد
والفضل والمجد الصميم السرميد
وتألف وتعطف وتودد
وماثر من غيرهم لم تعهد
وهم مطالع نورها المتجدد
والناس في أمن بهم وتمسهد
فسهم أجل من النجوم الوقد
من فضل مولاهم لأسمى مقصد
شرف الوجود وساد كل مسود
نسب تأثل مجده في السؤدد
وهلم جسر إلى أوان المشهد
لم يحكه أس ولا روض شسد
لم يخف عن كنه ولا عن أرميد
ظهرت به بركاتهم لم تفقد
سعدت بها فاس وكل مؤحد
د القسادر القطب الجليل الأوسد
في منعة بهم وعيش أرغد
عذباً زلاً صافياً للورد
أرجو بها فضل الشفاعة في عمد
خ زماننا وسراجنا المتوقد
علم النهى عبد السلام الأمجد
ن إنا الكريم الطيب المسترشد
م بن الهمام محمد بن محمد
بن محمد الأسمى بن سعد الأسعد

ذاك ابنُ أحمدَ نجلِ أحمدَ شَبَّهَهُ
 ابنِ السَّمِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 ابنِ الهمَّامِ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّيْخِ
 ابنِ المُتَقَرِّبِ قُطَيْبِ الأَقْطَابِ الإمامِ
 مولايَ عبيدِ القادرِ الجبَلانيِّ مَنْ
 ابنِ الرضَى موسى بنِ عبدِ الله نَجِ
 ذاك ابنُ داوودِ بنِ مَسووسَى نَجِ
 ابنِ المُجَلِّ المَحْضِ عبدِ الله نَجِ
 ابنِ الامامِ السَّيِّدِ الحَسَنِ الَّذِي
 ابنِ الامامِ عَلِيِّ وَفَاطِمَةَ الَّتِي
 بنتُ الرسولِ المصطَفَى بحرِ الوفا
 أَزكى الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ ما طال المَدَى
 نجلِ السَّمِيِّ لِذَيْنِ أحمدَ الأحمَدِ
 نجلِ الوليِّ أَبِي المَعَالِي أحمدِ
 إبراهيمَ حَبْرِهِمُ السَّراجِ المُوقَدِ
 مِ الكَامِلِ الطَّوْدِ العَظِيمِ المَفرِدِ
 قَدِ سادَ كُلُّ مُبَجَّلٍ ومُمَجَّدِ
 لِ المَرْتَضَى يحيى سليلِ محمدِ
 لِ عبدِ الله نَجَلِ الجَوْنِ مُوسَى الأَرشَدِ
 لِ السَّيِّدِ الحَسَنِ المِثْلى المَهْتَدِ
 سادِ الوَرَى أعْظَمَ بِهِ مِنْ سَيِّدِ
 جَمَعَتْ شَتَاتِ المَجْدِ دُونَ تَعَدَدِ
 كَنْزِ الصِّفَا خَيْرِ الأَنامِ الأَمْجَدِ
 وَعَلَيْهِمْ أبداً يَروحُ وَيَغْتَدِي (246)

وقد حذف التنوين من اسمين منصرفين وصرف اسماً واحداً فخفضه بالجر، وكلاهما
 مرتكب عند العرب للضرورة كثيراً، وهو من ضروراتهم الخفيفة المستحسنة. ويا - على من
 قوله ابن الامام على غير متددة، سكنها سكوناً ميثاً بنية الوقف وإجراء الوصل مجرى
 الوقف فأس به التظم ونبهنا على بهذا وان كان واضحاً وجهه ثلثاً يضبط على الأصل فيكسر ا
 لوزن والله الموفق. والمراد بابن عبد الله في قوله خصصت صاحبي ابن عبد الله هو سيدي
 أحمد بن عبد الله المتقدم ذكره [(247)].

ومدح صاحب الترجمة أيضاً أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي فقال مجيباً له على
 القطعة السابقة في ترجمته:

(246) هذه القصيدة ساقطة من ك و س ما عدا مطلعها، ومعه هذه العبارة: «وهي مشتملة على سبعة وثلاثين بيتاً».
 (247) هذه الفقرة لا توجد كذلك إلا في م.

يا ابن المطاعم والمطاعم من غدا
والفاتحين لهي لكل منفس
والفاسين الخبير غير ملب»
والمحتمين عن الدنيا عفة
والمحجمين على السفاه عرانسا
شنت سمعي بالأحلا وكسوتني
وأبختني روضاً أربضاً غبماً
وصبختني من خندرس تنائك ال
ونبعن من سلس البيان بما حكي
لا ملفيا منى مكان القول ذا
لكن نجلتي في ضميمرك ما لكم
وظريف ودك صافياً فرأيتني
والفضل عندك في الضمير وإنما
قللت أنت كسخت كل دجنة
وصهرت (248) للمجد الرفيع فأمسكت
ولأنت ذو الفضل الذي لا يمتري

أو من عدا في البأس أو في البوس
والمانحين لهي بكل نفيس
واللأسين الخبير غير لميس
والمتممن إلى الكرام الروس
والمقدمين كزارة العريس
من حلة التقريظ خير لبوس
غيت أجش من الولي عبوس
حلو المذاق بمشروعات كؤوس
غرر الجمان رصينة التسليس
سعة ولا استحصبت غير شئيس
من تالد التطهير والتفديس
بهما أذا فضل علي حيس
جود الفتى أبدأ بما في الكيس
بضياء أقمار علت وشموس
كفضاك منه عنان كل شموس
ففيه وإنك للكريم التوس

فقوله المطاعم جمع مطعام وهو كثير الأضياف، يصف بذلك صاحب الترجمة بالوجود والكرم، والمطاعم بالنون جمع مطعان ومطعن وهو كثير الطعن بصفه بالإقدام على الأمور المحدودة. وقوله كزارة - بالهمزة - فعلة من الزنير. والعريس الأسد، وأراد أن يصف آباء صاحب الترجمة بالإحجام عن السفاه بفتح أوله وهو خفة العقل ولو كنوا عرانسا إذ الخلوة مع العروس مظنة ذلك. ويصفهم أيضا بالإقدام في محل الإقدام ولهم هيبه بذلك ولو بمجرد نطفهم كسان الأسود إذا زار لا يستطيع من بقابلها فضلا عن فتكها. فالإحجام والإقدام من المقابلة. وقوله غبما غيث: غب الغيث عاقبته وغب كل شيء بالكسر هو عاقبته وما زائدة. وأجش من جشت الأرض إذا التفت نباتها، والولي المطر المتكرر، أي الذي ينزل مرة بعد

(248) كذا في م. وفي ك و س. و ع ط و

مرة. وعبوس يفتح أوله صفة لغت والسُّلْسُ: الخيط الذي ينظم فيه الحزْزُ، وورصننه - بالراء والصاد، ويجوز إبدال الصاد زياً فمشناه تحتة بعدها نون فهاء التأنبث - : فعيلة من الرصانه وهي الإِتقان بمعنَى مفعولة، والتسلس: الترضيع والتأليف في الحلّي خاصة لأنه محله، والشُّمس: الأرض التي تثبت، والشُّموس - بفتح أوله - : الفرس المانع الظهر، والنُّوس: الطبيعة، وباقي ألفاظ الأبيات ظاهر.

وممن أنبى عليه، في حكاية عن صاحب الترجمة، الشيخ الأدب العالم الصوفي أبو العباس أحمد بن عبد الحى الحلبي الشافعي في كتابه ربحانة القلوب فيما للشخ عبد الله البرنوي من أسرار الغيوب مانصه: أخبرني الفقيه المشارك الأصولي البساني الجامع بين غرائب العلوم والفهوم الناظم النائر الحسنى الفادري السيد عبد السلام بن السيد المبارك المرحوم السيد الطيب بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد بن السيد محمد (249) بن السيد أبي الخيرات سعد بن السد أحمد بن السيد الصالح أبي العباس أحمد بن السيد أحمد بن الشيخ العارف المحقق القدوة أبي عبد الله محمد بن السيد أبي الحسن علي بن النسخ الفقيه الصالح الزاهد سف الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الناسك الورع أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام العالم الصالح سراج الدين أبي اسحاق ابراهيم بن شيخ المشايخ وقطب الأقطاب مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله بهم. ودارهم بفاس شهيرة، وهي دار جلاله وحسب وبركة وحرمة قديما وحدينا. قال: لما كنت في عنفوان الشباب والصباه وهيشني مناسبة للصباه ولباسي كذلك فجئت ذات يوم إلى زاوية الشيخ ابن عبد اله بالمخفصة وأردت زيارة الشيخ قاسم الخصاصي، فاجتمعت بأهل الزاوية وجلست معهم، فلم أر منهم تعظيما لي وتوفيرا كعادتي مع غيرهم، فقلت في نفسي: هؤلاء عامه أجلال لا يعرفون حقي [أو كهذا القول] (250) ووجدت عليهم في نفسي ثم قلت لهم: أستاذنوا لي الشيخ للزيارة وكان مريضا لا يخرج إذ ذاك.

قال فأذن لي في الدخول علمه فسلمت علمه وجلست بين يديه فسأل عنى فعرف بي ففرح بي. ثم قال لي الشيخ عبد الرحمان إن بعض الطلبة ممن توغل في علم الكلام وكان يحقر العامة، وكان الشيخ عبد الرحمان بغله في العلم والدلائل ويفحمه إذا تكلم، فقال له: لا تحقر العامة إذا حقروك. قال فهتمت وأنا بين يديه أنه كشف ما في ظني وما قلت في سري. ثم قلت له ادع الله لي ياسيدي أن يرزقني محبة رسول الله صلى لله عليه وسلم قال، فاضطرب الشيخ وهاج واحمرت وجناته وضح ضجيجا عظيما وقال: أتسأل المحبة ولولا سبق

(249) في م وبس سنة من الأعداد المحمدين.

(250) زيادة في م،

محبة الله تعالى لك ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم لما بلغت هذا الحال حتى خلقت مومنا من أمته، وزيادة على ذلك فإن كنت من ذريته صلى الله عليه وسلم فأبي محبة لك؟ ليس لك محبة، فأعرف قدر محبة الله لك، ولا تنسب لنفسك محبته. وامرأاد بالشيخ عبدالرحمان هو العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد أفاسي انتهى من نسخة بخط العلامة المحقق سيدي أحمد بن علي الوجاري الأندلسي.

قلت: وهذا أمر عظيم مبن أن صاحب الترجمة مصرح بأنه من المحبوبين عند الله وعند رسول. وقد ظهر عليه مصداق ذلك، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً إن شاء الله، وبين له بأنه من ذريته صلى الله عليه وسلم. وقد كان الأكابر يطلبون ذلك، منهم إمام الطريقة وبحر الحقيقة مولانا عبد السلام بن منييش الشريف الحسنى فقال: و الحقنى بنسبه، وحقنى بحسبه. والشيخ قاسم الخصاصي من أهل الأحوال والمكاشفات، وأخباره المذكوره في الإلماع لسيدي المهدي الفاسي، والمقصد لصاحب الترجمة، وفي تأليف لي فبه سميته بالزهر الباسم.

ومن بديع صنع صاحب الترجمة جوابه عن سؤال ورد لفاس من العلامة الحافظ المشارك المدرس المحقق الصوفى الصالح البركة أبى الحسن سيدي الحاج على بن محمد بركة الأندلسي النطاوني دفينها، يطلب من صاحب الترجمة الجواب عن خمس مسائل، ونص السؤال بعد الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: سيدي - رضي اله عنكم وأدام بقاءكم - جوابكم عن مسائل: الأولى قوله صلى لله عليه وسلم وَضَع رَبِّي يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْ فُوجِدْتُ بُرْدًا أَنَامِلُهُ مَا بَيْنَ تَدْيِي هَلْ ثَبِتَ؟ وعلى ثبوته فما تأويله؟ الثانية قوله صلى الله عليه وسلم: حُجُوا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تُنْبِتَ فِي الْبَادِيَةِ شَجْرَةً فَلَا تَأْكُلُ مِنْهُ دَابَّةٌ إِلَّا نَاقَتٌ. هل هذا لفظه؟ وما المراد به؟ الثالثة قبل إنه ثبت عن سيدي عبد الكرم المراكشى أنه قرئ بين يديه خبر حُبِّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ فقال لأصحابه: وأنا أقول لكم حبُّ الآخرة رأسُ كل خطيئة. فبلغ ذلك الشيخ سدي عبد الله الغزواني فقال: وأنا أقول لكم حبُّ الله رأسُ كل خطيئة. ما محل هذا الكلام على ثبوته سيما من ذلك الشيخ؟ وما وجه زيادة الشيخين المذكورين على ما في الخبر؟ الرابعة قول أبى زيد البسطامي: كنت من الزاهدين فى الله. ما معنى هذا الزهد الذي أشار إليه؟ الخامسة قول بعض العارفين لو عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل. ما معناها؟ فأجاب عن جميعها وقرر كلا من المسائل أى تقريراً، وحررها أنتم نحرير، أطل في فيه نحو كراستين من الرباعى، ولما اطلع على ذلك الجواب الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي كتب بآخر ورقة منه ما نصه: الحمد لله. تصفحت هذه الأحوية المرفقة

فألقيتها قد قرطت (251) سهامها ونشرت بالنصر أعلامها، وتبين لدى الإنصاف انمامها وإبرامها. فالله سبحانه بجزي منشئها جزاء من أحسن، ويضاعف له ثواب من عمل فأتقن. قال هذا وكتبه عبد الله تعالى الفقير إلى رحمته محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له انتهي.

وجميع من أدركته من الأعيان وأشاخنا ممن أدرك صاحب الترجمة كان يبالي بالثناء عليه بالعلم، ويصفونه بالتحقيق والزهد والسخاء حتى كان هذا من الضروري عندهم. مما حكاه لنا بعض أشياخنا ممن كان بلازم مجلسه في تدريسه أنه كان ربما أبطأ عن المجلس حتى يمضي نصف الوقت أو أكثر، فيقبل ويجلس على الكرسي ويغص عليه المجلس بأعيان طلبية الوقت فيقرأ نحو خمسين بيتاً من الألفية قراءة التحقيق والتدقق، ويأتي من النقول بما يبهز العقول، بسعه الوقت لذلك مع تخلفه عن قدر كثر. كان يصدر منه ذلك لحوائج بعض الناس حيث بتعلقون به، فلا يضره إبطاؤه لحسن نيته، فيفهم ذلك من حضر، فانتفعوا به أتم النفع، وكساه الله الحسن والهبة والمحبة من جميع الناس، وقد قبل:

وجهٌ عليه من الحياء مهابةً ومودةٌ تجرى مع الأنفاس
وإذا أحبَّ الله يوماً عبدهً ألقى عليه محبةً للناس.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أحبَّ الله العبدَ نادى جبريلُ إنَّ اللهَ يُحبُّ فلاناً فأحبهُ فيحبهُ جبريلُ فنادى في أهلِ السماءِ إنَّ اللهَ يُحبُّ فلاناً فأحبوهُ فيحبهُ أهلُ السماءِ ثمَّ يوضعُ له القبولُ في الأرضِ). وكان صاحب الترجمة المرجع في العلوم في وقته مع وجود أشياخه وغيرهم، منها النحو والبيان والمنطق والأصول وعلم الكلام، واعترف له بذلك أشياخه وتلامذته وأقرانه، قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي في شرحه على منظومة صاحب الترجمة المسماة بالجواهر المنطقية المسمى بالزواهر الألفية ما نصه بعد أن ذكر التعريف به وبنسبه والثناء عليه: وأخذ عنه - يعني صاحب الترجمة - جماعة من الشيوخ، منهم فريد العصر، والمآثر التي لا يدركها الحصر، شيخنا أبو العباس سيدي أحمد الحبيب بن محمد السجلماسي، قال بعد أن وصفه بأوصاف كثيرة: حدثني سيدنا أحمد المذكور أنه لما ابتدأ على الناظم - يعني صاحب الترجمة - قراءة الرسالة الشمسية للكاتبى قرر له الناظم كلام السعد في أول شرحه لها تقريراً بدعاً انتفى به ما ينوهم من ظاهر الكلام من جربه على أصول الفلاسفة الواهية، ومتابعتهم في ضلالتهم المتناهية. وأثنى سيدنا علي الناظم بجودة الفهم، وقوة العارضة في النشر والنظم.

(251) كذا في ك. وفي س: فرست. ولا يظهر لهما معنى.

وكم مثلها للناظم معجزة لسبب بها من سنس المجادة أسبغة وافرة (كذا) (252) .

وله في أصناف شتى من العلوم تصانيف مفيدة ما بين منشور ومنظوم، وقد وقفت على جملة منها، كلها في غاية التحقيق والإفادة شكر الله مسعاه، وكساه حلة الرضوان في منابه ورفعه انتهى. وقد حذفت منه ما يفضي إلى الطول. وهذا النظم من تأليفه النبي لم يقف عليها الوزير المذكور فلذلك لم يذكرها، وله أيضا نظم في السير شرحه العلامة المدرس أبو عبد الله مولاي محمد العراقي. ولم يعدّه أيضا أبو العباس الوزير. وله أحكام المعروف من أحكام الظروف، ونقبيد في سرورة الإخلاص. والتماس البركة بالتعريف بالحاج علي بركة. ومنظوم في وصف أهل القادسية. وما ذكر من التأليف كلها كملت وأخرجت من مبيعتها في حياته وشاعت في سائر بلاد المغرب، ووصل بعضها بغداد وهو الدر السنّي. ومن تأليفه التي لم تكمل نزهة النادي في أهل القرن الحادي. والحكم المنسوق والروض وغير ذلك. وله مقيدات كثيرة وأجوبة وانظام موجودة بخطه الآن. وأما الدر السنّي فسبب تصنيفه له أن شرفاء فاس ذهبوا للعهد مع أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف الحسيني السجلماسي بمكناسة الزيتون، ومن جملتهم صاحب الترجمة علي العادة في ذلك والعرف التجاري مع سلاطين المغرب، فصادفوا العلامة النبيل، القاضي الجليل، أبا مروان عبد المالك التاجموعتي بالحضرة السلطانية، فسألهم بمحضر السلطان عن عدة أولاد مولانا إدريس باني فاس ومن أعقب منهم وأن هو مستفهم. وكان السؤال للأداسة منهم فلم يجدوا جوابا لجهلهم بذلك وعدم معرفتهم به، فأخجلهم ذلك وأعاب عليهم. فلما رجعوا إلى فاس ألحوا على صاحب الترجمة في تأليف مفيد فيمن وقف عليه من الأداسة فأطلعوه على ما بأيديهم، فاطلع بسبب ذلك على ما بأبدي شرفاء فاس وغيرها مع ما كان له من المهارة في علم النسب مطلقا، فألف الدر السنّي جمع فيه جماعة من مشاهير أشراف فاس، وبين فيه الحجة والدلائل حتى قيل إنه لم يؤلف في هذا الفن أحسن صناعة منه، وكان جمعه له في زمن الرباء الكبير، فخاف الأشراف أن يموتوا ويتركوا أولادهم صبيانا صغاراً لا يتحققون معرفة أنسابهم، فألحوا عليه في الطلب فأجابهم لذلك وألفه فأمنوا مما كانوا يخافون عليه.

وأما نظمه المسمى بالإشراف عن نسب الأقطاب الأربعة الأشراف فسبب نظمه له أنه وقع سؤال من بعض الطلب لآخرين عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي والشيخ ابن سليمان الجزولي، فقال بعضهم إنه لا حظ لهما في النسب النبوي وأقسموا على ذلك، وقال البعض إن

(252) هكذا في المخطوطين ولعله بيت منظوم وقع فيه تصحيف.

الشاذلي شريف ثم اختلفوا هل هو حسني أم حسيني ثم اتفقوا على سؤال صاحب الترجمة عنهما، فسأله فأخبرهم بصحة الأمر وبالخلاف الذي وقع في نسب الشاذلي وبالصحيح من الخلاف، ونظم لهم النظم المذكور.

ورحل صاحب الترجمة لسوس الأقصى (253) رجاء فتنة وقعت وعرضت أن نخمد أو تضحل فما زادت إلا قوة، فلما أيس من خمودها رجع إلى فاس بعد أن غاب عنها نحو عام ونصف، فمرض عقب دخوله لفاس بنحو اثني عشر يوماً، وتوفى - رحمه الله - صبح يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة اثني عشر ألف [ودفن خارج باب الفتوح قرب قبة سيدي أحمد اليعني من فاس رحم الله الجميع] (254)، وكانت ولادته وقت صلاة الجمعة العاشر من رمضان عام ثمانية وخمسين وألف، فعمره خمسون سنة وستة أشهر وثلاثة أيام. ورمز لوفاته ابن عم جده الأديب الفقيه أبو العباس أحمد بن الفقيه العدل الوراق عبد القادر القادري الحسني من تذييله من قصدته التاريخية بأول كلمة من هذا البيت:

بَشُقُّ عَلَى الْأَقْوَامِ مَوْتُ إِمَامِهِمْ كَعَبِيدِ السَّلَامِ الْقَادِرِ الْمَبِجَلِ

قال شيخنا علامة الزمان أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي (255) في شرحه على الجواهر المنطقية لصاحب الترجمة ما نصه: وقد أرخت وفاته بقولي (أظلم الدهر) معتبرا لام التعريف بحسب أصلها قبل الادغام مُلغَباً همزة الأداة لوجوب سقوطها في الدرج، وضمنت ذلك بيتاً مع الرمز لمدة عمره ومنها يعرف تاريخ ميلاده بقولي طما، فقلت:

لموت الرضّي عبد السلام بن طيب وقد كان قاموساً طما أظلم الدهر
فكم زقاً للأفكار أيكار حكمة عرائس ما غسر الجنان لها مهر
عليه من الرحمان صوب تحفة تفيض على مغنّاه من سيله نهر (256)

(253) هنا طرطان في هامش ك و س تينان سبب خروج المترجم إلى سوس عبارات مجله أوفاهما ما في ك. ونصها: «رحل إلى سوس لما وصل خروج مولاي محمد بن مولاي اسماعيل على والده المذكور، وكان قرأ عليه، أرسله إليه مولاي اسماعيل ليرده عما عزم، فسار إليه وردّه فلم يساعفه في ذلك، وزادت قوته وعظم تنوكه ودعا لنفسه وما عود، إلى أن كان من أمره ما كان. فلما أيس منه أسرع في الرجوع إلى فاس قبل إيقاع القتال بينهما انتهى» (254) زيادة في ط.

(255) في المخطوطتين: القبلاي.

(256) هذه الترجمة المطولة في المخطوطات الثلاث لجد المؤلف عبد السلام بن الطبيب القادري اقتصرت في ط في ثلاث صفحات فقط.

محمد بن حمدون الشَّديدُ

ومنهم الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن حمدون الشَّديدُ - بكسر الدال وسكون الثاني بينهما مثناة تحتية مكبراً - (257). قرأ على سيدي محمد وأجاز له سائر مروياته التي تضمنتها فهرسة ولده سيدي الطيب حسبما ذكر فيها. وكان صاحب الترجمة من فقهاء فاس المعنبرين، وعدولها المرضيين. وموضع درسه للرسالة بالمستودع الذي عن يسار الداخل من باب الكتبيين (258). توفي رحمه الله - في ربيع الثاني عام عشرة ومائة وألف (259)

محمد بن المهدي اللخمي (حَاظُ رُوْحُو)

ومنهم الفقيه النحوي المقرئ الصالح البركة أبو عبد الله سيدي محمد بن المهدي اللخمي الشهير بحاظ روحو. كان خيراً ديناً.

توفي في رمضان معام عشرة ومائة وألف (260)

حوادث السنة

الأمر بتمليك أعيان فاس واستشفاعهم للسلطان

وفي ثاني عشر من المحرم من عام عشرة ومائة وألف جاء القائد عبد الله الروسي بالأمر بتمليك أعيان فاس.

وفي ثامن عشر منه اجتمع المرابطون والفقهاء مع القائد عبد الله الروسي بالقرويين وأجمعوا رأيهم على أن يشاوروا السلطان مستشفعين له في ذلك.

وفي الثاني والعشرين من الشهر نفسه جاء أهل فاس لبعض فضلاء السادات الفاسيين وطلبوا منه أن يخرج إلى مكناسة الزيتون ليشفع لهم عند السلطان وصنعت له محفة لذهب فيها من كبر سنه، ومن الغد عزم على الخروج فصد عنه.

257) هنا في هامش ك و من طرة نصها: احترز به من أن يُتوهم أنه من عقب الشديدي الذي عرف به ابن الخطيب في الإحاطة

258) هنا أيضا في هامش المحطوطتين طرة: «بل أزاله الرئيس القائد محمد الصغار المتولى فاس القرويين لحفيده العدل السيد حمدون بن أحمد بن حمدون صاحب الترجمة، وصرفه للفقيه العلامة المحقق الفهامة سيدي عبد الكريم بن علي البازغي عام 1175 هـ وفيها خلل.

259) هذه الترجمة ساقطة من ط.

260) سقطت هذه الترجمة أيضا من ط.

زام الحراطين بفاس ثم العفو عنهم

وشرع القائد عبد الله في زمام الحراطين. وفي رابع عشر ربيع الأول النبوي من العام جاء العفو عن الحراطين.

توبيخ فقهاء فاس على مسألة الحراطين والأحرار

وفي سادس عشر من جمادى الأولى من العام بعث السلطان مولانا إسماعيل بكتاب إلى فاس يوبخ الفقهاء فيه على مسألة الحراطين. وفي الرابع والعشرين من الشهر نفسه قام القائد عبد الله الروسي بكتاب من عند السلطان بتوبيخ الفقهاء على عدم موافقتهم لتمليك الأحرار، وجمع أعيان المدينة وقرئت عليهم بزاوية القلقلبيين. وفي ثاني جمادى الثانية من العام وصلت لفاس براءة من عند السلطان أيضا بمدح العامة وذم الفقهاء. (261)

تذکر المحسنين

عبد السلام بن الطيب القادري

العلامة الأشهر الضابط الأكبر الشريف سيدي عبد السلام القادري الحسنی شقيق مولاي العربي المذكور عام ستة قبله.

العشرة الثانية من القرن الحادي عشر العام الأول مها

محمد بن يوسف العباشي

فمنهم الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد بن يوسف العباشي، ولد عمّ الشيخ أبي سالم ومشاركه (262) في جميع شيوخه. كان فقيها عالما أدبياً رائق الخط، وأخذ عن أبي سالم وسندي عبد القادر بن علي الفاسي [وحج] (263) وولي قضاء بلده ودرس بها وبفاس. قال في المنح البادية: سمعت (264) عليه أوائل الصحيحين، والمسلسل بالأولسة، وسورة الصف [وغير ذلك، وأجازني في ذلك وكتب لي بخطه] (265).

توفي ببلده سنة إحدى عشرة ومائة وألف.

الحسين بن محمد القواس

ومنهم الولي الصالح الشهير، المجذوب الكبير، أبو محمد الحسين (266) بن محمد شهر بالقواس [بوزن دراك] (267) من أهل فاس. كانت تتوارد عليه أحوال (268) وكان أولاً بخدم شرطاً ثم غلب عليه الحال. [وأشتهر وكان له أصحاب وأتباع، ولم يزل يتبرك به مقصوداً للزيارة] (269).

توفي سنة إحدى عشرة ومائة وألف، ودفن بداره بالفلفليين، فصارت زاوية عليه بعد ذلك معظمة من مزارات فاس. وكان مشهوداً له بالخصوصية من صلحاء فاس في وقته. وحكى أن سيدي أحمد بن عبد الله كان يسوق الرصيف من فاس القرويين فأبصر صاحب الترجمة فرجع من الطريق إلى طريق أخرى على رحبة الزبيب على عقبة العيون إلى داره وهو يقول: طريق السلامة ولو دارت. وكان سيدي أحمد بن عبد الله ينهى عن مقارنة المجذوبين

(262) في المخطوطين: «ومساركا له» وقد كتبنا على معتضى القواعد، لأن هذه الجملة ساقطة من ط.

(263) ساقط من ط.

(264) صحف في ك فكسب. وسمع.

(265) ساقط من ط.

(266) صحف في صلب المخطوطتين فكتب فيهما: «الحسن» كما كتب في س: القواس - بالصاد - وفي هامتها بالجمرة . «سيدي حساين القواس» ويظهر أن هذا هو النطق التعبى الصحيح.

(267) زيادة في ط

(268) زيادة في ك وس.

(269) زيادة في ك وس أيضاً.

ويقول إنهم يكسرون ولا يحبرون، يعنى أنهم لا يصلحون لتربية المرابين وبخشي منهم أمور،
ولهم فى ذلك حكايات. وقد أنشئ على صاحب الترجمة أبو عبد الله المدرع فى منظومته
يقوله:

والسيد الغائبُ فى الشهود	مُؤلَّهُ فى المَلِكِ المعسبود
الهائمُ المتسِيمُ الحيرانُ	الشائقُ المهَيِّمُ السكرانُ
حُسَبِنُ القَوَّاسُ ذو الكرامة	والفائضُ الراموشُ قُلْ أمامه

وتأتى ترجمة الراموش وكلاهما من المجازب (270).

(270) القسم الأخير من هذه الترجمة كتب مختصراً فى ط.

العام الثاني من العشرة الثانية

عبد الله حَسُو

فمنهم الولي الصالح سيدي عبد الله حَسُو - بحاء مهملة فسين مشددة مضمومة بإشباع حركاتها - (271)، قال أبو العباس أحمد بن أبي عسرية الفاسي في رحلته: من أصحاب الشيخ أبي القاسم بن اللوشة. كان صالحا ملامتيا ذا جذب وأحوال. أحد الأكواش الذين هم حامدون بولاية الحق سبحانه، كنير التواضع والامتحان والصبحر على حمل المصائب، يحترف بقطع أحجار الرحا ويتقوّت منها، وبنى قبة وهي التي دفن بها بسده، وله كرامات وأحوال تدل على صدق حاله مع الله تعالى. توفي سنة اثني عشرة ومائة وألف (272).

(271) كذب في س: حَسُو - بغيرين معجمه - ولعله تصحيف.

(272) اخضرت ترجمة حسو في منظر ونصف في ط.

العام الثالث من العشرة الثانية

أحمد بن محمد البمني

فمنهم الإمام الخسر الهمام الواصل، الولي الكامل، العارف بالله تعالى الصديق الشهري الفقيه العلامة الشريف أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الولي الجليل أبي عبد الله سيدي محمد بن الشيخ العارف الكبير الولي الشهرسي أبي العلاء إدريس الشريف شهر باليمنى. قال العلامة أحمد بن يعقوب الولاى فى كتابه مباحث الأنوار فى حق صاحب الترجمة ما نصه: [أصله - رضى الله عنه - من اليمن، من شرفاء النبوع (273)، وقد صحح غير واحد أنه من ذرية الولي الكبير الشيخ عبد القادر الجيلاني] (273م) وكان لأهله ملك و إمارة فى بلدهم. وقد أخبرني من خالطه أنه فُتح عليه بما رفض به أهله وما لهم من الوجاهة وساح فى الدنيا كما وقع لإبراهيم بن أدهم [وقد أخبرني من خالطه أنه لقي الخضر فى أول سياحته] (274) وقال فى المقصد: وسيدي أحمد اليمنى شريف النسب، أصيل الحساب، له سلف فى الخصوصية، إلا أنه لا بشيخ نسبه بل لا بذكره، وصرح لبعض الأصحاب أنه ترك ذلك الله. وهو من قرية يعال لها مهلكو - بفنجات وتسديد الهاء - بن أريجي - بفتح الهمزة وسكون الراء - وكسر الموحدة والجيم ثم منناة تحنية - وبين ستر - بضم السين وفتح النون المشددة وراء - مدننتان بصحراء بين أعالي صعيد مصر وبلاد السودان، بينما نحو عشرين يوماً. بستة بيت ولاية وصلاح. بذكراته من ذرية سيدنا عبد القادر الجيلاني. انتهى. ثم قال بعد: ووصفه بالشرف والولاية والعرفان الشيخ الكبير المجذوب أبو حفص عمر ولد شيخه سيدي عبد الله البرنوي. ولجده بأرضه مزارة كبيرة شهيرة وولاه، ولأبيه وأخيه ولاية.

(273) هنا فى هامش كل من ك و س طره نص الأولى:

«رأيت ترجمة صاحب الترجمة بخط إدريس بن علال القادري الحسينى ونسبه فقال: الشريف القادري الحسينى. وسحب من مؤلف هذا الكتاب أنه من عقب الشيخ داود ابن عبد الوهاب بن عبد القادر بن موسى الجلابى الحسينى دفين بغداد، وأورد هذا المذهب فى الميزان فى الضعفاء وابن حجر فى اللسان وأخبرني شحنا مولاي حمدون بن محمد الطاهر الشريف الحوطى أن الشيخ ابن رجال المعداني أخبره أنه سأل صاحب الترجمة عن نسبه فقال له وكان ولده سيدي محمد حاضرا. أو حدك هذا الشريف؟ فقال له لا ولكن من سليل مضر. وسبب سؤاله له أنه سمع أصحابه يسبونه للمسرف فسأله بمحضهم وحدثنى الساحر السقاط قال لى لما حججنا فى هذا العام وحج معنا سيدي أحمد بن محمد بن سيدي أحمد المسمى، يعنى صاحب الترجمة، فاجتمعنا بمن حج من أهل العراق نمكة. فسألهم سيدي أحمد على نسبه وعن أهله فعرفوا أهله وعرفوا حدك صاحب الترجمة فأخبروه أن أهله شرفاء معظمون عندهم ببلده، ولم يجد منهم من يحفظ وقع عمود نسبه فى ذلك العام، وهو الخامس من ولاية سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي اسماعيل الشريف الحسينى السحلماسى.»

ونص طره س

«نسبه للشرف عمر واحد. وقال سيدي حمدون بن محمد الطاهري إن الفقيه سيدي الحسن بن رجال لما سمع بالانساب أتى إليه فوجد معه ولده فقال: ولذلك هذا من سليل الحسن أو الحسين؟ فقال: لا بل من سليل مضر هـ. ويمكن أن يكون قال له ذلك قبل أن يطلع على حفيفة الشرف وبعد ذلك اطلع. وبالجملة فترفعهم صحيح لا سيما وقد رأنا تأليف ذكر برفهم وظواهر بأيديهم قدمه هـ كذلک.»

(273م) ما بين معقوفين ساقط من ط

(274) ساقط من ط أيضا.

وأخبر أن خروجه من بلاده كان سنة خمس وسبعين - بتقديم السنن - وألف، وجال في الأقطار برسم الحج ولقى المشايخ، وأتى على بلاد السودان، وأتى على سجلماسة وأقام بها، ودخل فاسا في اليوم الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة نسح - بتقديم المثناه - وسبعين - بتقديم السنن - يعني بعد ألف، وأقام يوم دخوله فاسا بجامع القرويين إذ لم يعرفه إذ ذاك أحد، ومن القعد أسكنه بصفلية مسجد الأبارين القاضي أبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي من غير أن يطلب منه ذلك. ويقى بها إلى أن تزوج في ذى القعدة سنة تسعين - بمثناه - وألف، وسكن بالمخفية من عدوة فاس الأندلس. وخرج من فاس لزبارة شيخه سيدي عبد الله البرنوي ببرنو من بلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان سنة اثنتين وتسعين - بمثناه - وألف. ثم رجع لفاس أواسط ربيع الأول سنة أربع وتسعين - بمثناه - وألف، كما قيده سيدي المهدي الفاسي ومن خطه نقلت، فوجد شيخه المذكور نوفي.

قال في مباحث الأنوار: ثم أطلع الله تعالى الشيخ السمني بأن أظهره للخلق إطلاع البدر فوق الأفق، فأضأت به أركان ظلمات هذا المغرب، فلم يبق عالم ولا شريف ولا عامي إلا عرفه وتوسل به، وله من أحوال التوكل وسقوط خوف الخلق وهم الرزق ما بهر العقول، وله من الأخلاق السنسة وحسن المعاملة ومعاشرة الخلق ما يشهد بسببه على صحة حاله المعقول والمنقول، وله داربة حسنة في علم الفقه، فكان يخالط مختصر خليل، وتوضيحه، والمدونة. وله تصرف في أحوال الخلق تصرفاً ظاهراً مع شدة تستره، وإشارات بادية في حال الكنف فتظهر كما أشار إليها، فترى الناس بشكون إليه أمر دينهم ودنياهم ولا يتفصل عنه أحد إلا وقد فُرج عنه من بركته، إما بدفع ما خاف وإما بتقويه على ما نزل. وترى أصحابه يزدادون في معاني اليقين والتقوى. وأنا أشار إلى بأمور فوفعت كما أخبر، وفرج الله تعالى عني أموراً ببقائه - رضى الله عنه - (أو أطال عمره للمسلمين. وقد زاره يوماً رزجل يشكو بعض الولاية وانه كلفه أن يدخل في جملة الجيش ويغزو مع الجيش بعض بلاد المسلمين، فلما رآه صادقاً في الرغبة عما كلف به قال له: لعلك لاتفعل ما أمرك به، فقال له والله يا سدي لأفعلن: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن أمرك به، فقال له والله يا سدي لأفعلن: فقال له إن كنت تفعله فاذهب لمن أمرك بالدخول في الرماة ليعطيك كل ما تحتاج إليه الرماة ويكمل عليك ما كلفك به، فقال له يا سدي ومن هذا أقر، فقال له ألم تقل إنك تفعل ما أمرك به؟ فقال له نعم، فقال لم أر ما يصلح بك إلا هذا. فأذعن ذلك الرجل وذهب ليدخل في الرماة الجيشية ويطلب كل ما يحتاج إليه، فلما تمثل بين يدي متولي أمر الجيش قال له: ما تريد؟ قال أنا من جملة من قُدمت في الرماة فأعطوني راتبي ومكحلتني والبارود والرصاص لأتها. فتأمل فيه ذلك الوالي فأبد له الله تعالى بين عينيه، فرأى نفي الأهلية عنه، فسبه وسب من قسده في الرماة فقال اذهب لسبيلك فلست أهلاً لهذا، فرجع ذلك الرجل فرحاً، فقال له يا

سدي عافاني الله من هذا الذي نزل وقصّ عليه الخير، فقال الشيخ أحمد - رضي الله عنه -
تستراً: أنا ما أمرتك إلا تكمل لهم الغرض. فانظر هذا التصريف.

وأخبرني بعض التفقات من علماء فاس أنه عقد على امرأة ولم يكن عنده ما يقوم به
أمرها، فشكا إليه ذلك فقال له اذهب بين المغرب والعشاء إلى مولانا ادرس وزره. قال
ففعلت، قال ولم أشعر أن ألقى إليّ رجل أربعين مثقالاً حينئذ فبقيت متحيراً في ذلك الأمر،
وكفتني في مؤونة المرأة. وأخبرني هذا البعض أيضاً أن عندهم امرأة خطبها بعض الناس فأبوا
أن يزوجه، فسُحرت فمُرِضت، وتقوى ظننا أن ذلك الخاطب هو الساحر. قال فشكوت إلى
الشيخ أحمد السني أمرها فكأنه رأى أنه هو الساحر وأن مرضها من سحره. قال فقال لي
وأبن ذلك الرجل؟ هذا زمان ما رأيته. فبقيت لحظة من الزمان معه، فإذا ذلك الرجل داخل،
فسلم عليه فقال له: يا سيدي إنا على الباب الفلاني من المدينة نريد الخروج لحاجة، فإذا
قلبي كأنه مجذوب لأراك فلم أستطع أن أخطو خطوة حتى أراك فرجعت إليك. فلما فرغ من
الكلام مع الشيخ قال له الشيخ: ألا تتقي الله تعالى في هذه المسكينة؟ قال: فتاب إلى الله
نعالي من أمرها، فعوفيت لحينها، ووقائعها في هذا المعنى أكثر من أن تحصى.

وقد مرض لي مريض يوماً شديداً، فلما رأى ما بي من شدة الاهتمام بأمره رحمني
فقال لي صراحة وأنا حينئذ كالأيس من ذلك المريض: لا تخف عليه فإنه يبرأ بإذن الله
تعالى، فكان الأمر كذلك بحمد الله تعالى. وقد كنت خطبت بنت الشيخ العلامة الحسن بن
مسعود اليوسي، وكانت بعض العوارض تعرض في تزويجها، فكنت أتردد هل يكمل أمرها
أم لا؟ ثم توفي بعض أقاربها فأرسلت ولد أخينا لينوب عني في تعزيتهم، وأمرته أن يلقي
بعد التعزية الشيخ أحمد اليمني، فلما عزّاهم لقيه فقال له متبسماً: قل لعمك لم لم يأت
لتعزية أصهاره؟ فلما رجع ولد أخي قلت له وما قال الشيخ: فاستحى مني فتبسّم، ثم قلت
له تكلم ولا تستحي، فأخبرني بأنه قال لم لم يأت لتعزية أصهاره؟ فقلت له سيكونون أصهاراً
إذا قال الشيخ أحمد ذلك، فكان الأمر كذلك بإذن الله، وقد أخبرني قبل ذلك أنني أسكن
مكناسة على حال معين، وكان عندي ذلك كالمحال، فوقع الأمر كما أخبر، جعل الله عاقبة
ذلك خيراً (275).

وبالجملة، إنك لا تلقي من عاشره إلا أخيرك بكرامة عنه من مكاشفة أو كشف كرب
أو جلب نفع. وقد أشار إليّ يوماً أنه ربما كشف له عن جميع ما يقع في الوجود، ثم ستر ذلك
عنه. وهذا حال القطب المحمدي. وأماً أمره في علم الغلوب فيبحر لا تكدره الدلاء، فلا تتكلم

(275) سافط من ط أيضاً.

معه في فن من الفنون في ذلك العلم إلا بهرك وأراك من نفسك ما عرفت به قدرك بلا مطالعة ولا ملازمة تدريس ولا كتاب، بل بالبصيرة الواضحة، والحالة الراجعة. وأما أمره في الصبر فجبل لا تحركه الرياح، وطود لا تجانبه (276) الأشباح. وتصيبه الأمراض الشاقة فلا تؤثر فيه جزعا، وكثيراً ما نُؤذَى من قبل الخلق فيدفع بالتي هي أحسن مرارا ومسمعا (كذا) فلا يزداد مع الإذابة إلا صبراً، ولا مع الجفاء إلا حلماً سرّاً وجهراً، وتراه يتستّر بمعاشرة الخلق وبالخوض معهم حيهما خاضوا طول نهارهم لا يتخذ عنهم خلوة ولا ستر، ولا يزيده ذلك إلا مهابة من بينهم، وإلا محبة فيه وطموحا لأعينهم. وبالجملته مآثر كمال حال العبودية فيه كالمنار على علم، وعلامة الولاية الكبرى عله أظهر من ظهور الورد في تميزه. انتهى. وأما أمره في تصاريف القلوب فأمر عجيب، وسمعت شخنا العلامة الأتور، البحر الزاخر الأبهري، سيدي الكبير بن محمد السرغيني يحكى عن سيدنا أحمد اليمنى أنه قال يوماً بعد أن دخل فاساً: ما عليّ منهُ لأحد من صالحى فاس إلا لسبدي محمد بن عباد، معنى أنه دخلها مرئياً مؤدباً مهذباً محصلاً لكل مقام من مقامات الطريقة لا يحتاج إلى أحد في تربية ولا انتفاع ولا حصل له من أحد نفع سوى ابن عباد أى من مطالعة كتبه (وكان شيخنا المذكور إذا حكى ذلك ربما قال: وسيدي أحمد اليمنى فوق ذلك) (277).

وفي المقصد أن سيدي أحمد اليمنى من أجلة الزمان، وأكابر الأعيان، ومن أهل الرسوخ والعرفان، شهد له سيدي أحمد بن عبد الله معن بالخصوصة الكاملة والبصيرة التامة، وزهده وورعه وكمال اتباعه للسنة المحمدية وكرم أخلاقه أدل دليل على ذلك. وقد أخبرنى هو عن نفسه بما يؤذن بعظيم المعرفة وحال الجذب، فقال يوماً لصاحبنا السيد الصالح الثقة الصدوق أبى عبد الله محمد بن محمد الدريج التطاوني - حفظه الله - وقد تكلم معه فى شأن الخواطر التي تعترى لإنسان ولا يمكنه الانفكاك عنها حتى الخصوص من الخلق، ولا ينجو منها إلا من كان غائباً في شهود الذات العلية. قال وقد وقعت لي تلك الغيبة مرة فبقيت هائماً لا أشعر بشي، يوماً وليلة، ثم اصصحبت مع ذلك واستأنست به ولم تبق الغيبة على ظاهر انتهى. ولما حدث بذلك العالم الفاضل المبارك الأنور سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي استعظمه وقال: هذا التصريح بالعرفان، وصار بعد ذلك إذا كتب اسمه عبّر عنه بالعارف الكامل الراسخ، وهو من رجال التصريف، له الكرامات الكثيرة، والأفاعيل الكبيرة، مع الكشف القوي والفراسة النيرة، يظهر كل ذلك عليه، إذا تنكر لأحد ظهر عليه أثر الخسران مكانه، وإذا أضرب به أحد أهلكمة الله لحبته. وقد قال يوماً لبعض

(276) فى المحطوطنين «صرد». وبعدها فى ك: «لا تجانبه». وفى س: لا توازنه. والعبارة كلها ساقطة من ط.
(277) زيادة فى ط.

الموالبين له: إني إذا أذاني أحد ففاضت عيناى أهلكه الله لا محالة، ولما أنهى هذا البعض هذه المقالة لسيدى أحمد بن عبد الله معن قال: أما أنا فلست كذلك، بل على العكس، فإني إذا أذاني أحد وضحكت أخذه الله، وهذا البكاء والضحك منهما حالان غير اختياريين، ولذا نشأ عنهما ما نشأ، وهو - رضي الله عنه - من المجردين عن الأسباب الواقفين بالباب، ممن أوتي في التوكل قوة، وصار فيه علما وقدوة. وقد صرح مراراً بأن أمرين كليهما لا يهمانه أبداً، وهما هم الرزق وخوف الخلق. وله همم سامية، وإشارة في الطريق عالية، وهو على ما منحه الله من العلوم اللدنية يتعاطى قراءة العلم، ويعتني بدقائق الفهم، يفوم على محتصر خليل يعلمه بعض الطلبة من أصحابه، له درس منه كل يوم أحضره أنا لهذا العهد وأقرؤه عليه. وقد أمدني بإقائه للطلبة فأخذت في هذا الوقت في تدرسه ووجدت ببركته تيسيراً.

لقي عدداً كثيراً من المشايخ الكمال، وفحول الرجال، وأخذ عنهم وانتفع بهم نفعاً تاماً بذكرهم لها في كثير من الأحيان ويذكر أخبارهم، والمشايخ الذين أخذ عنهم منهم سيدى دفع الله العراكي وهو عمدته وعلى يده فتح له وإليه ينتسب، والشيخ أبو محمد عبد الله البرناوي الحميري، والشيخ أحمد الصادق، والشيخ فارس السنان، وتقدمت تراجم جميعهم، ولقي صاحب الترجمة الخضر كما تقدم، وكان يعرف اسم الله الأعظم، وهو قادري الطريقة كما صرح به مراراً.

وقد طاف أي صاحب الترجمة في البلاد وجال في الأقطار برسم لقاء المشايخ، وحج البيت الحرام، ودخل في بلاد السودان وأطال فيها التردد، ثم قدم على سبجلماسة وأقام بها مدة، فحصل لشرفائها به معرفته أكيدة ومودة عظيمة، كلهم مطبفون على محبته وتعظيمه، ووفد على فاس فدخلها في اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة تسع - بتقدم المئنة - وسبعين - بتقديم السين - وألف كما تقدم انتهى من المقصد.

وفيه أيضاً: من عظيم فتوحاته - يعنى سيدى أحمد بن عبد معن - ما هو عليه من معاملته، يعنى لصاحب الترجمة، ومرافقته إياه بأنواع المبرة والإكرام، والإجلال والإعظام، والقبام به ووصة أصحابه وعظم أدبه معه وحسن معاشرته ومواخاته له في الله ومودته وإشاره على نفسه في كل شيء، من الأشياء. فقد كان أولاً سيدى أحمد البمني بجامع الأبارين من حارة قيس من عدوة فاس القرويين بأوى بصقلية منها، وهى الني فوق السقابة من صحن الجامع المذكور، فقد كان سيدى أحمد بن عبد الله معن يرسل إليه ما يحتاجه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويتخسر له من أنواع الأطعمة جدها وأرفعها، ويقسمه من كل شيء حتى الأواني الصغار ولا نجد عنده منها إلا أبدعها وأحسنها، ويتعاهد أموره كلها، ويسنعمل له الأدوية والأشربة إذا مرض ويباشرها بيده، وربما فصد له في درعه بيده لأنه يحسن ذلك،

وببادر إلى الأمر الذي فهمَ عنه إرادته ولا يتركه ينمى لشيء، ويشفع فيمن نعلق به عند ولاية فاس مراسلة ولا يُحوجه إلى مراسلتهم، ويواسى أصحابه بأنواع المواساة كلها، فيكسو عاربيهم، ويشبع جائعهم، ويدافع عنهم من أراد ضيمهم، ويغار عليهم، ويجهد في نصحهم وإيصال الخير إليهم، وإذا خرج لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش - رضى الله عنه - وغيره من المشايخ خرجا معا في رفقة واحدة استصحب معه ليطعمهم الطعام وبركبه أعد له مركوباً وفرقا وأمر له بتسخين الماء الساخن ولا يغفل عنه في السفر كله وببالغ في إكرامه وتوقيره واحترامه، ويرفع بأصحابه بأكلون معه فلا يحتاجون إلى زاد في سائر أسفارهم.

ولما كثر اعتراء الأمراض، له أعني سيدي أحمد اليميني، حتى إنها في بعض الأحيان تُلزمه الفراش أياما طويلة، ورأى سيدنا أحمد (محتاجاً) إلى من مباشر له بعض ضرورياته عرض عليه التزويج ونديه إليه فأجابته لذلك: فنهض إذ ذاك سدي أحمد لتحصيل هذا المطلوب وإمضائه، فظهر له بمفتضى نظره السديد، ورأيه الحميد، وبحسب ما يلين بهذا السيد المبارك المجيد، أن يخطب له ابنة الولي الصالح، ذي الكشف الواضح، الخاشع أبي مروان سيدي عبد الملك بن محمد الغمري - بالمعجزة - دفين أكدل من بلاد غمارة على نصف مرحلة من فاس، لكونها من بيت صلاح وديانة، وعفاف وصيانة، ومن لا يعرف عوائد هذه البلدة أعني فاساً وتكاليقها من أهل بادية لا يترفعون ولا يترفهون. فذهب إلى بلاد غمارة خاطباً لها من أخيها السيد الفاضل أبي العباس أحمد بن سيدي عبد الملك المذكور، وهو من أصحاب سيدي أحمد، واستصحب معه جماعة من بعض معارفه الشرفاء والفقهاء والقراء والطلبة، كنت أنا وأخي فيهم، ووفد بهم على أخي المخطوبة المذكورة بمنزله، ففرح بقلبيهم وأكرم مشاومهم وأجل رتبتهم ولبى دعوتهم وسر بهم وبما جاؤوا إليه رغبة في جانب الله سبحانه، وعظم عليه الفرح بمصاهرة هذا السيد المبارك، وبمباشرة سيدي أحمد لذلك، ففقدوا النكاح حينئذ على صداق قدره خمسمائة أوقية وأمة من وسط الرقب. وكنت أنا وأخي الشاهدين على ذلك كله، وتولى سيدنا أحمد - على عادته - القيام بجميع ذلك ونقد الصداق المذكور المعجل منه كله من ماله، ثم اشترى الأمة المشتترطة من أفضل الرقيق أحسن مما اشترطوا بعد تحربه فيها وتحقق أنها سبت كافرة لبصح تملكها شرعاً بتمن قدره أربعمائة أوقية قديمة تنقص منقالبين. وكان بعض من حضر الخطبة يريد أن يكون الصداق أقل من ذلك ويحرص على الفرق فيه، فقال سيدنا أحمد: الذي عندي أن المنسوب إلى الله لا يرفق به في نحو هذا لأنه لا يبرى الإنفاق من ماله إنما يراه من مال الله ومن عنده، ثم قام بجميع ما بعد ذلك من المؤمن مما يجهز به العرس من قبل الزوج وما يحتاجه الزوج من اللباس وحوائج الدار وأوانيها ووظيفة العرس، وصنع وليمة عظيمة بدار سيدي قاسم قبل البناء بيوم وحشد بها من الضعفاء والغرباء والطلبة والمسافرين ما لا يكاد بعد وأطعمهم

التريد واللحم والعسل، وظل الناس يومهم بجيئون ويذهبون، ترجع طائفة وتأتي أخرى، وكثير من الناس أنها دون دعاء نعرضاً للبركة. وأعد له البناء داراً أخرى مجاورة لحفدة أخته أولاد ابن الفقيه وأسكنه بها، وحعل نفق عليه ويقيم داره من كل ما تحتاج إليه من قمح وإدام وعسل وغير ذلك، يجعل ذلك كله بدار سيدي أحمد البمنى معداً منى احتاجه أو غشيه الأضياف وجده يرسل إليه زيادة على ذلك ما يكفيه من الطعام المطبوخ كل يوم، ويقم أصحابه وأضيافه وأعد لهم داراً يبسون بها، ويبعث لهم من الطعام المطبوخ غذاً وعشاء قدر مؤنتهم وكفابتهم بالغبن ما بلغوا، وكثيراً ما يفضل عنهم الطعام فيلتمسون من بأكله، إذ من شأنه أن لا يرجع ما خرج من داره إليها، هذا مع ما علم من شدة هذا الوقت وغلاء الزرع فيه حيث يباع المد (278) فيه بأوفيتين فأزيد، وحال هذه البلدة وصعوبة المؤنة فيها دائماً، وبقي يعاهد أمورهم ويسعى في قضاء حوائجهم لا يغفل عنهم في شيء من الأشياء، وبقي سيدي أحمد البمنى على ما كان عليه لا تنصدي لأمر ولا يعرج على شيء، مشتغلاً بعبادته، مقبلاً على شأنه، مجموع العلب على مولاه. وقد راوده بعض أهل فاس لما سمعوا بتزويجه أن شتروا له داراً بإزائهم لسكن بها فأبى عليهم وامتنع من قبول منتهم واختار مجاورة سيدي أحمد وإرفاقه ومرافقته لما بينهما من المواخاة في الله تعالى. وقد قال مرة إن سيدي أحمد بن عبد الله لا يقدر أحد أن برد عليه شيئاً، وإن رده خاف على نفسه، لأن ماله لله وفي الله، فمن دفعه خشى ما ينزل به من عقوبة الله. وقال في موضع آخر وقد ظهر من القسام بوظيفة ومعرفة حقه ما لسيدي أحمد من الفتوة والإينار، بل ما له من الحرية عن الاغيار، إذ الحرية مطعمها (كذا) كما قال الغشيري في خدمة الفقراء. وفي الخبر أوحى الله إلى داوود: إذا رأيت لى طالباً فكن له خادماً. وعن يحيى بن معاذ: أبناء الدنيا يخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة يخدمهم الأحرار، وفي الحديث سيد القوم خادهم. وأمر هذين السيدين في مواخاتهما وكمال حالهما واتفاق سيرتهما واتحاد نظرهما من أعاجيب الزمان، وكذا أخوة كل واحد منهما في الله وغناؤه به إعطاء وأخذاً. وما أمرهما في ذلك إلا كما اتفق لبعض أهل الله مع بعضهم قال له: خذ لك، فقال له الآخر آخذه لا منك، وكان كل منهما بالله ولله كما كان هذان السيدان في كل أمورهما انتهى.

ولصاحب الترجمة كرامات لا تحصى، وخوارق لا تستقصى. قال عم والدنا محمد العربي بن الطيب القادري في تفسد له ومن خطه نقلت: ومن كرامات الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد البمنى أنه ذهب مرة إلى زيارة الشيخ أبي شعيب الزموري شيخ أبي يعزى، وكان مولعا بزيارته وشنى عليه كنسراً وبشهاد له بالقوة، وكان بخير أنه براه يقظة وتحدث

(278) هنا في هامش ك طرة نصها: «كان في هذا الوقت المد من صاع ونصف نبوي».

معه. فذهب مرة إلى زيارته وذلك سنة إحدى وتسعين وألف، فلما أتى ضريحه فُتح له القبر المبارك وتبدي له سيدي أبو شعيب وجعل يتحدث معه، فبينما هو كذلك إذ خرج من القبر شيء بشبه النور أو غيره وصار ممتدا في الأرض، فنظرا إليه الشيخ أبو العباس البمني وأراد أن يتبعه ببصره لينظر أين بذهب، فقال له الشيخ أبو شعيب لا تنظر إليه فإن من نظر إلى ذلك مات، فقال الشيخ النمي ما ذلك بأسيدي؟ فقال له إن تلك السكينة ذهبت لتزِيل الهلع من قلوب الناس والسعر يبقى على حاله لا يزيد، وكان قد حدث حينئذ غلاء في ذلك الوقت، وبلغ مد القمح فيه ثلاث أواق، فكان الأمر كما قال ووقع كما أخبر. وكان الناس بعد فيه مطمئنين مذعنين ساكنين لم يقع في قلوبهم هلع، ولم يحصل لهم فزع، حسبما شوهد من حالهم، وتحدثوا بذلك، ولم يعلموا ما هنالك، وتعجبوا من ذلك كسراً لعدم اعتمادهم ذلك في الغلاء وبقوا على حالتهم تلك إلى أن انقضت، وذهب ومضى. أخبرني بذلك صاحبنا أبو عبد الله الدريج عن الشيخ البمني وكان حاضراً معه في تلك الزبارة وأنه سمع ذلك منه انتهى.

وقال أيضا، حدثني من أتى به من الإخوان، من أهل الذوق والضبط والإتقان، أن الشيخ أبا العباس البمني زار مرة سيدي أبا بعزى بتاغيا، فلما جاء لبسلم على سيدي أحمد بن عبد الله في الزاوية بالمخضفة فجلسا معا بها، قال وجلست بإزائهما قريبا منهما، فسهدت الشيخ البمني وقد كُسى من الحسن ما بجل عن الصفة ويقصر عن التعبير عنه كل لسان، وحلي من الجمال ما يذهل العقول، ولا يخبر عنه مَقُول، وألبس من البهاء النوراني، والسر الرباني، ما يبهير العقول والألباب، يفنن به من كذلك رآه، ويملك حبه وهواه، فقال فذهب عقلي وكدت أغيب عن نفسي، وأخرج عن دائرة حسي. فقال فشاهدت فيه ما كنت أشاهد في سيدي أحمد بن عبد الله، فجعلت أقول وأنا على تلك الحالة سرّاً: لا، لا، لا، ابن عبد الله، يعني سيدي أحمد، أي لا أريد ذلك ولا أحبه ولا أقبله ولا أريد إلا ابن عبد الله ولا أريد سواه، ومازلت أكرر ذلك المرة بعد المرة وبقيت كذلك مدة وهما جالسان يتحدثان حتى اعتدل الحال وذهب ذلك عني وشاهدت في سيدي أحمد بن عبد الله ما كنت أشاهده فيه قبل. قال فحمدت الله كثيرا الذي أتقذني من ذلك وصرف عني تلك المهالك، وتذكرت حينئذ قول سيدي أحمد ابن عبد الله إن الشيخ قد يختير بعض أصحابه فمتجلى له في صفة شيخ آخر فينظر هل سميل معه ويتبعه ويسرك صاحبه أم لا امتحاناً له، فسبحان الحافظ لعباده المومنين، وكان ذلك قبل سنة تسعين وألف حيث كان الشيخ البمني قاطنا بجامع الأبارين.

قلت: وهذا من شأن إدراك أرباب القلوب. قال أبو العباس المرسي: لو كشف عن نور الولي لعبده فمن أراد الله نفعه بولي أطلعه على نورانيته، وعلى ما منحه من سره وعنايته. جعلنا الله من أهل حرمتهم، ومن علينا بمعرفتهم، آمين (279)

(279) هذه الرحمة المطولة لأحمد السمي مفولة من المخطوطات. وقد اختصرت في صفحة وبصف في ط.

الطيب بن محمد الفاسي

ومنهم الإمام العلامة الدراكة المشارك المحصل المحقق المتعن أبو عبد الله محمد الطيب بن سيدي محمد بن سدي عبد القادر الفاسي (280). تقدمت ترجمته جده، وقأتى إن شاء الله ترجمة والده، كان صاحب الترجمة من أهل الحفظ والتحقيق والإتقان، له الباع فى الفقه والحديث والأصول والبيان والتصوف والتاريخ، وله إقدام فى حل المشكلات والمعضلات، والجد فى التدريس والحرص على بيان الحق. ووجهه أمر المومنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسنى مع ولده لبث الكتائب وأحد الحلفاء بعد والده أمير المومنين مولانا عبد المالك بن مولانا إسماعيل المذكور، وجهه صحبة ولده المذكور للمهادنة مع الترك فى حدود عام ثلاثة ومائة وألف إلى الجزائر بعد وقعة المشارع، ووجهه أيضا مع مولاي عبد المالك المذكور الفقيه المشارك المؤرخ أبا عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي وغيرهما من وجوه الدولة، فرحل مولاي عبد المالك بن مولاي إسماعيل من فاس بريد الجزائر، فبلغ خبره لوالى الجزائر فخرج فى عسكره إلى حدود البلاد وسفك الدماء وأكثر من القتل، فوصل الخبر إلى مولاي عبد المالك فرجع لأنه لم بأمره والده بالقتال فيعاقبه والده على ذلك حتى لم بأمره به، فرجع إلى والده. وكان وصل الخبر إلى فاس أنهم قتلوا فى القتال مع صاحب الجزائر، وصادف الخبر يوم عاشوراء، فبقى الإنفاق بفاس كله ملغى لم يُبع لكثرة ما اعترى الناس من الوجد والغبار عليهم. سم من الغد ورد الخبر بسلامتهم وأنهم وصلوا تازة، ففرح الناس بذلك وأعادوا الإنفاق إلى الحوانيت كيوم عاشوراء ونفذ الإنفاق وحمد الله الناس على سلامتهم.

(وزعموا أن صاحب الترجمة لما رأى عوارض المحن فى وفته زار مولاي إدريس دفسن زرهون وتوسل لله تعالى أن يعفوه، وكان بريد الذهاب لزيارة مولانا عبد السلام بن مستبس فى ذلك، فأخذه وجع منعه من المرور إليه، فرجع من مولانا إدريس فاستجاب الله دعاه فوصلوه لفاس مريضا ومات. ومثل هذا وقع لجماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى فإنه لما عرضت له الفتن التى لا يسلم معها دنه قال: اللهم اصطفى إليك ضاف على الأرض بما رحبت، ففُض - رحمه الله - وبعده طلب أبو العباس ابن الحاج مثل ذلك من صالحى باب الجسمة) (281).

(280) هنا فى هامش ك و س طرة: ه بولى صاحب الترجمة الكتابة عند مولاي عبد المالك بن مولاي إسماعيل فعظم أهل سبه بذلك.

(281) ماسن معوفتين ساقط من ط

أخذ صاحب الترجمة عن جماعة من الأعلام، منهم جده سيدي عبد القادر، وولده سيدي محمد (وعمه الحافظ أبو زيد سيدي عبد الرحمان، وأبو العباس ابن الحاج) (282) وأبو سالم العياشي وأجازه، وأجاز له أيضا الشيخ الخرخشي. وله من النأليف شرح على مقدمة جده في الأصول، وجمع فهرسة والده في مرويات سيدنا الوالد، وهو مقبذ في يابه. وشرح في تاريخ المائة الحادية وسماه مطمح النظر وبلغ فيه إلى السنة الثالثة عشرة (فخم ترجمه جده سيدي يوسف ولم تتفق له زيادة عن ذلك حسبما رأته بخطه فلم يكمله) (283) وله تقييد عديدة وأجوبة. وأخذ عنه خلائق وتخرج به أئمة.

ولد - رضي الله عنه - سنة أربع وستين أو ثمان وستين وألف.

وتوفي ليلة الخميس تاسع عشر ربيع الثاني عام ثلاثة وعشر ومائة وألف ودفن بزاوية جده للأم العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين وراء جده للأب سيدي عبد القادر الفاسي (284).

محمد بن الحسن الأبار

ومنهم الفقيه العدل الأرضي أبو عبد الله محمد بن الحسن الأبار. كان فقيها له معرفة تامة بالفرائض، وله ملكة في علم الحساب، من المقصودين لذلك بفاس. أخذ عن عمه أبي العباس حمدون الأبار، وعن أبي عبد الله ميارة شارح العاصمية والمرشد، وعن سيدي عبد القادر الفاسي، وعن والده سيدي محمد. وكان له مجلس يدرس فيه، وشرح فرائض خليل، وله براعة في التوثيق، وشهرة في الشهود المنتصبين بفاس لتلقي الشهادات.

قلت: وتحمل الشهادة كان حرفة كثير من أكابر الفقهاء قديما ولا يرتضى لها إلا من ترضي فطنته وديانته، فكان الاسم طبق المسمى. ثم حدث فيها في هذه الأزمنة من التهاون والإخلال بالواجب ما أدى إلى تعطيل شروطها، وصار يتخللها من كان لا يطمع في لمس مروطها. كما قيل:

(282) سادط أيضا من ط.

رياده في ط.

(283) زيادة في ط

(284) هنا هامش ك طره نصها.

أم سيدي الطيب بنت حالة الكاتب سدي أحمد بن العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي. وأم والده سيدي محمد بن عبد القادر العاسي بنت العارف بالله سيد عبد الرحمان المذكور. فمن ثم ورتوا زاوية سيدي عبد الرحمان بالعلقليين وبنت عبد الرحمان العارفي بالله المذكور زوجة سيدي عبد القادر المذكور هي أم ولده الحافظ سيدي عبد الرحمان ناظم العلمات أيضا وكذلك تزوج ابنه سيدي أحمد بنت عمه سيدي محمد سمسمة سيدي الطيب المذكور ومات بحاه بعلمها سيدي أحمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر. انظر الفريضة التي باعوا بها دار الروسي التي يدرب واد الشرايا من القلقليين، وهي الثالثة عن اليمين في الدرب المذكور، اشتراها ابن يحيى، وأخذ القادريون حقه في المرات ممن ذكر.

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفلسٍ
وقال آخر:

تلك المكارمُ لا لعبانٍ من لبنٍ شيبا بما، فعادا بعدُ أبوالاً

ولما زوج ولده الإمام سيدي أحمد بن يحيى الونشريسي مؤلف المعيار، وهو الإمام أبو مالك سيدي عبد الواحد، أطلق له القاضي المكناسي تحمل الشهادة وقال لأبيه هذه هدبتى للعريس، وهذه الخطة عندي عزيزة فمن طلبها مني كمن خطب عندي ابنتي. وما كان في شهود فاس في مثل هذه الأزمنة إلا الأكابر، كالامام ابن غازي، وابن هارون، والزقاق، وأضرابهم ممن لا أحصيه، وكان الاعتناء بها قديما أشد من ذلك، فقد حكى في أول السفر الثاني من كتاب نفع الطب أن أهل فرطية كانوا لا يقدمون أحداً للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول وتُعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في غالب الحال خوفاً من أن بميل به الفقر إلى الطمع فما في أيدي الناس فيبيع به حقوق الدين. ولقد أخبرت أن الحكم الرضي أراد تقديم شخص من الفقهاء مختص به للشهادة فأخذ في ذلك مع يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وغيرهم من أعلام العلماء فعالوا له هو أهل ولكنه سدد الفقر، ومن يكون في هذه الحالة لا نأمنه على حقوق المسلمين، ولا سيما وأنت تريد انتصابه وظهوره في الدخول في المواريت والوصايا وأشباه ذلك، فسكت ولم ير منازعتهم وبقي مهموماً من كونهم لم يقبلوا قوله. فنظر إليه ولده عبد الرحمان الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه أثر ذلك فقال له: مالك بامولانا؟ فقال: ألا ترى لهؤلاء الذين تقدمهم ونوه عند الناس مكانهم حتى إذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه تنطط بل لا بعينهم وليس هو ممأ برزأهم شيئاً صدونا عنه وغلقوا أبواب الشفاعة، وذكر له ما كان منهم. فقال له يا مولاي أنت أولى بالإنصاف، إن هؤلاء ما قدمتهم أنت ولا نوهت بهم، وإنما قدمهم ونوه بهم علمهم، أو كنت تأخذ جهالاً فتضعهم في مواضعهم؟ قال: فأنصفهم فيما نعبوا فيه من العلم لبنالوا لذة الدنيا وراحة الآخرة، قال صدقت. قال: وأما كونهم لم يقبلوا هذا الرجل لشدة فقره فالعلاج في ذلك ما بمى لك في الصالحات ذكرا. قال: وما هو؟ قال تعطيه من مالك قدر ما ملحق به من الغنى ما يؤهله لتلك المنزلة ويزيل عنك هذا خجل ردهم لك ويكون هذا مكرمة ماسبق إليها أحد، فتهلل وجه الحكم وقال: إلی وإلی واللہ شنتنہ عبشمبہ وإن الذي قال فينا لصادق:

وأبناء أملاك خضارم سادةً صغبرهم عند الأنام كبير (285)

ثم استدعى عبد الملك بن حبيب وسأله عن قدر ما يؤهله لتلك المرتبة من الغنى فذكر له عدداً فأمر له به في الحين، ونوه بقدره بأن أعطاه من اصطبله مركوباً. وكانت هذه أكرامة لاخفاء بعضهم. بقي الزمان وما بنته مخلد. ثم إنه إذا كان له من الغنى ما يكفيه عن أموال الناس، ومن الدين ما يصدّه عن محارم الله، ومن العلم ما لا يجهل التصرف به في الشريعة، أياحوا له الفتوى والشهادة، وجعلوا علامة لذلك بين الناس القلائس والرداء. انتهى (286).

توفى - رحمه الله - سنة ثلاث عشرة و مائة وألف، ودفن عند رأس الولي الشهير سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين أحد أبواب مدينة فاس الأندلس.

أحمد ميارة المدعو حدّ

ومنهم الفقيه العدل الأرصي أبو العباس المدعو (حدّ) (287) ابن أبي عبد الله (بن الشيخ) (288) محمد ميارة شارح المرشد وغيره، وتقدمت ترجمته. (كان صاحب الترجمة من وجوه عدول فاس القرويين ممن لهم فيه شهرة. توفي سنة ثلاث عشرة ومائة وألف) (289).

حسن بن علي العجيمي

ومنهم الشيخ المشارك في العلوم الشرعية، المبرز في الأدواق الصوفية، أبو علي حسن بن علي بن يحيى بن عمر العجيمي (بالتصغير - المكي) (290) الحنفي.

قال في الرحلة العيانية: شاب نشأ في عبادة الله، وجبل على محاسن الشيخ من صغره، وأعانتته العناية الإلهية على اكتساب ما فاته منها في كبره. صحب من أدرك من

(285) هنا بهامس ط طرة نصها: هذا الست من قصيدة على دير هشام بن عبد الملك بن مروان أولها

أما منزلاً بالدّير أصبح حالاً تَلَعَبَ فِيسِه شَمَالُ وَدَبُورُ

وعد البيت المذكور:

إذا لبسوا أدراعتهم معابسُ وإن لبسوا بيجاينهم فبدورُ
على أنهم يوم اللعاب ضراعمُ وأنهم يوم التوال بحسورُ

(286) هذه الفقرة الطويلة المكسوبة بس معوفتين ساقطة من المخطوطات. مستندة من ط.

(287) ساقطة من ك.

(288) ساقطة من ط.

(289) زيادة من ك و س.

(290) زيادة في ط.

مساويح الحرميين وانتفع بصحبتهم، وخدمهم فنال المقام الأعلى بخدمتهم، وأجل من انتفع بصحبته، وتشرف بخدمته، عارف وقته، وواحد عصره، غوت الزمان شبخنا صفى الدين القشاشى. صحبه مدة مديدة، وسمعه وتلقى واكتسب منه مراتب عديدة، ونرقت منزلته لديه، حتى صار يعد من جملة من ينتسب إليه، وانتفع به في علوم كثره، وأذواق غزيرة، ككثر زيارته، وبمثثل إشارته، ويتردد إليه من مكة مراراً، ويقدمه على نفسه إعلاناً وإسراءاً، ويلازم مجلسه بالمدينة شهوراً، إلى أن صار بين أصحابه علما مشهوراً. أذن له - على ما أخبرني به - بالاشتغال بعلم الأسماء والجداول وأسرار الحروف والدعوات وخواص الأذكار وسائر العلوم التي لم يزل المشايخ يتواصلون على إخفائها، ويحذرون الطلبة من الاشتغال بها، وقال له إن فيك أهلية لذلك، ومثلك من يرجى له خيرها ولا بخشى عليه ضررها، فكان له بركة يد طولى مع حسن الهدى والسمت، وكنت ربما أنكرت عليه الاشتغال في طلبها، وأحذره من استعمالها، إلى أن أخبرني بإذن الشيخ فقلت إنه ملحوظ بالعبادة فسلمت له. ومع سلوكه طريق القوم لم يخل من الاشتغال بالعلوم الظاهرة سيما علم رواية الحديث، فقد جد فيه كل الجد، وبلغ في الاعتناء به غابة الحد. فأخذ عن شيخه الصفي وأجازه بسائر مروياته عن سائر شيوخه، ولازم شخنا أبا مهدي عيسى الثعالبي فسمع منه الكثير وروى عنه غالب مروياته. ولا يقدم أحد من علماء الآفاق على الحرميين إلا جد في لغائه والأخذ عنه، ورزق في ذلك سعادة واقبالاً من المشايخ، ما رآه أحد إلا أحبه، ولا خالطه إلا ملأت مودته قلبه، فكثرت بذلك مروياته، واتسعت مسموعاته. وقد استجازني مراراً وسمع مني كثيراً وقيد من أساندي ما احتجاج إليه.

وقال في موضع آخر: ومن من الله على بمخالطته ومصاحبته، وأسدي إلى من بره وإحسانه ما عجزت عن مكافأته، خليلنا الأصفي، وحبينا الأوقى، أبسط من لقيته من أهل مكة كفا، وأبر من اتخذته إفا، الظريف الناسك العفيف، انظر تمامه (291). وله رسالة بحث إليه يثني عليه فيها مع رسالة استوعب فيها طرق الصوفية الموجودة في عصره نفلها في الرحلة نصها:

بسم الرحمان الرحيم. الحمد لله وحده، وصلى الله على من لانيه بعده، وعلى آله وصحبه أهل المحبة والمودة، من العبد الفقير الحقير الكسير حسن بن علي العجيمي إلى شبخه وأستاذه وبركته وسيدته وحبيبه وصفيه ووليه في الله الشيخ العلامة، والحبر الفهامة، القدوة المحقق، والعارف المتفنن المدقق، سيدنا ومولانا الشيخ أبي سالم عبد الله بن محمد، حفظه الله بما حفظ به عباده إلى آخرها.

ونص ما نقل من رسالته في الطرق المشتملة على أربعين طريقا، وهذه أسماء الطرق: محمدية، أوسية، قلندرية، صدقية، ملامتية، كبروية، همدانية، ركنية، نورية، خلوتية، مولوية، جهرية، برهانية، أحمدية، سهروردية، خفيفية، شاذلية، وفائية، زروقية، بكريّة، جزولة، خواطرية، عبدوسية، مشارعية، حاتمية، قادرية، عراقية، مدينية، قشيرية، رفاعية، خرازية، جشتية، مدارية، شطارية، عشقية، نقشبندية، غوثية، حلاجية، جنيدية، سهلية.

أما المحمدية فمنسوبة إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووجه اختصاصها بالانتساب إليه مع أن الكل راجعة إليه ومستمدة منه أن صاحبها بعد تصحيح بدايته وسلوكه على منهاج الاستقامة المبين في الكتاب والسنة يشتغل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تستولي محبته على قلبه ويخامر سره تعظيمه بحيث يهتز عند سماع ذكره، ويغلب على قلبه مشاهدته ويصير تمثاله بين عيني بصيرته، يسبح الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ولا يجعل لمخلوق عليه منة إلا النبي صلى الله عليه وسلم فيراه بقظةً ومناماً ويسأله عما يريد، وقد سلك على هذا القدم جماعة (من المشايخ قديما وحديثا ذكر صاحب الرسالة جماعة) منهم (292).

قلت: وقد لقيت بالقاهرة سنة أربع وستين بجامع المارديّة الشيخ محمد الخلوتي، وهو رجل مُسن منقطع بالمسجد له أصحاب، فسألته عن طريقه ولمن ينتسب، فقال أما أنا فطريقي محمدية لا أنتسب لأحد، وذكر أنه محافظ على استحضار صورته [في باطنه، فأغناه ذلك عن التقليد بشيخ والاستمداد منه أو كلاما قريبا من هذا.

وأما الأوسية فهم المنتسبون إلي روحانية بعض الأنبياء أو المشايخ، كأخذ سيدنا أوس عن روحانية سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، وكأخذ أبي زيد عن روحانية (الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه فصار كل من يأخذ عن روحانية) (293) المشايخ تسمى طريقته أوسية.

وأما القلندرية فمبني طريقهم على حصول طبية القلب والتقليل من الدنيا وترك الأدخار، ومن شأنهم أنهم لا يستغلون بترك الملوذات من الأطعمة المباحة ولا بالزيادة على الفرائض إذا حصل لهم.

وأما الصدقية فمنسوبة إلى أبي بكر الصديق، وقد ذكرها ابن عطاء الله في مفتاح

الفلاح.

(292) ساقط من ك. و س

(293) ساقط من ك.

وأما المَلَامَتِيَّة فمبناها على الخروج عن رعونات النفس وتطهيرها من جناة العجب والرباء وحب الجاه والرياسة وإسقاط المنزلة من قلوب الناس بأمر ينكرها العوام. والمنسوب إلى هذه الطريقة فَرَّقَ ذكر صاحب الترجمة جملةً منها، وأساندهم تنتهي إلى أبي زيد البسطامي.

وأما الكبروية (294) فمنسوبة إلى نجم الدين الكبرى، وهي مشهورة.

وأما الهمدانيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن أهلها يختارون الإسرار بالذكر إلا بعد فريضة الصبح فإنهم يفرؤون الأوراد الصباحية (295) بالجهر، وبعد العصر الأوراد العصرية، وهما لشيخ (هذه العصاية السيد علي الهمداني وقد ذكر المَلَابِاسِي أن سيدي) (296) علي الهمداني ساح الربع المعمور، وصحب ألفاً وأربعمائة ولي، أخذ من كل واحد ذكراً وجد ذلك الشيخ نمرته، فجمعها، ثم لما زار النبي صلى الله عليه وسلم رآه وقد أعطاه شيئاً وقال له: خذ هذه الأوراد فراها فإذا هي (التي جمعها عن مشابخه، فجعلها ورداً في الصباح، وقف على بركتها كثيرٌ ممن لازمها. وقد أخذها صاحب الرسالة عن بعض ذريته.

و أما الرُّكْنِيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن نأستاذها مولانا ركن الدين علاء الدولة السمناني في كيفية الذكر بالكلمة الطبية جلسةً معينةً وزيادة في الضروب.

وأما الثُّورِيَّة، وهي شعبة من التي قبلها، إلا أن لشيخ خرققتها سدننا نور الدين الإسفراييني كيفية أخرى.

وأما الخلوتية فمبني طريقهم على الذكر بالكلمة الطبية بكيفية مخصوصة، ثم يستغل بذكر الجلالة، ثم يذكر هذه الأسماء العشرة على الترتيب، وهي: هو، حق، حي، قهار، وهاب، فتاح، واحد، أحد، صمد، قيوم. وتنتهي طريقتهم إلى الشيخ قطب الدين أحمد بن محمد الأبهري.

وأما المولوية فمبناها على دوام الاشتغال بالذكر والسلوك بالمحبة. ومن شأنهم الذكر الحفي مع حبس النفس والدوران. ومن أكبر المشايخ الذين تنتهي إليهم هذه الطريقة وتنتسب إليه أكثرهم مولانا جلال الدين الرومي.

وأما الجهرية فمبناها على الجهر بالذكر في جميع الأوقات إلا في الخلوة. ولهم أوراد معلومة، وتنتهي إلى الخوجة أحمد البوسوي، وهو من سدننا الخضر - علمه السلام -.

(294) في س: الكروبية...

(295) في ك: الأوراد العتية

(296) ساقط من ك.

وأما البرهانية فتنسب إلى سيدي برهان الدين إبراهيم الدسوقي، ومن شأنهم الذكر بالجهر والاشتغال بذكر دائم بباء النداء، ولبس الزي هو الأخضر.

وأما الأحمدية فتنتهي لسيدي أحمد بن علي بن إبراهيم الشهير بالبدوي، ميناها على الاشتغال بطلاوة القرآن وبالذكر على كيفية مخصوصة. ومن شأنهم حمل العكاز عملاً بالسنة وتذكيراً بسفر الآخرة، ولبس الزي وهو الأحمر.

وأما السُّهُورْدِيَّةُ فمعروفة.

وأما الخفيفية فمنسوبة إلى أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي، وطريقه الغيبة والحضور.

وأما الخواطرية فميناها على الذكر بكلمتى التوحيد على كيفية مخصوصة لطرده الخواطر من القلب حتى لا يبقى إلا الله فيه. ومن شأنهم الاشتغال بالرياضة الشاقة والتجريد وقرءة الأوراد المذكورة فى كتب الشيخ علوان الحموي، وابن عراق. وأشهر مشايخ هذه السلسلة شيخها الشيخ سيدي علي بن ميمون الإدريسي الفاسي.

وأما العيدروسية فميناها على الاشتغال بالذكر المقرد بالجهر. ومن شأنهم دخول الخلوة بالجوع وضبط الحواس وحفظ الأنفاس بالذكر على الدوام، ونسبتهم إلى سيدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس.

وأما المشارعية فميناها على ذكر الجهر. ومن شأنهم السماع بشروطه، ومطالعة الكتب أي كتب القوم وقرءتها، ولبس الزنبيل للدروزة، وهو الوقوف على الناس للسؤال، ونسبتهم إلى الشيخ أحمد بن موسى المشرع اليمنى.

وأما الحاتمية فمنسوبة للشيخ محيي الدين بن عربي وهي معلومة.

وأما القادرية فالى القطب شيخنا أبي محمد عبد القادر بن موسى الحسني الجيلي، رضى الله عنه وهي معروفة.

وأما العرابية فنعبة من القادرية منسوبة إلى الأستاذ عمر العرابي.

و أما المَدِينِيَّةُ فمنسوبة إلى الغوث أبي مدين، وهي شعبة من القادرية.

وأما الرفاعية فنسبة إلى سيدي أحمد الرفاعي، وهي شعبة من القادرية.

وأما القُنْصِيرِيَّةُ فالى الأستاذ أبي الفاسم القشيري.

وأما الخرازية فالى أبي سعد أحمد بن عيسى الخراز.

وأما الجشتة فإلى قطب الدين مودود بن يوسف بن محمد بن سمعان الجشتي.

و أما المداربة فإلى الشيخ بديع الدين الشاه مداري.

وأما الشطارية فمبنية على عمارة القلب بالتوحيد، ويشغلون المرید بالذکر الجهری، وقد يستعملون إن كان قوي الاستعداد في الدعوة لمشاهدة عجائب آيات الله في ملكه وملكوته (297) وتنسب إلى الشيخ عبد الله الشطاري.

وأما العتقية فطائفة من الشطارية، مبناهم على طريق الفناء المطلق، وتنسب إلى الشيخ أبي يزيد العتقي.

وأما النقشبندية فمنسوبة إلى الخوجة بهاء الدين النقشبندي.

و أما الغوثية فهم خلاصة السادات الشطارية، ينسبون إلى إمام العارفين سيدنا بهاء الدين محمد بن خطير الدن غوث الله صاحب كتاب الجواهر الخمس.

وأما الحلجية فإلى الحسين بن منصور الحلج.

و أما الجنيدية فمعروفة.

و أما السهلة فإلى سهل بن عبد الله التستوري - رضي الله عن جميعهم - .

وقد استوفى في الرسالة الأسانيد إلى أرباب الطوائف المذكورة وذكر في الرحلة أن صاحب الترجمة كتب له رسالة أخرى في الأوقاف وأخرى في خط الرمل.

توفي صاحب الترجمة في شوال عام الترجمة (298).

أحمد الشفشاوني

ومنهم الشريف الفقيه العدل سيدي أحمد الشفشاوني من أهل فاس توفي (في سادس عسر ذي القعدة) سنة ثلاث عشرة ومائة وألف (299) .

محمد بن حمدون اللبار

ومنهم الفقيه فرضي فاس سيدي محمد بن حمدون اللبار، توفي في رجب (300).

حوادث السنة

قتل عبد الخالق الروسي

ومن حوادث هذه السنة أن في سادس المحرم قُتل البطل الرئيس الفائذ عبد الخالق بن

(297) هنا في هامش ك. طرة: «أي يستدعي الجن بالعزائم، وإليهم ينسب من تلعبها في الأسواق».

(298) كل ما في هذه الترجمة من نقول حرفية أو مختصرة عن الرحلة العيانية ساقط في ط. بحث لا تجاوز ترجمة

العجمي فيها نصف صفحة

(299) لم يذكر أحمد الشفشاوني في ط إلا عرضاً خلال حوادث السنة.

(300) لم يرد ذكر اللبار في.

الوزير الرئيس عبد الله الروسي بمكناسة بأمر مولانا حفيد ابن أمير المومنين مولانا إسماعيل، وكان استخلفه والده بفاس الجديد فنشأت الوحشة بينهما بسبب ذلك (301) .

أخذ بستيون بادس من يد النصاري

وفي أوائل رمضان العام أخذ القائد علي بن عبد الله بستيون بادس من يد النصاري - دمرهم الله (302) .

قيام مولاي محمد علي والده المولى إسماعيل بسوس

وفي يوم المولد ثاني عشر ربيع الأول قام مولاي محمد بن أمير المومنين علي والده ودعا لنفسه فباعه أهل سوس الأقصى و الأوسط إلى وادي أم الربيع، وعظمت شوكرته في تلك البلاد (303) .

علي جسوس أمير الركب

وعزل الشيخ الحسين، وولي الحاج علي جسوس وخرج أميراً للركب. وهذا أول إمارته في قصة يطول إيرادها (304)

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

أحمد بن محمد اليمني

الشيخ الفقيه العالم العامل، العارف المحقق الواصل الكامل، أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن إدريس اليمني، في ليلة مهل رجب، ودفن - رضي الله عنه - بالقبب خارج باب الفتوح. وهو رضي الله عنه من قرية يقال لها مَهْلُو بفتحات وشد اللام أريجي وسُتْر. وأريجي مويئة الصحراء بين صعيد مصر وأرض الحبشة بينها وبين سُتْر نحو خمسة أيام. وسُتْر أيضا مدينة بالصحراء المذكورة وكتناهما على النيل. وكان خروجه - رضي الله عنه - من بلاده سنة خمس وسبعين وألف، ودخوله لفاس في الثامن والعشرين من جمادى الأخيرة سنة تسع وسبعين وألف، وكانت مدة إقامته بها أربعاً وثلاثين سنة وخرج من فاس لزيارة شيخه سيدي عبد الله البرنوي ببلاد السودان عند طلوع قمر ليلة الاثنين ثامن شعبان عام اثنين وتسعين، ثم رجع لفاس أواسط ربيع عام أربعة وتسعين. انتهى من خط ابن عمنا العلامة سيدي عبد الواحد بن محمد.

محمد الطيب الفاسي

وفي هذه السنة توفي العلامة المحقق الأوجده سيدي محمد الطيب بن شيخ الإسلام سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي، ودفن يظهر جده بالزاوية.

(301) أثبتنا في قضية قتل الروسي عبارة ك و س لأنها أوفى. وهي مختصرة في كل من ط والحوليات .

(302) انفردت الحوليات بذكر هذا الحادث.

(303) انفردت ك وس بإيراد حادث ثورة مولاي محمد .

(304) انفردتا كذلك بذكر هذا الحادث.

العام الرابع من العشرة الثانية من هذه المائة

عثمان السوداني

فمنهم الفقيه أبو سعيد عثمان السوداني قرأ على سيدي عبد القادر الفاسي.

سعيد أحنّصال

ومنهم الشيخ المرابط أبو عثمان سعيد أحنّصال - بهمزة أوله فحاء مهملة فنون ساكنة - صاحب الزاوية بأبت عطا. بنسب في الطريقة في الأخذ للشيخ أبي الحسن على بن عبد الرحمان الدراوي دفين تادلا. تقدمت ترجمته في سنة إحدى وتسعين وألف.

حوادث السنة

استشفاع أهل قاس في شدة المغرم بالنعل النبوي

ومن حوادث هذا العام خروج أهل فاس بالنعل النبوي الذي تحت يد السرفاء الظاهريين المراكشيين الصقليين الحسنيين القاظين بمصمودة من عدو فاس الأندلس، مستشفعين في شدة المغرم وغير ذلك، فقبل شفاعتهم وترك النعال عنده بداره، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يورث، وما تركه نصدق به خليفته أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - . وزعم بعضهم أن النعال أهديت لبني عبد المومن من بني كومي ملوك الموحدبن. وكان حينئذ من السرفاء الظاهريين قاضي القضاة وقاضي الدولة، بعنى الجيش والكتاب وغيرهم من خدام الدولة. فلما دخل أبو يوسف بن عبد الحق المريني مراكش وخرج منها من بقي بها من شيعة بنى عبد المومن الموحدبن وغيرهم أخلصوا لهم النعال وقدموا بها على المغرب.

قتال عظيم بمراكش بين جيوش مولاي إسماعيل وابنه محمد

ووجه أمبر المومنين مولاي إسماعيل جيوش الغرب مع ولده مولاي زيدان الأكبر، فنزل وادي أم الربيع، وزحف مولاي محمد بجيوش سوس إلى مراكش فنزلها، ووجه خلفته أخاه مولاي بناصر بن مولاي إسماعيل إلى حرب مولاي زيدان، فالتقى الجمعان وكانت بينهما حروب انهزم فيها مولاي بناصر وجشده، ورجع إلى مراكش مهزوما، وقتل بينهما نحو ثمان مائة ألف. ثم زحف مولاي زيدان إلى مراكش فالتقى الجيشان بمراكش وكان بينهما حروب (حروب) ففني فيها من مخلوقات الله ما لا يعلم عددها إلا الله تعالى. ثم تكاثرت على مولاي محمد جيوش الغرب مما لا طاقة له بهم، فانهزم عن مراكش ودخلها مولاي زيدان

واستباحها ونهبت عن آخرها، ووثبوا على النساء بالوطء واستباحوا الفروج، ولم يردوا السيف إلا عن النساء والصبيان والبهائم، في خبر لم يسمع بالمغرب مثله، مثلما فعل الموحدون بوهران وغيرها، أو قواد الشيعي بالمغرب. ولما وصل الخير إلى مولاي إسماعيل تغير على الجيوش لفعلهم ذلك غاية الغيار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

خروج محمد اعليش من فاس بعد رفض الفقهاء مسألة الحراطين

وفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الثاني من عام أربعة عشر ومائة وألف خرج السيد محمد اعليش من فاس ولم يكتب له أحد من الفقهاء ما أراد على شأن الحراطين (305).

305) انفردت ك و س بذكر الحوادث السابقة لهذه السنة. وليس منها في ط والحوليات سوى أربع كلمات: « كانت وقعة مراکش العظيمة » وأضافت الحوليات خبر اعليش التالي.

العام الخامس من العشرة الثانية من المائة الثانية

محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي

فمنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي. وصفه شيخنا سيدي محمد بن عبد السلام بناني في مشيخته بسر الزمان، وآية العرفان، العالم العلامة، الحبر الفهامة، المحدث الصوفي المفسر الفقيه الجليل، ثم قال: لقبته بمنزله من تازة وقرأت عليه أوائل الكتب الستة وصدراً من الشمائل والتسفا ومختصر ابن الحاجب وخليل، وأجازني في جميع ما له من مروى ومسموع، ومفرق ومجموع، بحق روايته لجميع ذلك عن شيوخه مشايخ الإسلام أبي عثمان سعيد قدورة الجزائري، عن شيوخه المشاركة كالبابلي، وإبراهيم اللقاني، وعيسى الثعالبي وغيرهم، وعن الشيخ سيدي محمد المقرئ من شيوخ الجزائر، ويفاس عن سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي حمدون المزوار، وسيدي محمد بن أحمد الفاسي وغيرهم، وكتب لي الإجازة بخطه.

وتوفي - رحمه الله - سنة خمس عشرة ومائة وألف (ودفن بتازة نفعنا الله به آمين) (306).

أحمد المدعو الحاج الشعير

ومنهم الولي الصالح سيدي أبو العباس أحمد المدعو الحاج الشعير، له مزارعة ومعه مقبرة ملتصقة بزواية العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكائنة بحومة القلقليين من فاس القرويين (من جهة قبلتها) (307) شهد له الشيوخ بالخصوصية ووصفوه بالرسوخ والتمكين. كانت تعتره الأحوال قبل بلوغه، وعند بلوغه نزل به حال عظيم، وربما سجن وسلسل ثم سكن حاله وسافر للحج ورجع فكان يلزم سماع بعض الكتب التي تقرأ بكراسي القرويين، وفي بعض المقيدات أنه أخذ عن سيدي أحمد بن يوسف الشريف العلمي اليونسي، عن سيدي علي بن أحمد دفين صرصر (من مصمودة الغرب) (308). وكذا صاحب الترجمة سنة خمس وثلاثين وألف. وتوفي في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائة وألف. وفي نظم سيدي أبي عبد الله المدرع قال:

و السيد الحاج الشعيرُ الأُمجدُ الزاهدُ الأورعُ و المـجـرُ

والحاج بالتخفيف لضرورة الوزن، إذ لا يلتقي ساكنان في الشعر.

(306) زيادة في ك و س.

(307) ساقط من ط. وفيها: زاوية سيدي عبد القادر الفاسي.

(308) ساقط من ط.

يوسف بن محمد بن أبي عسرية الفاسي

ومنهم الفقيه العالم المشارك (أبو الحجاج) يوسف بن سيدي محمد بن أبي عسرية بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم آبائه. كان صاحب الترجمة محبا في طلب العلم (ورحل إليه. قال في الابتهاج: وأما أبو الحجاج يوسف فقراً ما قدر الله له وجدد في طلب العلم الرحلة بعد الرحلة) (309) مولده في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وألف (310) ورأيت له شرحا على أرجوزة السيوطي المسماة بالثبوت في ليلة المبيت ضمنه فوائد غزيرة من علوم، وأكثر من الفوائد التاريخية فيه، ورأيت له تقايد كثيرة تدل على اعتناؤه. أدرك والده بنحو العشر سنين، وقرأ في رحلته لفاس على عمه سيدي عبد القادر الفاسي، والقاضي أبي عبد الله بن سودة، و أبي عبد الله مبارزة الشارح، وأبي العباس الزموري الأصغر، وابن عمه سيدي محمد بن أحمد، وعبد السلام بن ناصر الجابري، وأبي العباس المزوار، وأحمد بن جلال. ثم استوطن تطاون وتزوج بها وأقام بها مدة، ثم استوطن القصر وكان إماما مدرسا بزاوية جده إلى أن توفي عام خمسة عشر ومائة وألف، وبها دفن (311).

محمد العربي بن محمد العافية

ومنهم الصالح الفقيه المتعبد أبو عبد الله محمد العربي بن محمد العافية، به عرف الأندلسي. كان مؤدبا للصبيان وانتفع به خلق كثير ولم تحفظ له صبوة قط. وكان من أصحاب العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسي، وصحب بعده سيدي عبد القادر الفاسي وكان يثني عليه. ولد سنة ثمان عشرة وألف، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف، فعمره سبعة - بموحدة - وتسعون - بتقديم مئاة - سنة.

محمد بن أحمد الزجني

ومنهم القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد الزجني. سمع من سيدي عبد القادر الفاسي وطبقته، وولي قضاء بلدته مصمودة الغرب، ثم ولي قضاء تطاون، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة وألف (312).

(309) ساقط من ط.

(310) كذا في ط وهو الصحيح. وصُحف في المخطوطتين فكتب: عام ثمان وثمانين

(311) عبارات النسخ في هذه الترجمة مختلفة متقاربة، أثبتنا أوقاها يتعلق دون أن نشير إلى التفاصيل.

(312) ترجمة الزجني ساقطة من ط

محمد بن محمد بيو

ومنهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بيو - بيا فبا تخنية فواو ساكن - سمع من سدي عبد القادر الفاسي والطبفة. نوفي عام الترجمة (313).

محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي

ومنهم الشيخ الفقه السالك الصوفي الولي الصالح أبو عبد الله محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي، دفبن الشرشور من عدوة فاس القرويين، مزاره قرب دار سادتنا الشرفاء أهل وزان. نسبة إلى الرقعة موضع كان به فرنة عظيمة وخرين من بلاد لمطة على نحو نصف مرحلة من فاس، وبها ضريح الإمام الرقعي صاحب الفقهية المشهورة (314) ومنها قدم سلفه لقاس واستوطنوا حومة الشرشور من فاس القرويين. أخذ الطريقة وعلم الحقيقة عن الشيخ الإمام الصوفي مولاي عبد الله بن ابراهم الشريف الميلحي الحسنى العلمي دفبن وزان من بلاد مصمودة الغرب، ثم بعد وفاته عن ولده الإمام سدي محمد بن عبد الله. وفي أيامه اتخذ الزاوية الكائنة بالشرشور المدفون بها المجاورة لدار الشرفاء أولاد مولاي التهامي بن محمد المذكور. ولصاحب الترجمة أتباع كثيرون لا يحصون، ويحكون له كرامات وخوارق للعادة وتصريفات، وإخبار بمغيبات يصدق فيها، ويحدثون عنه بعجائب، وأكثر عامة فاس وغيرها مطبقون على تعظيمه ووصفه بالخصوصية العظيمة ونقديمه، والإذن له من شيخه مشهور، وصلاحه وولايته مستفيض مذكور (315).

حوادث السنة

تجديد قنطرة الرصيف

ومن حوادث العام تجديد قنطرة الرصيف التي بين العدوتين عند الداخل لحومه اكزى ابن برقوقة بأمر الرئيس القائد عبد الله الروسى.

رفض أحمد الجرندي القضاء بفاس

وعزل القاضي محمد العربي بؤدلة عن قضاء مدينة فاس، وولى مكانه أحمد الجرندي. فلم يقبل، فاستعفى (مولاي اسماعيل) فأعفاه، وقيل إنه جعل يفعل بنفسه فعل

(313) ترجمة بيو سافطة من ط.

(314) في ط. صاحب نظم مقدمات ابن رسد

(315) أتبتنا في ترجمة الرقعي نص المخطوطتين ك و س لأنه أوفى، وكذلك فعلنا في الحوادث بعدها.

مَنْ لا عقل له فراراً من تقلد حقوق المسلمين واخنياً للسلامة بنفسه، فنركه السلطان ورد برذلة للفضاء والخطبة والإمامة كما كان عليه.

حدوث غرائب من نبات وطيور

وفي هذه السنة قامت شجرة زيتون وهي قاعدة عظيمة كان قد قلعها الريح بجذورها منذ شهر وبليت، ثم تحركت واضطربت وقامت قائمة ورجعت لمنبتها الأصلي ولقحت من أسفلها. وبعد أيام فعلت شجرة خرنوب مثلها، وذلك كله ببني يازغة. وفيه أيضاً وقع قتال عظيم بمراكش بين الغراب وبراوج وهو أبو شقشاق، والله على كل شيء قدير (316).

(316) انعدت الحوليات بهذه الحوادث الغربية.

العام السادس من العشرة الثانية

محمّد بن عبد القادر الفاسي

فمنهم الإمام الكبير، العالم العلامة الشهير، إمام المحققين، ورئيس المحدثين، الفقيه المشارك المتفنن، الداركة المحقق المتفنن، أبو عبد الله سيدي محمد بن سيدي عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي. تقدمت تراجمهم، كان صاحب الترجمة ممن بهر العقول، في المعقول والمنقول، أحد أعلام علماء فاس وفقهائها، ويدها الطالع في أفق سمائها، زاهدا ورعا متين الدين، قويا في ذات الله قدوة للمهتدين. أحرز قصب السبق في علوم كالتحو والبيان والمنطق والحديث والسير والنصوف والأصول والفقه ومهر في جمعها، وكان ممن إله المرجع في الحوادث الوقتية، والنوازل الدينية والدينية، ومدار كل المهام عليه، والمرجع في جميعها إله.

أخذ - رضي الله عنه - عن جماعة من المشايخ، كوالده، وعمه محمد بن أحمد الفاسي، وأحمد بن محمد الزموري الأصغر وأبي العباس الأبار (وأبي الحسن علي الزرهوني) ومحمد بن عبد الرحمان بن جلال مشافهة، وبالإجازة عن (عم والده) سيدي العربي الفاسي من أهل المغرب، ومن أهل المشرق بالإجازة أيضا عن نور الدين أبي الحسن الشبراملسي المصري، وإبراهيم بن محمد الميموني، وعبد السلام بن الشيخ إبراهيم اللقاني، ومحمد بن علاء الدين البابلي المصري، وخطيب المسجد الحرام زين العابدين الطبري الحسيني، وأبي عبد الله الخراسي سارح خليل، وإبراهيم بن عبد الرحمان الخياري المصري، وباسن بن محمد بن عريس الدين الشافعي المدني الأنصاري، وإبراهيم بن حسن الشهرزوري، وأبي مهدي عيسى بن محمد الشعالي الجعفري الجزائري ثم المكي، ومفتي غزة وقاضيتها عمر بن عبد القادر المشرفي، وبوسف بن حجاز الجنيدي الخليلي، وعبد القادر الغمصري - بضم الغين المعجمة - الغزي، وعشور الفسمطني، حسبما تضمنته فهرسته التي فبدها ولده سيدي الطيب، (وتقدمت تراجمهم إلا النزر).

وأخذ عن صاحب الترجمة وأنتفع به خلائق، منهم جدنا عبد السلام، وشقيقه محمد العربي، وأبو عد الله المسناوي وجميع من كانت له الشهرة بالعلم بفاس فما علمنا.

وألّف صاحب الترجمة كتبا، منها شرح شواهد أوضح ابن هشام، وشرح نظم نخبة ابن حجر في اصطلاح الحديث لعم أبيه محمد العربي، وشرح كتاب الحصن الحصين لابن الجزري في الحديث، وهو مما يدل على طول باعه واتساع عارضته وقد اشتمل على مجلد كبير. والمباحث الانشائية في الجملة الخبيرة والانشائية؛ وله رسالة في الرد على إبراهيم

الشهرزوري في مسألة خلق الأفعال أجاد فيها وبين الحق في المسألة في الرد عليه وتقدم الإمام ببعض ذلك في ترجمة الشهرزوري؛ وتنظم في التوسل بالصحابة؛ وشرح على الطالع المشرق في المنطق لعلم أبيه محمد العربي ولم يكمل، وله تفهيم على نظم مختصر خليل من أوله إلى الذكاة، وجمع حاشية عم جده سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي على مختصر خليل. وكان عالي الهمة كثر الورع والصبر على مشاق الزمان ومصائب الوقت ولزوم العبادة والاتصاف بجمبل الأوصاف، والتحري ما أمكن مما لا يعني والرضى والنسليم، ولازم داره نحو سبع سنين فسلم بذلك من كثير الفتن، وظن الناس أنه مقعد، ثم فهم الناس حاله، ولم يخرج من داره حتى مات ولده سيدي محمد الطيب، فخرج إلى الزاوية وصلى عليه ومكت يخرج إلى الصلاة ويرجع إلى داره نحو ثلاث سنين.

ولد صاحب الترجمة في نصف ربيع الأول عام اثنين وأربعين وألف، ونوفي في ثامن وعشرين من رجب سنة ست عشرة ومائة وألف. ودفن عن يسار المحراب بزاوية عم جده سدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي الكاتبة بالقلقيين من فاس القرويين.

الزاوية الفاسية بالقلقيين

وهذه الزاوية من أعظم مزارات فاس، وبها عدة مقابر للسادات الفاسيين رهط صاحب الترجمة وغيرهم من أصحابهم وخدامهم وغيرهم. ويحترم بها أهل الجنابات ومن طلب بالتكاليف المخزنية. وكان السلطان مولاي إسماعيل يجير من استجار بها، ولا يقدر أحد من عماله أن نتجاسر على أحد ممن لجأ إليها ولو جنى ما جنى. ولما اختطها سيدي عبد الرحمان ابن محمد الفاسي كانت أصغر مما هي عليه اليوم نحو ربعها اليوم، ثم هدمها السلطان مولاي إسماعيل بعد حصار أهل فاس وزاد فيها طولاً مما علسه من إتقان البناء وقوة المياه عين وواد، والمنافع والمرافق والأوقاف، ووقع فيها بث العلم ونشره وتدرسه وانتفع فيها جم غفير. وبها منار يؤذنون به المؤذنون لسائر الأوقات الخمس التي تصلى بها، ويتكرر ذلك منهم آخر الليل. وفيها الأوقاف على فراءة أحزاب القرآن وإقامة أحزاب الأوراد كما أقامهم بها سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي. ولهم حق على جميع من يتعاطى العلم بفاس وكثر من غيرها من المدن المغرب ومدائره وقراه لأنك تجد أكثرهم سمع من بعضهم أو بوسائط بينهم، فحقهم لا يجهل، وقدرهم لا يغفل. نفع الله بهم آمين.

(ولما مات راسل الشيخ اليوسي أولاده بعزيمهم بكتاب وانشد لهم فيه:

مصاب لو أن الأرض مس أديمها لما أنبعت نهراً ولا أنبتت زهرا
ولو أن آفاق السماء أصابها لما أطلعت شمساً ولا أنزلت قطرا
وبحق ذلك لأن موت العالم ثلثة لا تجبر إذ فيه رفع العلم الذي به حياة الدين
(317).

(ورثي صاحب الترجمة ولده أبو العباس أحمد بهذه الأبيات:

يقولون مات الحبيرُ وهو كواحدٍ	لعمركُ ذا قول لمن كان أخرقا
وهيهات ما حبرٌ سموت كواحد	ولكنه جمعٌ لقوم نفرُقنا
وما كان إلا ملجأً لذوى النُهي	وحصناً لدين الله لم يكن بُرتقى
مطبعاً لأمر الله كان، ومن يكن	مطيعاً لأمر الله يُخشى ويُتقى
إماماً هماماً زاهداً متواضعاً	جواداً حلي الحلم والعلم والتفناً
سحقَ لعيني أن تُسحَّ لففده	دموعاً تعمُ الأرض غرباً ومشرقاً
وكم لا وقد عمَّ البلادَ مصابهُ	وأصبح طرف الدين للكرب مُطرفاً
وقد شمل الإسلامُ يومَ فراقه	أسى فيد الأشجانَ والدمعَ أطلقا
بقول لسان العلم أين نظيره	لحملي ومن يلقى لفهمي محققا
فقل للذي لم يقدرِ الحبرَ قدره	وربي ما أبصرتُ مثلك أحمقا (318)

وفي الحديث (إن الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعاً وإنما يقبضُه بموت العلماء) الحديث.

محمد بن أحمد القسطيني

ومنهم العالم العلامة، التحرير الحافظ الفهامة، فارس المعقول والمنقول، الأنبي في دروسه بما يبهر العقول، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد القسطيني الشرف الحسني، (رأيت بخطه في غير موضع إذا كتب يقول: محمد بن أحمد القسطيني الحسني، وكان مدعوا في بلاده بالكمد. قدم على فاس وتصدر للتدريس بها فأفاد وأجاد، وأخذ عنه الجم

(317) ما بين معقوفتين زيادة في ط. وهو منسك لأن الحسن البيوسي مات قبل محمد بن عبد القادر الفاسي بحو ثلاث عمرة سنة. وقد يكون في الكلام سقط، والأصل مثلاً: « ولما مات والد المترجم راسل الشيخ البيوسي أولاده... »
والتاريخ معضده، إذ كان البيوسي ممن أحازه الشيخ عبد القادر الفاسي.
(318) هذه المرتبة ساقطة من ط وكذلك عدد من الفقرات السابقة لم بر فائدة في تتبع الإشارات إليها، واتبتنا الأوفى من النسخ التي بأبدنا.

الغفير من كل بلاد. كان - رضي الله عنه - آية في الحفظ والتحصيل، وجودة التفرير وحسن التفصيل، وكان حافظا مطلعاً، وبنفائس العلوم متضلعا. له الملكة في علم الكلام والمنطق والمطالعة والحفظ التام في علم الحديث والفقہ مرجوعاً إليه في مهماتها مقصوداً في حل مشكلاتها، كبير الباع تام الاطلاع، وتعرف للرؤساء فعظم صسته عندهم، فأذعن له الكافة من علماء فاس.

قال في أثناء بعض إجازاته لبعض تلامذته: وقد أخذت صحيح البخاري رواه عن الشيخين الإمامين سيدي محمد المقرئ وأبي عبد الله سيدي محمد بن الإمام الشهير الذكر الطيب النضر سيدي سعد قدورة، ودرابة لبعضه عن الثاني، وإجازة عن العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد المومن فاضي الجزائر، عن شيخه شيخ مصر على الإطلاق أبي الحسن علي الشيراملسي، عن شيخ المحدثين في زمانه إبراهيم اللقاني عن سالم السنهوري بقراءته لجميعة عن العلامة رحلة المحدثين نجم الدين الغبطيني، عن شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري. انتهى المراد منه، وله أجوبة حسنة في نوازل كثيرة دالة على مهارته واتساع ملكته. ولملازمته للتدريس بفاس لم يتفق له التصنيف، وإلا فهو أحق به ومدحه الأديب ابن زاكور (319).

محمد بن العربي العراقي

ومنهم الشريف المولاه المجذوب، المقرب المحبوب، أبو عبد الله مولاي محمد بن العربي العراقي الحسيني المعروف على السنة عامة فاس بمولاي الحاج العراقي، المشهور بالولاية عند عامة فاس وخاصتها. صحيح الإشارة حسن العبارة، ساقط السكليف، دائم الجذب يخبر بمغيبات، بغتنم منه أهل الفطنة ذلك ويستفيده ويتبركون به. وكان قبل أن ينزل ما نزل به من أهل الثروة والمال، فسافر للحج فنزل به ما نزل أثناء سفره، فنزع ثيابه وعمامته ولبس المرقعات وأخذ يسأل الناس فبقول في سؤاله: متاع الله، يطوف على الحجاج يسألهم، ويذهب في الطريق راجلاً، فأرجفت الناس من ذلك ثم علموا أنه وارد إلهي فأقبلوا على التبرك به والإعطاء له. ولما قدم لفاس جعل يطوف في الأسواق كذلك، فاشتهر بالولاية والخصوصية وظهرت له كرامات.

توفي ثالث شعبان عام ستة عشر ومائة وألف، ودفن في روضة سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين، (وبقى محل دفنه من الروضة المذكورة مقبرة لأقاربه إلى الآن، ولم يترك ذكراً. ووصفه الأديب الصوفي أبو عبد الله المدرع في منظومته في صالحه فاس بقوله:

(319) اتبنتنا هنا أيضاً الأوفى، وهو ما في المخطوطات مضافاً إليه ما انفردت به ط.

بقریه قیبر الحُسَینی السنی سیدنا محمد العِراقی
الغنائب المُسَوِّله المُمَكِّن له کمال مدد السُّبَّاق (320)

أحمد بن محمد أدراق

ومنهم الطبيب الماهر أبو العباس أحمد بن الطبيب أبي عبد الله محمد أدراق، تقدمت ترجمة والده. كان صاحب الترجمة ماهراً في الطب عارفاً بأنواع العلاجات، من وجوه أهل زمانه، ومن أعيان أقرانه. توفي سنة ست عشرة ومائة وألف (321)

حوادث السنة

تداول قضاء فاس بين العربي بردلة والكبير ابن سودة

ومن حوادث العام عزل عن القضاء سيدي العربي بردلة بأمر من السلطان مولاي اسماعيل، وولي مكانه سيدي الكبير بن سودة في ثامن وعشرين من المحرم، ثم شفع للسلطان فيه الرئيس عبد الله الروسي فعزل سيدي الكبير بن سودة في حادي وعشرين من ربيع الأول وأعيد للقضاء سيدي العربي بردلة.

وقوع نار بتامسنا

وقعت نار بتامسنا فأحرقت خلائق نحو ألفين فيما ذكر.

معاقة القبائل المجاورة لسوس بضرائب

وجعل على القبائل المجاورين لسوس الأتقى المضروب بكل قبيلة منهم لسكونهم على قيام مولاي محمد بن مولانا اسماعيل (322).

*** ———— *** ———— **تذكرة المحسنين** ———— *** ———— ***

محمد بن عبد القادر الفاسي

الشيخ الإمام، العلامة الهمام، أوجد زمانه ديانته ودراية، وعين أعيان أوانه علماً وعملاً واطلاعاً ورواية، المحدث الثقة المتقن الحافظ الضابط الحجة المشارك المتفطن العارف بالله سيدي محمد بن شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي بداره المعروفة له بوادي الشرفا من حرم زاوية والده المذكور من عدوة فاس القرويين عند زوال يوم الخميس ثامن وعشرين رجب من السنة والرابع عشر من العثمانيين الخ ما في السنة السادسة قبله.

(320) ليس في ترجمة العراقي سوى أربعة أسطر هي ط، وأثبتنا ما في المخطوطات،

(321) لم ترد ترجمة أحمد أدراق في ط.

(322) انفردت الحوليات بحادث معاقة القبائل المجاورة لسوس.

العام السابع من العشرة الثانية

أحمد بن المسناوي الدلائي

فمنهم الفقيه الأستاذ المجدود أبو العباس أحمد بن المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة سيذا فاضلا وجيها حافظا للقراءات السبع منها. قرأ ببلاهم الدلاء، ولقى بها جماعة من العلماء، ثم استوطن فاسا وكان يقرئ بها. وستأتي إن شاء الله ترجمة والده شيخ الجماعة.

توفي سنة سبع عشرة ومائة وألف، ودفن بجنان أصحاب سيدنا أحمد بن عبد الله الذي اتخذه مقبرة لدفن موتاهم الذي به قبة سيدي أحمد اليميني خارج باب الفنوح، ابنه ويسن قبر والدي قبر أخي.

أبو عسرية بن أحمد الفاسي

ومنهم الفقيه اللبيب الأديب سيدي أبو عسرية بن الشيخ الصالح سيدي أحمد بن العلامة الحافظ سيدي أحمد بن سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجمهم. كان صاحب الترجمة أدبيا له أزجال وموشحات وانظام. توفي في العام السابع عشر ومائة وألف، ودفن بزوايتهم بالقصر.

محمد أمسي الخير

ومنهم الولي المجذوب المولود اليهلول المتبرك به أبو عبد الله سيدي محمد الملقب أمسي الخير لكثرة جريانها على لسانه، المدفون بالمقبرة المقابلة لمدرسة أمير المؤمنين مولانا الرشيد الكائنة بالشراطين من فاس القرويين. وفهموا من إشارته بها أن أهل الخير ذهبوا وان الخير ذهب معهم، ولا بقي منهم إلا أهل المساء، كما إذا ذهب أهل النهار ولم يبق منهم إلا أهل المساء فإذا ذهب الضوء فلا يأتي بعده إلا الظلمة. ومن المحكى عنه أن (ولد السلطان الخليفة بفاس الجديد مولانا حفيد بن مولانا اسماعيل) (323) لفته بالمرس بن المدبنتين، فخله فرسه فاجفل به الفرس منه، فأمر الوتادين بالقبض عليه فقبضوه وقال له: بأي شيء تعرف الله؟ فأجابه سيدي محمد صاحب الترجمة: أعرفه بأنه هو الذي يأمر بفتلك ولا يعطي فيك دية، فبعد ذلك اليوم قتل مولاي حفيد بفاس الجديد غدرا، لأنه أراد القيام على والده، فعلم به فوجه إليه من غدرة بكابوس ولم يطلع عليه أحد ومات (324).

(323) هذه عبارة ك. و س. وهي ساقطة من ط، وفيها بدلا منها: أن بعض أهل الجاه والعلو لقبه.

(324) ترجمة أمسي الخير في ط مختزلة هي نحو خمسة سطور، والوفاء من المخطوطتين

حوادث السنة

سيل عظيم يجرف أربعة دواوير

ومن حوادث العام نزل سيل عظيم حملت به الأنهار وذهب (بموضع يقال به تفرسس) بأربع دواوير، بما اشتملت عليه من آدمي ودواب وماشية.

قتال بمكة ذهب بستمائة نفر

ووقع قتال بمكة شرفها الله، فقتل أزيد من ستمائة وهم مسلقون بأستار الكعبة. نعوذ بالله من سماع مثل هذا.

قدوم أحمد بن ناصر لملافاة مولاي اسماعيل بمكناسة

وفي أوائل ذي القعدة من عام سبعة عشر ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي على مكناسة الزيتون أمنها الله لملافاة السلطان مولانا اسماعيل رحم الله الجميع بمنه فتلاقى معه ورجع (325).

(325) انغردب الحوليات بخير قدوم الشيخ أحمد بن ناصر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

عبد الرحمان بن محمد السلاسي

فمنهم الإمام النحوي أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان (بن عمران) السلاسي، الأصل، الفاسي المولد. وليس هو من أولاد قاضي فاس المتقدم، إنما هو من أبناء عمه. وكان صاحب الترجمة يحسن النحو مداوماً على تدريس ألفية ابن مالك، وبحفظ توضيح ابن هشام يقوم على جمع ذلك بحواشيه وشروحه، وأخذ عنه جماعة، وله مشاركة في علم البيان وغيره. ومحل تدريسه مدرسة الصهرنج من عدوة فاس الأندلس وغيرها. قرأ على أبي العباس ابن الحاج، وعلى جدنا عبد السلام بن الطيب الفادري، وعلى أبي عبد الله القسطنطيني، وعلى أبي عبد الله محمد بن عبد الفادر الفاسي، وأبي عبد الله محمد العربي ابن أحمد الفشتالي وغيرهم.

وله شرح على أبيات البطلوسي في تصريف الفعل المحذوف الفاء واللام في صيغة الأمر وهي عجيبة جداً ومفيدة ونصها:

قِ الْمَسْتَجِرَّ قِبَاهُ قُوهُ قِي قِبِنَا	إِذَا أَقُولُ لِمَنْ تُرْجَى وَقَايْتُهُ
لِ شَغَلْ هَذَا لِبَاه لُوهُ لِي لِنَا	وَإِنْ صَرَفْتَ لَوَالٍ شَغَلْ آخَرَ قَلْ
شِ الشُّوبَ وَتَكَ شِبَاهُ شُوهُ سِي سِنَا	وَإِنْ وَشَى نُوْبَ غِبْرٍ قُلْتُ فِي ضَجْرٍ
دِ مَنْ قَاتَلَتْ دِبَاهُ دُوهُ دِي دِنَا	وَقَلْ لِقَاتِلِ إِنْسَانٍ عَلَى خَطِيئَةٍ
رَ الرَّأْيَ وَتَكَ رِيَاهُ رُوهُ رِي رِنَا	وَإِنْ هُمْ لَمْ يَرَوْا رَأْيِي أَقُولُ لَهُمْ
عِ الْقَوْلَ مِئِي عِيَاهُ عُوهُ عِي عِنَا	وَإِنْ هُمْ لَمْ يَعُوْ فَوَلِي أَقُولُ لَهُمْ
إِ مَنْ تُحِبُّ إِيَاهُ أُوهُ إِي إِبِنَا	وَإِنْ أَرَمْتَ بُوَايَ لِلْمَسْحَبِ فَفَلْ
نِ بَاخْلِيلِي نِبَاهُ نُوهُ نِي نِنَا	وَإِنْ أَرَدْتَ الْوَتَى وَهُوَ الْفَتُورُ فَقَلْ
فِ بَاخْبِيسِي فِبَاهُ فُوهُ فِي فِينَا	وَمَنْ أَبِي أَنْ يَفِي بِالْوَعْدِ قَلْتُ لَهُ
جِ الْقَلْبَ مِئِي جِبَاهُ جُوهُ جِي جِنَا	وَقَلْ لِسَاكِنِ قَلْبٍ إِنْ جَرَاكَ بِهِ

وقد استدرك على هذا النظم كثيراً، وله نظائر كثيرة.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام ثمانمائة عشر ومائة وألف، ودفن داخل باب المسافرين، في روضة سيدي عمران.

عبد الملك بن محمد التَّاجُوعِيُّ

ومنهم الفقيه العالم العلامة قاضي سجلماسة أبو مروان عبد الملك بن محمد التَّاجُوعِيُّ. كان إماماً محدثاً خطيباً ولى قضاء سجلماسة، وكان إلهه المرحح في نوازلهما وله التقديم على علمائها، وله وجهة مع السلطان (في أبيه) وتوقير بناسب منصب العلم، يصدع له بالحق في مواطن التلطيف، نصحا له من غير تكلف، سامى الهمة منين القول حاد اللسان ذرب في الأمور المخزنة، عالم بالمخاطبات السلطانية. وكانت له مشاحنة مع النبيخ اليوسي تقدمت الإشارة إلى ذلك. ووقع النزاع بينه وبين بعض علماء فاس في مسائل حتى قال في بعض رسائله بخاطب بعض خواصه: أما بعد ففد اتصل بنا مكتوبكم الأتور بلمشمس الإفاضة بحقبقة العلم النبوي، وقد أجبتنا به بحضرة النخبة العليا، وبهجة هذه الدنيا، الزكي النحرير، الناقد البصير، مولانا محمد ابن مولانا السلطان أدام الله تأسده وتسديده من أنه صلى الله علي وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء، استغريه أو استنكره طلبية فاس، وبالغوا في التشنبح بين عوام الناس. فإننا لله وإنا إليه راجعون على ضياع العلم وفقد أهله، هبهات ما هذا بعشك فادرجي، وإتى ممن أنكر الخوض في مثل هذه المسائل، وغالبا ما يتعاطاه وشيوخه من قل في الدروس: ندب لفاضي الحاجة جلوس. وبرحم الله ابن خلدون حيث قال: لم نر في المائة من سلك طريق النظر بفاس لأجل انقطاع ملكة المعلم عنهم، ولم يكن منهم من له عناية بالرحلة، بل قصرت همهم واقتصرت على طريق نحصيل القراءة ودرس التهذيب فقط. نعم أخذوا شيئا من ميادى العربنة من أهل الأندلس مثل ابن أبي الربيع والشلوبين وغيرهما لوجود ملكة النحو في قطر الأندلس بسبب رحلة علمائهم إلى تلقيه من أربابه بالمشرق، كما ارتحل أعلامهم إلى بغداد في تحصيل الفقه عن الأبهري، وكذا يحيى ابن يحيى عن مالك وغير واحد. وكذا علوم الحديث كرحلة الإمام أبي بكر بن العربي. انتهى الغرض منه، وسقناه حجة على كبير ممن يغلط منهم ويرى الفضل لنفسه بمجرد سكتي فاس، كالحاكم في قضية العلم النبوي بكفر القائل بعلم النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء على ما أخبرنا به الفرع الزكي مولانا محمد بن السلطان أدامه الله، لما سألنا عن ذلك فأجبتنا بأن القول بعلم النبي صلى الله عليه وسلم على كل شيء صحيح، والتكفر بعد وجهل من الفائل به. انتهى كلام صاحب الترجمة بنصه. ثم استدل على ما قاله بحديث الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً: أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس. وفول حسان - رضى الله عنه - :

نبيُّ بَرَى ما لا يرى الناسُ حولهُ ويتلُو كتابَ اللهِ في كُلِّ مَسْئِدِ
فإنَّ قالَ في يومِ مسْئالَةِ غائبٍ فتصدِّقُهُ في ضِجْوَةِ السومِ أوْ غَدِ

وأطال النقل في ذلك وذكر أنه صلى الله عليه وسلم علم حتى الخمس على ما عليه المحققون، ثم قال ما نصه: وفي الصحيح وسنن أبي داوود عن أبي وائل عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في معامه ذلك إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه. قد علمه أصحابي هؤلاء، وأنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه انتهى واللفظ لأبي داوود. ومثله في جامع أبي عيسى عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر ثم قام خطيباً فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.

وفي حديث أبي ذر - رضي الله عنه - فيما أخرجه الإمام أحمد والطبراني وغيرهما: لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تحرك طائر بجناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً، وفي الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً إن الله قد رفع الدنيا فأنا انظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القسامة كما أنظر إلى كفى هذه انتهى بلفظه. وكونه صلى الله عليه وسلم لم يفارق الدنيا حتى علم كل شيء حتى الروح قال به جماعة من المحققين منهم إبراهيم اللقاني وعلي الأجهوري، وقال الشيخ البوصيري في الهمزية:

لك ذات العلوم من عالم الغيب وبِ مِنْهَا لَادَمَ الْأَسْمَاءُ

وقال في البردة:

دَعَّ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَأَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَاحْتِكِمُ

قلت: هذا حاصل ما استدل به صاحب الترجمة ولا خلاف بينه وبين من حاجه من أهل فاس أنه صلى الله عليه وسلم يعلم كسبوا من المغيبات مما يتعلق بالدنيا والآخرة، ويعلم جميع ما دلت على علمه هذه الأحاديث وأكثر من ذلك لأنها لا تدل على الإحاطة بالمعلومات، وفي الموطأ والصحيح عن عائشة (326): أنه صلى الله عليه وسلم خطب بعد صلاة الكسوف ثم قال: ما من شيء كنت لم أراه إلا وقد رأيت في معامبي هذا حتى الجنة والنار ولكن في كل الروايات التي عند مسلم غير هذه بزيادة كل شيء وعدتم، وفي رواية وعدت بالإنفراد. قال الأبي وغيره أي الجنة والنار، ويحتمل أن علمه بالرؤية مقصور عليه

(326) في ط: عن أسما.

فتكون هذه الرؤية مخصوصة لا برؤية الإطلاق كما هو معلوم من حمل الإطلاق على المقيد. وفي رواية أخرى عن جابر عرض علي كل شيء تلومته فيحتمل أن يكون المعنى في رواية عائشة على هذه الزيادة ويكون ما عداها مفسرة لها، فلا يتم الاستدلال بها حستد لتطرق الاحتمال، فوق الاختلاف. وإنما اختلافهم في الإحاطة بكل المعلومات بحيث يستوي العلم القديم والحادث فيكون متعلقهما واحداً مع التباين في الحقيقة، إذ حقيقة القديم (لا) مماثلة بينها وبين حقيقة العلم الحادث، فبعضهم امتنع من هذا الإطلاق ورأى الإحجام عنه واجباً لأنه لا قاطع فيه ولا ناقص في كونه يخرج عن علمه بعض المعلومات صلى الله عليه وسلم، وبعضهم أقدم عليه لأنه فعلي لا ذاتي، بل مما من الله به على هذا النبي الكريم ورفع قدره به فضلاً منه تعالى ومنه وكرامة. وهو مفهوم من تفضيله صلى الله عليه وسلم على جميع المرسلين، بل وجميع المخلوقين، للنصوص القاطعة في ذلك والإجماع عليه من أهل الحق، وكونه صلى الله عليه وسلم أعلمه الله تعالى كل شيء وأطلعته عليه لا محال فيه، إذ يفعل في ملكه ما يشاء، ويفضل من يشاء بما شاء.

ولا تَقَلْ لِي بِمَاذَا نَلْتَجِيْدَهَا فَمَا يُقَالُ لِفَضْلِ اللَّهِ ذَا بِيَكْمِ
دَعَّ مَا ادْعَيْتَهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمْ وَأَحْكُمُ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيهِ وَأَحْكِمِ
وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ وَأَنْسَبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ عِظَمِ
فَسَانِ قُضِلَ رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ حَدُّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمِ

والذي يظهر لي الإمساك عن الخوض في هذه المسألة بالنسبة فيما ظهر اختلافهم فيه، وهو الإحاطة بكل المعلومات، لأنه لا قاطع فيها، مع اعتقادنا أنه صلى الله عليه وسلم أفضل من كل مخلوق على الإطلاق.

نَبِيْنَا أَفْضَلُ بِالْإِطْبَاقِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ

وأنه في أعلى درجات الكمال التي لا درجة فوقها. ولصاحب الترجمة شرح على قصيدة الشيخ أبي عبد الله بن ناصر الرائية في الديانات، وهي مختصرة جداً. وكان ينظم الشعر، فله قصائد، وله في مدح الولي الصالح الشهير سيدنا أبي يعزى - رضي الله عنه وتفعنا ببركاته - آمين.

عباد الله في الدنيا اللثالي أبو الأنوار لؤلؤها الثمين
أَنْعُ بِجَنَابِهِ وَأَحْكُمُ عَلَيْهِ بِمَا أَمَلْتَهُ وَأَنَا الضَّمِينُ

أخذ صاحب الترجمة عن شيوخ المغرب ثم رحل إلى الحجاز بقصد الحج فلقى الشيخ إبراهيم الشهرزوري وطلب منه الإجازة فأجازه ججمع مقروآته ومروياته بما اشتملت عليه فهرسته، وقرن معه في الإجازة القاضي أبا عبد الله محمد بن الحسن المجاصي.

توفي صاحب الترجمة عام ثمانبة عشر ومائة وألف بتافالالت. فلما بلغ خبر موته السلطان أرسل من باتبه بماله، فجيء له بماله وولده مقبدا من سبجلماسة إلى مكناس (327)

مُحمد بن مولاي اسماعيل

ومنهم الفقيه الشريف، العالم المنيف، الماجد الأسعد، الفارس الأنجد، أبو عبد الله مولاي مَحمد ابن السلطان الجليل أبو النصر مولاي إسماعيل السبجلماسي الحسني. كان ماهرا في علوم كالتنحو والبيان والمنطق والكلام والأصول، وله مشاركة في علوم أخرى. وكان حريصاً على مجالسة العلماء لأخذ العلم منهم، ويبالغ في تعظيمهم وإكرامهم. فاحصم به منهم جماعة لحرصه على العلم رجاء نفع الخلائق و أن يسير سيرة المهتدين من الولاية، فلم يكن إلا ما قدر الله تعالى. ففد كانت على يده فتنة في الخلائق عظيمة، فنار على والده (328) ودعا الناس إلى بيعته. ففي يوم عبد القطر من عام أربعة عشر ومائة وألف ورد خبر لفاس بنزول مولاي مَحمد من مراکش بمن كان معه حارك من قبائل المغرب وجيش الدولة الذين وجههم والده معه حيث وجهه إلى سوس وجمع قبائل سوس يريد بهم الإستيلاء على المغرب. ثم وجه مولاي إسماعيل ولده مولاي زيدان مع قبائل الغرب وجوسه، فوجه إليه السلطان مولاي مَحمد لملاقاة أخيه مولاي زيدان أخاه مولاي بناصر، وكان ممن بعنه معه والده حيث وجهه إلى سوس، فالنقى الجمعان قرب وادى المريع (329) فكانت الهزيمة على مولاي بناصر. ثم زحف مولاي زيدان بمجموعه إليه فنزل مراکش، فكانت بينهما حروب عظيمة كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان. ومن جملة ما وقع بأهل فاس الذين كانوا مع مولاي مَحمد وعددهم أربعمائة رامٍ أنه لما كانت الهزيمة على مولاي مَحمد لم يرضوا بذلك فثبتوا وحعلوا ظهور بعضهم لبعض [فأمر مولاي زيدان الجيوش أن تحبسط بهم] (330) فقاتلوا حتى نفذ لهم البندق أي الرصاص الذي يجعل في المدافع فجعلوا يجعلون مكانه دنانسر الذهب ويرمون به إلى الليل ونفذ القتل جميعهم ولم ينج منهم إلا من كان به رمق فجرح ففر إلى إخوانه الرماة الذين مع مولاي زيدان ليلا فأخفوه ونسبوه من جرحاهم. ثم تخلى

(327) تقع ترجمة التجموعى في ط مختصرة في صفتين ونصف، وأتبنا كل الزبانات التي في المخطوطات دون الإسارة إلى تمييزها.

(328) ضرب عن ذكرها صفحا في ط. واكتفى بالقول: وفضبه صاحب الترجمة مع أبيه معلومه رحم الله الجميع به

وكرمه

(329) لعله « أم المريع » كسب حسب النطق الدارج.

(330) ساقط من ك.

مولاي محمد عن مراكش ولحق بتارودانت وأستقر بها، ودخل مولاي زيدان مراكش بجيوشه فنهبوا أموالها وسبوا ووثبوا على الأيكار والنساء بالوطء، ووقع الفساد والقتل للرجال والنساء والصبيان. ثم ارتحل مولاي زيدان من مراكش في طلب أخيه مولاي محمد فكانت بينهما حروب كان الظفر في آخرها لمولاي زيدان، فتحصن مولاي محمد بتارودانت وحاصره بها أخوه مولاي زيدان إلى أن دخل عام ثمانية عشر ومائة وألف فدخلها عليه مولاي زيدان عنوة فهرا، وقتل رجالها ونساءها وصبيانها وسبى أهلها ونهب أموالهم، وقبض أخاه مولاي محمد وقيده في الحديد ووجه به إلى والدهما السلطان مولاي إسماعيل، فجيء بصاحب الترجمة مصفداً في الحديد إلى مكناسة الزيتون، فخرج والدهما السلطان مولاي إسماعيل للقائه وظن أنه قريب من مكناسة، فلم يلقه حتى قطع وادي بهت وخرج معه العلماء وجميع وزرائه وأتباعه وحشمه، فلم يحتفل بطعام لظنه الرجوع عن قريب حتى أدركه الجوع وجميع من معه، فكان ذلك مما زاد في غضبه، وكان خديمه القائد عبد الله الروسي تركه مولاي إسماعيل بمكناسة على مصالحه، فبعث الواردين إلى مكناس الذين جاؤا رفقة مولاي محمد أين تركوه بالأمس، فعلم أن مولاي إسماعيل لم يدركه قريباً مع علمه أنه خرج بغير زاد ظناً منه أنه يلقاه قريباً فأمر أصحابه أن يشترتوا له جصع ما بمكناسة من طعام، فاشترتوا له بعجل ويذبن حتى يرجع، واكترى جميع دواب الحمارة وحمله عليهم وأسرع السير في اتباعه، فلما اشتد بأصحاب السلطان الجوع رأوا الروسي مسرعاً في أثره، فسأل عنه فأخبر بأنه الروسي، فقال لهم السلطان: ولعله سأل عن خير مولاي محمد فأخبره بأنه بعيد وأعلمه بنا أننا خرجنا بغير زاد، فترك ما تركته على خدمته ورأى هذا أكد، فهو قد أتاكم بالطعام، فسألوه فأخبرهم بما أخبره به السلطان، ثم دفع للسلطان طعاماً كثيراً ففرقه على الناس فسكن روعهم، ورجع الروسي إلى خدمته بمكناسة التي تركه عليها، ثم لقي الذين أتوا بولده مولاي محمد ودفعوه إليه فجعل مولاي إسماعيل يسأل الفقهاء عن حكم الله فيه، فأجابه من كان يبغض مولاي محمد من المتطلبة المتعصبين بقطع يده ورحله من خلاف، وتلا عليه قوله تعالى: «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» الآية، ففعل به ذلك، فبقي مولاي محمد أياماً ثم مات رحمة الله عليه، وصلى عليه القاضي سيدي العربي بردلة، ودفن بمكناس قرب سيدي مكروز (331) ثم سكن روع السلطان وندم على ما فعل بولده من قطع، فكان ندمه على ما فعل رحمة للمتطلبة الذين كانوا يخالطون ولده مولاي محمد فلم ينكب واحداً منهم ولم يعانهم على معرفته. وكان وشي إليه بالشيخ أبي عبد الله المسناوي بأنه من أخص خاصته الذين لا يتحرك في القيام على والده إلا عن مشورته، ويبادر العامل إلى قبضه، فلما بلغه أن مولاي إسماعيل ندم على ما فعل بولده سرحه، فكان ذلك من لطف الله به. وكان لما وصل الخبر

(331) في هامش سطر: الصواب أن يقول قرب سيدي عمر العيصيني.

للغرب بابتداء قيام مولاي محمد كتب له الشيخ السناوي بهذه الأبيات الثلاثة فلم يجبه عنها :

مهلاً فإن لكل شئ غايَةً والدهرُ يعكسُ حيلةَ المحتمال
والبدرُ ليس بلوحُ ساطعُ نوره والشمسُ باهرةُ السُنا في الحال
فإذا توارت بالحجابِ فإيُّما يَبْدُو وامدد لعزر وأحمال

فلما وجد السلطان هذه الأبيات مقبدة في كناش صاحب الترجمة ونسبها للشيخ السناوي علم أنه نهاه عما يريد قبل منه عدم موافقته وخطى سبيله .

وهذه الفتنة ابتلى الله بها أهل الأفق السوسي فكانت من أعظم المصائب عليهم بل وعلى جميع أهل المغرب، ولله در الشيخ زروق فإنه كان لا يصلي خلف إمام القرويين سيدي عبد العزيز الورياغلي مع زهده وروعاه وعلمه ومع ما علم من نناء الشيخ زروق عليه لقيام أهل فاس على السلطان عبد الحق المريني بمشاورته في قتل اليهودي الذي ولاه عليهم، وكان يقول في شأنه أنا لا أصلي خلف سيدي عبد العزيز فإنه غندور كالملاعب له، ويزيد : الصلاة لا تجوز خلف الغندور . فيجمع بذلك بين تعظيمه والتبري منه . وهذا شأن أهل الورع والنهْي، وتقدمت القضية بتمامها .

وكان صاحب الترجمة ينتحل الشعر وتهزه أرحبة الأدب، قصده الناس بالفصائد والرسائل كتيرا، وكتب له أخوه مولانا الشريف، صدر مراسلة ما خاطب به سف الدولة ابن حمدان أخاه ناصر الدولة وهو هذا :

رضبتُ لك العليَا وإن كُنتَ أهْلها وقلتُ لهم بيْنِي وبينَ أخي فَرِقُ
أما كُنتَ تَرْضَى أن أكونَ مُصلِّئَا إذا كُنتَ أَرْضَى أن يَكُونَ لكَ السَّيْقُ

والمصلي هو الثاني من الخيل في الحلبة، والمجلي هو الأول، فطلب المكتوب إليه أبا عبد الله السناوي أن ينوب عنه في الجواب لأنه كان من الوافدين عليه حينئذ فأجاب :

بلي قد رضتُ أن تكونَ مُجَلِّئَا ويثْلُوا نداكُم في العُلا من لهُ السَّيْقُ
ومالي لا أَرْضَى لك المَجْدَ كُلُّهُ وأنتَ شَقِيقُ النَّفْسِ إن عُرِفَ الحقُّ
ولكن ذُووا الضُّعْفِ أنْتَحُوا ذاتَ بَيْنَا فَعَادَرَهَا إفسَادُهُم وبِهَا رَنُقُ

وفي القاموس : رَنِقَ الماءُ كَفَرِحَ ونَصَرَ رَنَقاً ورَنَقاً ورَنُوقاً : كدر .

والأمداح في صاحب الترجمة كثيرة في أيدي الناس. ولما توفي صاحب الترجمة -رحمه الله - صلى عليه القاضي أبو عبد الله بردلة فنم عليه بعض الطلبة، ووشى إلى السلطان به وأوغر قلب السلطان عليه قبل ندمه على ما فعل بولده بإشارة الطلبة، وقال له إنه يبغضك ويحب ما فعل ولدك، ولولا شدة بغضه لك ما صلى على عدوك الذي قام عليك. فكتب السلطان إلى أبي عبد الله بردلة بعاتبه ويهدده، فأجابه بأن صلاته عليه لم تكن من غير إذن بل جاءه الإذن من الدارالعالية بلغ مبلغ الشهرة وخرج عن طريق الشك، وذلك كله آداب مع الأمر العالي، بل الواجب حينئذ هو القيام بذلك كما فعله بردلة إجلالا له. وإذا كان المقصود تعظيم السلطان فلا ينصت إلا لما يعاتب به في الآداب معه، ولما قال (صلى الله عليه وسلم) في قضية الحديدية امح يا علي رسول الله، قال والله لا أمحو رسول الله أبدا، فتعارض وجوب امتثال أمره (صلى الله عليه وسلم) بالمحو ووجوب الإجلال لمقامه، فرجع علي - رضي الله عنه - جانب التعظيم، وفي شرح الأبي لمسلم أن الحسن البصري لما ليم على صلاته على الحجاج قال: استحسنت من الله عز وجل أن أستعظم ذنب الحجاج في جانب عفوه. والصحيح أن الحدود كفارات، ففي كتاب الإيمان من صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت وكان شهد بدرًا وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله (ص) قال وحوله عصابة من أصحابه: (يايعونني على أن لا تُشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف، فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك) انتهى. فهذا حاصل ما اعتذر به وهو جيد مناسب، وهذه الترجمة تستدعي طولا. وكان حبس صاحب الترجمة في سادس عشر صفر، وفي رابع ربيع الأول قطعت يده ورجله، وبعد ذلك بعشرة أيام مات (332).

أحمد بن أحمد العمراني الطود

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس سيدي أحمد بن أحمد الشريف العمراني المعروف بالطود، نسبة إلى جبل سكن به سلفه يسمى بذلك لعلوه عن الجبال المجاورة له ببلاد الهبط، وهم من بني عمران الإدريسيين الذين ببلاد الهبط. تولى صاحب الترجمة القضاء بأبي ومراس وغيره من قبيلة بني عروس، ومات عام ثمانية عشر ومائة وألف عن سن عالية نحو مائة سنة وثمانية أعوام. أخبرني بذلك حفيده المسن سيدي محمد بن علي بن أحمد المذكور (333).

(332) اختصرت ترجمة محمد العالم في ط في صفحة واحدة، وما أنتناه زائد في المخطوطات.

(333) ترجمة الطود ساقطة من ط.

علال طاهر الحسني الجوطي

ومنهم الشريف سبدي علال طاهر الحسني الجوطي. توفي خامس المحرم فاتح عام ثمانية عشر ومائة وألف (334).

حوادث السنة

كسوف الشمس

ومن حوادث العام، ففي التاسع والعشرين (335) من المحرم كسفت الشمس كسوفاً بينا فاسودَّ جرمها كله وأظلمت الدنيا حتى بدت النجوم ومكثت كذلك زماناً من النهار وخرج القاضي أبو عبد الله بردلة إلى مسجد الفرويين فافتتح بالناس صلاة الكسوف وصلوا وانجلت الشمس .

استباحة قبيلة بن أحمد

وأطلق العامل السبيل في قبيلة بني أحمد فقتل النساء والرجال والصبيان [وقع] النهب والسبي (336) .

ثورة مولاي محمد العالم علي والده

وفي هذا العام وقعت قضية الشريف الفقيه، العالم العلامة النزيه، ديباجة الدنيا، وتاج المكانة العلى، الماجد الأنجد، الفاضل الأسعد، أبو عبد الله مولاي محمد مع والده السلطان المظفر المؤيد شمس الدنيا وبدرها الأزهر تاج الشرف الأتيل أبي الفتوحات مولانا إسماعيل -رحم الله الجميع بمنه وكرمه- أمين وهي معلومة. وذلك أنه قام على والده مُكرراً لما هو عليه من تكسيب العبد والتصرف في بناتهم بغير وجه شرعي حقيقي. وخالف أمره وثار عليه حتى اهتز الغرب من أجله ومال الناس محبة فيه إليه. فبعث إليه السلطان ولده مولانا زيدان فكان يقاتله في كل موضع ومكان والهزيمة تقع على مولاي محمد حتى حاصره بتارودانت أياماً عديدة. وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر العام جاء الخير بأخذ تارودانت وقتل كثير من أهلها رجالاً ونساءً وصبياناً فنهبت أموالهم واسنبتحت محارمهم وأعراضهم، فحُبس مولاي محمد وجعل عليه كبل وأونى به لوالده السلطان مولانا إسماعيل لمكناسة الزيتون أمنها الله. وفي الرابع من ربيع الأول النبوي من العام خرج السلطان مولانا إسماعيل من مكناسة الزيتون إلى وادي بهت وفيه أمر بقطع يد ولده مولاي محمد ورجله. وفي خامس عشر من الشهر نفسه مات مولاي محمد المذكور إذ لم يأمر والده بمداواته من القطن المذكور نسأل الله السلامة والعافية (337).

(334) ترجمة الجوطي ساقطه أيضا من ط.

(335) في ط، والحواليات: تاسع عشر.

(336) انفردت ك و س بخبر استباحة هذه القبيلة.

(337) انفردت الحوالمات بإدراج خبر الثورة في حوادث السنة. وقد أئتمناه على ما فيه من تكرار لبعض ماسق، بسبب ما اشتمل عليه من إشارات تاريخية لم ترد في سياق الأصل.

العام التاسع من العشرة الثانية

محمد حم^١ بن عبد الوهاب الوزير الغساني

فمنهم الفقيه المشارك المتفتن الدارك المتفن الأرفع أبو عبد الله محمد المدعو حم^٢ بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي الفاسي. كتب للسلطان أمير المومنين مولانا إسماعيل، وكان نجيباً في ذلك، ذكر أن كل ما يلقي إليه في مجلس السلطان يحسن فيه الوثيقة. انتهت إليه صنعة الترسيل يأتي في كل أمرٍ أمر به بوجه علي أسلوب مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، عجز أهل العصر عن إدراك ذلك. وكان الخليفة بملى عليه الأمر برسائل عديدة لعمال وغبرهم متفرقون في البلدان، فيذهب لمنزله ويستوفي جميع ما أمره بكتبه ويعطي كل ذي حق حقه من غير زيادة ولا نقصان، ثم يأتي بجميع الرسائل ويملبها على السلطان فيتعجب من سرعة الكتابة وحسن العبارة ومن عدم الزيادة والنقصان. وكان له سرعة في نسخ الكتب لم تعرف لغيره. وقد أرسله السلطان لبلاد الروم المتولن على بلاد الأندلس بقصد أن يستخرج ما تحت أيديهم من الأسرى المسلمين، ويستخرج ما بقي للمسلمين من كتب بالمساجد المهجورة هنالك، وألف في ذلك رحلة يسعها كتاب سماه : رحلة الوزير، في افتكاك الأسر، ذكر فيها بعض ما رأى من العجائب الفريدة المثل، وذكر فيها خبره معهم، وتوفي من مرض بدارهم الكائنة بزنفة الرطل من عدوة فاس القرويين، ودفن بروشتهم التي بالكفطين المجاورة لروضة الشرفاء [الإدريسيين العمرانيين الحسينيين وهي المدفون بها القاضي أبو القاسم ابن أبي النعيم الغساني ابن عمهم وجدهم أبو القاسم الغساني الطبيب المعروف بالوزير، عرف بذلك لما استوزره مولانا أحمد المنصور الذهبي السعدي الشريف الحسنی وبعثه بفكاك الأسرى بأسرى وقعة وادي المخازن مع محمد المسلوخ ومولاي عبد الملك الغازي السعدي أخ أحمد المنصور وعم محمد ابن عبد الله الغالب المعروف بالمسلوخ. ولما كان قبل يعرفون بالغسانيين وهم رهط أبي علي الغساني الأندلسي وإنما جرى على ما ذكر منهم لقب الوزير بوزارة أبي القاسم المذكور نم ولي لأولادهم بعده كذلك إلى الآن وهي التي في شركة في الإدريسي (كذا) الأندلسي] (338) وفي عام تسعة عشر ومائة وألف (339).

مسعود بن محمد جموع^٣

ومنهم الأستاذ المجود الفقيه أبو الفضل مسعود بن محمد جموع بوزن كُوب -

بتتديد الميم وضهما - الفاسي الدار السجلماسي الأصل السلوي الوفاة.

(338) ما بين معقوبتين زيادة في س.

(339) أحررت ترجمة الغساني عن ترجمة جموع في ط، واخرت في ستة أسطر

قال الشريف الأديب سيدي محمد بن الطيب في كتابه المسمى بالأنيس المطرب فمن لقيه من أدباء المغرب : فرأت عليه ، يعنى صاحب الترجمة، ختمة من كتاب الله عز وجل، والشمائل للترمذى وصحيح البخاري، والشفاء لعياض، والاكتفا للكلاعي، وسيرة اليعمرى، والنصيحة الكافية لسيدي زروق، وألقة ابن مالك، وتلخيص المفتاح وشرحه للسعد، وكتابه المسمى بنفائس الدرر في سررة خير البشر انتهى مختصراً.

وفي الرحلة الفاسية أن صاحب الترجمة عالم بالتفسير والحديث والفقاه أستاذ عارف بأحكام القراءات صبور حلسم جميل المعاشرة جواد كثير التلاوة والصلاة على النبي (ص) دين وورع، لا يرى إلا مدرسا أو تالياً أو ناسخاً جيد الخط. أخذ النسخ عن سيدي عبد القادر الفاسي، وابن عمه سيدي محمد بن أحمد. وأخذ الحديث عن سيدي أحمد بن حمدان التلمساني، والقراءات عن سيدي محمد بن أحمد المريني، وأجازته في السبع والعشر.

ألف نفائس الدرر في سررة سد البشر في سفرين؛ والروضة الوسطى؛ والروضة الصغرى كلاهما في السير. وله تأليف في القراءات والرسم، وحاشية على الصغرى، وشرح على السلم في المنطق، وشرح على الأجرومية وحواشي على الألفية، وله ناليف أخرى لم تكمل. وكان يدرس بسلا بزاوية أحمد حجي صحيح البخاري، والشفاء، والشمائل، فمرض وتوفي بمدرستها في ربيع النبوي عام تسعة عشر ومائة وألف، ودفن بها أواخر جمادى الأولى (340).

حوادث السنة

زلزلة عند آذان الصبح

ومن حوادث العام فني يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة وقعت زلزلة عند آذان الصبح، فمن المؤذنين من قطع الآذان، ومنهم من صاح دهشاً، وسقطت دور كثيرة وتعيبت، ومات يهدمها قوم كثيرون، فكانت من أشد الأمور.

هدم قصر البديع بمراكش

وفي عام تسعة عشر ومائة وألف أمر السلطان مولانا إسماعيل بهدم الدار التي بناها أبو العباس أحمد المنصور المدعو الذهبي السعدي بمراكش وسماها البديع. وكانت مدة بنائها

(340) كذا في ك و س، وهو مشكل ناتج عن تصحيف أو تعدد وتأخير. ولعل الأصل: فمرض بمدرستها في ربيع النبوي... وتوفي ودفن بها أواخر جمادى الأولى. وتاريخ الوفاة هذا هو الوارد في ط. وقبر الشيخ جموع معروف في الرواية الحجية بسلا. وقد اختصرت ترجمة جموع في ط كذلك في بضعة سطور.

ست عشرة سنة فهدمت معالمه وبدلت مراسمه وغيرت محاسنه وفرقت جموع حسنه وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس حتى صار مرعى للمواشى ومقيلا للكلاب ووكورا للبيوم والصيد. وحقّ على الله ما رفع شبتا إلا وضعه من الدنيا. ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب إلا ودخلها شيء من أنقاض البديع. وإذا تأملت لفظ البديع وجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر وهذا القدر من السنين هو الذي بقي فيه قائما عامرا. فإنه فرغ منه عام اثنين وألف وشرع في هدمه عام سبعة عشر ومائة وألف فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة سنة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه. وذلك من غريب الاتفاق، والبقاء والدوام للملك الواحد الخلاق. والملك التام لله الملك الديان الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون. انتهى (341).

(341) انفردت الحوليات بحادث هدم قصر البديع

العام العاشر من العشرة الثانية

محمد بن سعيد الجماعي المستغامي

فمنهم الولي الجليل، الفقيه المدرس الحفيل، العالم العامل، العارف بالله البالغ الواصل، سيدي محمد بن سعيد بن [عبد الحق الجماعي نسبا البري قبيلة، المستغامي بلدا ومولدا، دفين عرّاضة -على وزن جرادة- من حوز طرابلس الغرب.

قال ابن عم جدنا أبو العباس أحمد بن [(342) عبد القادر القادري الحسني في رحلته : لما تكلم معه سيدي أحمد بن عبد الله في مسائل غامضة من الطريق فتفجر الرجل بحرا لا ساحل له بما يبهر العقول، وأتني عليه سيدنا أحمد بن عبد الله بأنه من الأقوياء الفحول، ثم قال : وأخبرنا سيدي أحمد أنه من الأكابر ويعرف الطريق حرفا حرفا، ثم قال وهو ممن يلقي الخضّر-عليه السلام- حسبما أخبرني بذلك عن نفسه. أخذ الطريق عن الشيخ محمد النفائي دفين قابس، وأثنى عليه أبو العباس البسني، وقال فسه: المجدوب صاحب الحقائق انتهى. وكتب بعد ذلك رسالة لسدي أحمد بن عبد الله وأجابه برسالة أخرى. وأخبر صاحب الترجمة أنه كان في ابتداء أمره محبا للصالحين ولسلوك طريقهم، قال: وتركت الأهل والأوطان في طلبهم، فأول من لقتته الشيخ العارف بالله سيدي محمد الشريف، وكان من أهل الكشف الطائرين في الهواء، ثم اجتمع بالشيخ الأستاذ سيدي عبد الرحمان الحمداني فاعتراه حال وقال من أراد شيئا فليطلبه مني فأدعو له بحصوله، فقلت له ادعُ لي بحفظ القرآن فقال لي ضمنه لك فلان، يعني الشيخ المتقدم. فقلت له ادعُ لي بما أحببت فقال الآخرة في يميني، والدنيا في شمالي وكلها لك، ثم انصرفت عنه، وصحبت الشيخ سيدي محمد الصحراوي المندالي، وكان من أهل الكنف الرياني، يختم القرآن كل ليلة. وكان كثير الأتباع ولا محبة له في الظهور. ثم قصدت الحج فاجتمعت بالشيخ العارف المحقق سيدي محمد بن عيسى الصحراوي فصاحبه زمانا وكان أخلاقه الزهد والورع والصبر وحب المساكين فرجعت في صحبته حتى نزلنا طرابلس فقال لي يابني لقد انتهى سيرك معي ولا خروج لك من هذه البلدة لأنني رأيت الشيخ عبد القادر الجيلاني لاقاك وناولك راية كبيرة خضراء وأمرك بالمكث في هذه البلدة، ثم صار عني للحج، فسألت عن شيخ التربية فقبل لي إنه في السودان فخرجت إليه بلا زاد، فزرت الموضع الذي أقام به سيدي عبد السلام الأسمر، فعرض لي ما أوجب الرجوع إلى طرابلس، فوجدت رجلا كاشفني فقال لي : إن كنت تريد شيخ التربية فسر إلى بلاد تاجورا فاسأل عن ولد الشيخ سيدي علي النفاتي، فسرت معه أطلب منه الدخول تحت نظره، فقال لي : سر إلى ابن أخي سيدي أحمد فإنه الوارث للسر الرياني، فسرت إليه بمنشا

(342) سقط ما بين معقوفتين من س فاخطط فيها اسم المترجم باسم القادري صاحب الرحلة.

طرابلس، فلقبني الشيخ العارف المكاشف سيدي محمد أبو كطاية فقال لي : لقد طال إنتظارنا لقدمك، وأتاني بشيء من الطعام وكان الناس يرمونه بالجنون وعدم العقل، وكانت على رأسي قلنسوة قديمة أعطاني إياها بعض أهل الله، فطلب مني تبديلها بقلنسوة جديدة على رأسه، فبدلتها معه، ثم وصلت للشيخ سدي أحمد النفاثي فمكنت تحت رأسه كالمرضع زمانا، ثم أراد الخروج إلى الجريد وكانت لي زوجة فطلقها وأمضيت طلاقها وخرجت معه، ثم اجتمعت في صفاقص برجل من أهل الكشف المحبوبين سيدي أحمد عباس فأخبرني بموت أبي كطاية المتقدم، ثم أمرني الشيخ النفاثي بتربية الفقراء ففعلت لبعض الأصحاب: الله يعظم الأجر في الشيخ سدّ عنه باب الزيادة. ثم أردت الرجوع إلى طرابلس فاسأذنته فقال لو صبرت حتى تحضر موني، فقلت له ومتى هي؟ فقال في ذي الحجة ونحن في شعبان، فقلت لا أرد عنك شيئا من قدر الله. فقال لي سرّ الله معك. فلما وصلنا إلى طرابلس ووصل الأجل الذي أخبرني به وصلنا الخبر أنه مات قتيلا -رحمة الله عليه- فتألمت أياما وتركت الطعام والشراب والنوم، ثم رأيتُه مناما فقلت له : ضاقت نفسي من السيف الذي ضربت به، فقال لي الذي تشتكي منه هو الذي تشتكي إليه، فاستيقظت ولم أجد ألما. ومرض صاحب الترجمة حتى كان غالب أحواله يتسم للصلاة لفرط البرد، ولم يقع له نوم يحصل له به راحة مدة من أربعين سنين من ألم الحصاة، فكان إذا تكلم في أحوال القوم غاب عن الألم حتى كأن لم يكن به شيء مع الرضى والتسليم لقضاء الله تعالى.

ورماه أهل بلده بأمور وطعن في دينه وهو بعيد الساحة مطهر الجانب من ذلك، وقالوا ساحر وشهد أهل القرى الذين يقرب بلده بلسان واحد لوالي البلد بخروجه عن الدين فأرسل بقتله فلم يجدوه فخرّبوا داره، ثم وجه له الأمر بعض أهل العلم فاجتمع معهم فنصره الله عليهم بالحجة والبرهان وسلم أهل العلم لأمره، فمنعه الأمير منهم، ثم قال عليه طوائف أخرى مرات فنجاه الله منهم. ذكر هذا كله بعض من ألف في مناقبه. ولهذا مال كثير منهم للعزلة والانقطاع عن الخلق رفقا بهم، فقد نفى أبو يزيد البسطامي من بلده سبع مرات، وساروا بدي النون المصري من مصر إلى بغداد مغلولاً مقيدا، وأخرجوا سهل بن عبد الله من بلده إلى مصر. ولما احتضر والده وهو في النزح فال لبعض ولده سلم لي على أبي وقل له عبدك محمد يقربك السلام ويطلب رضاك، فسكن الوالد ثم أفاق فقال : بابني إن ربي يفرئك السلام وببشرك برضاه عنك، فقال لي بأى شيء وصلت إلى هذا؟ فقال ارتفع السقف وكسف الغطاء ثم مات.

وكان يواسي الفقير ويكفل السقيم، ويسد الخلة بالقدر العظيم من ماله على طريق السلف لأنهم كانوا يتصرفون في أموالهم تصرف الخازن ويقول لأصحابه أنا وإياكم سواء في مالي. وكانت طريق شيخه النفاثي طريق الامتحان لمن أراد الدخول في دائرته فإنه كان يطلب

منه نصف ماله ويقول ما معناه من لم يبذل إلينا ألفان كيف بلمتمس منا أن نبذل له الباقي ؟ قال فكنت أقول له : ياسيدي درج الناس شسنا فشبنا ولا تختبرهم في أعز الأشياء عندهم، فإنني أرى أنه قر منك كنبر من الخلق وحرمووا النفع على يديك. وكان لا يواجه أحدا بما بكره، ولا يدعوا بضر على أحد، إلا ما كان من بعض الأعراب الذين انتهبوا أموال الناس وسفكوا الدماء فدعا عليهم فقتلت الله شملهم، وأمر أصحابه بحسن الظن به بأنه لم يخطئ أصلا، وتعظيمه ونصرتة والذب عنه، ويتلو عليهم قوله تعالى: «لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ». وكان ادعى القطبانية انتهى.

وسئل عن هذا القطب ومن هو في هذا الزمان ؟ وأن هو ؟ فقال: ألا أدلكم عن القطب الأكبر والولي الأعظم والسر الأفخم وهو رأس الأمر كله وإليه المنتهى، هو العجز في كل شي حتى في دفع ذباب ينزل عليك. ومثله الفقر وهو نفض اليد من المال، وبه افتخر قطب الأقطاب (صلى الله عليه وسلم) فقال الفقر فخر وبه افتخر على سائر الأنبياء. واختارهم العجز لأنه ضد الملك. وكان بعضهم أعطي كلمة التكوين فقال لا حاجة لي بها، لأن هذا وصف مالكي. وأعطيتها أبو السعود ست عشر سنة فقال فتركتها. وقال الحاتمي أعطيتها فتركتها، وقال الشعراني أعطتها ثلاثين سنة فلم اتبها بها حياء من الله.

قلت : والذي يظهر لي أنهم إنما تركوه لأنهم كاشفوا اسم الظاهر في المظاهرات فلم يجدوا إلقاء سمتهم على أحد سوى الله تعالى. انتهى.

قلت : الذي يظهر من كلامه أن القطبانية مقام من مقامات الأولياء، أحوال من أحوالهم لتفسيره بالعجز والفقر، وذلك منه تنبيه للسائل عن التشوف لإدراك المراتب ليرشد إلى باب الوصول، لأن السائل سأل عما هو ممنوع بيانه ولم يمكنه الإعراض عنه، فأجاب بذلك على طريق العزل في الكلام وإخفاء صوت السر عن غير أهله. ويمكن أن يكون أعطي كلمة التكوين من مقام القطبانية، وإلا فالقطبانية خطة من خطط القوم.

قال جدنا عبد السلام الفادري في مقدمة نزهة النادي : والقطب ويراد به الغوث، قال الحاتمي هو عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في العالم في كل زمان، وهو على قلب إسرائيل -عليه السلام- يعني أنه يتصرف في أمور الخليقة كلها على يده غيبا، ويستمد من أهل وقته فهي خلافة غيبية. ومذهب الحاتمي أنها خطة الانفراد بالنصرف العام، لا الانفراد بقوة المدد فيوجد مع صاحبها في وقته من يساويه مددا وفرة، لكن القطب يده على الجميع انتهى.

وسئل صاحب الترجمة هل أن مسكن القطب مكة ؟ فقال مكة تجيء عنده، والرسول بجيء عنده، مكة لها روحانية تحن على الأولياء وتشتاق إليهم وتطوف بهم، وشهدنا من

ذلك على سليمان - علمه السلام - مع جبشه على بساطه فوق هوائها فبكت فأوحى الله تعالى إليها يا كعبتي ما يبكيك؟ فقالت يارب كيف لا أبكي وبيت أوليائك بطون فون بي، وقال ابن عطاء الله أنت مع الأكوان مالم تشاهد الكون، فإذا شاهدته كانت الأكوان معك. كن مع الله يكن معك في كل شيء. أحب الله بحبيك كل شيء. العارف كل شيء يحبه ولا يحب شيئاً ولا يخاف شيئاً ويخافه على شيء ولا يخاف هو من شيء، وينصر به كل شيء ولا ينتصر بشيء إلا بالله، فيخاف الله ويحبه وينتصر به، وكفى بالله وكيفاً وكفى بالله شهيداً. الحمد لله رب العالمين انتهى. وأنشد مولانا عبد القادر الجيلاني في معنى القطب:

طَفُّ بَجَنَابِي سَبْعاً وَلَذَّ بَزْمَامِي	وَتَجَرَّدُ لِيَزُورْتِي كُلَّ عَسَامِ
أَنَا سِرُّ الْأَسْرَارِ مِنْ سِرِّ سِرِّي	كِعْبَتِي قِبْلَتِي بِسَاطِي مَدَامِ
أنا شيخ العلوم والدرس سغلي	أنا شيخ القرى وكل إمام
قالت الأوليا جمعا بعزم	أنت فطب على جممع الأنام
كل قطب يطوف بالبيت سبعا	و أنا البست طائف بخبسام
فرس العز تحت سرج وجسودي	وركابي على عنان لجسام
أنا إذ ما جذبت أقواس رام	كان نار الجحيم منها سهام
سائر الأرض كلها نحت حكمي	وهي في قبضتي كفرخ الحمام
ومريدي إذا دعاني بشرق	أو بغرب وكان في بحر طام
فأغشيه لو كان فوق هواء	أنا سيف القضا لكل خصام
وأنا عبداً قادراً طاب وقتي	جدي المصطفى حبيبي إمام

ومن كلام صاحب الترجمة: الشيخ في أصحابه كالنبي في أمته، لأنه يحب العبيد في ربهم ويظهرهم من أخلاق الشيطان، ويحبهم في الأخلاق الربانية، فسراهم الحق أهلاً لحضرته ويحبهم، فتدخلهم أسرار الربوبية إما تنزيهاً أو تقدبسا، فيملكون المقامات، وتنطوي عنهم الشقاوة، فهم في يمن الزيادة وإن هفو شيئاً محتة العناية لأنها عامة. «بمحو الله ما يشاء ونشئت وعنده علم الكتاب» فكانوا أحراراً أحراراً، فتمم الله بهم الملة ودأوى بهم العلة، فنبعوا ما في القرآن وأخبر القرآن بهم: «الآن أوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». ضرب الله لنا معهم سهماً إنه على ما يشاء قدير.

وكلامه في الطريق جليل، وله في المعرفة القدم الراسخ، والباع الطويل، وكف بصره في آخر عمره، فروي عنه أنه كان يقول ما معناه : غار علي الحق أن أنظر إلى غيره. وحكي أن أبا معاوية الأسود كان مكفوف البصر وكان يحب قراءة القرآن، فكان إذا فتح المصحف رد بصره عليه حتى يفرغ من القراءة فيكف بصره. وقيل في هذا المعنى :

وغضضت طرفي عن سواك فلم أجد	في الكون غيرك من إله يعبدُ
يامن له عنتِ الوجوه بأسرها	وله جميع الكائنات توحّدُ
يامنتهي سؤلي وغاية مطلبي	من لي إذا أنا عن جنابك أطرّد
أنت المؤمل في الشدائد كلها	ياسيدي ولك البقاء السرمدُ
ولك التصرف في العباد كما تشا	فلذاك تُشقي من تشاء وتُسعدُ
فامنن علي بتسوية يا مَنْ له	قلب المحب مقدس و موحد

توفي صاحب الترجمة في آخر محرم عام عشرين ومائة وألف (343) .

أحمد بن عبد الله مَعْنُ

ومنهم التتبع الإمام، الولي الهمام، طود الإيقان، ومنيع العرفان، مطلع شمسوس العيان، ومعدن الفضل والإحسان، ومصباح الزمان، وفريد الأوان، العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه، سيدي أحمد بن محمد بن عبيد الله مَعْنُ الأندلسي -رضي الله عنه وأرضاه-. تقدمت ترجمة والده عام اثنين وستين وألف. كان -رضي الله عنه- من أعلام الطريقة، ومن أكابر أهل الحقيقة.

قال أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد الفاسي في كتابه الإلصاع بمن لم يذكر في ممتع الأسماع : فهو، يعني صاحب الترجمة، الفتى الذي ما مثله فتى، والرجل الذي ما في وقته أتى. ففي الغيبة في الله وعلو الهمة والشغل به عما سواه غاية ، وقد رفع عنه حجاب النهاية (344) ، وكوشف بالحقيقة كشفًا، وصارت له لباسا ووصفا. وفي البقاء بعد الفناء والقيام بحالة الجمع والفرق وفي اتباع السنة والبحث عنها قد حصل من ذلك على الحظ الأوفر، وفي الالتحاق بحزب السلف الصالح في ذلك ما ونى ولا قصر، وفي الفتوة والأخلاق الزكية الكريمة والشيم المرضية المستقيمة آية الزمان، والمعجزة التي جلت عن مباراة الأقران. وفي الفرار من الدعاوي غاية الإمكان، وفي الفقر إلى الله والغنى والتعزز به سابع مطلقة له اليدان. انتهى.

(343) اختصرت هذه الترجمة الطويلة لمحمد الجماعي في ط في صفحة وبيع. والتمام من المخطوطات.

(344) هذه عبارة سر، وهو الصواب فيما يبدو. وفي ك: وقد رجع له أصحاب النهاية.

وكان من الأعلام المنفردين في زمنه برسوخ القدم في الطريقة واتباع السنة على قدم السلف الصالح آية في السخاء وبذل المعروف بنفسه وماله. مع توضيح العبارة ولطيف الإشاره، مطاعا في جيله محببا، ملحوظا من مولاة بعين العناية مقربا. قبلت فسه قصائد كثيرة جمعها ديوان من تواليف جدا -رحمه الله تعالى- وألف فيه سيدنا الجد كتابه المسمى *بالمقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد* اشتمل على مجلد كبير لم ينسج أحد على منواله، جعله اثني عشر بابا، الباب الأول في نسبه وأبوه، وعشيرته الأقربين إليه. الباب الثاني في نشأته وبدابته، وأخذه طريق هدايته. الباب الثالث في مواجهه وأحواله، ومقامه المتصف به وكماله. الباب الرابع في سيرته السننية، وجمل عن أخلاقه السننية. الباب الخامس في كرمه وسخائه. الباب السادس في علو همته، وورعه وزهده وذمته. الباب السابع في دلالاته على الله وجمعه عليه، الباب الثامن في كلامه وإشارته. الباب التاسع في جمل من كرامته. الباب العاشر في شيخه الهمام. الباب الحادي عشر في أسانيد طريقته. الباب الثاني عشر في بعض ما قبل فيه من الفوائد.

وألف فيه سيدي محمد المهدي بن أحمد الفاسي كتابه *الإلماع*. وإمام الزاوية أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير ألف فيه كتابه *المقباس في فضائل سيدنا أبي العباس*. وقد كان في المعارف بحرا زاخرا، وفي مدارك الجمال بدرا زاخرا. وقد سأل بعض علماء العصر المبرزين في العلم والدين بما نصه : - سيدي رضى الله عنكم- رجل استشكلت عليه أمور فنريد من الله ثم منكم أن تبينوا لنا مظاهر لكم فيها بفضلكم. فمنها ما هذه الأنوار المشرقة على أهل البدايات في الطريق هل هي أنوار أزلية في كل مومن فيكشف له عنها بسبب التوبة ؟ أم لا تسرق إلا عند تمكن القلب من الإيمان ؟ وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة ؟ وما يكدر المشروب عن طعم برد الرضى بما يفعل المحبوب ؟ وبم يحول المرید في الملك عن الأكران الظلمانية ؟ وبم يحول في الملكوت هل بالعلم أو بالمفهوم ؟ وهل للعقل مجال في ذلك ؟ وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عطف العلوم ؟ وهل للمفهوم إدراك للعالم الأسنى ؟ وما قمر التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف ؟ وما رياح الصبا التي تشغف الأرواح ؟ وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي (صلى الله عليه وسلم) ؟ وهل الشيخ دال على الله بمقاله ؟ أم دال على الله بأفعاله ؟ أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية ؟ وما يعتد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول والفهوم ؟ أم هو حاكم للنفوس لتتقوى الأرواح فقط ؟ أم هو قوة الأرواح لتقبل من الواردات ما تطيق ؟ أم خليفة النبي (صلى الله عليه وسلم) يبلغ من أسرارها الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر ؟ فإن كان كما قلنا دالا بظاهره فقط وغالب علمه الحس فليس للمغلوب أن يربى في مواقع الأرواح ؟ وهل للشيخ تصريف في روح الروح ؟ أم

هو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المرید ويرجع عنه ؟ أم لا ننفصم عنه أبدا ؟ وسأل عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه تارة بجمع على نفسه وتارة على النبي (ص) وتارة على الله أكل ذلك مدرج في صفاته وأحواله ؟ انتهى.

اشتمل السؤال على خمسة عشر مسألة، وكلها متناسبة وأبدى فيه من العلم الباهر والأنوار الظاهرة ما يجعل عن الإحصاء، وليس هو في الحقيقة سؤال بل هو تعلم لما اشتمل عليه من الإجمال والتفصيل. قال العلماء أحسن السؤال يسمى تعليما، وحاد بذلك عن الشهوة فسأل عما له به خبرة من سر نعيم العارفين. قال ابن عطاء الله : إما لفضان وجد أو لقصده هداية مرید. وقال في لطائف المنن : من أجل مواهب الله لأوليائه وجود العبارة. قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول : الولي يكون مشحونا بالمعارف والعلوم، والحقائق لديه مشهودة، حتى إذا أعطي العبارة كان ذلك كالإذن من الله في الكلام انتهى. وقد فتح الله علينا بتقبيد على هذا السؤال يسع نحو كراستن، لا على أنه جواب له، فمعاذ الله أن يكون مثلي ممن بجيب عنه، وإنما هو اقتباس من معارفه وعلومه ونفائس فهمه. ونورد شيئا من ذلك على اختصار فنقول : قوله ما هذه الأنوار، فإن كان مراده الإدراكات التي هي من صفات الروح فهي أزلية لأن الروح من عالم الأمر الذي وجد دفعة، لا من عالم الخلق الذي هو على التدرج. قال في المباحث الأصلية:

فلم تنزل نفوس تلك الأحبَاءَ عَلامَةَ دراكَةٍ للأشياء
وإنما تَعَوَّقُهَا الأَبْدَانُ والنفس والسنغُ والشيطانُ

وإن كان المراد بالأنوار ما يلزمه التوجه من عبادات ومعاملات ومجاهدة فهي من تمرات اليقين الذي هو وصف الإيمان فلا سرف إلا عن تمكنه. وقوله ما يعطل نور البصرة عن شهوة المنة. قال في الحكم: أصل كل غفلة أو معصية أو شهوة الرضى عن النفس، وأصل كل صالحه وعفة عدم الرضى منك عنها. فالإنسان ولو كان له بصيرة فلا تفارقه رعونات البشرية، بعنى به الغفلة، فيرجع إلى أصله وهو الجهل، والرضى عن النفس أصل جميع الصفات المذمومة، وعدمه أصل جمع الصفات المحمودة. قال ابن عباد: انفق على هذا جميع العارفين وأرباب القلوب.

وقوله وما يكثر المشروب عن طعم برد الرضى بما يفعل المحبوب، في رسالته القشبري. قال أبو تراب النخسبي: ليس ينال الرضى من الدين في قلبه مقدار. وقوله يحول المرید في الملك عن الأكوان الظلمانية. العوالم أربعة: عالم الملك وهو المدرك بالحواس، وعالم الملكوت وهو ما يدرك بالعقل. وعالم الجبروت وهو ما يدرك بالمواهب، وعالم العزة وهو ما يعزز الله تعالى به فلم يظهر لأحد من خلفه. والأكوان قال ابن عباد: هو كل ما يمكن

لنفس أن يكون فيه حظ من متاع الدنيا وزهرتها. قال في الحكم: الكون كله ظلمة، وإنما أنا أظهر الحق فيه انتهى. وكونها ظلمانية قال الشيخ زروق لثبوت عدميتها في الحال بعدم استقلالها، وكذا في الماضي والمستقبل، لأن المرید في الملك موجود لا مرید للكون، وهو ظلمة وللحق تعالى الذي ظهر فيه وحسب الدلالة والتنزيه به وهو نور، والجولان في هذا بالعقل بشرط أن يؤيد بالإمداد منه تعالى، إذ العقل وحده قاطع عن الله سبحانه. قال في الحكم: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به، وإلا فجل ربنا أن يتصل بشيء أو ينصل به شيء. وقوله وبم يجول في الملكوت هل بالعلوم أو بالمفهوم، عبارة زروق في شرح الحكم وشرح المباحث، وقوله في المنن: وكل قلب له بابان إلى الأبدان، كل دال على أن الجولان في الملكوت بالعلوم، لكن لم يشرح سدى عبد الوارث ولا سيدي أحمد زروق هذا البيت، وشرحه الشطبي بما يرجع إلى تقسيم القلوب إلى تقى وغيره. والصواب في شرحه ما عند الغزالي في شرح عجائب القلوب في الإحياء من أن للقلب بابين أحدهما مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة وباب مفتوح إلى الحواس فانظره. وقوله وهل للعقل مجال في ذلك، لا مجال للعقل فيه لأنه مدرك فيعلم ولا يدرك إلا بالخصوصيات الأزلية فلا يعمل إلا أهله. وقال الخضر لموسى - عليهما السلام - إنني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم علمك الله لا أعلمه الحديث. وقوله: وهل للعلوم إدارك للتحقيق الذي سلك عقد العلوم، لم يظهر لى شيء في هذا إلا أنني أقول ربما يقال عقد العلوم هو أنفسها، وذلك لا يكون إلا في المعرفة بالله تعالى، وسلوكه هو قطع المقامات السابقة عليها والمنازل المندرجة فيها، ومعنى الكلام هل صاحب العلوم الظاهرة يدرك تحقيق تلك المقامات والمنازل بمجرد العلم وإن لم يسلكها بالفعل أم لا يدرك ذلك إلا إذا سلك بالفعل؟ والجواب على هذا أنه يدرك مطلق الإدراك لا كإدراك الذي سلك ذلك، لأن لصاحب الخصوصية مزيد الكشف بحاسة باطنة بسر موهوب من ربه. ومثله ذلك في الشاهد بحلاوة الشهادة فالذي لم يذوقها قط لا يدرك من وصف حلاوتها إلا ما يدرك الأكمه من كيفية الألوان في الوصف ولو قطعت دهرًا في إيصالهما ما استشفا بالتعريف، والتعبير أرجح من ذلك، وفي الحكم ربما عبر عن المقام من استشرف عليه ولم يصل إليه، وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة. وقوله وهل للفهوم إدراك للعالم الأسنى؟ تقدم أن العوالم أربعة واختلفوا في الملكوت والجبروت أيهما أعلى، فقيل الجبروت أعلى، وقال أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي الملكوت أعلى. فالملك يدرك بالمشاهدة، والملكوت بالعقل، والجبروت بالمواهب، وعالم الغيب لا يدرك، وعلى كلا القولين فلا تدركه الفهوم لأن عالم الجبروت حضرة الأسماء ولأن عالم الملكوت، فالملك راجع إلى الأثر، والملكوت راجع إلى الذات، كما نقله سيدي المهدي الفاسي في شرح دلائل الخيرات الكبير عند قوله وأراه سنًا الجبروت. وقوله وما قمر

التوحيد الذي هو سمت من شمس المعارف؟ قال في لطائف المنن: وقد تدور عليهم الكرامات وتختلف لديهم الحالات، ويردون من الذكر والطاعات الأعجيبون عن الصفات مع تراجم المقدورات، فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم نجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم، وشموس المعارف يستضيئون في نهارهم. «أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون». لم يتيسر لي في الحال مراجعة ما في تصنفه من كلامهم، وظهر لي أن فيه اعتبارات: أحدها أن قمر التوحيد، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك أوجه: أحدها أنه صلى الله عليه وسلم تُدرك منه المعارف مع شهود ذاته الكريمة، كما أن القمر يهتدي به عند طلوعه مع استطاعة رؤيته بالبصر. ثاينها أنه الواسطة بين الخلائق وربها في الأتوار الربانية والمواهب العرفانية. كما أن القمر واسطة بين الشمس والخلائق في استمداده من نورها وإشراق النور عليهم فيهتدون به في الظلام، ويعرفون منه مفادير اللالي والأيام. ولولا أنه صلى الله عليه وسلم واسطة ما قدر أحد على تلقي العلوم من حضرة الربوبية المنزهة المقدسة. ثالثها أن أهل الترقى في الأحوال إذا بلغ ترقبهم لمقام الفناء والمحو لا يستغني واحد منهم عنه صلى الله عليه وسلم ولو بلغ من ذلك ما بلغ. لكن إذا تجلت في أحدهم شمس الأهدية استغرق نورها قمر المحمدية، فغاب نور قمر المحمدية في غلبة نور شمس الأهدية لقرب البعض من البعض على المعنى اللائق المنزه، كما يغيب ضوء القمر الحسي في ضوء الشمس عند تقارب منازلها، ودليل التقارب ما أوما إليه قوله تعالى: «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» فهذه المنزلة ثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم مع ما يليق ببساط التوحيد. وقد فرر هذا المعنى سيدي عيد الرزاق العثماني في شرحه لنظمه المسمى عقد السلوك. ثاني الاعتبار أن قمر التوحيد هو قلب المومن الموافق لإدراك السعادات لا يزال في الترقى حتى يكمل، ومادته من شمس الإلهام. ثالث الاعتبار أن قمر التوحيد هو التوحيد نفسه، وأضيف إلى القمر لأن المهتدي بالتوحيد في ظلام الجهل كالمهتدي بالقمر في ظلام الليل، ومادته من المعرفة التي هي كالشمس فصبر معها (345)

وقوله ما رياح الصبا التي تشغف الأرواح، أي تصيرها مشغوفة بحب ربها. قال ابن عباد: الوردات تمحو عن العبد جميع رعوناته، ونهدم عليه مستمر عاداته، ولها سلطنة عظيمة على ذلك، فإذا وردت على قلب مشحون بأنواع الخبائث والردائل أزال ذلك بمرّة وأثبتت عوضاً من ذلك أحوالاً عليّة وأوصافاً رضية.

وقوله وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي صلى الله عليه وسلم، الجاري على ما نقرر عندهم أنها على يد النبي صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ الخروبي في شرح التصليّة

المششسية: فأرواح العلماء وقلوب العارفين وعباد الله الصالحين والنيبين والمرسلين تنلهم من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية والأسرار الملكوتية، ولذا سمي روحه صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح. فعلموا العلماء ومعارف العارفين وحكم الحكماء كلها مستفادة من علومه صلى الله عليه وسلم ومعارفه وحكمه، وكل ما علمه العالمون واستفاده العارفين وفهمه الحكماء من علوم ومعارف وحكم الجميع نقطة من بحره صلى الله عليه وسلم انظر تمامه.

وقوله هل الشيخ دال على الله بمسقاله أم على الله بأفعاله أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية؟ الظاهر أنه دال على الله بمقاله وأفعاله وجانب الأرواح يسره إلى الحضرة القدسية. قال في الحكم: لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا بذلك على الله مقالته. قال الشيخ زروق في الشرح الحادي عشر مفهوم كلامه: اصحب من... الح.. وقريب منه عبارته في لطائف المنن. وأما الجلب إلى الحضرة القدسية، فقال الشيخ الشعراي في البحر المورود: أخذ علينا العهود إذا حصل لنا مدد من الله وفاض علينا أن نمدد بذلك الفاضل الأقرب فالأقرب من حث كثرة الافتداء بنا ولا نعلمهم بذلك لئلا يكافؤوا على ذلك بالخدمة والهدية وكثرة الشكر لنا في المجالس فينقص ما لنا انتهى.

وقوله يعتقد الخ الحقائق التي لا تدركها العقول هي الأسرار التي هي اللطائف المودعة في الإنسان، ولكنها لا تظهر إلا بعد رياضة وتدرج غالباً، وستل الشيخ على سبيل التنبيه هل هي موجودة في الإنسان أولاً ولكنها أخفتها عيوبه ولم تظهر إلا بالخلوص من العيوب على يد الشيخ بالهمة أو بالنربية فهو مظهر لها بهذا الاعتبار؟ أم الشيخ ليس بمظهر لها ولكنه حاكم للنفس وزاجر لها بهمته، فبضعفها حينئذ وتقوى عليها الروح لأنها متفابلان مهما ضعفت إحداها غلبت الأخرى؟ أم لس كذلك معد الروح ومقومها بمادة القوت من عنده فتقوى بذلك على النفس فنقبل ما يرد عليها من الواردات التي تطبقها؟ أم ليس كذلك وإنما الشيخ خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في توصيل أحكامه الباطنة، كما أن الفقيه خليفته في توصيل أحكامه الظاهرة، لأن للأحكام الباطنة فوما خصهم الله بفعلها وإدراك أنوارها ودقائق أسرارها، ولا يقدر على ذلك أهل العلم الظاهر، لأن لهم اصطلاحاً آخر، تارة يقودون أهل الباطن إلى ذلك حساً كالحض على الطاعة بالقول والدؤوب عليها بالفعل، وتارة يترقون في ذلك غيباً كجلب الأرواح إلى الحضرة القدسية بالسر المودع فيهم، لأن الغالب على البشر التأديب بالحس، وما كان معنوياً فهو مغلوب بالأوصاف البشرية، وشأن التربية أن تكون للغالب الذي هو الحس لا المغلوب الذي هو المعنى، على أن ما كان في مواقع الأرواح لا يقبل التربية. لأن الأرواح من عالم الأمر الذي لا تدرج فيها ولا تقديم ولا تأخير، بل كل ما فيه وجد دفعة على ما هو به من كمال ونقص، فكيف تكون

التربية في عالم الروح وكيف تكون للحظ المغلوب. وكان هذا هو روح السؤال والله أعلم. ولعله يمكن الجواب عنه بأن التربية وقعت في عالم الملك بعد اتصال الروح بالذات لا في الروح وحدها التي هي من عالم الأمر، لأن المرید وإن كانت أوصافه الكاملة مخلوقة في روحه مع نشأتها لكنها لم تظهر فيه في عالم الملك إلا بعد التربية أو الهمة من شيخه. فمن أدرك الخصوصية من هذه الطريق، و إلا فقد تحصل الخصوصية من غير شيخ أصلاً، بل بالمدد من القرآن أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة، ويتضح هذا بقضية سيدي عبد الله (346) بن ساسي مع شيخه سيدي عبد الله الغزواني وسيدي علي بن ابراهيم البوزيدي. قال في المرأة: قال له أبو الحسن أنا أحق به فقد عينته وهو في بطن أمه، فقال له أبو محمد أنا أحق به فقد عينته وهو في صلب أبيه فاستحقته انتهى. ونقله في الممتع (347)، ونقله عم والدنا محمد العربي القادري في كناشه بزيادة مذكورة. وهذا التعيين بحسب ما سبق، لأن قاعدة التحقيق ليس إلا سابقة التوفيق.

وقوله هل للشيخ الخ) روح الروح هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه رحمة للوجود وحياة للأرواح. وبسط هذا المعنى في شرح الجزولي لصلاة ابن مشيش فانظره. والتصريف من ولاية الأبرار. قال العثماني في شرحه لنظمه: والأبرار لهم التصريف، وهو تجلي الحق لعبده بنفوذ مراده. وفي تفسير القشيري لما ذكر أنواعاً من التمكين عند قوله تعالى: «إنا مكننا له في الأرض»: وفوق هذا التمكين في المملكة إيصال قوم إلى منازل وحال، فالله يحق فبهم همتهم انتهى. والبرزخ هنا هو الحاجز بين الشيء وغيره. وفي حزب الشيخ أبي الحسن وأجعلنا سبب الغنا لأليائتك، وبرزخاً بينهم وبين أعدائك. قال سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي في حاشيته: يعني حاجزاً لهم ومانعاً من تسليط أنفسهم وأهوائهم وشيطانهم وسائر قواطعهم عن كمالهم انتهى. فمعنى التصريف هنا في روح الروح الذي قررنا أنه النبي صلى الله عليه وسلم هو التجلي للشيخ بنفوذ مراده بالإيصال للمرید ما قدر له من الأنوار النبوية.

وحاصل الجواب أن للشيخ ذلك، وهو برزخ للمریدين كما دل عليه كلام الشيخ أبي الحسن ومحشيه. وأما السؤال هل يرجع الشيخ عن المرید بعد كماله ووصوله أم لا؟ فقال الحاتمي: وإذا علم الشيخ أن المرید قد استقل وكملت تربيته ودخل أوان فظامه وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته ويتركه مع ربه إن شاء أقامه بين العباد وإن شاء ستره بينهم، ولا حكم بعد ذلك للشيخ عليه، ولا يجوز أن يسيء معه الأدب أبداً، بل يحترمه وإن لم يكن مقتدياً به انتهى.

وقوله وأسأل خاصة قوله صاحب المباحث: والشيخ في منزلة الطبيب، وبينه الشيخ زروق بأنه طبيب القلوب بما شهد وتحقق، لأن الطب صناعة من العلم والتبحر فيه لحفظ

(346) في ك: عبد الحق، وهو تصحيف.

(347) ممتع الأسماع، ص 82

الصحة في بدن الإنسان، وهذا في حفظ قلبه من الأمراض المعنوية، فالاختلاف فيه على المريدين باختلاف أمراضهم، فالجاهل يدلّه على الاقتداء به، واللاتح لغيره بحضه على قصر النظر عليه، إذ قالوا لا ينتفع المرید بالشيخ مادام فيه التفات لغيره. والمقصر في حق النبي صلى الله عليه وسلم جهلاً علمه وتبّه على عظيم قدره وأنه رحمة للعالمين، ولم يحصل لأحد خير إلا منه، ومن قطع هذه المنازل وحقق منزلة الشيخ ومنزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وتأهل للخصوصية دله شبخه على ربه وزج به في نور الحضرة حتى قال له ها أنت وربك. فهذا كله من جهة اختلاف أحوال المرید. وقد يكون الاختلاف من جهة الأحوال الواردة على الشيخ، فإذا كان في مقام الفناء فلا شعور له بشيء، فلا يدل إلا على نفسه. وإذا كان في مقام الغيبة في النبي صلى الله عليه وسلم فلا يدل إلا عليه، وإذا كان في محل الشهود والغيبة في المعبود لا يدل إلا عليه.

ثم إن الشيخ أورد هذا السؤال للتعليم لسامعه و الإفادة له، وله أسوة في سؤال جبريل - عليه السلام - رسول الله صلى الله عليه عن الإسلام والإيمان والإحسان، وبين صلى الله عليه وسلم للحاضرين في آخر الحديث أنه جبريل جاء يعلمهم دينهم. وفي الفتح قال ابن المنبر: يعلمهم دينهم دلالة على أن السؤال الحسن يسمى علماً وتعلماً، لأن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال ومع ذلك سماه معلماً. وقد اشتهر قوله حسن السؤال نصف العلم، ويمكن أن يؤخذ من هذا الحديث لأن الفائدة انبنت على السؤال والجواب معاً، لكن الواقع هنا هو التعليم. وقد يقصد به الشيخ اختبار بصائر أصحابه وأتباعه ومن هو حريص على نفعه من أهل عصره.

وكان صاحب الترجمة رأساً في علوم القوم وتحرير عباراتهم، وتدقيق إشاراتهم، وله من العبادة والزهد والسخاء وكرم الأخلاق وحسن المعاملة والتعطف على الضعفاء والمساكين ومحبة آل البيت والعلماء والصالحين وسائر الضعفاء والمساكين والحرص على النفع لسائر المسلمين في عصره ما لا يأتي عليه حصر. وكان صاحب فراسة تامة في الطريق ونصريف وكرامات ومكاشفات وإغاثات وإشفاء المرضى والإخبار بالمغيبات وإجابة الدعاء ومكثرت الصدقات والإنفاق وإطعام الطعام، وما أكل جميع من طعامه إلا كفاهم ولو قل. وإذا قصد في مشورة كانت عاقبتها خيراً، وإذا شكاً له أحد بشيء كف ضرره، وبمرض شفي صاحبه، وبمسجون سرح، وما آذاه أحد إلا انتقم الله منه. قال في الإلماع: إذا نظر أغنى، وإذا أراد أعطى وأقنى، كلامه شفاء للقلوب، وفتح لباب الغيوب. رفيع الهممة عن الخلق متعفف عما في أيديهم، لا يتوجه إليهم في أمر ولا يعرج عليهم في شأن، دائم العكوف على حضرة الحق، لا يعول إلا عليه، ولا استناده إلا إليه، ولا محبة إلا فيه، ولا لهج إلا به، ولا وقوف إلا ببابه، ولا رجاء في شيء إلا في جنبه، لا يزيد فيه إقبال الخلق ولا تعظيمهم، ولا ينقص

توفي شيخنا الإمام العارف بالله الدال كل عبد علي مولاه الولي الصالح الجاري في مسدان المنافع والمصالح قبله الصلاح وكعبة الفلاح أبو عبد الله سبدي محمد بن الولي الكامل أبي محمد مولانا عبد الله بن إبراهيم بن موسى بن الحسن بن موسى بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عبد الله الجبار بن محمد بن يملح بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى سلام بن مزاور بن حيدرة بن محمد بن ادريس بن ادريس بن مولانا عبد الله الكامل بن مولانا الحسن المشني بن مولانا الحسن السبط بن مولانا علي ومولاتنا فاطمة بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال في الأتيس أخذ طريقة القوم عن والده الولي القطب الشهير مولانا عبد الله عن شيخه العارف الرباني الشيخ سيدي أبي الحسن علي بن أحمد الجرفطي الحسني نزيل صرصر عن شيخه الولي الصالح البركة سيدي أبي الحسن المصباحي دفين الدعاة عن نسخته الجامع بين الشريعة والحقيقة سيدي محمد بن علي بن مهدي الهراوي الزمراني المعروف بالطالب دفين داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس عن شيخه القطب الرباني سبدي عبد الله الغزواني عن شيخه البحر الفيض عبد العزيز بن عبد الحق الحرار المعروف بالتباع عن القطب الأكبر الغوث الأشهر مولانا محمد ابن سليمان الجزولي الحسني عن شيخه سيدي عبد الرحمان الشريف أمغار عن شيخه أبي عثمان الهزاني عن سيدي عبد الرحمان الرجرجي عن سيدي أبي الفضل الهندي عن سبدي أحمد عنوس البدوي عن سيدنا الإمام الغربي عن سيدنا عبد الله المغربي عن سيدنا الإمام علي الشاذلي الحسني عن سيدنا القطب الجامع الأكبر عبد السلام بن مشيش الحسني عن سيدي عبد الرحمان الشريف المدني عن سيدي عبد الرحمان الثنائري عن أبي بكر الشبلي عن إمام الطريقة أبي القاسم الجنيد عن أبي البقاء سري السقطي عن أبي المودة حبيب العجمي عن الحسن البصري عن الحسن بن علي وسيدتنا فاطمة بضعة رسول الله عن والده سيدنا علي كرم الله وجهه - رضي الله عنهم أجمعين ..

وكان هذا الشيخ مجاب الدعوة مأمون الادعاء حسن الأخلاق مواسيا لذوي النياب الأخلاق، مقرب أهل الإملاق على الاطلاق، لين الجانب، للغرباء والأجانب، يطرح الغريب، وينزل البعيد منزلة الغريب، بقصد للزيارة، من البداوة والحضارة. وكان يجالس العلماء الأئمة، أعلام هذه الأمة، فبأخذون عنه الأحاديث النبوية، ويقتسمون ما نالوا من بركاته على السوية. وكثيرا ما كان بوصي على الإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نفعنا الله به آمين] (349).

(349) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بين معقوفين لا توجد إلا في س ولو أن في آخرها بعض التكرار لما قدم

علي الحاج بركة

ومنهم العالم العلامة المتشارك الدراكة الصالح البركة أبو الحسن سيدي علي بن محمد الملقب الحاج بركة الأندلسي التطاوني دفينها، صاحب الحرم والمزاراة الكبيرة الشهير بها. كان - رضي الله عنه - من العلماء العاملين، ومن الصلحاء الكاملين. قرأ العلم بفاس على مشايخها، منهم سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ الطريق عن أبي عبد الله بن ناصر وكانت له مواصلة مع سيدي أحمد بن عبد الله معن. كبير، وذكر شهير. وقال فيه صاحب الأنيس:

يا واحدَ العصرِ يا عليَّ بركتهُ	أمتي السلامُ عليك والبركةُ
وذا مُدارسةٍ وذا ملكةُ	قد كنتَ ذا ورعٍ وذا أدبٍ
وحُزّتَ حلمًا سواك ما ملكةُ	علمتَ علمًا وكنتَ مالمكةُ
فهل رَمِبتَ عليه من شبكةُ	لم يبقَ علمٌ إلا وتعلمُسهُ
وما رأينا سواك من شبكةُ	سبكتَ صعَبَ الكلامِ حتى بدأ
حتى أدرتَ على الوري فلكةُ	وكان نجمُ العلومِ في فلكِ
لولاك ما كانَ واحدُ سلكةُ	سلكتَ بالناسِ تهجَ صلحةُ
والناسُ كم ناصبٍ له شركةُ	وكنتَ في النحو غيرَ مُشتركِ
فما ترى اللحنَ ثم حركهُ	صيرتَ تطوانَ كلَّها عربًا
وما لهم إذ سكنتَ من حركهُ	والسومَ مسأوا إذ متَّ من أسفِ
بحسِرِ الدُموعِ كأنَّها سَمكةُ	لذلك عيني تعومُ بعدك في

انظر ما بقي منها. وراثه أيضا بقصيدة أخرى فمنها:

كان روحَ العصرِ قد ذاقَ الجِمامَ	مما ترى عالمَ تطوانَ الذي
فقدِهَ اليومَ كما نأحَ الحَمَامَ	فلتُضحَ يا كلَّ إنسانِ على
كان في المغربِ والعصرِ الإمامَ	كيف لا يُبكي على الحَبيرِ الذي
سِرَّ فثقهُ تفاسيرَ كَلَامَ	منطقَ نحوٍ ببيانِ لُفْسهُ
منه شَسَجِسُو وهَيَامُ وكِلامَ	جاءه الموتُ فبقى أحشائنا
فلنا الأسوَّةُ في خيرِ الأنامِ	أيها الناسِ اصبروا واحتسبوا

كُلُّ حَيٍّ لَا يَبْتَ فِي فِئَتِهِ
غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي عِلْمَ مَنْ
يَجُوسِعِلُ الْأَبْنَاءَ وَرَأْتَا لَهُ
ثُمَّ بَيَّضَى الْعِلْمَ فِي أَخْلَاقِهِمْ
وَكَذَا الْأَحْمَارُ تَبْقَى فَضْلُهُمْ
وَالسُّدِّيُّ طَسِبَ رَبِّي بِسُدَّةٍ
مَبَّتْ لَوْ عَاشَ فِيهِمْ أَلْفَ عَامٍ
مَاتَ لِلنَّاسِ كَمَا يُحْيِي الْعِظَامَ
فَيُوقِي سَهْمَهُمْ بَيْنَ السُّهَامِ
يَنْلِقَاهُ هُمَامٌ عَنِ هُمَامٍ
يَسْنُوِي الْمَبْدَأَ فِيهِ وَالسَّمَامَ
لَا تَشْكُؤُوا أَنَّهُ طَيْبُ الْخَسَنَامِ

ولصاحب الترجمة أنظام في أنواع من المسائل النفسية. ورأيت له رسائل ومخاطبات لجدنا عبد السلام بن الطيب القادري، ورأيت له سؤالاً كتبه لجدنا المذكور عن خمسة مسائل. الأولى عن حديث وَضَعَ نَدَى رَبِّي بَيْنَ كَتْفَيْ الْحَدِيثِ. الثانية عن حديث حَبُّوا هَذَا قَبْلَ أَنْ تَنْبِتَ فِي الْبَادِيَةِ شَجْرَةً فَلَا تَأْكُلُ مِنْهَا دَابَّةٌ إِلَّا نَاقَتٌ. الثالثة قول سيدي عبد الكريم المراكشي حُبُّ الْآخِرَةِ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ. الرابعة قول أبي يزيد البسطامي: كنت من الزاهدين في الله. الخامسة قول بعض العارفين منذ عرفت الله ما دخل في فليبي حق ولا باطل. فأجابه عن جميعها جواباً حسناً في كراستين [350]. ولصاحب الترجمة شرح على الجروسة. وبذكر أنه ترح تأليف سيدي أحمد ابن ناصر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

توفي في تاسع وعشرين من شوال عام عشرين ومائة وألف، ودفن بتطوان، وبني عليه روضة هي الآن مزاراة عظيمة وبها الصلوات مرتبة وأحزاب عقبها كذلك [351].

أحمد بن عبد الحي الحلبي

الأديب الشهير، العالم الصوفي الكبير، المولع بالأنشواق النبوية، و الأمداح المصطفوية، سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي ثم الفاسي وفاءً. كان ممن ذاق الحب النبوي ومساغفه، وحمل فيه لأهل زمانه رابة البلاغة، فوال مكنتار، لا يستطيعه الحسين ولا مهيار، ممن أعجز كل مدبح وحاز في هذا الباب الفخر الصريح، أنفق عمره في الأمداح المحمدية، واغتنم بها طلب السعادات الأبدية، وأكثر من القصائد الرفعة، والأزجال البديعة، فتارة يتغزل على طريفة النسب وتارة يصرح أولاً بالمديح ويأتي في كل بالعجب العجيب، قله في ذلك ديوان كبير.

قال فيه في الأنيس: إمام مذكور، وهمام مشكور، ومعروف بفصاحته غير منكور، وبحر لا تكدره الدلاء، وحبرٌ يُفاخر أعلام الدلاء، وحق له ذلك فقد جعل عمدته في الأمداح المحمدية، وأكثر من القصائد الوصفية والأزجال البديعة. ومن نظمه:

[350] ناقص من ط

[351] ترجمة على بركة في ط موحزة في بضعة أسطر.

أَرِقَّتْ وَالِدَمْعُ فِي الْخُدُودِ بِنَسْجِمٍ
 أَوْ الْقَبَابُ بَدَتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِ فُجْبَا
 فَاخْلَعْ عِنْدَ رُكِّكَ إِنْ رُمْتَ الْعَقَبَى وَهَمَّ
 قَفٌّ بِالْمُصَلَّى وَقُلْ نَا أَهْلَ ذِي سَلَمٍ
 مَازَالَ فِي رِقِّكُمْ يَرَعَى لَكُمْ حَرَمًا
 كَمْ بَاتَ بِتَقْصَرُ سِنَا بَعْدَكُمْ نَدَمًا
 يَا لَأَيِّمِي لَا تَلْمِنِي فِي مَحَبَّتِهِمْ
 فَكَيْفَ تُرْشِدُ بِالشَّعْغِفِ ذَا وَصَبَّ
 أَمْ كَسِيفٌ تَسْكُنُ أَضْلَاعُ بِهَا أَلَمُ
 طَفِئَتْ تَنْصَحُنِي مِنْ بَعْدِ مَا كَلَفْتُ

ومنها:

على الحقيقيسة عند كل ذي رَشْدٍ لِمَدْحِ خَيْرِ الْوَرَى أَنْ تُصْرِفِ الْهَيْمُ
 مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي التَّفْطِيعِ وَمَنْ عَلِبَهُ أُمَّتُهُ فِي الْحَشْرِ تَزْدَجِمُ
 قَطْبُ النَّبِيِّينَ مَنْ لَوْلَا كَرَامَتُهُ مَا كَانَ بَدْرُ الدُّحَا نِصْفَيْنِ بِنَقَسِمْ
 وَلَا مُنْحِنًا بِخُمْسٍ مِنْ فَرَائِضِنَا تَوَابِ خُمْسِنَ عِنْدَ اللَّهِ نَعْتَمُ

وله أنظام كثيرة، وله تأليف عديدة، منها: الدر النجيب في مناقب مولانا إدريس،
 يعنى بانى فاس؛ ومنها: ربحانة القلوب فيما للشبخ عبد الله البرناوي من أسرار الغيوب،
 وقد طالعت منه كثيراً؛ ومنها كشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه السلام؛
 ومنها: السيف الصقيل في الانتصار لمدح الرب الجليل؛ وفتح الفتاح على مراتع الأرواح؛
 ومعراج الواصلين في الصلاة على سبدي المرسلين (352)، ومناهل الصفا في جمال ذات
 المصطفى؛ ومناهل الشفا في رؤيا المصطفى؛ والروض البسام في رؤيا غيره علمه السلام؛
 والسف المسلول في قطع أوداج الفلوس المخدول، وهو رجل أنكز علمه نداء النبي صلى الله
 عليه وسلم باسمه مجردا عن السادة في فصيدة مطلعها:

وحقك يا محمد ما رأينا نظرك في جميع العالمين

(352) هكذا اسم الكتاب في المحفوظتين. واسمه في ط: معراج الوصول، في الصلاة على أكرم نبي ورسول

وله مقامات عارض بها مقامات الحريري؛ والكنوز المختومة في الشفاعة المقسومة لهذه الأمة المرحومة في ثلاثة أسفار، وشرح على قصيدته العينية المسماة بمراتع الأرواح، في كمالات الفتحاح، في مجلد، ودنوان جمع فسه شعره، وأثنى به عليه أهل عصره حسبما رأته بخطوطهم وعلى تأليفه، منهم سدي عبد القادر الفاسي وولده سيدي عبد الرحمان وسدي محمد وسدي عبد الواحد بن محمد البوعناني، وسدي محمد بن أحمد القسطيني وسدي سعيد بن أبي القاسم العميري، والقاضي محمد بن الحسن المجاصي، والقاضي أبو مدين المكناسي السوسي، وسدي محمد بن محمد الشاذلي الدلائي، وأحمد بن سعيد المجيلدي، وأحمد بن يعقوب الولاوي. وكان سدي الحسن اليوسي ينني على نظمه ويلاحظه لغريته ونفاسة علمه ويصرف له ما يحتاج إليه من الزرع ويقضى له بعض ضرورياته . وجميع ما أثنوا عليه به كله مستوفى في كتابه كشف اللثام بلفظه. ثم إنه نظم قصيدة تكلم فيها على لسان الحق تعالى بعدما كتب له على تواليفه، فاطلع عليها الشيخ اليوسي فجزه وأمره بتمزيقها فامتنع من ذلك، فهجره الشيخ اليوسي وجرحه بذلك وقطع عنه ما كان يواصله به، وحذر من الاجتماع به، وأبى أن يتوب واستمر على ذلك، ولم يفدر عليه الشيخ اليوسي بشيء لأن صاحب الترجمة كان يسير إلى حضرة السلطان مولانا اسماعيل الحسنسي لمكناسة في موسم ربيع الأول ويقرأ بباب دار السلطان قصائد الأمداح، وكان له صوت حسن، ويحسن تلك الصنائع، وكان السلطان وأولاده ومسوا إلى الدار والأتباع بعطونه ويكرمونه بالعطاء المخصوص، ويقبض ما يقبضه الشرفاء والعلماء، ويوقرونه ويعظمونه غاية التعظيم، بسبب ذلك كف عنه التسيخ الوسي حبت علم أنه لم يقدر عليه بشيء. ثم إن السلطان اطلع على بعض ذلك فلما سمعه تنكر لذلك ونأمله فظهر له أنه خرج بذلك عن مذهب السنة وتنحل إلى أهل البدع والزيغ، وأبعده عن حضرته، وكف الله عن المومنين شر بدعته.

ثم توفي في جمادى الثانية عام عشرين ومائة وألف ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من فاس.

وقدم صاحب الترجمة من مدينة حلب، وكان شافعي المذهب في بلده، وبقي على مذهبه بعد قدومه لمعرفته لما يحتاج إليه من مذهبه وتصحيح أصوله، وحسن سيره إلى أن نظم ما ذكر فتغبر ظاهر حاله بسوء اعتقاده بدسوره (353) على مولاه إلى أن توفي تاب الله عنه (354).

(353) كلمه عامية كأنها محرفة عن الجساره، وهى بمعناها وبمعنى الوقاحة

(354) أتبتنا كذلك فى رحمة الحلبي أوفى ما فى النسخ التي نأيدنا دون إشارة إلى الفروق.

محمد أبو مدبن السوسي

ومنهم الفقيه العالم العلامة المعفولي أبو عبد الله محمد أبو مدبن السوسي قاضي الحضرة الاسماعلية بمكناسة الزيتون. قرأ على سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وجل قراءته عليه. وكان إماماً في المعقول، وبرع في الفتيا وشهر فيها. وله شرح على سلك الأخصري. وكان أخطب أهل وقته، فخطب في يوم عيد النحر وحضر جمع عظيم من الأعبان، فلما حلى الخليفة ورى باسمه فقال لو رآه والده الجليل، في هذا الجمع الحفيل، لقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل. فأعجب الحاضرون به، ولما فرغ من خطبته خلع عليه السلطان. وكان جيد التوثيق في فتاويه ملحوظاً في دينه وعلمه.

توفي قاضياً بمكناسة الزينون سبع شوال عام عشرين ومائة وألف وبها دفن.

محمد بن قاسم ابن زاكور

ومنهم العالي العلامة الأدب العوال، الصالح الخير الجوال، الناظم البارع المشهور، أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم ابن زاكور، الفاسي داراً ومنشئاً، وقراراً ومتبوعاً، وقال بعضهم فيه، وهو لاشك غير مستوفيه: العالم الذي سب في زمان الأدب بعد الهرم، وجدد أساس البلاغة بعد العدم، من ركعت في مضمار البلاغة صافنات حباه، وعقد شذور البلاغة على لبّات هذا العصر وأجاده. الجهيذ الأريب، المصنع الأديب، اللغوي المنفني، الحافظ المشارك المتقن. كان - رضى الله عنه - من أجل الفقهاء خبراً ديناً متعشفاً، ناسكاً متعبداً متصوفاً، زواراً للصالحين متواضعاً فاراً من الدعوى إماماً في علم البيان والبدع واللغة والعربية والعروض والشعر وأوزان الموشحات والأزجال، مشاركاً في الفقه والحديث والأصول والتاريخ. وأخبرني بعض تلامذته أنه كان يحفظ عدة تأليف، منها تلخيص المفتاح، وجمع الجوامع لابن السبكي، ومختصر خليل، وكافية ابن مالك، وتسهيله، ولايته، وابن الحاجب. أخذ بفاس عن سيدي أحمد بن الحاج، وسيدي العربي بن أحمد بردلة، والحافظ سيدي محمد بن أحمد القسطنيني، والحدث عن سيدي المهدي بن أحمد الفاسي، ويتطاون عن الحاج علي بركة، وبالجزائر عن مفتيها العلامة سيدي محمد بن سعد فدورة وعن قاضيتها عمر المانجلاني، والشريف محمد بن عبد المومن. وله قصائد في مدح نبيوخه هؤلاء، وله تأليف وفقت على الجبل منها، منها حاشية على حماسة أبي تمام في ثلاثة أسفار، وله ديوان سماه الروض الأريض في بدع التوشيح ومنتقى القريض؛ وله شرح عجيب على لامية العرب المنسوبة للشنفرى في كراسين؛ وله شرح على بدع صفى الدين الحلبي، وهو في ثمانية كرايس؛ وله شرح على قصيدة ابن مالك في المفصور والممدود في خمسة كرايس؛ وله أرجوزة في التوقب وحساب أيام السنة مثل المنفع في فنه؛ وله تأليف سماه بنشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان؛ وله أنفع الوسائل في أنواع الخطب وأبرع

الرسائل؛ والاستشفاء من الألم بذكر آثار صاحب العلم، بعني مولانا عبد السلام بن مشيش، عرف به بإخوته وأعمامه، وبين أسماء مدائيرهم وعين جهات مواضع المداشر، وعين من يسكن من الأشراف في كل مدشر. وتأليف آخر في قصر المفعول على الفاعل والفاعل على المفعول. وله الحلة السيرة في حديث البراء. يعني الرسائل إلى الملوك السبعة، والذرة المكنوزة في تذييل الأرجوزة، يعني أرجوزة ابن سبنا في الطب، ونظم وورقات إمام الحرمين سماه معارج الوصول إلى سماوات الأصول وله المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين انتهى.

ومن أشباخه أيضا سيدي الحسن بن مسعود البوسي. وطلب دواءات في سفر وصاحب الترجمة معه، فوجدها عنده مهابة على أحسن ما ينبغي فامتدحه الشيخ البوسي بهذا:
 لله دُرُ ابن زاكورٍ ونسبمته وَمَا أَعَدُّ إِلَى الْعُلُومِ مِنْ عُدَدِ

ومن أشياخ صاحب الترجمة أيضا جدنا عبد السلام بن الطبيب القادري الحسني حسبما رأته بخطه في غير موضع، وله إجازات من شيوخ عديدة في أنواع من العلوم، ومن نظمه:

اتقِ الله ما استطعت فإِنَّ الدَّ	سه رَبِّي مع الذِّينِ اتَّقُوا
واعصِ أبليسَ واتخذْه عدوًّا	إنما يُفْلِحُ الذِّينِ عَصَوْا
واتركِ النفسَ وأتِ ربك إقبامًا	لأَعْلَمَ مع الذِّينِ أتوا
لتبْرِى فضله الذى ما له حَـ	دُ عَـانَا مع الذِّينِ رأوه
وَادْعُهُ ضارعا له إن ربي	لِقَرِيبٍ مِنَ الذِّينِ دَعَوْه
وَأرْتدِ الدِّينَ سابغا واشملمه	إنما يهتدى الذِّينِ ارتدوه
واشْتَرِ الرُّشْدَ بالضلالة واعلم	أنما يربح الذِّينِ اشتروه
وارتجِ الله فضله واطلبه	إنما يغتنى الذِّينِ ارتجوه

انظر تمامها فإنها طويلة.

توفي صاحب الترجمة صبيحة يوم الخميس الموفي عشرين من المحرم الحرام سنة عشرين و مائة وألف. وقال فيه صاحب الأنيس:

قضى أخو النظم والنثر ابن زاكور لكن من الله تصريف المفادير
 وامتد سنوفى بسقصور الحساء له ما حبلى بن ممدود ومقصور

وقال في صاحب الترجمة الحاج الشرقى:

ما انصف الموتُ في حق ابن زاكور لكن من الله تصريفُ المقادير
قد كان نوراً لِعَيْنِي حَسْبُ تَبَصُّرِهِ لَمَّا قَضَى بِقِيَتِ عَيْنِي بِلا نور (355)
علي الزعتري المصري

ومنهم إمام الموقتين بمصر أبو الحسن علي الزعتري المصري. توفي بمصر عام
الترجمة. لقيه سيدي أحمد بن ناصر الدرعي وذكره في رحلته.

حوادث السنة

إحداث قراءة حديث الإنصات يوم الجمعة

ومن حوادث هذه السنة إحداث قراءة الحديث المتضمن أمر الإنصات بالسمع عند
خروج الإمام يوم الجمعة من المقصورة إلى المنبر ليخطب ويصلي بالناس.

فتح وهران

وورد الخبر إلى فاس بأن الترك فتحوا وهران [ثم أخذت بعد ذلك] (356) أعادها الله
أيضا دار إسلام.

بنت عظيم الروم توصي بدفنها في الحرم النبوي

وورد الخبر بأن بنت عظيم الروم أوصت بدفنها في المدينة المنورة على دفنها أفضل
الصلاة والسلام، فأحتال الروم في ذلك بأن أحرقوها ومزجوا رمادها بعنبر وطيب وصنعوا منه
مثل المنارة من الذهب ورضعت بالباقوت والجواهر وبعثوا بها إلى الحرم الشريف لتعلق به
كالمنارة [فتردد ولأه الحرم في ذلك حتى بحثوا فأخبروا بحقيقة الأمر فرموا ذلك الرماد
والطيب في البحر لثلا بدرى منه شيء بقرب المدينة ودفع الله تعالى تلك النجاسة عن الحرم
الشريف] (357).

مشكل تمليك الحراطين ومحنة الفقهاء

وفيه شرع السلطان مولانا اسماعيل في تمليك حراطين مكناسة الزيتون أمنها الله ثم
عفا عنهم. وفي ثامن ربيع الأول من العام قدم على فاس القائد عبد الله الروسي من مكناسة
الزيتون وحاز الفقهاء في تمليك الحراطين ودون الدواوين وأنزل عليها أكثر الفقهاء وامتنع
البعض من النزول عليها. وبعد صلاة الجمعة الموالية له نادى أهل المسجد وطلبوا منه السرعة
فلم يزل يضيق على من امتنع من النزول فلم يتفعه ذلك فبهم. ثم خرج قاصدا إلى مكناس
وذهب بمن امتنع وبمن وافق بالدواوين فنادوا أيضا بمسجد مكناسة الزيتون طالبين أمر
السرعة وتبعهم أهل مكناسة وغرهم من العيسد الذين هنالك. ثم أظهر السلطان أنه عفا

(355) ترجمة ابن راکور في ط تقع في نحو صفحہ، والزیادات من المخطوطین.

(356) زیادة في الحولیات.

(357) ما بین معقوفین ساقط من ط و من الحولیات.

عنهم ورجعوا إلى فاس فبنفس رجوعهم بعث وراهم وعانب الفقهاء وغضب عليهم وبعث أحدهم مكبلا لفاس وبعث القائد عبد الله الروسى مع بعض الخيل لياتوا بالحراطين (358).

وفى أواخر رجب العام أرسل السلطان إلى الفقهاء والشهود أن يقدموا على من فاس فخرجوا لمكناسة الزيتون وانزلوا أبديهم على تركية السيد محمد اعيلش ورجعوا إلى ديارهم من فاس أمنها الله.

استصفاة أموال أولاد جسوس ومحنة فقيهم عبد السلام

وأخذ أموال أولاد جسوس وأجلس فقيهم فى الأسواق يستطلب وفى الثاني والعشرين من جمادى الثانية من العام سرح الفقيه السيد عبد السلام جسوس من السجن.

وفى الثالث من ذى الحجة العام سجن أيضا السيد الحاج عبد السلام جسوس المذكور وابن أخيه ثم أطلق من الغد. وفى السادس والعشرين من الشهر نفسه حبس ابن أخى جسوس فى خمس قناطر من المال والأمر بيد الله (359).

تذكرة المحسنين

محمد بن قاسم ابن زاكور

توفى الفقيه الأديب البارع النحوي اللغوي ذو التآليف العديدة، والأنظام الكثيرة المفيدة، سيدي محمد بن قاسم ابن زاكور لسنة الخميس عشري محرم من السنة.

أحمد بن عبد الله معن

وفى ضحى يوم الاثنين ثالث جمادى الثانية منها بوفى الشيخ العارف بالله فخر الحقائق العرفانية، ومنهلس العلوم الربانية، القدوة الأعمد، أبو العباس سيدي أحمد، ابن الولي الكبير سيدي محمد بن عبد الله معن الأندلسى. توفى بداره القصوى من حومة المخفية ودفن عند رجلى والده داخل قبته بروضة الشيخ أبي المحاسن.

محمد أبو مدين السوسى

والفقيه العلامة القاضي الأعدل بمكناسة الزيتون وخطيب جامعها سيدي محمد بومدين بن الحسين السوسى ودفن بروضة سيدي عبد الله بن حماد خارجها.

(358) انفردت الحوليات بحادث الحراطين.

(359) انفردت الحوليات أيضا بمحنة آل جسوس.

العشرة الثالثة من القرن الحادي عشر من الهجرة العام الأول منها

عبد السلام بن حمدون جسوس

فمنهم العلامة المحدث الصوفي أبو محمد عبد السلام بن أحمد المدعو حمدون جسوس، له معرفة بالنحو واللغة والفقه والأصول والبيان وعلم الكلام والحديث. وكان إماماً بالمسجد الأعلى من العقبة الزرقاء من فاس القرويين وحدد بناءه له والده وجمع عليه الناس فيه صاحب الترجمة وأدعى طريقة القوم فكان يقرأ الأحزاب والأوراد وذكر الجلالة على المألوف في زوايا شيوخ الطريقة فكان يقرأ بعد صلاة الصبح حزب الفلاح والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي، وبعد الانتهاء منه يدرس التفسير، وبعد صلاة الظهر يدرس الحديث، وبين العشائين كتب التصوف وانسب لمعرفة علم أهل الحقيقة. قرأ العلم على سيدي عبد القادر الفاسي، ومبارة الشارح، وأبي علي اليوسي، وأبي العباس أحمد بن الحاج، وأبي عبد الله بردلة، وأبي سالم العياشي، والقراءات على أبي زيد ابن القاضي. وحج وأخذ في سفره عن الشيخ سلطان بمصر. وغالب تدرسه صحح البخاري، والسمائل وسيرة اليعمرى، والشفا وتفسر الجلالين، ورسالة ابن أبي زيد، وابن عاتر ومختصر خليل. ومن كتب التصوف التنوير، والحكم، ولطائف المنن، والعهد الكبرى، وقوت القلوب، ومجلسه حفصل، وله تأليف في أدعية نبوية، وله قصائد وانظام.

توفي قتيلاً في سجن فاس خامس عشر ربيع النبوي عام واحد وعشرين ومائة وألف في قضية طويلة، ودفن في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (360).

محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته

وفي تاسع صفر من سنة إحدى وعشرين ومائة وألف قدم السيد الحاج الفقيه عبد السلام جسوس من مكناسة مسجوناً لفاس، وجاء الأمر بإزعاج الحراطين للخروج وجعل على الانسراف شراء دور الحراطين، وجاء حراطين القصر وفرقت طائفة منهم على أهل فاس بموونهم. وفي ليلة الخميس الخامس والعشرين من ربيع الثاني العام توفي الفقيه السيد عبد السلام جسوس مخنوقاً في السجن - رحمة الله عليه - ووجد بخطه رحمه الله ما نصه: الحمد لله يشهد الواضع اسمه عقبه على نفسه وشهد الله سبحانه وملائكته وجميع خلقه أنني ما امتنعت من الموافقة على نمليك من ملك من الناس إلا أنني لم أجد في الشرع وجهاً له ولا مسلكاً ولا رخصة.

(360) ترجمه جسوس ساقطة من ط، ووردت ضمن حوادث السنة في الحوليات وفيها أنه توفي في 25 ربيع الثاني، خلافاً لما هنا، وهو الصحيح على ما يأتي عقبه مؤكداً في الرسالة التي كتبها جسوس نفسه قبل وفاته بيومين.

وتحقت من نفسى أنى إن وافقت عليه طوعا أو كرها فقد خنت الله ورسوله والشرع الأعرز وإنى خفت من الخلود في جهنم بسببه. وأيضا فإنى نظرت في أخبار الأئمة المتقدمين حين أكرهوا على ما لم يظهر لهم وجهه في الشرع ما آثروا أموالهم ولا أبدانهم عن دينهم خوفا منهم على تغبير الشرع واغترار الخلق بهم. ومن ظنّ بي غير ذلك أو اقترب على ما لم أقله وما لم أفعله فالله الموعد بسني وبنه وحسبنا الله ونعم الوكيل. والسلام. وكتب عبد السلام بن حمدون جسوس غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه صبيحة يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الثاني من عام إحدى وعشرين ومائة وألف... فلم يكن بين كتبه هذه الشهادة وبين موته على الشهادة إلا يومين كاملين (كذا) والأمر لله من قبل ومن بعد (361).

امرأة بتازا ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل

وفي هذا الشهر نفسه جاء لفاس من تازا أن امرأة ولدت إنسانا برأسين وثلاثة أرجل وليس بذكر ولا بأنثى والله على كل شيء قدير.

ومما يقرب من هذه الحكاية ما ذكره الفاضل عياض في مداركه لما عرّف بالشافعي - رضي الله عنه - قال: بينما أدور في طلب الحديث باليمن قيل لي هنا امرأة من وسطها إلى أسفل بدن ، وإلى فوق بدن ثانٍ، مفترقان، بأربع أبد، ورأسان. فأحببت رؤيتها ولم أستحل ذلك، فخطبتها ودخلت بها فوحدتها كما وصف.. فلعهدي باليدن بلتطمان وبتقاتلان ويصطلحان ويأكلان وبشريان. ثم نزلت عنها وغبت ورجعت بعد مدة فسألت عنها فقيل لي ماتت الجسد الواحد وريط أسفله بحبل وثق وترك حتى ذبل ثم قطع ودفن. فرأيت الشخص الواحد بعد ذلك في الطريق يذهب ويجيء.

قال عياض في نكاح مثل هذا نظر، وهما أختان. انتهى. وكونهما أختان في محل المنع لاتحاد محل الوطء كما قرره علماؤنا - رضي الله عنهم - (362).

تذكرة المحسنين

عبد السلام بن أحمد جسوس

توفى الفقيه الأكبر، العلامة الشهيد الصوفي الناسك الأبر، أبو محمد سيدي الحاج عبد السلام بن أحمد جسوس، قتيلا ليلة الخميس منسلخ ربيع النبوي من السنة.

(361) انفردت الحوليات بحادث محنة عبد السلام جسوس وسبب وفاته.

(362) انفردت بحادث تازا مع ما ذكر عن الشافعي. ووردت الإشارة في الحوليات إلى هذا الحدث مختصرا في سطرين.

العام الثاني من العشرة الثالثة

أحمد بن ناجي السجلماسي

فمنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن ناجي السجلماسي، ولي قضاء فاس (العليا والسفلى مرارا) وعزل عنه (وكان يتعافيه مع القاضي أبي عبد الله بردلة، وكان من خواص الحضرة الاسماعلية ومن علماء وجوه الدولة والاتباع) (363) توفي بمكناس عام الترجمة

حوادث السنة

قدوم احمد بن ناصر من الشرق

وفي أواخر شعبان من عام اثنين وعشرين ومائة وألف قدم الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي من المشرق وقدم معه بعض حجاج أهل فاس أمنها الله (364)

(363) ساقط من ك وس.

(364) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة.

العام الثالث من العشرة الثالثة

محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي

فمنهم الفقيه العلامة الصالح البركة المشارك، الحجة الناسك أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان التادلي الصومعي الزمراني، أحد الأئمة المهتدين، الذين أقام الله بهم مراسيم الدين. كان عالما عابدا فاضلا صالحا، جوادا ناصحا، ممن يوتر على نفسه، ويده في ماله كسائر أبناء جنسه. وحصل في العلوم على طائل، ومشى في الطريقة على سنن الأوائل، فصحب أولا العارف بالله سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفى بالمدينة. ووفد على زاوية الدلاء وغرف من أبحر العلم بالقرب والدلاء، ثم اتصل بالعارف بالله سيدي أحمد بن عبد الله معن وأخيه في الله سيدي أحمد اليميني. فصحبهما وتآدب بأدبهما كان يأتي إليهما من بلاده تادلا وحج في السنة التي حج فيها سيدي أحمد بن عبد الله معن عام مائة وألف أورافقه مع جمع من أصحابه، ومنهم عم والدنا أبو عبد الله محمد العربي وولد عمه أبو العباس أحمد والصالح البركة الفقيه أبو عبد الله الدريج بوزن صديق وغيرهم، وكانت رفقة مباركة [365] ورأيت لصاحب الترجمة شرحا عجيبا على سينية ابن بادس وقد جمع فيه بين الاختصار والتحقيق وهو مما يدل على أن له ملكة في العلم وبيتهم في تادلا مشهور بالصلاح والعلم والمواساة والإطعام. وكان صاحب الترجمة محققا في العلوم عارفا بغوامضها ومشكلاتها مع تغفله في أمور الدنيا لا بكاد يضبط شيئا من أمورها مع شدة ورعه وحزمه في دينه. وتقدم التعريف بقريبه أحمد بن أبي القاسم [التادلي في العشرة الثانية من القرن الحادي]. وعن أهل هذا البيت ورث شبخنا سيدي الكبير بن محمد السرعيني ما ورث من الورع والحزم والجد والاجتهاد في الدين إذ كان له ماسة بهم. رحم الله الجميع بمنه [366].

محمد (حَم) الراموش

ومنهم البهلول الأبله محمد المدعو حَم الراموش. كان العامة من أهل فاس ينسبون له للصلاح وكان متبركا به يطوف بأسواق المدينة وأزقتها ولا يحسن التصرف في شيء. توفي عام الترجمة ودفن بموضع دار له بأقصى حومة القلقليين من فاس القرويين واتخذوا عليه روضة تزار ومقبرة لدفن الأموات.

محمد السالمي

ومنهم الأستاذ الناصح أبو عبد الله محمد السالمي القاطن بالمدرسة المصباحية بفاس، وتوفي بها عام الترجمة.

[365] ما بين معقوفتين زيادة في ط.

[366] زيادة في ط كذلك.

العام الرابع من العشرة الثالثة

الطيب بن عبد الرحمان ابن القاضي

فمنهم الفقيه الأستاذ الصالح البركة الأتور أبو محمد الطيب بن أستاذ الجماعة عبد الرحمان ابن القاضي. أخذ عن سيدي أحمد بن عبد الله. كان مولعا بتقعيد المسائل المهمات ملتقطا أشتات الفضائل، متبعا لأثار والده مقتفيا سبيل الخيرات، وحمل الناس عنه القرآن وانتفعوا به، ودرس العلوم كالشفا وغيرها.

توفي ثامن رمضان بقاس عام أربعة وعشرين ومائة وألف.

أحمد التفراوي المصري

ومنهم الشيخ العلامة أحمد التفراوي (367) المالكي المصري شيخ التدريس بالديار المصرية كان إماما حجة، ورأيت له شرحا على الرسالة لابن أبي زيد يدل على علو مكانته وباعه. توفي بمصر عام الترجمة.

أحمد بلعباس ابن يحيى

ومنهم الفقيه المشارك الأريب، العالم العلامة الأديب، أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن يحيى السوسى، يدعى بلعباس بن يحيى، ممن قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري. كان عالما بالوثائق يفهم حل مشكلاتها مقصودا في كتب الأسئلة التي يقصد الجواب عنها، من علماء الوقت وكان بارع الخط سريعا فيه، وغالب تأليف جدنا هو الذي أخرجها من المبيضة لما كان فيه من الإتقان. ورأيت من كان يثني عليه بالتحصيل في العلوم والدين والاشتغال بما يعنيه والمروءة وحسن السم.ت.

توفي بقاس عام أربعة وعشرين ومائة.

العام الخامس من العشرة الثالثة

أحمد بن علي الجرندي

فمنهم الفقيه العالم العلامة الورع الزاهد الصالح، المشارك القدوة الناصح، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمان الجرندي الأندلسي الفاسي دارا ومنشئا ووفاة. كان إماما بمسجد الشرفاء بفاس ودرس فيه علوما وصحب في الطريف سيدي أحمد بن عبد الله معن وانتفع به، وكان عين بفاس من قبل السلطان فاستعفاه واحتال لنفسه بأن تحامق وصار يظهر من نفسه البله والأفعال الخسيسية حتى أقبيل منه ونجا، وهذا شأن من يكون قويا في دينه لا يخاطر بتقليد حقوق الناس. وحكايات العلماء في الفرار منه معلومة.

توفي بعد العشاء يوم الجمعة حادي عشر المحرم عام الترجمة. ودفن قرب سيدي أبي غالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح وبنيت عليه قبة.

حوادث السنة (368)

مشكل الحراطين بفاس

وفي ثاني عشر من جمادى الثانية من عام خمسة وعشرين ومائة وألف ورد على فاس زمام من مكناس بأحد وعشرين رجلا من أهل فاس بأنهم حراطين. وفي عاشر ذي الحجة العام قدم القائد حمدون الروسى من مكناس لبيع دور الحراطين بفاس والأمر لله.

وفاة القائد علي الريفي

وتولية ابنه الباشا أحمد مكانه

وفي ليلة الثلاثاء سادس شعبان العام، توفي القائد علي بن عبد الله الريفي، وتولى مكانه ولده الباشا أحمد بعده أواخر الشهر المذكور.

(368) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة.

العام السادس من العشرة الثالثة

محمد الدريج التطواني

فمنهم الفقيه النبيه، المبارك النزيه، الولي الصالح، العارف الواضح، سدي محمد بن
الدريج الأندلسي التطواني. وأهله ينسبون إلى الفقيه القاضي الخطيب الولي الصالح المحدث
أبي محمد عبد الله الدراج الأنصاري الذي عرف به أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحضرمي
في تأليفه الكواكب الوقادة ووصفه فيه بالأنصاري. ورأيت بخط عم والدنا أنه من ذرية عبادة
بن الصامت الأنصاري وهو من أهل سبتة. وكان صاحب الترجمة من حملة القرآن العاملين،
ومن الصلحاء الكاملين، ومن العارفين بالله الفاضلين. صحب سيدي أحمد بن عبد الله
معن، وسيدي أحمد اليميني، فكان في غاية الاجتهاد في العبادة، وفتح له في الطريقة وارتمس
بالحقيقة فذاق عذب عبارتها، واتصف بإشاراتها قال فيه تلميذه أبو عبد الله المدرع في
نظمه:

ومنهم المبرورُ شمس الأُمّة	محمد الدريجُ عالي الهِمّة
كان محباً صادقاً ذا نية	حالتُهُ زكِيَّةً مَرْضِيَّةً
مِنَ الفحولِ المَتَمَكِّينَا	الواصلينِ المُتَحَقِّقِينَا

والتمكين مقابل التلوين. قال القشيري في الرسالة: لأنه يرتقى من حال إلى حال،
وينتقل من وصف إلى وصف، ويخرج من موحل ويحصل في مرتع فإذا وصل تمكن، فصاحب
التلوين أبدا في الزيادة، وصاحب التمكن وصل ثم اتصل انتهى. فدل كلام المدرع أن
صاحب الترجمة من أكابر الأولياء لأنه من أهل الاصطلاح العارفين بعبارة القوم. وكان
صاحب الترجمة يجيد نظم الشعر، فمن نظمه يصف جبلا أخضر بسمى سَرَجْنِي بصيغة فعل
الأمر وفاعله ومفعوله وذلك في عشية وتخلص لمدح سيدي أحمد بن عبد الله معن:

ولما رفعت الطرف مني لاحظاً	وفاجأني نورُ أضواءِ علي الرُّبَا
تحيّر مني العقلُ في وصف حسنه	فقلتُ ابنَ عبدِ الله أهدى التفرُّبَا
فلاح لنا منه الجمالُ عشيةً	وحسرك أشواقاً وللقلب أطربَا
وكنا جميعاً لاهجين بذكره	شربنا بها صهباءَ هيَّجتِ الصُّبَا

وكان غابة في الزهد والورع واتباع السنة وتأديب نفسه.

توفي - رحمه الله - عام ستة وعشرين ومائة وألف ودفن بالمباح متصلا بقبة سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب فتوح متصلا ببابها الأيمن من البابين الصغيرين وعليه في التزلج مقبرة من رخام فقط جعلوها بقصد التمييز.

علي منطوسة التطاوني (369)

ومنهم الأديب سيدي علي منطوسة التطاوني.

طاهر الجابري الفصري

ومنهم الفقيه الأديب خطيب الجامع السعيد من القصر السد أبو البقاء طاهر الجابري.

(369) هذه الترجمة والتي بعدها ساقطتان من ط.
وفي ك وس: منطوسة، بينما في م: منصوسة.

العام السابع من العشرة الثالثة

التهامي بن محمد الوزاني اليملحي

فمنهم الشيخ الإمام الولي الصالح الزاهد الكبير، العارف بالله الرباني المنور الشهر، الشريف [أبو عبد الله سدي محمد المدعو] (370) مولاي التهامي بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بن مولاي ابراهيم السلملي الحسنى العلمى دفين وازان تقدمت ترجمة والده وجده [ورفع عمود نسيه] (371) قال في الأنيس المطرب [لما ذكر والده سيدي محمد بن عبد الله أخذ عنه ولده، يعني مولاي التهامي صاحب الترجمة، الذي نعلق بالله خلدّه، حتى زها به بلده، أبو عبد الله سيدي محمد التهامي - رضي الله عنه - فكان يلقى الكلف، ويريه كيف مدافعة الخلف عن السلف. وكان والده بعجب من حاله، ويخبر أنه وارث سره عند ترحاله، حتى علا قدره، وطلع في سماء الهداية بدره، فصاح بوالده أجله، يصحبه خستية من الله ووجله، وذلك ليلة الخميس الثامن والعشرين محرم الحرام فاتح عشرين ومائة وألف، فقام ولده المذكور مقامه، وغدت له بين الأولياء مقامه. ولا بتعجب من التشبيه بأبيه] (372). فهو [الآن] ممن تشد إليه الرجال، وتفك عند سماع ذكره الأحوال. وما رأيت منذ عقلت ولا حفظت ولا نقلت أحدا أشد ذكراً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللقيامة وأهوال الموقف وغير ذلك منه - رضي الله عنه -، والإكثار من الدعاء لخاصة المؤمنين وعامتهم، وخصوصاً أمير المؤمنين، فإنه لا تكاد يغفل بالدعاء له بالنصر والتوفيق والهداية، وبحض الناس على الدعاء له بمنزل ذلك. وكذلك كان والده - رضي الله عنه - ولا تراه إلا لاهجاً بالذكر والاستغفار والتسبيح والتفديس والتهليل والتكبير، على ما يقاسيه من حقوق العباد، وإبصال نواله للحاضر منهم والباد، وكنت إذا جلست إليه أحاول أن أسمع منه كلمة في غير الأمور الدينية والآيات القرآنية والأحاديث النبوية فلا أحفظ كلمة سوى ذلك، وهو من التبري من الادعاء (373) والإعجاب بنفسه والفرار من الكرامات على أكمل حال، مع تراكم الناس عليه، وانحياشهم إليه، من كل الأقطار واتعداد إجماعهم على أنه واحد زمانه وتشد الرجال إليه من أفاصي البلاد وأطراف الأرض، حتى رأيت الناس وفدوا عليه برسم الزيارة من البلاد المشرقية، وقرأت أنا غير ما مرة رسائل وفدت عليه من الديار المصرية والسامية والعراقية مشتملة على طلب الدعاء والتصريح بما لا يسع كتمه من ظهور بركاته الواضحة هنالك. على أن تلك الرسائل مشتملة على عدة رجال من أعيان البلاد والفقهاء وأكابر الثقات العدول.

(370) ساقط من ط

(371) ساقط كذلك من ط.

(372) ما بين معقوفتين زيادة في س وم.

(373) صحف في ط فكتب: والاذعان.

وأما بلاد الصحراء فأمرها في الاعتناء بشأنه أكثر من أن يقال، وهو مع ذلك برى أنه غير أهل لتلك الرتبة، وأكثر ما نجده ينشد:

يَظُنُّونَ بِيَّ خَيْرًا وَمَا بِيَّ مِنْ خَسْرٍ وَلَكِنِّي الْعَبْدُ الظُّلْمُ كَمَا تَدْرِي
سَتَرْتُ عَيْبِي كُلَّهَا عَنْ عَيْبُونِهِمْ وَأَلْبَسْتَنِي ثَوْبًا جَمِيلًا مِنَ السُّتْرِ
فَلَا تَفْضَحْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْيَبِي وَلَا تُخْزِنِي اللَّهُمَّ فِي مَوْفِ الْحَشْرِ

وكنت إذا أشكلت على مسألة أجابني عنها بآية قرآنية أو حديث نبوي كريم من غير أن يتأمل ولا يتردد في ذلك، فأجد لجوابه وكلامه انفعالا في قلبي وقتسعريرة في جلدي، وكان إذا تكلم في غير القرآن والحديث فأكثر ما تجده يميل إلى حكم ابن عطاء الله - رضي الله عنه - ذكرت بين يديه يوما ما يحتج به المشركون على إشراكهم من قولهم (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا) وقلت له بعد خوضي في المسألة إن حاصل ما أجاب به علماؤنا - رضي الله عنهم - أن الدعوة عامة، والهداية خاصة، فقال: (والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) فوالله لكأنى ما سمعت هذه الآية قبل ذلك ولا مرت لي على لسان. وكان - رضي الله عنه - إذا تكلم في مسألة عويصة عدل عنها إلى قياس منطبق عليها من الأشياء المحسوسة تقربا على الأفهام. وفي هذه المسألة بعينها قال لي: مثال ذلك - والله أعلم ولله المتل الأعلى - أن رحلا عمدا إلى أرض حرثة وزرع فيها من جمیع أنواع الحبوب ثم أمر مؤذنا يؤذن في تلك الأرض على تلك الحبوب المزروعة ألا إن رب الأرض يأمر جميع ما هنا من الحبوب على اختلاف أجناسها أن تكون عند النبات كلها قمحا، ومن ثم يثبت استحق منه أشد العقاب، ورب تلك الأرض سابق في علمه أن كل جنس لا يخرج عند الانبات إلا موافقا لجنسه. فلما كان إبان خروجه خرج كل واحد على حسب ما زرع، فما زرع بُرا خرج بُرا، وما كان شعيرا خرج شعيرا، وهكذا - فالزراعة الأولى - ولله المتل الأعلى - هي خلود الأرواح في الأزل، ورب الأرض هو البارئ سبحانه، والمؤذن هو النبي صلى الله عليه وسلم فإنه جاء أمرا عن ربه لجميع الخلائق أن يؤمنوا، وتلك هي الدعوة العامة. ولكن عند بروز الخلائق إلى الوجود تبع كل واحد ما سبق له في علم القدر من إيمان وكفر وطاعة ومعصية وغير ذلك، وتلك هي الهداية الخاصة وأنواع الحبوب المختلفة هي فرق بني آدم: مومن وكافر ومجوسي ورافضي وقدري ومعتزلي وغير ذلك مما لا حاجة لذكره في هذا المحل.

وقال في وصفه في موضع آخر: وكان - رضي الله عنه - يعني صاحب الترجمة، إذا أكثر عليه العوام أنت أنت تغير لونه لذلك وتكدر صفوه، ونظر إلى قائله شزراً وقال علي جهة الإنكار والرد والنوبيخ: (أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ)، ثم يقول: (عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء). وذكر عنه حكاية في الرجاء ثم أطال في وصفه فما يرجع إلى التبري مع الدعوى، ودلالة الخلق على

اللّه وترغيبهم في حبه وجمعهم عليه. وهذه من أوصاف أكابر الصالحين رضي الله عنهم. [قال في الأنيس، وكان يقول لمن أكثر الدعاء واستبطأ الإجابة قول ابن عطاء الله: لا يكون تأخير مد العطاء مع الإلحاح الخ ثم قال: وأبغض الحديث الاطراء عليه فإنه كان إذا سمع شيئاً من ذلك قام من مجلسه وظهر أنر الكراهة في وجهه وأنزم قائل ذلك عدم العودة إليه. وكنت قبل ذلك مدحت أباه بشعر أنكره وأخذ على ألا أعود. ثم بعد وفاته عازمت على إخلاف وعده ومدح والده من بعده، فلا وربك ما وجدت في ذلك الغرض نصف بيت. ولا نقل الحي يغلب ألف مست فلذلك لا تجد لهم فيهم قافية إلا بعد من مات منهم (خرم بقدر أربع كلمات) المذكور] (374).

ورثي صاحب الترجمة الأديبُ العالم اللغوي أبو الحسن علي بن أحمد مصباح من

قصيدة:

رَوَّأَ نَبَأً أَبْكَى عَيُونَ الْوَرَى طَرَا	وَأَصْبَحَ مِنْهُ جَانِبُ الدَّهْرِ مَغْبِرَاً
أَتَى وَقُلُوبُ الْمَسْلَمِينَ سَوَاكِنُ	فَلَمْ يَمْشِ إِلَّا وَهَيَّ مِنْ هَوْلِهِ سَكْرَا
حَسَبْنَا بِهَا الشُّمَّ الرُّوَاسِي زُلْزِلَتْ	وَحَلْنَا بِهِ سَقْفَ السَّمَاوَاتِ قَدْ خَرَا
فَقَالُوا قَضَى الْحَبْرُ التُّهَامِي نَحْبَهُ	وَأَرْكَبْنَا فِي بَعْدِهِ مَرْكَبَاً وَعَرَا
وَأَعْتَبَ ذَاكَ الذُّكْرَ وَالْجَهْرَ سَكْتَهُ	كَسِرَ قُنُوتِ الصَّبْحِ قَدْ عَاقَبَ الْجَهْرَا
خَلِيلِي حَطَّ الرَّحْلُ لَا تَذْكُرِ السُّرَى	وَلَوْ مَا عَلَى التَّرْحَالِ وَالسَّقْرِ السَّقْرَا
فَوَاللَّهِ مَا بَعْدَ التُّهَامِي رَحْلَةً	يَوْمٌ بِهَا الرِّكْبَانُ بَرَاً وَلَا بَحْرَا
وَمَنْ يَعْتَمِدُ بَعْدَ التُّهَامِي رَحْلَةً	يُؤْمَلُ رِحَاً يَلْفُ نَامِلَهُ خُسْرَا
قَضَى قَضَى الرَّحْمَانُ أَنْ لَا يُرَى لَهُ	نَظِيرٌ وَلَا أَنْ الْجِسْرَاحَ بِهِ تَبْرَا
وَسَارَ وَخَلَى النَّاسَ تَهْتَفُ بِاسْمِهِ	تَوَدُّ حَشَاهَا أَنْ يَكُونَ لَهُ قَبْرَا
عَلَى مِثْلِهِ تَبْكِي الْبَوَاكِي حَوَاسِرَا	وَجَوْهَا غَدَّتْ مِنْ طَوْلِ مَا حُبَّتْ غُرَا

ومنها:

لقد كان صواماً لمولاه قائماً	وقد كان أعلى آل فاطمة الزهرا
أبرهم قسولاً وأولاهم ثقي	وأحفظهم عهداً وأكثرهم ذكراً
وأوسعهم جليماً وأرجحهم حجياً	وأخسعهم قلباً وأتملهم برأ

(374) ما بين معقوفتين زيادة في س.

وكان إذا ما غاب ساعة خُلوهُ
 تراقبُه الأبصارُ حتَّى كأنما
 وكان إذا حل العُففاةُ فناءهُ
 وكان إذا أرخى مَلابسَ هَبَّبةٍ
 فتىَّ عاش في معروفه كلُّ فاضلٍ
 يباري الرياحَ المرسلاتِ بكفِّه

ومنها:

فلا نحسبوا موت التهاميِّ واحداً
 ستيكى عليه اليومَ ملءُ جفونِها
 وتبكيه أبتامٌ وشعثُ أراملٍ
 فكانوا أعدوه لكل خصاصةٍ
 وتبكيه أدواح الرياض فلا يرى
 وببكيه نادي العلم والوعظ كلما
 كأنِّي بوزانٍ أقشعرتُ رياضُها
 تضيقُ بها الزوارُ درعاً إذا ترى
 وكانت محل الشهر فسها لأتسها
 فسها طيرها ضجَّت عليه فلم تكذ
 وأمكت على الأغصانِ في كل روضةٍ
 وها أرضُها أنت عليه كوامن
 فيسا لبني وزانٍ من فبةٍ غدت
 عشا فيهم الدهرُ الخؤونُ فأصبحوا
 لقد كُنتُ حسانَ المديحِ لهُ وها
 فراصي بها سحابِ معارفِ (كذا)

(375) في ل: بل، وفي س: بأن، ولعل الأصل ما أبتناه.

انظر تمامها فهي طويلة نحو ستين بينا وقد أجاد فيها ما شاء، وكيف لا والممدوح بها جواد الزمان، وطود العلوم والعرفان. وقد نظم رفع عمود نسب آبائه الكرام من صاحب الترجمة إلى مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاختصار لبسهل على الطالب معرفة حفظهم، وهو، أي الناظم لذلك، ابن عم جدنا الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن العدل عبد القادر الحسيني في أرجوزة فقال:

يقول عبيد الله وهو أحمد الله ربّي العظيم أحمد
مُصَلِّياً على النبي والآل وصحبه ومن إليهم تال
ويعدُّ فالقصد بيان النسب الشريف الكامل من نسل النبي
ذي الفضل والمجد الأصل، والإمام محمد الطب [لسن] له ثان
ابن أبي عبيد الإله الناسك القطب الكامل الولي السالك
سبل عبيد الله شيخ الطريقة والعلم والعرفان والحقسقة
نجل أبي سالم إبراهيم من فد حوى فضلاً به جسيما
ابن أبي عسمران موسى بن الحسن ولد موسى صاحب الذكر الحسن
وهو ابن إبراهيم نجل ابن عسمر ولد أحمد استمع للخبر
والده بدعي بعبيد الجبار ابن محمد الرفيع المقدار
ابن الولي صاحب الصلاح نجل مشيش سيدي بملاح
صنو الولي الأكبر المشتهر عبد السلام الناسك الباهر
ابن مشيش بن أبي بكر الرضى بن علي ذي الحسام المرتضى
والده حرملة نجل عيسى ابن سلام اقتفى الرئيسا
والده المزوار المسدد المفضل المعظم الممجد
نجل لحيدرة ذي المسجد الرفيع والقدر والنجدة والعز المنيع
ابن محمد العلي المقدار من فضله بين الأنام سار
ابن الإمام الطاهر السريرة ابن الإمام ادریس عدل السيرة
ابن الإمام الأكبر الأواه مولانا ادریس بن عبيد الله
الكامل الواصل والموصول ذي العلم والعرفان والتنسل
ابن الإمام الأكبر الخليفة ذي الرتبة العلية الشريفه
هذا تمسماً نظم مسأ أردتُ وجمع شمل ما له قصدتُ
ثم بجاه المصطفى المختار وآله وصحبه الأخيار

صَلَّى عَلَيْهِ رَبَّنَا وَسَلَّمَا مَا دَامَ قَدْرُهُ السَّامِيَّ مَعْظَمًا (376)

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنين في مهل المحرم عام سبعة وعشرين ومائة وألف، ودفن بوازان من بلاد مضمودة المغرب، وبنى عليه أخوه أبو عبد الله محمد المدعو مولاي الطيب قبة ثم انفجرت جدرانها، ثم أعاد بناءها ثم انفجرت جدرانها، ثم أعاد بناءها فانفجرت جدرانها قبل أن يتم بناؤها، فتركوها كذلك كما هي عليه الآن، لأن صاحب الترجمة كان زاهداً لم يرد من المباهاة شيئاً في الدنيا فضلاً عن البناء عليه بعد الوفاة الذي هو من المباهاة. وسمعنا من أصحابه الذين استمرت صحبتهم له واتباعهم طريقتهم وانتفعوا منه أنهم لا يعرفون له لبس ثياب الكتان مما يلي بدنه، وإنما كان يلبس ثياب الصوف إلى توفي رحمه الله تعالى ونفعنا ببركاته آمين (377).

أحمد بن علي التملي

ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد بن علي التملي من أشياخ التسخ الحسن بن مسعود اليوسي (378).

أحمد بن عبد القادر التاستاوتي

ومنهم الشيخ الأدب الولي الصالح العارف أبو العباس سيدي أحمد بن عبد القادر التاستاوتي، المتوفي عام سبعة وعشرين ومائة وألف، له سند المصافحة عن عبد الكريم الجبري، عن سعيد قدورة، عن سعيد المقرئ، عن أحمد حجي عن محمد الوهراني، عن إبراهيم التازي، عن صالح الزولوي، عن محمد الشريف الحسني الفاسي نزيل الجزائر، عن والده عبد الرحمان وعاش مائة سنة وأربعين سنة، عن أحمد بن عبد القادر القوسي، عن أبي العباس الملتئم وهو صافح المُعَمَّر، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم. وله سند المصافحة عن سيدي عبد القادر الفاسي وأجازه وقال له: صافحتك بما صافحتني به الأشياخ إلى أنس بن مالك قال: صافحتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فَلََمْ أَرْ خَزْأً وَلَا حَرَبْرًا أَلَسَّنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ، الحديث فيه روايات (379). قال صاحب الترجمة في كتابه *نزهة الناظر*

(376) بقى معظم أبيات هذا الرجز مكسوراً لعدم وجود نسخ أخرى تقابل بها للتصحيح.

(377) ترجمة المهامي مختصرة في ط في أقل من صفحتين.

(378) هذه الترجمة ساقطة من ط

(379) رواية محمد بن سليمان الروداني في *صلة الخلف* من طرق مغربية ومشرفية عن أنس بن مالك قال: «صافحت بكفي هذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فما مسست خزاً ولا حربراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم». انظر مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد 29، الجزء 2، ص 551-552.

وصافحتني أيضا سيدي محمد بن ناصر الدرعي وأجازني عن أشياخه الذين صافحوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وأخذ عنه أحمد أبي بن عسرية بن أحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي. وذكر عن صاحب الترجمة أنه قال: في هذا الوقت رجل أعطي شفاعته مائة ألف رجل، ثم قال بعد ذلك أعطي شفاعته أهل عصره، وكتب ذلك ابن أبي عسرية في كناشه ثم كتب صاحب الترجمة بخط يده: المسطر أعلاه صحيح وكتب أحمد بن عبد القادر كان الله له، ومن خطه نفلت، وله مراسلات إلى أحمد بن أبي عسرية المذكور، قال في إحداهن وكل من أوى إليكم وبلغ إلينا وسمع منا وأقبل علينا فهو - إن شاء الله - من المقبولين إلى آخره، وهذا النصريح مُخالف لأقوال العارفين تنفر منه النفوس ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (380).

(380) أخرجت ترجمنا لتستاوي في ط إلى السنة الموالية أي عام 1128، وهذا الاختلاف بالمقدم والتأخير في نسخ نشر المثاني هو سبب حيرة عباس بن إبراهيم في كتابه الإعلام (2، 357 من طبعة الرباط) حيث وجد في الاستنفا ما يخالف ما في الشر.

العام الثامن من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد الولائي

فمنهم الشيخ الفقيه العالم العلامة المشارك الدراكة الفهامة أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب الولائي، دفين مكناسة الزينون، ومدرس قصبه الحضرة السلطانية الإسماعيلية (أدام الله شرفها) (381). ذكر نسيبه في كتابه مباحث الأنوار فقال «إن قبيلة بني ولال، وهم قومنا الذين نشأ أجدادنا منهم، وأصلهم من بنى عطاء - قبيلة كبيرة معروفة بأقصى جبال ملوية، وفيهم إخوة قبيلتنا يسمون لديهم ببني ولال أيضا. وبنو عطاء مسندا بوزن فعّال، أصلهم من العرب كما تقدم ذلك في شجرة أنساب القبائل الموجودة بأيدي الفقراء أهل الصومعة. بل أخبرني بعضهم أن بن عطاء أصلهم من أخص العرب وهم فريش، وكل ذلك لا يعد فيه لنبدل أحوال القبائل العربية وتنفلها من أرض إلى أرض، ومن رفع إلى خفض، فتتبدل الألسن بتبدل البلد». انتهى بنصه.

(بدأ صاحب الترجمة القراءة في الزاوية الدلائية حين عمارتها، وقرأ على السبخ اليوسى، صرح بذلك في كتابه مباحث الأنوار، فأخذ عنه علوم الآلات البيان، والمنطق، وأصول الفقه، والفقه (382)، وأصول الدين) (383) وكان صاحب الترجمة دراية فهامة محمود العشرة، ومؤلفاته شاهدة على تحقيقه في العلم وهي جملة (واقرة) (384) فمنها شرح على مختصر السنوسي في المنطق، وشرح على السلم للأخضري، (وشرح على منظومة الأخضري في البيان، وله قصيدة لامية وشرحها في المنطق) (385). وشرح على حمل الخونجي، وشرح رسالة السبد الجرجاني، وشرح خطبة مختصر السعد، وشرح على مشروحه، وشرح مفاصده، وشرح على لامية الأفعال. (لابن مالك في التصريف) (386) وحاشية على المحلي، وشرح على روضة الأزهار للجادري. واتصل بالعارف بالله سبدي محمد بن عيد الله السنوسي، وتقدمت ترجمته عام تسعة وسبعين وألف، وألف فيه وفيمن لقيه وفي بلامذته كتابه مباحث الأنوار، (في أخبار بعض الأخيار) (387) وذكر فيه ما يدل على أنه أدرك ما أدركه (388) الأولياء. (ومما يدل على تهيئته لذلك ما حكاه عن نفسه في مباحث الأنوار حيث قال لما

(381) زيادة في ط

(382) في س. والأصول، والفقه..

(383) ما بين معرفتين ساقط من ط.

(384) زيادة في ط. وعبارتها هنا محالفة قليلا لما أتتناه عن المخطوطتين

(385) في ط يدل هذين الأخيرين، وشرح ناخيصى الممتاح للقرنوي، وشرح المقاصد للسعد

(386) زيادة في ط.

(387) زيادة في ط كذلك.

(388) في ط: ما يدركه

حكى نسبة أهله وقبيلته ما نصه (389): «ووقعت فيهم، أي قومه، مقتلة عظيمة في حرب وقع بين ملوك الوقت وهم مع قبائل آخرين، ولم يقع في تلك القبائل ما وقع في تلك القبيلة، بل خصوا بكثرة القتل من غير أن يقصدتهم بالخصوص مقاتلتهم (390) بل قصدهم في الغالب إنما هو في إفناء غيرهم، فاتفق أن قتل منهم أربعمئة وخمسون فتبلا. ولما وقعت فيهم تلك المقتلة تفكرت يوما في ذنبهم الذي خصوا به بتلك المصيبة، إذ علمت أنها ليست إلا عن ذنب، فقيل لى في عالم النوم: إن سبب إراقة تلك الدماء منهم أراقوا دم واحد من أهل البيت، فذهبت الشكاية منه إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رب العزة، فحكى الله تعالى عليهم بأنه سلب عليهم من يقتل منهم ذلك العدد.

ثم ذهبت الشفاعة من شسختنا ابن عبد الله السوسى المذكور إلى السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إلى جبريل - عليه السلام - ثم إلى رب العزة، فلطف الله تعالى بهم. وكان من اللطف الذي وقع لهم أنه لم يستل رجل منهم إلا وبقي من يخلفه ويعمر بيته (391). ومن اللطف أيضا أن زاد عندهم في عام المقتلة أربعمئة وخمسون صبيا ذكرا، وقد عاش الصغار حتى كبروا. والشيخ لس ببنه وبين تلك القبيلة صحبة ظاهرة إلا ما كان لنا معه. ولما قيل لى ذلك فى المنام جعلت أتعجب كيف أراقوا دم واحد من أهل البيت ولم أسمعه. ثم بعد ذلك بزمان لقبت واحدا من شرفاء سجلماسة يقال له مولاي حفيد، فكنت أتحدث معه حتى قال لى إن بنى ولال فى العام الذي أغاروا علينا بالموضع الفلاني وأخذوا لنا ما كنت رددت من المتاع جرحني واحد منهم وأخذ ثيابي حتى النعال، فتوجهت إلى السيدة فاطمة وقلت ياسيدتى إن كنت أنا منك، ويارسول الله كنت من جهنتك، فالله ينتقم من هؤلاء. قلت: أو جرحوك؟ قال لى: نعم. وكنت أنا لما أغاروا على تلك القافلة التي بها مولاي حفيد المذكور خرجت لأرد للمساكين أمتعتهم، فوجدت أمتعة الشرفاء عندهم، فرددت منها ما أمكن، ويعنت بها لأهلها، وأنكروا لى أن يكونوا جرحوا واحدا من أهل البيت. فلما أخبرني بما ذكر عرفت مصداق الرؤيا وجاه الشيخ فى شفاعة الأمور العظام من غير مناداته فى ذلك. انتهى.

(ومن دعاء هذا الشيخ لصاحب الترجمة ما حكى به عنه أنه قال له: اقرأ قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ»، ففرأت إلى «الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ» قال: فقال لى: جعل الله فىك هذه الأوصاف. ثم قال لى: كل ما أحببت يفضى لك. قال فقلت له إنى أريد علوما مثل الفقه والأصول والبيان والمنطق، فقال لى يحسن بك أن تتعلم من كل علم. فمن بركنه فتح لى فى

(389) ما بين معقوفتين، ثاب فى ط ساقط من المخطوطتين

(390) فى ط: ان يقصدهم بالخصوص بالنعال

(391) هذه هى عبارة المخطوطتين لـ و س، وهى الواضحة وعارة ط مشوشة.

تلك العلوم التي سميت وفي غيرها ، فيقضي الله تعالى من له خيرة في فن من الفنون بلقائبي فأخذه عنه ، أعني ذلك العلم ، كالتوقيت ، والأسطرلاب ، والعروض ، والجدول ، والحساب (392) ثم أوصاني بكتب السير ورجحانها على كتب التصوف قال : لأن فيها سريرة الصحابة ، وفي كتب التصوف سيرة الأولياء ، فكم بينهما ! ثم قال بعد كلام ، قال لي : أتعرف أدب المتعلم وأدب المعلم ؟ أما أدب المتعلم فهو الذي إذا فهم مسألة لم يتخط لأخرى حتى يعرض تلك على نفسه ، فإن وجد نفسه قد تخلقت بتلك المسألة حمد الله على علمها وعلى التخلق بها ، وإن لم يتخلق بها ناب إلى الله تعالى وألزم نفسه التخلق بها ، ثم سجد لله تعالى على العلم بها وعلى التخلق بها أيضا . وكذا المعلم إذا قرر مسألة وفهم حتى يعرضها على نفسه ، فإن تحلق بها حمد الله تعالى على العلم والتخلق ، وإلا تاب ونخلق بها فحمد الله على الأمرين ، حتى بصير الإنسان حامداً لله تعالى على كل مسألة . قال فهذا يكون العلم علما نافعا ، وإلا كان حرفة لصاحبه والعبادة بالله تعالى ،

(قال صاحب الترجمة: وكلام الشيخ هذا فصل الخطاب فما يلزم طالب العلم ، والله بوفقنا لمرضاته . ثم استأذنه في الوصية التي كتب بها لأصحابه فأذن له فأخذها عن أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمان الصومعي ونص ما أورده منها :

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . ينبغي لمن وُفق للخير وألهم للرشد وأعين على مراعاة أحواله أن يميز بين الحق والباطل ، وبين مراده و مراد نفسه . ومراد ربه منه . ومراد كل إنسان لقيه وخاض معه . فإذا عرف ذلك قرب الخير إليه كفريه من نفسه حتى كأنه يراه بعينيه ، بمنزلة من راقب الفجر ووجهه للجهة التي يطلع منها ، وليس بعد الفجر إلا الشمس ، فإذا طلعت الشمس زال الشك واللبس . ولا يستعان (على ذلك بالوالد إلا إذا كان صالحا ، ومما استعان) (393) به على ذلك مواصلة الأبرار ، وملازمة الاستغفار ، والصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم وكذلك كل ذكر يجمع على الله وينفى عن القلب سواه ، كلاً إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وكذلك التمييز بين حب الله تعالى وحب غيره . وكذلك تلاوة القرآن مع التدبر ، وربما يكون سماعه من الغير أقوى تأثيراً في القلب . والأصل العظيم لذلك كله أكل الحلال ، ولكن وإياك والتوغل في طلبه لأنه يدخل عليه وسواسا عظيما . والحزن لا تفارقه ولا تصاحبه ، فإن البقاء مع أحدهما يفسد القلب . فإذا كنت محزوناً فاستعمل الفرح والسرور ، وإذا كنت فرحاً فاستعمل الحزن ، وعليك بمطالعة كتب المحبين ، ثم إذا نظرت مراتبهم في محبوبهم فقل في نفسك هذا الذي بلغ حب

(392) هذه الفقرة المكيوية بين معفوتين ساقطة من ط . وفيها بدلا منها :

« وصاحب الرحمة ممن انتفع بالشيخ سيدي محمد بن عبد الله السوسي المذكور نفعاً ظاهراً كما أخبر بذلك عن نفسه .

قال ما معاه . وفتح الله علي بهركته فتحا عظيما في العلوم . قال وأوصاني . . . »

(393) هذه الجملة ساقطة من ك .

المخلوق للخالق، وعليك بملازمة الدعاء والنضرع إلى الله تعالى فإنه لا يصفو القلب إلا بالدعاء. انتهى) (394).

توفى صاحب الترجمة ثاني رجب عام ثمانية وعشرين ومائة وألف بمكناسة الزينون.

من حوادث السنة

محاصرة محلة السلطان العثماني للبندقية

وورد الخبر بأن محلة للسلطان العثماني محاصرة للبندقية.

ظهور جسم عظيم غريب في الهواء

وأخبروا أيضا أنهم رأوا في الجو مخلوقا عظيما محمولا في الهواء رأسه رأس ثعبان وذيبه ذنب سمك، وفي ظهره شيء كالصومعة، وبه يد الإنسان، وفي إحدى يديه سيف، وعرضه نحو ستين مسلا، وأما طوله فلا يعلم لأنه بقي يجوز نحو ثلاثة أيام. والله على كل شيء قدير (395).

(394) هذه الفقرة الطويلة المكنوية بين هلالين سافطة من ط.
 (395) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة. وفي أولها سطران عن وفاة أحمد الولاى حذفتها لأن ترجمته تقدمت مستوفاه.

العام التاسع من العشرة الثالثة

أحمد بن محمد ابن ناصر الدرعي

فمنهم الإمام الكبير، الصالح الشهير، الولي الخطير، سيدي أحمد بن الإمام أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي. تقدمت ترجمة والده وجده وأقاربه. كان صاحب الترجمة جليل القدر كبير الشأن عظيم الذكر له صيت في المغرب (وكذلك في المشرق) (396) وكان عالماً نحويًا لغويًا مؤرخًا يقصد الشوارد، ويحفظ الفوائد، من أهل العناية والشهرة بالولاية. ألف كتاب الأجوية، (وكتاباً آخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقرب من دلائل الخبرات) (397) وكتاباً في رحلته للمشرق جمع فيه كثيراً من فوائد الرحلة العياشسة. وله كلام في الطريق وحض على اتباع السنة، وتأكيده في اتباع العلم وتحكيمه. وله أبحاث وتلامذة كثيرون بوترون (398) عنه كرامات وخوارق. وكان أراد أن يحج نانياً في سنة عشرين ومائة وألف، (فصرفه السلطان مولانا إسماعيل عنه (399) ثم من العام المقبل أذن له في الحج، فسافر للحج ولقي مشايخ بالبلاد المشرقية (ممن أخذوا عن والده، فأخذوا عنه فينسبون إليه في الطريقة.

ومن فراسته ما حكى لنا بعض أهل الخير والصلاح من أهل مدينة شفشاون أنهم كانوا يجدون بحراب بعض مساجدها بولاً وغانطاً زماناً فرصدوا فاعل ذلك فوجدوا مجذوباً بالبلاد كان قاطناً بشفشاون يقصد المحراب ويبول فيه ويتغوط. فلما تحققوا أنه فعله شددوا عليه في النهي، فلم يقد فيه نهياً حتى هموا بقتله واجتمعوا على ذلك، وأشار عليهم إمام المسجد أن يرصدوا وقت مجيء صاحب الترجمة لزاويتهم التي بشفشاون يجتمع بها الفقراء الذين من أتباعهم كان تأتيهم كل سنة.

فقدم صاحب الترجمة فأعملوه بالأمر واستشاروا معه في شأن المجذوب، فأمعن النظر في ذلك و خلا بإمام المسجد وقال له: لا بد أن تصدقني هل تشرب شيئاً من الخمر الذي يقال له عندكم ربّ الفقيه أعمّر / قال له نعم، فأمره أن يتوب من شربه فتأب. وكان إمام المسجد يسريه ويأتي إلى الصلاة بالناس. فلذلك كان المجذوب يقصد المحراب ويبول ويتغوط فيه، فلما تاب إمام المسجد عن شربه على يد صاحب الترجمة، فمن يوم تاب لم يبل ولم يتغوط المجذوب في المحراب أبداً، وأصلح الله حال الجميع ببركاته. وكان هذا المجذوب يدعى سيدي أبي حنّثة.

(396) زيادة في ط.

(397) ساقط من ط.

(398) في ط. يذكرون.

(399) زياده في ط.

وحكي أن صاحب الترجمة لما سار إلى الحج مع الركب فلقبه رجل بالخلاء وأطرق إلى الأرض ورفع رأسه إلى السماء، فلما رآه صاحب الترجمة فعل ذلك مرّ بيده على وجهه ثم ذهب الرجل. وسأل بعض أهل الركب صاحب الترجمة عن فعل الرجل، قال لهم إنه قال لي في فعله ذلك من نظر إلى الأرضين السبع وما احتوت عليه والسموات السبع وما احتوت عليه تحقق بدخوله الجنة أم لا؟ قال فأجبتُه إن قطع الصراط دخل الجنة (400).

[أخذ عن والده، وأخذ عنه سادة فضلاء. منهم الولي الصالح الشهير سيدي أبو العباس الشراذي صاحب الزاوية الشهيرة بقرب مراکش، والسيد الجليل سيدي حسين المدعو شرحبيل، والولي الصالح سيدي المعطي بن الصالح الشرقي. وقد سمعت عنه أن الورد الذي أخذ عنه هو الذي يخص بعض العامة ممن برد عليه. وكل هؤلاء تأتي تراجمهم إن شاء الله. وأخذ عنه من لا يحصى كثرة. وتنسب إليه الآن الطوائف من الفقراء بالصحراء وغيرها. نفعنا الله بجمعهم آمين، وكان لنا بما كان لأوليائه المتقين] (401).

توفي صاحب الترجمة بدرعة (402) عام الترجمة.

محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي

ومنهم الأستاذ المحقق المجدد المقرئ الفقيه أبو عبد الله محمد بن العربي ابن مقلب الفاسي، أحد الكبراء ديناً وخشبة. كان سريع اليكاه عند تلاوة القرآن، من أصحاب سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ عنه طلبة فاس القراءات السبع وحدتني بعض العارفين أن صاحب الترجمة كان من الأولياء، وإنما ستر ولايته العلم والقراءة.

توفي صاحب الترجمة بفاس عام الترجمة (403).

من حوادث السنة

قتل نحو المائة من الحباينة

وفي موفى عشرين من جمادى النانية من العام قتل السلطان مولانا اسماعيل نحو المائة من الحباينة لأمر افتضاه، والأمر لله.

سجن مائة رجل من بني يزناسن بمكناس

وفي الثامن والعشرين من رمضان العام جيء بمائة رجل من بني يزناسن وسجنوا بمكناسة الزيتون - أمنها الله - إلى حين (404).

(400) هذه الفقرة الطويلة المكتوبة بنى معقوفتين ساقطة كذلك من ط

(401) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين اختصت بها ط.

(402) في س: بفاس، وهو خطأ من الناسخ. وسقطت حملة الوفاة من ط.

(403) سقطت هذه الترجمة كلها من ط

(404) انفردت الحوليات كذلك بحوادث السنة، وكرر في أولها جزء صغير من ترجمة أحمد ابن ناصر فحذفناه.

العام العاشر الموفي العشرة الثالثة

حمزة بن عبد الله أعيّاش

فمنهم المرابط الشهير، ذو القدر الكبير، أبو عمارة سيدي حمزة بن العلامة سيدي عبد الله أعيّاش. من أهل الوجاهة والثروة، وله اعتناء بزاوية أبيه في بلادهم أيت عياش، واعتنى بجمع الكتب، إذ فيها ما لا يوجد في غيرها (اليوم في سائر المغرب) (405) وتقدمت ترجمة والده سيدي عبد الله المذكور (عام واحد وتسعين من المائة الحادية) (406). توفي صاحب الترجمة بزاويتهم عام ثلاثين ومائة وألف.

(405) ساعط من د.

(406) ساعط من المحفوظات لـ د. و س.

العشرة الرابعة من المائة الثانية بعد ألف

العام الأول منها

سعيد بن أبي القاسم العمري

فمنهم الفقيه القاضى العلامة المشارك المحقق الفهامة المعقولى الأشهر، البياني الأبهري (407)، أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العمري، التادلي الأصل المكناسي الوفاة والقرار. كان - رضى الله عنه - آية في النحو والبيان. مَجْبُولاً على محبة أهل (البت) (408) والولاية والعرفان، يكثر من مخالطتهم والاعتناء بهم، ويؤثر حديثهم ومجالستهم، وله قوة على الصدع بالحق في مظان الملوك لا يبالي بما يترنّب من ذلك. قد ألبأه الحال إلى مولانا الخليفة السلطان أمير المؤمنبن مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسيني لقضة وقعت له مع بعض أهل الولايات من عصره. فلما رآه السلطان في نباهه وفصاحته وتحصيله، وحسن إدراكه وتفصيله، أعجب به كل الإعجاب، وألزمه ملازمة مسجده والتدريس به، وولاه قضاء حضرته. وكان لا يستطيع أن يغيب عنه، وجعل السلطان يشاروه في مهمات ما يعرض في ضروريات دينه. وكان كل ذلك لا يلهيه عن دينه وقراءته واعتنائه ومخالطته أهل الطريقه ومراسلتهم والورود عليهم. فخالط قبل مخالطته السلطان سيدي أحمد اليميني، وسيدي أحمد بن عبد الله مَعْن، وتربى بهما وتأدب وتهذب، ولم تزده خلطة السلطان إلا محبةً فيهما. وكان قبل ذلك يقري مولانا محمد ابن الخليفة السلطان مولانا إسماعيل، وكانوا يترددون إليه ويجتمعون عنده كبراء علماء الوقت، فيوردون مشكلات عويصات جدا فيصدرون فيها عن رأي صاحب الترجمة. وطلبوا منه أن يقرئهم شرح السعد المطول على التلخيص للقزويني وهو لم يتهيأ ولا استعداد، وقصدوا بذلك إفحامه بين يدي مولانا محمد، وكان له خبرة بالفن ذا فطنة قوية، فابتدأه فوراً وتفجر بأنواع التحقيقات، وأحسن التقريرات، بما لم يخطر لهم ببال، فتأبوا لله واعترفوا بفضله وكمال علمه، وحددوا نية القراءة عليه على أصلها وحضر درس ذلك جمع من الشيوخ المجتمعين هنالك.

قرأ على شيوخ الزاوية البكرية، وعمدته منهم سيدي الحسن بن مسعود اليوسي، وعلى طبقتة. وأخذ عنه جماعات من فهاء مكناسة وغيرها، منهم الفقيه العلامة حافظ المذهب في زمانه سيدي الحسن بن رجال المعداني، والفقيه القاضى سيدي أحمد الشدادى، وأولاد صاحب الترجمة، منهم أعلاهم قدرا الفقيه العالم المفتي النوازلي عدل قضاة الزمان سيدي أبو القاسم، والفقيه أحمد، والفقيه النحوي الأديب عبد الرحمان وغيرهم (409).

(407) فى ط: الأكبر

(408) ساقط من ط.

(409) اختصرت ترجمة العمري في بضعة أسطر في ط.

توفي صاحب الترجمة - رحمه الله - بمكناسة ودفن بها عام الترجمة.

عبد الله بن محمد الفاسي

ومنهم الفقيه سدي عبد الله بن الفقيه المؤرخ الصوفي سدي محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي. توفي عام الترجمة (410).

عبد الكريم الترغي

ومنهم سيدي عبد الكريم الترغي أصلاً، الدرعي داراً. ممن أخذ عن الشيخ الحسن اليوسى، ورحل للشرق فحج ولقى أئمة أعلاماً، ودخل الشام، ثم رجع واستقر في الزاوية الناصرية يدرس بها ويفتى، وزوجه الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن ناصر بأخته.

توفي - رحمه الله - في يوم الخميس التاسع عشر من جمادى عام اثنين وتلاثين ومائة وألف، ودفن هناك. وممن أخذ عنه الفقيه العالم قاضي شفتاون سيدي محمد ابن عبد الله الحوات الشريف الموسوي الحسنى ورنه بقصيدة مطلعها:

إذا ما بدا برقٌ من الجانب المكي أرى شوق سكان المعاهد يحكى (411)
أيقول فيها:

سَلِ الطالِعَ الغَربِيَّ من نحو درعة سؤال الشَّجِي المَشْتاقِ عن جيرة الأيك
فهل هاج تذكّار الحبيب لهم أسي بكل حشا نار الغضا أبداً تُذكى
كما هاج منا ذاك فقد حُلاحل جليل سني كسان واسطة السلك
لسان العلوم المرتضى نبيخنا الرضى بضاهي الإمام الفخر والسعد والسبكي
ربى التقى عبد الكريم الذي سرى إلى الله تلقاه السنائر بالضحك

وهي أكثر من هذا تركنا ما بقي منها اختصاراً [(412).

من حوادث السنة

تجدد بناء ضريح مولاي ادريس بفاس

(410) ترجمة عبد الله الفاسي سافطه من ط.

(411) ترجمه الترغى أحرى في ط إلى عام 1142 . وليس في كد سوى الجملة الأولى منها. والبيت مكسور الآخر، يستعيم وزنا بإضافة نحو كلمة « أن » أو « إذ » قبل يحكى .

(412) هدد الأديبات الستة ساقطة من المخطوطتين.

ومن حوادث السنة (413) أمر الخليفة أمير المومنين، وظل الله على المسلمن، السلطان أبو النصر المنصور بالله مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف السجلماسي الحسنى بتجديد المسجد المعروف في القديم بمسجد الشرفاء، وهو المدفون فيه الإمام مولانا إدريس بن مولانا إدريس دفين زرهون ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن أمير المومنين الحسن السبط ابن أمير المومنين، وأحد الخلفاء الأربعة الراشدين، علي ابن أبي طالب - رضی الله عنهم - وفاطمة بنت مولانا رسول الله ويضعته صلى الله عليه وسلم في فاس القرويين، فبنى المسجد والقبّة والصومعة (414) على الهيئة التي استمر عليها إلى الآن، وبقيت القبّة وتم تسقيفها في آخر ذى الحجة من عام الترجمة، وأمر السلطان بإقامة الجمعة فيه فاستمرت إقامتها إلى الآن. وقد كانت تقام بمسجد الأشياخ من عدوة فاس الأندلس، وبمسجد الشرفاء هذا من فاس القرويين قديماً.

وبناء مسجد الأشياخ قبل مسجد الشرفاء بعام، فهو العتق، ثم نقلت من مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس، ومن مسجد الشرفاء إلى مسجد القرويين، فأعطى كل من المنقول حكم المنقول منه، فكان على هذا مسجد الأندلس هو العتق، وإذا لم يعتبر المنقول منه إلى المنقول إليه فعنيق ما تقام فيه الجمعة اليوم هو مسجد مولانا إدريس، وجعل عرضها كطولها ستين ذراعاً في كل وجه.

انحراف قبلة مساجد فاس

وبعد الفراغ من بنائها بحث في قبالتها الموقت سيدي العربي بن أحمد الفاسي، واستدل بما هو مذكور في تأليف له في ذلك. ولما بلغ خبره للسلطان أمر بتجديدها ثانياً إن صح كلام سيدي العربي المذكور، فاجتمع لذلك أئمة الوقت، منهم شيخ الجماعة أبو عبد الله المسناوي، وأبو علي الحسن بن رجال المعداني، وأبو عبد الله محمد ميارة الحفيد، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بناني، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وأبو الحسن علي الشراطي، ومن الموقتين رئيسهم العاشي الخلطي، وأحمد بن سنون (415)، والعربي قصارة موقت القرويين، واجتمعوا بمجلس الأحكام الشرعية لدى القاضي ابن أبي عنان، ومعهم من له الأحكام المخزنية الرئيس أبو علي الرومي، واتفق رأيهم على أن البحث المذكور لا يوجب هدمها وبناءها وإن كان البحث صحيحاً، لكن يمكن التقصّي عنه بانحراف المصلي، وقد جرى العمل في القرويين بالتنبيه على ذلك، فمقول المؤذن بأرفع صوته بعد

(413) أثبتنا حوادث هذه السنة 1131 حسب المخطوطتين كوس. وقد أخرجت إلى السنة التالية في كل من ط والحوليات. واختصرت فيهما في نحو صفحة ونصف.

(414) هنا في هامش س طرة: «بى المسجد والقبّة والصومعة عام 1110.

(415) في الحوليات: ابن سون.

فراغه من الإقامة حرفوا بتحريف الإمام يرحمكم الله. فقبلة القرويين تقرب من قبلة جامع الشرفاء المذكور، وكثير من حوامع فاس كذلك، واتفق رأيهم على ذلك لمصلحة، ووافقهم عليه شيخ الجماعة السناوي، إذ إليه كان المشار في ذلك الوقت في المهمات من المسائل العلمية، وكتبوا للسلطان أنه لا موجب لهدمها. فلما رأى الباحث ذلك رجع وكتب بخط يده أنه أخطأ في البحث المذكور، وخطؤه لا لعدم صحة بحثه بل لعدم اعتبار ما ذكروا، وإلا فالبحت في قبلة القرويين وما على سمتها كقبلة مسجد الشرفاء المذكور قدم. وممن صرح بذلك الشيخ القباب، ونصه: وتقليد المحارب التي بالامصار التي نصبها الأئمة إذا لم تكن مختلفة ولا مطعوناً عليها من أهل العلم فإنها إذا كانت مختلفة فلاشك أن بعضها خطأ، لأن مكة لا تكون في جهتين ولا نعلم خطؤها من صوابها إلا بالنظر في الأدلة مثل مساجد بلد فاس فإن قبلة القرويين مختلفة لقبلة الأندلس، وقبلة الأندلس أقرب إلى الصواب بالنظر إلى الأدلة انتهى. وحكى الإمام سيدي أحمد ابن علي السوسي عن سيدي علي بن أبي القاسم البطيوي أن سيدي أحمد زروق كان يجلس بالقرويين والناس يصلون ورأى أن ذلك قد لا يسلم له فيها، لأن ذلك لا يجوز من أجل الإمام. قال سيدي أحمد: والذي يظهر لي أن ذلك بالقصد منه لأجل التعليم، وأنه لا نصح الصلاة فيه لكن أشياخه لم يوافقوه عليها كبيرهم الإمام القروي، فهو يشدد على من خالف محارب المسلمين، وأوجب عليهم تجديد التوبة، والشيخ زروق لم يقلدهم في ذلك أي في هذه النازلة لكونه جال البلاد المشرقية متكرراً وعلم بالجهة، وكلام الأئمة في هذه المسألة عريض طويل معروف.

ثم وسع المسجد الخارج عن القبلة وأدخل العامل فيه حوانيت (ودوراً) (416) جبراً على أربابها. ثم أقيمت فيه الجمعة، وكان إمامها به شيخ الجماعة أبو عبد الله السناوي، ثم بنيت صومعته.

ظهور قبر مولاي ادريس بعد تلفه

وقد كان قبر الإمام إدريس غير ظاهر ولا معروف أبين هو في أي جهة من مسجد الشرفاء. وسبب إخفائه عدم اعتناء البربر به لما غلب على ولاية فاس من بنيه وعقبه كبنى أبي العافية المكناسيين ومغراوة وبني يفران. فلما ضيقوا على الأدارسة وأجلوهم عما قرب من فاس من البلد، وشددوا على شيعتهم وأتباعهم بالأذى والإهانة حتى لم يبق منهم أحد يقرب فاس، وأهملوا القبر الكريم، ولم يجيروا من استجار به، وإذا ظهروا على أحد قام ببعض احترامه بالغوا في إذايته، واستمر فعلهم لذلك حتى تلف القبر ولم يبق من يعرف أين هو من المسجد المذكور. وألقى الله العداوة والبغضاء بين رؤسائهم، واسمر القتال بينهم،

(416) زياده في س.

وكثر النهب والخوف والجوع، وخذت البلاد إلى أن طهر الله تعالى البلاد منهم بالملثمة المرابطين، ولله عاقبة الأمور، «وتلك الأيام نداولها بين الناس، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

ولما أراد الله تعالى إظهار قبر هذه البضعة النبوية الذي صاحبه أمان لهذه المدينة التي هي حسنة من حسناته، كالنجوم أمان لأهل السماء، فكان السبق لإظهاره كما هو مكتوب في المرمرة التي موالية له في الحائط، ونص المراد منها، ولما قضى نحبه، أي الإمام إدريس باني فاس، دُفن بإزاء بلدهم الكبيرة الحرمية الشهيرة بمسجد الشرفاء، ولم يعينوا موضع قبره إلى أن أراد الله تعالى إظهاره رحمة ولطفا خص به هذه الأمة، فاتفق أن اختبر أساس حائط القبلة من الجانب الأيسر، لما عسى أن يصلح فيه أو يجبر، فعثر على القبر الكريم الأطهر، ووجد اللحد قد أثلت السالي رسمه فلم يبق منه إلا قبل، والعظم المرحوم باق بحاله لم يكن للأرض عليه سبيل فحضر إذ ذاك سلبه الأكرم، ووليه الذي لا يخفر فيه عهد ولا بغرم، السيد الشريف الرفع القدر والشان، أبو الحسن علي بن محمد ابن عمران، والوزير الحافظ لودهم، القائم بإظهار عزهم وإثبات مجدهم، الراغب في إحياء سنة جددهم، الماجد المجاهد أبو زكرياء يحيى بن زيان، وحضر معهما إمام الفتيا، الفقيه ذو الرتبة العليا، أبو محمد عبد الله العبدوسي، واستشاره فيما ينبغي أن يقام فيه بحق ذلك الضريح الكريم، فأشار أن يعلم بتسنيم، وأن يعتمد في اجتناب وضع النعال عليه واجب التكريم، ووقع الوفق على كتب هذه الأسطر في الحائط المذكور مواربا للضريح المبرور، وأن يكون علامة عليه وبرهانا، وليعود الخير عيانا، وكان هذا فضلا من الله وإحسانا، وطولا على أهل هذا العصر وامتنانا، حيث ألقى ببقاء الأثارة من البيت الكريم أمانا، حسبيما جاء عن سيدي المرسلين: (أهل بيئتي أمان لأهل الأرض) الحديث لا يجله من اعتنى بالرواية حفظاً وإتقانا. وكان وجد القبر المذكور، وقت كتب هذه السطور، في شهر رجب المبارك عام واحد وأربعين وثمانمائة. هذا لفظه. انتهى.

العام الثاني من العشرة الرابعة

عبد العزيز بن مسعود الدباغ

فمنهم الشريف المتبرك به. أبو فارس مولاي عبد العزيز بن مسعود الدباغ الادريسي الحسني، وليس وصفه بالدباغ للحرفة المعلومة، بل ذلك لقب لأهله بفاس وبه يدعون إلى اليوم، جرى ذلك اللقب عليهم بسبب كما تذكره إن شاء الله. قال في الدر السني: لم يعهد لهم الاحتراف بها قط، بل سبب ذلك - والله أعلم - ما وقفت عليه في ظهير لهم بأيديهم الآن تاريخه تسعون - بتقديم الفرقية - وسبعمائة - بتقديم السين - وفيه الأمر بإعطاء المرتب لهم من مجبى دار الديغ بسلا حين كانوا بها، فجرى عليهم النسب بلفظ المبالغة من الديغ لأجل ذلك والله أعلم. وكان قدومهم على فاس من البلد المذكورة أول المائة التاسعة على ما يؤخذ من ظهائرهم السلاوية. وقوله بلفظ المبالغة لعل المراد بالدباغ هنا النسبة المبالغة.

فصاحب الترجمة من هذا القبيل المبارك، وببنتهم بفاس بيت شهير. وقد وصف صاحب الترجمة من شيخنا العلامة الحافظ سيدي أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي بأوصاف العرفان، وحدث عنه بعجائب في أنواع من الكشف وأسرار النبوة في كتاب سماه الإبريز، في مناقب الشيخ عبد العزيز يسعه مجلد، وجله لا يعرف في سيرة القوم ولا من أوصافهم ولم يذكر ذلك في كتبهم، بل ينبغي ترك المطالعة فيه إلا على التحذير من ذلك المخالفة ما فيه طريقتهم. نسأل الله السلامة والعافية من مثل ذلك. وقد تكلم من تكلم فيما هو أقرب من ذلك مما رواه الإمام أبو الحسن اللخمي الشطنوفى (417) الشافعي المصري الذي عرف به الأسيوطي في حسن محاضراته، في كتابه بهجة الأسرار فيما رواه عن الشيخ عبد القادر بن موسى الجيلاني الحسني، وأجاب عن كثير مما تكلم فيه الشيخ زروق، والعز ابن عبد السلام، وابن حجر الكفاني العسقلاني وغيرهم، وكان لصاحب الترجمة في حياته أتباع، ونسب صاحب الترجمة في الأخذ عن أشياخ لا يعرف أحد منهم نحن ولا غيرنا ممن أدركنا. وذكر أنه لقيهم في هذه الجهات وذكر من جملتهم سيدي عبد الله (418) البرنوي، إن كان المراد به شيخ سيد أحمد اليمنى فقد توفي قبل ولادة صاحب الترجمة، وقدمنا بيان ذلك في ترجمته عام ثمانية وألف، فالتاريخ يبطل الاجتماع به حيا. وإن أولته بأن ذلك كان غيبا فبيطله أيضا بأنه صرح بذلك ظاهراً. وإن كان غيره فلا نعرفه.

توفي صاحب الترجمة عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار بين سدي الدراس بن إسماعيل وعلى صالح، وبنيت عليه قبة باقية على حالها إلى اليوم (419).

(417) كذا في س وهو الصواب، وضح في ك فكتب الشطنوفى.

(418) صحف أيضا في ك فكتب: عبد القادر البرنوي.

(419) اختصرت ترجمة الدباغ في نحو نصف صفحة من ط

العام الثالث من العشرة الرابعة

العربي بن أحمد بُردَّة

فمنهم الفقيه العلامة النوازلي المفتي القاضي الخطيب أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بُردَّة الأندلسي ثم الفاسي مولدا ووفاة. ولي قضاء فاس والفتوى بها مرراً وعزل عن كل ذلك، ثم ولي النظر في أحباس فاس. وكان آخره مرة عزل عن القضاء - ولم يرجع إليه سابع صفر عام تسعة عشر ومائة وألف، أخذ - رحمة الله - عن شيخ الجماعة سيدي عبد القادر الفاسي، وأبي العباس المزوار وأضرابهما. وأخذ عنه جماعة من أهل فاس. وكان له معرفة بالعربية والفقه والنوازل [و له أجوبة دالة على ما له من اليد في العلم وكان شيخاً] (420) الجماعة بفاس وأكثر مخاطبة السلطان بالكنابة، وكان إذا شافهه لا يتكلم بل يقتصر على ما يكتب له بالقلم في الأجوبة والرسائل وغيرها. وله صيت عند أهل وقته وينسبون له أموراً منها ما تناسب حاله من العلم ومنها ما لا تناسبه، والظن به أنه بريء مما لا يناسبه، ولولا الإطالة لأوردنا من ذلك أشياء كثيرة.

ولد يوم الأربعاء ثاني جمادى الآخرة عام اثنين وأربعين وألف، يوم مات الولي الشهير سيدي موسى دفين جرنيز، وتوفي في رجب عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن خارج باب عجيصة من فاس بطرف فدكان الغرباء، وعليه بناء يزار رحمه الله (421).

أحمد بن عبد القادر القادري

ومنهم الفقيه الوجيه الأغر، الخير الدين الحاج الأبر، الأديب الناظم للتائير، ذو الأخلاق والمآثر، أبو الفضل (422) وأبو العباس أحمد بن العدل الفقيه عبد القادر بن علي بن محمد القادري الحسيني، وكُدُ حفيد عم جدِّي (423) لأن جدنا عبد السلام بن الطيب بن محمد بن محمد بن محمد، وصاحب الترجمة أحمد بن عبد القادر بن علي بن أحمد بن محمد المذكور ثالثاً. وتقدم تمام رفع نسبه في ترجمة جدنا عبد السلام المذكور في عام عشرة بعد مائة وألف. وأشهر كنية صاحب الترجمة أبو العباس، وكناه بأبي الفضائل سيدي وفاً لما قدم مصر سنة ثلاث وثمانين وألف. وحج أيضاً صاحب الترجمة سنة مائة وألف، وهي الحجة التي أُلِّف فيها رحلته.

(420) ساقط من س.

(421) ترجمة بردلة ساقطة من ك، متأخرة عن ترجمة أحمد القادري في س، كتبت مختصرة في هامش ك وهي أول ترجمة

في العام 1133 في ط.

(422) في ط: أبو الأفضال.

(423) كذا في ك. وفي س: «ولد حفيد ولد عم جدِّي». وفي ط: «ولد عم جد جدِّي». وفي هذه الأخيرة اختصار وحذف

عبارات كثيرة في هذه الترجمة.

رحل صاحب الترجمة في طلب العلم إلى الزاوية الدلائبية لما اكتمل بدرها، وبلغ النهاية أمرها، حيث كانت مرتعا للوفود، ومحل الكرم والجود، ومقصداً للطالب والمطلوب، فحصل لهم بها العلم الظاهر والموهوب. فلقي صاحب الترجمة جماعة من مشايخها فحصل له حظ ونصيب، وأخذ من العلم والعرفان أوفر نصيب.

[أخذ صاحب الترجمة من النساء نحو ثمانسة، ولم يطلق واحدة منهن إلا إذا ماتت إحداهن تزوج أخرى مكانها، وتزايد عنده من الذكور ثمانية عشر. وكلهن دفن (كذا) بروضة أسلافهم التي قرب ابن عباد داخل باب الفتوح إلا ولدبن منهم فدفنوا معه بالجنان، وهما اللتان (كذا) ماتتا بعده، الأول منهم الفقيه العدل مولاي عبد الله. كان يقرأ الحزب بباب محراب مولانا إدريس، وسكن بدار محبسة على قبر مدفون مع سدي الحبيب يقرأ عليه يوم الجمعة ويوم الخميس سورة طه. وهي الدار بزنتقة ابن ولال يرأس الشراطين. وكان يؤم بجامع طلوق يسقو العدة من باب السلسلة. وخلف عبد الله هذا ولداً اسمه محمد ماب بعده ودفن مع والده وجده. ويموته انقرض عقبه. والولد التالي هو العدل سدي محمد توفي عام 1170 ودفن مع والده في الجنان، ولم يترك سوى بنت ماتت معه في عام واحد ودفنت معه وانقرض عقبها. وكان محمد يقرأ الحزب بباب محراب جامع الأندلس، ويقرأ حزبه ويورثق بزواية المخيفة. وأما الإناث فكان عند صاحب الترجمة نحو العشر من بناته دفن معهن بالجنان. منهن أبنته أم كلثوم أمها سيونية، فهي المدفونة خلف ظهره بينه وبينها قبر آخر، وهي التي حبست الدار الثامنة عن يسار الداخل للزنتقة التي فوق حمام رأس الجنان من فاس الفرويس على أبناء عمها ليقرؤوا على قبرها كما في وصيتها. ودفن من بناته معه في الجنان ابنه طيبة أمها عائشة بنت مولاي عبد القادر الشريف الطاهري الجوطي الذي كان بحومة العيون من فاس القرويس. وهذه البنت تزوجها سيدي محمد بن حم طاهر الجوطي فولدت له سيدي عبد الهادي، ومن الإناث عائسة التي تزوجها الشيخ سيدي المعطي دفين بجعد من تادلا، والبنت الثامنة اسمها () تزوجها بحبي بن محمد بن الطيب] (424)

ولما دخلها (425) الخليفة مولانا أمير المؤمنين الرشيد بن السلطان مولانا الشريف الحسنى خرج صاحب الترجمة مسرعاً في رفقة فيها سيدي الحسن بن مسعود البوسي [قاصدن لفاس فمروا على قرية أزرو فاستضاف أهلها الشيخ اليوسي] (426) ممن كان يفد عليهم للدلاء بقصد التجارات، فاجتمعوا إليه ولم ياتوه بطعام، فعمد الشيخ البوسي إلى عون كان معه وأحضره للناس، وكان في الرفقة أكابر الدلاء ووجههم وفقهاء وقضاة،

(424) هذه الفقرة المكتوبة من معموفيس كتب نظرها الأول فقط في هامس ك. وأدمحت بكاملها في صلب س. ولا توجد في ط.

(425) معنى زاوية الدلاء.

(426) ساقط من ك.

فأكلوا، وشاركهم في الأكل أهل قرية أزرو. فلما رأى ذلك منهم الشيخ البوسي أتشد هذه الأبيات، وهي من نظم الأديب الشيخ عبد الكريم الدغوي (من بحر البسط):

وهريّة لا قِرى لا بن السبيل بها نبأ لها ولأرجاس بها اجتمعوا
لولا أفاردها يُفرون وأردّها من سؤور ياردها في ضمّنه وجعُ
لقلت من زار أزرو زار مقبرةً وربّ مقبرة زوارها انتقعوا

فأتشد صاحب الترجمة فوراً بمحضر رفائه مثلها، وهي:

وإن حللت بها فانزل بروضتها ولا تُقم ساعةً فالخر ممتنع
لقد رأينهم يوم الخميس ضحىً فلم نزل منهم قوت ولا شبيعُ
قالوا القضاة أتوا قلت لإكرامنا إذا هم في سويق الشيخ قد طمعوا

ثم ارتحلوا ورجع صاحب الترجمة إلى فاس. ولما فصد سيدي الحسن اليوسي زيارة الشيخ أبي يعزى فمتر بفاس طلب من صاحب الترجمة أن يرافقه لزيارة أبي يعزى وأعطاه بغلة يركبها، فسار إلى زيارة سيدي أبي يعزى، فزارا ورجعا إلى فاس، فأراد صاحب الترجمة أن ينزل عن الدابة التي أعطاه الشيخ الوسى يركبها، فقال له سيدي الحسن فهي لك وما قلت لك خذ هذه واركبها حتى خرجت عنها لله، فأخذها صاحب الترجمة، وهي التي حج عليها وكانت من سرعان البغال بحيث لا يسبقها إلا القليل. ولما رجع عليها من الحج إلى فاس باعها واشترى بها فرسا، فكان يغزو عليه في سائر بلاد تغور المغرب منطوعاً، وكان يبلى بلاء حسناً في الجهاد، وكان في الشجاعة والفروسية والرمي الغاية، أخذ ذلك عن رؤساء أهل الدلاء في أيام إقامته عندهم.

ولما حج سنة ثلاث وثمانين سماع في أيام إقامته بمصر من الأجهور بن الشيخ علي نفسه، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشى، وغيرهم، وبفاس من سيدي عبد القادر الفاسي، وسيدي الحسن اليوسي. ولما رجع من هذه الحجة إلى فاس أخذ في الاجتهاد في العبادة وأعاد فوائده عشرين سنة، فكان صواماً قواماً. لزم مسجد زاوية سيدي محمد بن عبد الله معن الكائنة بالمخفية من عدوة الأندلس، فأكثر من تلاوة القرآن وأنواع الأذكار، وتجرد للعبادة وترك تعاطي الدنيا والأسباب والتجارة، وأكثر من مطالعة كتب القوم واتباع سيرتهم وسلوك طريقتهم: فنال منهم قدماً راسخاً. وممن لقيه منهم وزاره ونبرك به سيدي فاسم الخصاصى، وصحب سيدي أحمد بن عبد الله معن وتربى به ونهذب ونأدب به حتى صار من العارفين، وأولياء الله الصالحين.

ولصاحب الترجمة سجبة في نظم الشعر، اقتبس ذلك من شيوخ الدلاء في أيام

اقامته بها . ولا شك أن الأدب شأن أهل الدلاء . وله أنظام بديعة، مشتملة على معاني رقيقة، فمنها: نظم رجز قيمن هاجر إلى الحبشة من الصحابة، ونظم في المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك. وقد أوردت جملة من أنظامه في كتابي الزهر الباسم. ووجه إليه سؤال من شرفاء العلم عن السبطين الحسن والحسين - رضي الله عنهما - وعن عقبهما، فأجاب صاحب الترجمة عن جميع مسائل السؤال كما ينبغي.

ومما يستدل به على امتثال أمر شيخه سيدي أحمد بن عبـد الله معن أن سيدي أحمد رأى صاحب الترجمة خارجا من الزاوية فقال له: ادع لي فلانا لرجل من أصحابه داره في طريقه، فلما وصل لداره دعاه فقبل له ليس هو هنا بل سافر لمكناسة، فسار فوراً لمكناسة وقال له إن سيدي أحمد يدعوك. فلما بلغ وقت الصلاة ولم يظهر صاحب الترجمة في الزاوية، وكانت عادته لا يغيب عنها، سأل عنه سيدي أحمد أين ذهب؟ فتشوش عليه أهل داره، فجعل سيدي أحمد يهدنهم ويصبرهم ويقول لهم: هل تعرفونه ذا فضول حتى تشنوشوا عليه؟ فإذا من الغد قدم من مكناسة هو والرجل المدعو، فجعل يقول له سيدي أحمد كيف تفعل هذا؟ وصاحب الترجمة يعتذر له. وله فوائد وآداب.

توفي صاحب الترجمة يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بالجنان الموقوف لدفن أصحاب سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن خارج باب الفروح قرب مصلى العبد لعدوة الأندلس.

أحمد بن محمد ابن الحاج

ومنهم الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن العلامة أحمد بن العربي ابن الحاج. تقدمت ترجمة والده وجده. كان عالما مجيدا، ومدرسا وحيدا. أخذ عن أبيه وجده، وأخذ عنه جماعة، وكان والده يحضر درسه، وكان بحسن العربية ويتقنها.

توفى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف.

من حوادث السنة

ملحمة كبرى مع النصارى المحتلين لسبتة

وفي غرة المحرم فاتح عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف خرج النصارى من البحر إلى البر من ناحية سبتة ووقعت غزوة عظيمة، وورد الخبر بأن الملحمة العظمى كانت مع النصارى - دمرهم الله - ومات من المسلمين نحو الألف وتزحزت المسلمون إلى وراء ونهبت محلة المسلمين ودخل الرعب والخوف إلى تطاون. ثم إن المسلمين من جيش السلطان مولانا إسماعيل ومن القبائل المغربية رجعوا على النصارى كرة واحدة وأعانهم المولى جل وعلا وأتخنوا فبهم القتل والأسر حتى بقي بأيدي المسلمين من النصارى نحو الثلاثة آلاف على ما أخبر بذلك من حضرها والحمد لله على ذلك.

سقوط طرف من سور فاس الجديد أهلك خلقاً كثيراً
وفي أوائل رمضان سقط طرف من سور فاس الجديد على جماعة وأقوام من أهل فاس
الجديد وأهل فاس القديم ومن اليهود وغيرهم من أهل البوادي والحوال والثقة بالله.

إيقاع الصلح مع نصارى الأنجليز

وفي شوال العام أوقع السلطان مولانا إسماعيل الصلح بين المسلمين وبين نصارى
الأنجليز، إذ قدم عليه كبيرهم بهدية كبيرة وتحف وطرف كثيرة وأعطاه نحو مائة من
النصاري (427).

غلاء وقحط ووباء

وفي هذا العام كان الغلاء بالمغرب - نعوذ بالله منه - وفيما بعده من السنين اشتد
الغلاء وارتفعت الأسعار ووقع مرض في الناس وموت كثير بمرض وغيره من عدم الأقوات،
حتى لقد رأيت بالمارستان بفاس - أمنها الله - الذين كانوا يجمعون فيه الأصوات يجهزونهم
فتراكم بعضهم على بعض حتى صعّدوا من الأرض نحو القامتين كله معمور بالأموات.
شاهدت ذلك وأنا صبي في حد التمسبز نعوذ بالله وأدام علينا نعمة لا تزول بمنه
وفضله (428).

تذكرة المحسنين

محمد العربي بن أحمد برُدْلَة

الفقيه العلامة البركة الأمتل، الضابط الثقة المتبحر الأكمل، شيخ الجماعة وإمام
العصر شهير الديانة والدراية قاضي الجماعة بفاس ومفتيها وخطيب جامعها الأعظم، بل آخر
قصة العدل بها، سيدي محمد العربي بن أحمد برُدْلَة المُدَجِّن الأندلسي يوم الاثنين خامس
عشر رجب من السنة، ودفن مع جده برضته قرب ولي الله محمد بن الحسن خارج باب
عجيسة.

(427) حوادث هذه السنة ثابتة في جميع النسخ باختلاف يسير وقد اعتمدنا بص الحوليات لأنه أرفق

(428) هنا في هامش له طره مفيدة نصها

«يدعى هذا العام بعام خيزور لكثرة زرعه في هذه السنة، ويدعى أيضاً (عام الصدوق) لأن الناس كانوا إذا رأوا أحداً
يحمل الخبز في الطريق نهوه له، فكانوا يجعلون الخبز في الصدوق حيث يمررون به إلى القرى حوفاً من النهب، وبلغ
الزرع منه لمد الوقت إذا رخص تمانية موزونات، وإذا اشتد الغلاء أربعة عشر موزونة».

العام الرابع من العشرة الرابعة

محمد بن عبد الرحمان الفاسي

فمنهم الفقيه العام الصوفي المؤرخ الإخباري الحيسوبي المشارك المنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي. تقدمت تراجم جميع من ذكر من آبائه. وكان صاحب الترجمة كثير التقييد والتصنيف في أهل الطريقة، وله فهرسة سماها المنح البادية، ذكر فيها أشياخه وإسنادهم في أنواع من العلوم، وعدتهم خمسة عشر: والده وعمه، ووجه، وولد عم جده محمد بن أحمد، وأحمد بن محمد بن عيسى بن آدم الشريف نزيل رباط الفتاح، ومحمد بن محمد بن عبد الجبار العياشي، ومحمد بن يوسف العياشي، ومحمد المرابط الدلائي، وأبو سالم العياشي، ومحمد بن عبد الكريم الجزائري، وبالإجازة عن الحكيم محمد بن سليمان الرداني، وعبد الباقي الزرقاني، ومحمد الخرشبي، وإبراهيم ابن حسن الكردي، وحسن بن علي العجيمي.

مثال النعال الشريفة

ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمس كتبها في مثال نعل مقاس على النعل الذي بيد مولاي أحمد طاهر الشريف الحسيني المصطفى نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذي عندهم الشهادة بخطوط أئمة أنه نعل المصطفى مولانا محمد - صلى الله عليه وسلم، وهذ الأبيات هي:

نعالٌ بها إذ مَسَّت الأرض شرفت	بها الأرض عن أفق السماوات في الفضل
فما مثلها ذخرٌ وهذا مثالها	طباقُ الَّذي للمصطفى كان في الرجل
وعند الصُّقَّابِينَ مِنْ شرفائنا	بفاس وجدنا قَيِّسَتُ بِذا المثل
وفي السبع والستين والألف صنعه	يُحْكَمُ إتقانٍ يشاهدي العبدل
وشاهده العمراني وهو محمدٌ	وأحمدُ المزوارُ قاساه بالأصل (429)

والذي غلب على ظني أن نعاله صلى الله عليه وسلم أهلكتها طول العهد، لأن من وفاته صلى الله عليه وسلم إلى اليوم أكثر من ألف ومائة سنة، فكيف مع هذه المدة يستمر بقاء النعال إلى اليوم ولم يتعد عليهم شيء لأن الأشباح إذا خرجت منها الأرواح تفتي بلا شك. «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» تَعَالَى. والموجودات التي لا تفني سبعة، وليس فيها من النعال شيء، وعلى تقدير إن كان هذا النعال مأخوذاً من جلد الإبل فإنه يدخله نوع من السوس

(429) هذه الأبيات كذلك في المخطوطتين ك و س معا.

يقال له بلغه بلدنا العتة، ولو كان مأخوذاً من الحديد لأصابه الدراء ويأكله حنّى يفنى. (وأما مكثُ الحديد ولم يفن منه إلا ما لم يفارق معدنه، فإننا فارق المعدن ودخلته الصنعة فيفنى مع طول السنين، والله تعالى أعلم [(430).

وقد ألف أحمد المقرئ تأليفا سماه: فتح المتعال، فى مدح النعال، وذكر فيه روايات (431) مما عند السخاوي والزين العراقي وغيرهما، ولم يعرج على مثال ما عند الشريف الطاهري الحسيني المذكور، مع أنه معاصر له بالزمان والمكان، وليس هو مما يخفى عليه. ومنتهى الأمثلة التى ذكرها سبعة، والمثال الذى عند الشرفاء الطاهريين أصغر من الأمثلة التى أوردها المقرئ كلها. ولعل الشريف كان يخفيه خشية انتزاع الملك إياه من يده. وحدثنى من له بها خبرة أنه رآها واحتذى الناس عليه كم من مثال. فمن خط بعض أسياخنا - رحمه الله -: رأيت نعل المصطفى التى بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين الصقليين الفاطنيين بعدوة قاس الأندلس، فتبركت بها ومسحت بها على أعلى البدن والحمد لله، وتوسلت إلى الله بها فى حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها فى بعضها، وأنا أرجو الله فى الباقي، أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف.

فلت: وحوز هؤلاء السادات النعل الكريم من غير إرث منه صلى الله عليه وسلم لفوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تُورَثُ مَا تَرَكَتَاهُ صَدَقَةٌ). وقد سألت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عمه - رضى الله عنهما - أبا بكر - رضى الله عنه - ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه فأجابهما بهذا اللفظ المروي فى الحديث، فدل ذلك على عدم اختصاص أحد من نسوته وبنته وعمه بشيء من متروكه صلى الله عليه وسلم على وجه الميراث، لأن ما من ألفاظ العموم، وعمل على ذلك الخلفاء، واتفق على ذلك الصحابة، وقد وجهوا طلب علي والعباس ما طلب من أبي بكر وعمر بأن المراد أن يقسم المشرك نصفين ينتفعان به على حسب ما ينتفع به الإمام لو ولى قسمه بنفسه، فكره عمر أن يوقع عليه اسم القسم وبطول الزمان فيظن أنه قسم ميراثه. ومعنى ما فى بعض الطرق أن فاطمة هجرت أبا بكر، قال عياض: انقبضت عن لقائه. فال وليس هذا الهجران المحرم كترك السلام، ومعنى لم تكلمه لم تسأله حاجة ولم تضطر إلى كلامه. ولم يأت فى كترك السلام، ومعنى لم تكلمه لم تسأله حاجة ولم تضطر إلى كلامه. ولم يأت فى خبر أنها لقيته فلم تكلمه ولم تسلم عليه. قال: وهذا الحديث مجمع على يصحته وقبوله من أهل السنة.

فتحصل أن النعل الكريم لم يصر لواحد بالميراث منه صلى الله عليه وسلم فهو عند من هو بيده على وجه الحفظ لجميع المسلمين، وهو فيه سواء لا على وجه الميراث. وعلى تقدير لو كان على وجه الميراث لا يختص من هو بيده عن غيره من ورثته صلى الله عليه

(430) ما بين معقوفتين ساقط من ك ويقى مكانه بياض.

(431) بياض فى المخطوطتين.

وسلم إلا بوجه ينجي منهم به، إلا أن يكون حائزه اشتراه أو وهب له من المتصدق به عليه أولاً أو بعد انتقال ملك مالكه عنه بالصدقة؛ أو تعدد واغتنم حائزه التبرك به. ولا يقال إن مثل النعل من التافه الذي يفتقر لحائزه التبرك، لأنه ليس بتافه، بل هو أعظم الذخائر، وما زال الناس يفتبظون بمثل النعل والقلنسوة للتبرك بالأهل ومن تُرجى بركته، فأحرى ما كان من سيد الأولين والآخرين. وما زال عند الصحابة - رضى الله عنهم - حوائجه وآثاره صلى الله عليه وسلم محفوظة للتبرك بها. فقد كان قدحه صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك وهو من عود له حلقة من حديد، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقة من ذهب أبو فضة، فقال أبو طلحة لا تغير شيئاً صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه. واشترى هذا القدر من مبراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف. وعن البخاري أنه رآه بالبصرة وشرب منه؛ نقله ابن حجر في حاشية الشماثل. وإذا أشرنا إلى المثل المکتوب فه الأبيات المتقدمة فلنرسم خطأ محيطاً به خارجاً عن المثل، فيبقى داخل الخط هو قد المثل، لأنني رأيت مثالا آخر مقيساً على النعل المتقدم ذكره عند ولد عم أجدادنا أبي العباس الذي تقدمت ترجمته في السنة قبل هذه. ولنرسمها معاً كما ذكرنا ليتبين التفاوت بينهما. وانظر ما سبب التفاوت مع أن كلا من القائسين يظن به التحقيق، والله أعلم وهذه صورتها (432)

فهذا المثل الذي عند صاحب الترجمة الموجود عليه كنب الأبيات بخطه، والسواد كله خارج عن المثل. وهذا في الخط الأول. وأما في الخط الثاني الداخل هو المثل الموجود لعننا أحمد القادري، وكلاهما مقيس على نعل الشريف الطاهري الحسيني، ورسمتهما بموضع واحد ليتبين الخلاف الذي بينهما، وكل منهما يُظن به التحقيق، فالله أعلم ما سبب الخلاف، إلا أن يكون المقس عليه أحدهما أصلاً والآخر مثال عليه عند الشرفاء الطاهرين فأحضر لأحدهما الأصل، ولبسوا على الآخر فأحضروا له المثل وقالوا له هذا الأصل.

وفي عام أربعة عشر ومائة وألف شدد في المغرب على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسيني، فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهرين الحسينيين أن يعطوهم النعل النبوي يستشفعون به للسلطان، فحمله بعض الشرفاء المذكورين وساروا معهم إلى السلطان فأحضره بين يديه ودفعوه له بمكناسة، فعفا على أهل فاس في تلك التعمية (كذا) وأخذ السلطان النعل وأدخله لداره بقصد التبرك، وبني قبة بداره معلومة إلى الآن سُمي قبة النعل ووضع فيها النعل في كرم، وبقي النعل عند السلطان مدة حياته، ولا أدري حقيقة ما وقع به بعد وفاته. وكان رجع بعض الشرفاء الطاهرين الحسينيين يطلبون من السلطان رد النعل إليهم، فدفعه بإلطاف وميسور من القول ولم يرده إليهم، ورجع الشريف إلى فاس بغير نعل. وكان بعض الشرفاء المذكورين يحكى أنهم لم يحملوا للسلطان المذكور أصل النعل وإنما حملوا له مثالا عليه. وتقدم ما نقلته عن شيخنا أنه تبرك به عام 432 لس في المحفوظين ك و س سوى صوره واحد، أتيناها صورة ك لوصوحها وان كاس كالأخرى عر محققه الماس

ثلاثة وأربعين بعد موت السلطان المذكور، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وتوفي صاحب الترجمة خامس جمادى الثانية عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن مع والده وجده بزوايتهم بالقلقيين من فاس القرويين (433).

[حدثني والدي قال: لما مات السلطان مولانا إسماعيل بن مولانا النسريرف السجلماسى الحسنى ثار عامة أهل فاس على قائدها أبى على الروسى وقتلوه وبعد خمود الفتنة بايعوا مولانا أحمد المدعو بالذهبي ابن مولانا إسماعيل المذكور، وسرنا بالبيعة العوام والفقهاء والشرفاء، ودفعتها له بمكناسة. فلما أراد أن يرسلنا إلى بلادنا قال للشرفاء هل فيكم أحد من الشرفاء الطاهريين؟ فكان منهم فينا كاتب البيعة بيده وهو مولانا حمدون بن محمد طاهر وابن عمه مولاي عبد الرحمن، فقلنا معنا منهم اثنان فخرج من الصف أمامنا، فقال لهما وجدت بدار والدي النعل الذي أتيتم به مستشفعين به وخشيت عليه أن يتلف، والآن خذاه واحضره إليهم (كذا) فقالا: لس نحن أربابه ونحن الشرفاء الطاهريون الحسينيون الجوطيون أصل الحسينيين، وأربابه الطاهريين الصقليين الحسينيين (كذا) قال والدي: فانصرفنا عنه ولم يعطهم شيئاً. وحدثني بهذا المحضر مولاي حمدون ومولاي عبد الرحمن. ثم ثار العبد على مولاي أحمد الذهبي وبايعوا أخاه مولاي عبد الملك ثم خلعوه وردوا البيعة لمولاي أحمد الذهبي المذكور، ونهبوا دار مولاي إسماعيل، وفقد النعل ولم يعرف أن ذهب. وزعم الشرفاء الطاهريون الصقليون أن من نهبه أتى به لهم وافقدوه منهم وهو عندهم إلى الآن والله أعلم بالصدق في ذلك بعد قول الكذب في خبره (434)

علي أعزوز

ومنهم السيد المبارك الولي الصالح سدي علي أعزوز، نسب إلي فبيلته لجدن () (435) على لغات البربر وعاداتهم في ذلك في الجاري على ألسنتهم. وصاحب الترجمة أصله من أولاد ابن عزوز، وهم رهط بفاس (436)، رحل عن فاس بإخراج عاملها واستقر بجبل زغوان من أعمال تونس، فاتخذ هنالك زاوية ودفن بها بعد وفاته. وله هنا صبت وأصحاب وأتباع وظهرت له كرامات ومكاشفات وخوارق.

محمد بن أحمد بن عبد الله معن

ومنهم السيد الزكي، الفاضل الذكي، ذو الهمة العالية، والنفس المرضية، والأوصاف السرية، والمناقب العديدة، والكارم المفيدة، أبو عبد الله سيدي محمد بن [المعارف بالله] (433) كل هذه الصفحات المتعلقة بالنعال الشريفه ساقطة من ط. وترجمه محمد بن عبد الرحمان العاسي فيها لا نجد بضعه أسطر.

(434) هذه الفقرة المكتوبه بين معوفنين كبت كطره في هامش ك. وأدمجها ناسخ س في صلب الكتاب على عادته.

(435) بياض في المخطوطتين بقدر كلمة. والعبارة ساقطة من ط.

(436) هنا في هامش س طرة نصها: «هذا يشهد لما قاله العالم العلامة نائب القاضي في وقته سيدي المفضل بن عزوز في تقييده له في نسبه، ولعله أخذ من هنا. رحم الله الجميع».

(437) سدي أحمد [بن سيدي محمد] (438) بن عبد اله مَعْن. تقدمت ترجمة والده وحده، كان صاحب الترجمة من الساده الكاملين، ومن أهل الطريقة الواصلين. قال في المقصد: نشأ على أحسن نشأة، ورُبي علي أكمل تربية، مقتصرًا على الدار والزاوية لا بعرف سواهما، يؤدبه والده أحسن تأديب، ويعتني بشأنه أتم اعتناء، ويعاهده لا بغفل عنه على ما هو عليه من المروءة والأدب وعلو الهمة، نقرأ القرآن لا حرفة له سواه. وقد أخبرني عن شأنه ما يؤول إليه من الصلاح ببصيرته الربانية، وفراسسته النورانية، سيدي أحمد بن محمد اليمنى فقال فيه: أول ما رآه وهو ابن نحو سبع سنين: إنه سيكون رجلا صالحا، بمعنى من أهل الخصوصية. وقال فيه والده: إن فيه الخبر [وربما نقول فيه] (439) مسكين، والمسكنة عندهم كناية عن الصلاح. [وقد صرح فيه هو وسبدي أحمد اليمنى بما هو أعظم من هذا وأخص، طوبنا ذكره لغرض انتهى بنصه.

قلت: وظهر على صاحب الترجمة ما أخبر به عنه والده وسيدنا أحمد اليمنى [(440) فكان صاحب الترجمة آية في السخاء والنجدة والعبادة والزهد والورع واتباع السنة والمعارف والآداب. وقام بأمر زاوية أبيه وجده أحسن قيام، وكان يتصدق بجميع ما يحصل له من غلة أصوله. وتعلقت به دبون أنفقتها في سبيل الخير، فلما مات صيرت أصوله كلها في ديونه. توفي ثالث عشر ذي الحجة عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بباب قبه جده الجوفي، فبقي بينه وبين جده موضع قبر.

غضب السلطان على أهل فاس ونزول حجر من السماء

وفي أوائل رجب عام أربعة وثلاثين ومائة وألف غضب السلطان مولانا إسماعيل على أهل فاس غضبا شديدا أسخطه عليهم، كلفهم بإعطاء أربعين قنطارا من المال الناض، وبعث حمدون الروسي إليهم لقبضها منهم. وفي تاسع شعبان العام نزل حجر من السماء لم يعهد مثله وبقي ينزل من الزوال إلى الظهر، والله قادر على كل شيء (441).

تذكرة المحسنين

محمد عبد الرحمان الفاسي

الشيخ الإمام، الحافظ الهمام، خاتمة الحفاظ المحققين المشارك الفرد مؤلف المنح في الأسانيد أبو عبد الله سيدي محمد بن الشيخ الأكبر سدي عبد الرحمان الفاسي بن شيخ الجماعة سيدي عبد القادر. توفي خامس جمادى النانية من السنة. ودفن من يومه بداخل محراب زاوية جده المذكور.

(437) ريادة في ط.

(438) ساقط من ط.

(439) ساقط من المخطوطتين.

(440) ساقط أيضا من المخطوطتين.

(441) انفردت الحوليات بحوادث هذه السنة

العام الخامس من العشرة الرابعة

علي ابن حمدوش

فمنهم السيد الشهير، المتبرك به لدى جم غفير، أبو الحسن سبدي علي ابن حمدوش دفين جبل زرهون، له أصحاب وأتباع يذكرون له خوارق وكرامات، ويوثرون عنه أحوال (كذا) ومقاومات [وله طائفة الآن ينتسبون له] (442)، ولا يدعون زيارته كل سنة، توفي عام الترجمة.

محمد بن الطيب العلمي

ومنهم الأديب النجيب أبو عبد الله سيدي محمد بن الطيب بن أحمد بن يوسف الشريف [الشلوشي] (443) العلمي. وهو فاسي الدار والمنشأ والقرار. [وكانت له ملكة في نظم الشعر، فنظم كثيراً منه. فمن جملة ما رأيت له القصائد العشرة في التسوف للبقاع المطهرة، رتب رويها على حروف المعجم، كل قصيدة بعشرة أبيات إلى تمام الأحرف التي تصلح أن تكون رويًا. وله مخاطبات ومؤلفات وضمن غالب شعره في كتابه الذي ألفه وسماه] (444): الأنس المطرب، فيمن لقبه من أدباء المغرب، فترجم لأثني عشر منهم. وكثير من الناس يتعجب من نظمه. وله منظومة على حروف المعجم يتشوق بها للمدينة، وله (445) مع الحاج الشرقي والشبخ عمرو وغيرهما. رحل من فاس للمشرق بقصد الحج، فمات بقاءة مصر عام خمسة [أو أربعة] وثلاثين ومائة وألف بعد أن طال تشوقه للحرمين فلم يقدر له الوصول إليهما، بل قضي عليه.

(442) زيادة من ط.

(443) ساقط من ط.

(444) ما بين معنوفتين ساقط من ك و س.

(445) بياض بالمخطوطتين بقدر كلمتين. والعبارة كلها ساقطة من ط.

العام السادس من العشرة الرابعة

محمد السنائي الدلائي

فمنهم الإمام الكبير، العلامة الشهير، الحافظ المتقن، الدراكة المشارك المتقن، كوكب السحر الوقاد، العالم [الحجة] (446) النفاذ، فارس التعبير، وممارس التحبي، وتاج الكراسي والمنابر، وعين أعيان المشايخ الأكابر، شيخ الجماعة وخاتمة المحققين، ورئيس الهداة والقادة الموقبين، سيدي أبو عبد الله محمد الشهير بالسنائي بن سيدي محمد بن سيدي أبي بكر الدلائي. تقدمت تراجم أباه المذكورين. كان صاحب الترجمة - رضى الله عنه - آية في العلوم، وحجة في صحة الإدراك والفهوم. أخذ بأوفر نصب في غالب فنونها، لا ينقر المسائل إلا في سواد عبونها. وقد أعطى ملكة التدريس والفتيا، وسلم له [أعيان عصره] في مراتبها العليا. [ولم يزل منذ بلغ ذلك] (447) مقصوداً للمشكلات، ومعتماً في النوازل والمعضلات. تلمذ له جميع أهل عصره (448)، وانقرده برئاسة التدريس والعلم في وقته ومصره.

أخذ - رضى الله عنه - عن جماعة من المشايخ، منهم أبو محمد عبد القادر الفاسي سمع عليه شمائل الترمذي قراءة دارية. وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفقاسي حضر لديه في التفسير والحديث والأصول والنحو والبيان، وقرأ عليه بلفظه مبادئ الكتب الستة، والموطأ والشفا، وأحاز له إجازة عامة في جميع ما يجوز له وعنه روايته، قال فيها ما نصه: وقد أجزته الآن إجازة عامة شاملة بشروطها في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مقرو ومجاز ومسموع، وينصل إسناد شيوخنا بالشيخ ابن غازي، وزكرياء وابن حجر، وفهارسهم شهيرة. وأجزته فيما اشتملت عليه فهرسة ابن الزبير والمنتوري [وغيرهما من القهارس والمشخات] (449). وأشهر أسانيدنا عن الوالد عن عم أبيه محمد عبد الرحمان عن شيخ الإسلام القصار، عن شخه الإمام رضوان، عن سقنين، عن ابن غازي وزكرياء، عن ابن حجر. ثم قال: قال الشيخ القصار كان شيخنا رضوان كثيراً ما ينشد:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

[ومعنى رشحوك أي ربوك وهيؤوك. قال في الصحاح: الترشيح أن ترشح الزم ولدها باللبن القليل تجعله في فيه شبتا بعد شيء إلى أن يقوى على المص.]

(446) زيادة في ط.

(447) ساقط من ك و س.

(448) في ط: تلمذ له من يعتمد من أهل عصره، وهو أوفق

(449) زيادة في ط.

قال: وتقول فلان يرشح للوزارة أي يرعى ويؤهل لها. ويرشح الفصيل إذا قوي ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح. انتهى.

وهذا ما حمله عليه علي بن قاسم الطبري في شرحه للامية العجم للطبراني التي هذا آخر بيت منها. وقال الصلاح الصفدي: معناه قُربوك وأهلوك لأمر إن كنت تعلم باطن الأمر في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك إن أردت أن لا ترعى هاملا. والمعنى الأول أفصح، والفتنة بالكسر هي الفهم. ومعنى اربأ بنفسك أي ارفعها عن هذا الشغل، وترعى من رعى البعير بنفسه الكلاً، ويقال رعبت البعير أرعاه، والهمل الإبل بلا راع] (450)

[وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن الحاج التفسير والحديث والأصول والفقهاء والبيان والمنطق] (451) وعن عم والده الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو المرابط شارح التسهيل وألفية ابن مالك، وسمع نحو النصف من البخاري عن سيدي الحسن بن مسعود اليوسفي. وعن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي الأصل المراكشي الشفا وبعض حواشي السعد والمحلي. وعن المحدث عبد المالك بن محمد التاجموني السجلماسي مبادئ الكتب الستة، والموطأ، والشفا، وأجازه إجازة عامة. وعن الشيخ محمد بن أحمد القسطنطيني مثل ما قرأ علي ابن الحاج، وعن أبي عبد الله محمد البوعناني التلمساني، قرأ عليه شرح السنوسي على مقدمته وصغراه. وعن جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، وعن جماعة من الشيوخ آخرين نحو العشرين إيرادهم يقتضي التطويل، ذكر ذلك كله صاحب الترجمة في إجازة منه لبعض تلامذته.

وأخذ عن صاحب الترجمة عامة أهل عصره، من أهل عصره ومصره، منهم أبو عبد الله ميارة الحفيد، والبنانيان، وأبو العباس الوجاري، وشيخنا أبو عبد الله الجندوز، وشيخنا أبو العباس أحمد بن مبارك السجلماسي، وشيخنا أبو عبد الله محمد الكبير السرعيني وشيخنا أبو عبد الله محمد جسوس، وغيرهم. وتصدر للتدريس بفاس الحديث ومختصر خليل وغيره من كتب الفقه والفسر وعلم الكلام والسير وعلم المعقول. ولما كمل بالبناء مسجد مولانا ادريس بفاس وأمر السلطان بإعادة الخطبة إليه وإقامة الجمعة فيه، ولي صاحب الترجمة الإمامة والخطبة والتدريس به، فكان يأتي في خطبته بالعجب العجائب، وبما سحر الألباب، إتقاناً ولفظاً، وبياناً وحفظاً (452). وكان مرجوعاً إليه في كل أمور العامة والخاصة، وأذعن له متبايخ عامة عصره، فأمره عندهم هو المطاع، ولا يسعهم قسماً أفتى به إلا الاتباع، لا ينقل من المسائل إلا عنوانها، ولا يصيب من الجواهر إلا مكنونها.

(450) ما بين معقوفتين ساقط من لدوس .

(451) ساقط من ط.

(452) هنا في هامش ك طرة نصها: « أول خطبة خطبها دعا فيها للسلطان ولمس سعى في ساء المسجد من العلماء والصناع، ومن أنفق الأموال ابتغاء أجر الله ».

ووجه إلى علماء فاس سؤال من الحضرة العالمة بالله حضرة مولانا المنصور بالله إسماعيل بن مولانا الشريف الحسني في أمر خلافة ابن الزبير. فأجاب بما يبهر العقول، من التحقيق بالمعقول والمنقول. ورأيت له جوابا عن سؤال في قضية القاضي أبي عبد الله المقرئ مؤلف القواعد مع مزوار الشرفاء يومئذ بفاس الشريف العمراني، وإيراد السؤال والجواب يستدعي طولاً، ونورد منه هنا القضية. قال أبو العباس المقرئ في كتابه نفع الطيب ما نصه: ومن أخبار مولانا الجدة الدالة على حرمة ما حكاها ابن الأزرق أنه كان بحضرة مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم، وكان نقيب الشرفاء بفاس إذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس اجلالاً له إلا الشيخ المقرئ فإنه لا يقوم في جملتهم، فأحس النقيب من ذلك وشكاه إلى السلطان، فقال له السلطان هذا رجل وارد علينا نتركه على حاله إلى أن ينصرف. فدخل النقيب في بعض الأيام على عاداته، فقام له السلطان على العادة وأهل المجلس، فنظر إلى المقرئ وقال له: أبها الفقيه مالك لا تقوم كما يفعل السلطان -نصره الله- وأهل مجلسه إكراماً لجدي ولشرفي؟ ومن أنت حتى لا تقوم لي؟ فنظر إليه المقرئ وقال له: أما شرفي فمحقق بالعلم الذي أنا أبته، وأما شرفك فمظنون، ومن لنا بصحته منذ أزيد من سبعمائة سنة؟ ولو علمنا شرفك قطعاً لأقمنا هذا من هنا، وأنار إلى السلطان أبي عنان، وأجلسناك مجلسه. قال ابن الأزرق: وعلى اعتذاره ذلك أن الشرف الآن مظنون، فمن معنى ذلك أيضاً ما يحكى عنه أنه كان يقرئ بين يدي السلطان أبي عنان المذكور صحح مسلم بحضرة أكابر فقهاء فاس وخاصتهم، فلما وصل إلى أحداث الأئمة من قريش قال الناس إن قال الشيخ الأئمة من قريش وأقصح بذلك استوغر قلب السلطان، وإن وري وقع في محذور، فجعلوا يتوقعون له ذلك. فلما وصل إلى الأحاديث قال بحضرة السلطان: والجمهور أن الأئمة من قريش ثلاثاً، ويقول بعد كل كلمة: وغيرهم منغلب، ثم نظر إلى السلطان وقال له: لا عليك فإن الفرسي الآن مظنون، أنت أهل للخلافة، إذ بعض الشروط توفرت فيك والحمد لله. فلما انصرف إلى منزله بعث إليه السلطان بألف دينار انتهى.

وسئل صاحب الترجمة عما في نوازل البرزلي عن ابن عرفة عن ابن عبد السلام من قوله نسب له سبعمائة سنة يثبت في هذا الزمان ضعيف. فأجاب عن ذلك بجواب حسن وإيراده هنا يستدعي طولاً.

وسئل صاحب الترجمة عن رجل يدعى المعرفة والفقه قال في حق الشرفاء إن الزمان فد طال وليس على الفروج أفعال والنساء غير مؤتمنات. فأجاب بأن ما ذكره الرجل لا يختص بالشرف كما في وسيلة الزلفى، بل هو عام فيمن يريد إثباته لهم. ونبغي أن يعتقد فيهم أن نسبتهم محققة، والمتشكك يلزمه ذلك في نفسه. وفي علمك أن الولد للفراس ويظن بأمهاتهم أنهم من أهل النزاهات والصدق والدين لا تتطرق إليهم التهمة، ومن يريد الطعن قيل له هذا مشترك الالتزام بينك وبين من تطعن فيه، فإن صححته فهو جواب لك ولا يوصف به غيرك.

[ثم إن القول المذكور] (453) وإن كان محتملا في نفسه وجائزا في حد ذاته لا يقدح في حق من ينتسب للجناب النبوي، فإن نسبهم ثبت شرعا، واستفاض نقلا وسمعا، لأن غاية ذلك النجوز العقلي، إلا أن تكون النسبة المذكورة غير ثابتة لمدعيها وحائزها شرعا باعتبار الواقع ونفس الأمر وأنها ظنسة أو شكبة لعدم ما يفيد اليقين والقطع، ويصبر التجوز المذكور في محل المنع، لاعتبار ما جاء به الشرع، من إجراء الأحكام على مقتضى الظاهر، وترك البواطن موكولة إلى عالم السرائر، فإن النسبة باعتبارها محكوم قطعاً بها عند ثبوت موجبها وسببها، فبمعامل صاحبها بما يقتضيه ظاهر حاله الرفيع، كما يعامل منتقصه بالأدب الوجيه، لا سيما إن انضاف إلى ذلك الثبوت القرائن العاضدة، والدلائل الشاهدة، التي تليح لها الألباب، وترتفع معها تخالجات الظنون وخطرات الارتباب، كما يوجد في مشاهير الأشراف، السالمين من معتبر الاختلاف، وبذلك تتفاوت الأنساب من حيث هي في القوة مع اتحاد المنسوب إليه، وكان الشرف مراتب كما هو منصوص عليه، فمنه الجلي والأجلى، والخفي والأخفى. وبحسب ذلك تتفاوت فيه الاعتقاد، ويختلف اطمئنان النفس إليه وتلوح الفؤاد. وهذا التجوز العقلي هو محل كلام ابن عبد السلام وكلام القاضي المقرئ. قال: ولا ينبغي أن يظن بهما خلافة من التشكيك في الأنساب الثابتة شرعا والقدح في ذوبها. وما صدر من القاضي المقرئ مع الشريف العمراني هفوة لا تناسب مقام أهل البيت ومنصبهم، حيث وجهه بما يغضب الشريف بمحضر الخاص والعام من أهل الدولة ووجوه المملكة بما يذيب وجوه الكبراء من الخجل، وتسوى دونه طعن السيوف وضرب الأسل، مع ما فيه من تزكية النفس المنهي عنها، على أنه بتوجه عليه من البحث أن يقال له إن شرف العلم إنما هو من حيث هو ثمرته وقبوله عند الله وإثباته عليه، وحصول علو الدرجة به لديه. وذلك أمر مغيب عنا، فليس هو بمظنون فضلا عن كونه مقطوعا به، لاحتمال شقاوة صاحبه والعياذ بالله. قال في لطائف المنن: ولا بغرثك في العالم أن يكون أنفع للبادي والحاضر، فإن الله يزيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

والحاصل أنها زلة من عالم كبير، يضل بها عالم كثير، فالله يغفر له. والعجب ممن يذكرها له على أنها من المناقب، وهي من أشنع المثالب. انتهى المراد منه. ونقل تمامه يطول، وهو منوال كثير وفيه خاصة فاس، فانظر تمامه. ويتعين العمل بمقتضاء على الخاص والعام. وفيه شرف العلم باحتمال شقاوة صاحبه وإن كان قائما بالنظر إلى ذاته فهو من التجوز العقلي وليس هو حكما شرعا، وإن كان كذلك فلا يقدح في مرتبة العلم، لأنه يجب تعظيمه شرعا، وله ثمرة موجودة محسوسة ومشاهدة، وهو بثه في الناس وإقامة الدين به بين الأحكام والفتا التي لا يخلو الزمان ممن يحتاج إليها، ولا مانع من أن يكون مقبولا عند الله

(453) ساقط من ك.

تعالى لما في الحديث القدسي (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي). والغالب على العلماء حسن الظن بالله تعالى. فنجويز شقاوة صاحب العلم ممنوع، وإن ما سيقع على وفق قدر الله تعالى في الأزل ليس لنا أن نبني عليه حكما في الظاهر بحيث نترك ما برز في الوجود لاحتمال مخالفته ما سبق في علم الله، وإلا لتعطلت الشريعة، إذ كل فرد وجد من أهل العلم يصح فيه هذا التجويز، فيلزم علمه سقوط العلم مطلقا إلا باعتبار ما عند الله. نعم واجب على كل عالم أن يركن إلى علمه، ويخاف من عدم قبوله وشقاوته وأن يكون من أهل الوعيد، ويكون ذلك شأنه في نفسه، وفي غيره من أبناء جنسه، مع ما تقدم من حسن الظن بالله تعالى، فجمع بين الرجاء والخوف اللذين قال فيهما العلماء إنهما ما اجتماعا في قلب شمي. وهذا في نفسه، وأما إذا نظر إلى غيره فلا يجب عليه إلا النظر بعين الكمال، والتعظيم والإجلال، لحصول النفع به في الحال، إذ لا ضرر في تعظيمه ولو مع الاحتمال. فالحق أنه لا محل للتشنيع على القاضى المقري وإن صدر منه من الغلظة على الشريف العمراني يغتفر له في مثل هذه القضية، وإن لزمه محذور لا ينبغي أن يصدر من مثله، لأن الشريف أغضبه بشكواه للسلطان بعدم قيامه له كما تقدم في حكاية القضية، ثم بعد ذلك شافهه بأمره للقيام له، ووهن قدره بقوله ومن أنت حتى لا تقوم؟ وما كان ينبغي لهذا الشريف أن يصدر منه مثل هذا في حق هذا العالم الذي هو كبير علماء المغرب وولي منصب القضاء الذي هو نائب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل في منازل الأحكام منزلته، والشريف ممن تجب عليه طاعته وتلزمه ميرته وتعظيمه. وأولى من يرعى هذه الحرمة سادتنا الشرفاء الذين هم أحق بمورثهم من المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو العلم والصلاح، فنبغى لهم طلبه وتعظيم من بطلبه وحرص الشريف على القيام له تعرض لما هو منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَحَبُّ أَنْ يُقَامَ لَهُ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ). والعلماء حماة الشريعة، فكأنه رأى زجره على ذلك واجبا عليه.

وأما ما وجهه به من قوله وأما شرفك فمظنون به إلى آخره، الشرف على حمسة أفسام. الأول المتواتر تواترا عاما وهو عمود النسب النبوي في الجملة. الثاني المتواتر تواترا خاصا. وهو في قبائل معروفون بأسمائهم في حواضر وقرى وجهات مخصوصة، كل معروف في بلاده، وتواترهم خاص بها، لأن غير بلادهم لا شعور لهم بهم فضلا عن معرفتهم. الثالث: المظنون وهو الثابت بالشهادة المستوفاة لشروط العمل بها، وما في معناها من الأخبار المفيدة للظن، وقد تعضدها قرائن فلتتحقق المرتبة التي قبلها. الرابع: المشكوك المستوى الطرفين. الخامس: المرجح الشك فيه. فالقسم الأول لا يتعين فيه وإنما يتعين في الأربعة بعده. وأعلى الأربعة القسم الثاني ثم ما بعده مرتبة بعد مرتبة إلى آخر المراتب. فإذا فهمت هذا فإنما كان خطاب المقري لأهل المرتبة المظنون بهم، ولعله ظن أنه من أهلها. وأما التعليق في قوله: ومن لنا بصحته منذ سبعمائة سنة؟ لا يحتمل لأن المتبادر منه نفي صحة النسب مطلقا قطعاً أو ظنا. وقوله لأبي عنان إن القرشية في وقتنا مظنونة لم يصح بما يدل

على أن ذلك في جميع الأقطار أو عند جمع من الناس، بل في موضع دون موضع أو في أشخاص دون أشخاص، فيكون كلامه من باب الكل لا من باب الكليلة، بمعنى أن الظن فيها محكوم به على مجموع الأفراد لا على جميعها، ولا شك أنها مظنونة في كثر من المنتسبين لقريش، ومحفة في البعض منهم، على أنك إذا حققت علمت أن تعيين الفرد المنسوب ليس فيها إلا الظن، ولا سبيل للقطع فيه. وقد صرح بذلك سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي لما قال ابن العربي الحانمي يعتقد في أهل البيت أن الله تعالى قد غفر لهم. قال شيخنا شيخ الإسلام القصار: إن أراد نغلب الرجاء في حق من علم تعالى أنه منهم على الخوف فحق، وإن أراد بالاعتقاد الجزم المطلق بأنهم لا يعاقبون فقد ابتدع وخالف أهل السنة. فإن قيل ورد به، قيل ورد به أكثر منها وإن صح في حق فاعلي الطاعات، حتى قال الميتدعة المرجحة لا يعاقب مومن من أهل السنة. وأعدى عدو لأهل البيت من يوهمهم ذلك، بل بذكرهم نحو «بُضَاعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ»، وإن كان كثير من أهل الظاهر لا تشملهم كما قال كثير منهم، فإن من اعتقد ذلك منهم أو من غيرهم مبتدع، بل مذهب أهل السنة أنهم في المشبهة. انتهى كلام القصار.

وكتب على كلامه سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي المذكور ما نصه: قف على قوله فمن علم تعالى منهم فإنه تنبيه على أنه لا يقطع به في معين ولا يقطع به أحد لنفسه ولو إلا من كون شرط الوفاة على الإيمان، وهو غيب، لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص. وهكذا ينبغي أن كل أحد في كل فضيله وعد عليها في العقبي، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله تعالى وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا لمن ميزه النص. على أن من تحقق قبضة الحق لا يسكن لوعده، وبه تفهم قول سيدي عبد السلام بن مشيش: وألحقني بنسبه، فإن الظنى (454) مشروط بالديني وهو غيب. وكذا ما ورد في قبول طاعات ودعاء وأدخاره فإنما هو فبمن علم منه خاتمة الإيمان ويعدت بذلك إرادته ومشيتته. وأما واحد في خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقد قال شيخنا أبو الحسن: وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله تعالى، ويتحقق الرجا والاعتماد عليه لا على الأسباب. نقله عم والدنا في كتابه.

وأما قول ابن عبد السلام المتقدم: نسب له سبعمائة سنة يشبه في هذا الزمان ضعف، مراده -والله أعلم- فيمن لم يكن يعرف به وبعد مرور هذا الزمان من زمن الهجرة قام فادعى به. أما من كان معروفاً به أولاً واستمر الدعاء له به فلا ضعف فيه. وقد ثبتت أنساب العرب بأدعائهم بعد ذلك المدة بكثير. وكذلك إذا ظهر من يدعى أنه من قعب مولانا عبد السلام ابن مشيش أو نحو ويده ما يتبته نسبه إلى مولانا عبد السلام فإن نسبه صحيح

(454) كذا في المخطوطتين ك و س، بالطاء المعجمة، ولعل الصواب: الطيبي - بالطاء المهملة ..

لقرب زمنه من مولانا عبد السلام بن مشيش. والقرينة الدالة على ثبوت النسب فيما بين الهجرة والشيخ الذي ثبت نسبه له حيث استفاض صحة نسبه. وأيضا فقد وقع بين الناس من كلام المقرري المتقدم بحوث وسوء ظنون وتوهم في آل البيت، فمرضت من ذلك القلوب والعياذ بالله.

وكان صاحب الترجمة في زمنه أكثر الناس تحسينا ظنون الناس في ذلك، وجال في الأنساب، وعلم بالأحساب، وانفرد بالتحري في هذا الطريق، وممن له القدم الراسخ بهذا العلم والتحقيق. فكان المرجع فيها زمنه إليه، ومعول كل الناس فيما أشكل منها عليه. وحقق أنواعا كثيرة من العلوم، وطالت ممارسته لها فانجلت له عرائس الفهوم، وتعلمت له شيوخ الزمان، واشتهر فيه بالنقد والإتقان، وألف تأليف عديدة منها: *جهد المقل القاصر*، في نصره *غوث الوري الأكاير*، بين فيه أن الشيخ عبد القادر بن موسى الحسني الجبلاتي بزنه كان من المجتهدين، وتنزيه عن ما بتوجه عن بعض الحنابلة. ومنها: *نتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق*، اشتمل على مقصودين: التعريف بالشيخ عبد القادر الجيلاني وبعض عقبه، *والقول الكاشف*، في صحة الاستنابة في الوظائف. ومنها *تأليف في القبض والرد على من زعم عدم مشروعيتها في النفل والفرض*، وله أجوبة كثيرة وتقاييد جيدة موقفة عليها منها لو جمعت كانت مجلدا في مسائل من أبواب من العلم يرحل إلى سماعها من أقصى المغرب إلى المدينة، وبلغنا أن صاحب الترجمة إذا بحث في تقرير جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني فيقول: اللهم إنه آية من آياتك. وله خطب بليغة جيدة المناسبة. ولم يكن لصاحب الترجمة اعتناء بالتصنيف لوجود قيام تلامذته في زمنه بذلك، فتركه لهم واعتنى بالتدريس، فانتهت الرئاسة له فيه، وقام به أحسن قيام إلى أن صار إلى رحمة الله ورضوانه.

وكان رضي الله عنه نظيف الثياب، جميل المعارشة، حسن الأخلاق، عالي الهمم، لا يستطيع الكلام في مجلسه الأكاير لهيبته وعظيم ستمته. وكان في تدريسه إذا أخذ في تقرير مسألة يأتي على وجوه احتمالاتها، ولا يدع شيئا مما تشتهي بيانه نفوس الحاضرين من أبحاثها، مع جودة التحقيق والتحرير بما يغبط به العقل من النقل، مع اختصار في العبارة، وسرعة في بان الإشارة، وبفهمه الحاضر والبادي ومن هو مغبون، وجميع من بالمغرب من اللسون. مجلسه مجلس سكون ووقار، وخشية وتذكار، لا يحسب جالسه أن أحدا أكرم عليه منه، ووسع الحاضرين في مجلسه بسطه. وله باع طويل في الرسائل والمخاطبات بمقتضى الحال، وأنظام عجيبة، بمعاني غريبة.

وسئل صاحب الترجمة بما نصه: بعد تقبيل اليد وتكميل السلام، على سيدنا الإمام، العلامة الهمام، فليعلم -أبقاه الله وأعلاه- أن الغلام مقبل (455) الأقدام نظم قبل أبياتا لم تحل من الفصيح، بمكان ضيق ولا فسح، قال فيها بعد كلام:

بالتطوان لم تلد له شبيها إنها عن ولادة لعفيمة

فزعم بعضهم أن لفظ الولادة في هذا المحل ليس يسائغ، وذكر أنه ما بلغه أنها لغة. واحتاج العبد الى الجواب، بما يظهر الصواب، فإن أجاب سبدا فلله الثواب، من الملك الوهاب. والسلام فأجاب -رحمه الله-:

وعليكم من المحب سلام فأتح كأريج مسك وندي
ما حدا عبرتي زفير غرام فسقى بالدماء خابور خدي

أما بعد، فالجواب أنه لا مزيد في بطلان الزاعم المذكور، وأن منشأ الجهل والقصور، فإن اللفظ المذكور سائغ في لغة العرب، وإن جهله ذلك الزاعم المدعي للطلب. ولا يسنغرب جهل منل ذلك في هذه الأعصار، التي عطلت (456) سحائب الجهل فيها على البوادي والأمصار، حتى خفي عن أهلها ما هو في غاية الوضوح ونهاية الاشتهار. ودليل بطلان ما قال، وأن اللفظة شائعة الاستعمال، قول صاحب القاموس، الذي هو مقدم في هذا الفن على كل رئيس ومرؤوس: «وولد بلد ولادا وولادة وإلادة ومولدا». وقد أرنكبه غير واحد من الشعراء، منهم القائل:

وفي قبض كف المرء عند ولادة دلس على الحرص المركب في الحي

وقول غيره (457):

فقل لمن يدعي في العلم منزلة علمت شيئا وغابت عنك أشياء

455 هذا ما يقتضيه السياق، وفي ك و س: مقبول وهو تصحيف ظاهر.

456 هكذا في المخطوطتين، ولعل الصواب: عطت.

457 يظهر أن ما بترأ في المخطوطتين معاً

وهذه مسألة قريبة سهلة، وإنما كتبت هذا الجواب لما دل عليه من سعة أخلاق صاحب الترجمة، وللنحاة في حذفها ثلاثة أقوال: قيل مفصور على السماع، وقيل بجوازه مطلقا، وقيل لا يجوز إلا في الإطالة نحو أقيام الصلاة. وأشار للثاني في الألفية في موضعين من كلامه.

وكان صاحب الترجمة له اعتناء بالتدريس بحيث إذا بدأ كتابا يعتني به حتى يختمه لا يلتبس عذرا إلا إذا نزل به ضروري سماوي، فكان كثير الختم، وكان شعراء الوقت يرصدون ذلك فيمدحونه بالقصائد ويتنافسون بينهم في أي المدح أحسن. ومضمن المدح الثناء على أهل العلم والكتاب المختوم ومؤلفه وفنه، والثناء عليه بضخامة علمه ودقة فهمه، فيمتنع من قراءة تلك القصائد بمجلس الختم استحبابا من الله تعالى أن يسمع المدح في نفسه. وكان إذا دخل شهر رمضان بدأ في أول يوم تدريس صحصح البخاري، يقتصر في تدريسه على بيان المعاني من الأحاديث التي توافق أحكام مذهب الإمام مالك، ويترك ما سوى ذلك فلا يتكلم عليه. فكان الناس يقصدون حضور ذلك المجلس من البوادي والحواضر لحصول الفوائد منه وسرعة ختمه، ويختمه في اليوم التاسع من شهر رمضان، ولما ختم المرشد في قراءته بين العشاءين في ليالي شتاء سنة مدحه الشريف الأديب أبو عبد الله بن الطيب، فمنعه من قراءتها في مجلس الختم على عادته في المنع من ذلك، فأخذ في نفسه عليه حيث سوى بينه وبين غيره، فكتب إليه الشيخ يعنذر له لكرامة النسبة النبوية عليه بما نصه: حيا الله بنسيم رضوانه الطيب، وسقى بغيث رحمته الصيب، الشرف الأرحنى سيدي محمد بن الطيب. أما بعد السلام عليك أيها الفاضل، فقد أتحتني من عرائس فكرك بما أنا دونه بمراحل، لحسن طويتك، وكمال سجتك:

والفضل عندك في الضمير وإنما جود الفتى أبدا بما في الكبس

فاستصغرت نفسي أن يقال فيها ذلك المقال، أو تتحلى بتلك الحلل. ولا سيما في المجامع والحفول، المشتعلة على مختلف الآراء ومباينة العقول، مع شبعتي والله شاهد بأنى على التقبض، من جميع ما تضمنه من الأوصاف المدحية ذلك القريض. وأجهل الناس، من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس:

لعمر أبئك ما نسب المعالي إلى كرم وفي الدنيسا كسريم
ولكن البلاد إذا اقشعرت وصوح نبتها رعي الهشيم

فهذا موجب المنع من قراءة قصائدكم الرائقة، وامتناع (458) الأسماع بيدائعها الفائقة. لا غير ذلك مما عسى أن يختلج في البال. أو بوسوس بعض من لا علم له بحقيقة الحال. فإنه محض إفك وزور، بعلم ذلك من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. والله المسؤول أن يعاملك بحسن نيتك، ويجازيك خيرا على يبلغ مدحك، بمنه. ولولا الشعر بالشعر ربا، وأنه لا يناسب من ولت عنه مثلي أيام الصبا، لجلوت عليك (459) من عرائسه ما يكون كفاءً ودك، وأتبتك من نفائسه ما يليق طرازا بحلة مجدك، ولكن الأمر كما قال قائله:

صحبا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراد الصببا ورواحله

والسلام عليكم من كاتبه محب آل البيت النبوي وغبار نعالهم محمد بن أحمد المسناوي كان الله له. والقصيدة من أربعين بيتا ومطلعها:

بشائر ليلي أذنت بوفسودها	وطالعها أنيبا بقرب ورودها
بها الأفق زاه والنجسوم زواهر	تلوح ونجري في بروج سعودها
وهاذي جيوش الليل تعشر خيفة	من الصبح في أدبالها وبرودها
وها الفجر يبدو في عساكر أبدت	بنصر عزيز أرعبت بينودها
وها الشمس من بين الغمام تطلعت	علينا وهاذي الورق تزهر بعودها
وأنهسار هذا الروض ها هي قبلت	من الغصن الأقدام مثل عبسدها

ومنها:

فلذ بحمى المسناوي والزمه إنه إمام الورى علمسا وليث أسودها

ولما جدد شبك مولانا ادريس المحبب به على قبره للاحتفاظ من طرح النعال وليميز به القبر، وذلك في حدود سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، أنشد صاحب الترجمة في ذلك أبياتا فقال:

جُعلت لقبر شرف الله قدره	صيانا بقي عن كثرة اللمس باليد
وما نسبته في ضت (كذا)	إلى مجد شبك الضريح المجدد
كنسبة مولى قد أحاط بغيره	إلى بدر تلك الحجر المتوقد
في الدولة الإسماعلية قد نشأ	في أدة تاريخ يصح بمشهد

(458) صحف في المخطوطتين مكنب: وامتناع.

(459) في ك: الجاد عليك، وما أتبتاه عن من أنسب.

وكتب صاحب الترجمة على البيت الذي ختم به نظمه وحذفت الياء بعد العسن من اسماعيل اللوزن، وهو جائر عندهم. والذي حسب التاريخ ورمزه هو الناظم اللبيب سيدي عبد الفادر بن العربي القادري الحسني. ولما مرض مرضه الذي ينوفي فيه أنشد قصيدة يحكي فيها حاله بعد موته، وأولها:

يارب عطفساً على مُسيءٍ قد ساقه القومُ للمقابر
فجاءَ فَرْدًا بِغَيْرِ زادٍ وخَلْفَ الأهلِ والعششائر

الخ. وقد جرى عمل الناس بفاس حين اخراج الميت من داره وإنزاله في النعش يتلون هذه القصيدة وهم مشاة أمام الميت، من بعد موت صاحب الترجمة الذي أشدها إلى الآن.

والحاصل أن صاحب الترجمة عالم الأقطار المغربية في وقته حجة شهير، محقق كبير، فقيه محدث أصولي بيان مفسر أديب مؤرخ عالم بالأنساب صوفي، آخر النظار بفاس، وممن كان إليهم المرجع في العلوم، واتفق أهل زمانه في قصره ومصره على الاحتجاج به والتلمذ له.

توفي - رحمه الله - يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، ودفن بعد صلاة العصر من يومه بروضة سيدي العايدي بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من مدينة فاس. وكان حفر قبره هناك في حياته قبل موته بنحو ثلاث سنين بعد زن كسب لأولياء السيد سستأذنتهم في الدفن فأذنتوا له. وبعد الفراغ من الحفر اضطجع فيه وقرأ ما تيسر من القرآن، وبقي يعاهد هذا القبر بالقراءة إلى أن توفي ودفن به. ومن بركة صاحب الترجمة أنه لما عزم على السفر للحج عمنا الفقيه أبو الجمال طاهر بن عبد السلام القادري الحسني قال له صاحب الترجمة: إذا كانت ليلة السفر اتسني بالبضاعة التي تصحبها معك للشرق أبيتها عندي، فلم يفضل له على اتفاق المؤونة الا سبعة دنانير إسماعيلية، فأتاه بها ليلة الخروج، فأبأنها عنده، ومن الصباح ردها إليه على حالها، فأنفق منها فوجد فيها من البركة ما لم يعهده، وذهب وحج ورجع إلى داره في أرغد عيش وأحسن مركوب وملبوس (460).

عزوز ابن مسعود

ومنهم الولي الشهير المجذوب سيدي عزوز بن مسعود دفين الطالعة من عدوة فاس القرويين باب السراجين، فاتخذوها عليه روضة ومزارة. وكان مجذوبا يحكوم عنه كرامات،

(460) هذه الترجمة المطولة لمحمد المسناوي احتضرت في أقل من ثلاث صفحات في ط

وإخبارا بمغيبات. وحكى لى بعض الطلبة أن الشريف المجذوب سيدي الحفيد العمراني كان مهما يرى صاحب الترجمة في فاس أخذ في طرده منها ويقول له أخرج لى من مدينتى، فيفر منه ولا يرجع عنه إلا إذا أخرجته من المدينة.

قال المخبر: فلقست صاحب الترجمة ذات يوم راكباً على فرس ومعه الطبالون بضربون النوبة في أطلالهم على العادة (461) المعروفة وهم من أصحابه، فرآه سيدي الحفيد العمراني فلم يزد عليه إلا أن بكى وقال: نعم، الله ربيح، وانعطف عليه وذهب، فلم يبق بعد ذلك إلا نحو ثلاثة أيام ومات سيدي الحفيد العمراني، رحمه الله.

محمد الكبير بن الطالب ابن سودة

ومنهم الفقيه الخطيب الراجز سسدي محمد المدعو الكبير بن سيدي الطالب ابن القاضى [العدل] (462) سيدي محمد ابن سودة المري. تقدمت ترجمة القاضى المذكور وأبيه وجده في المائة الحادية عشرة. كان صاحب الترجمة خيراً دتياً فاضلاً خطب بمسجد الأندلس من فاس، وأجاز له الشيخ حسين العجمي (463) المكي (الذي تقدمت ترجمته عام ثلاثة عشر ومائة وألف، وأجاز له فيها جمع مروياته، وبن له فيها أسانيده، منها الحديث المسلسل بالأولية، كل ذلك بخطه، رحم الله الجميع بمنه وكرمه) (464).

(461) في ط بدل الجملة الأخيرة: كعاده من يك مهناً للفرح.

(462) زيادة في ط.

(463) في ط: حسن العجمي.

(464) ما بين معقوفتين نص ما في ط. وقد اختصر في المخطوطتين. وهنا في هامس س طره طويلة نصها: «ورأيت برسم كبير على الدار (وهي الآن بيد الأشراف الإدريسيين سيدي الطايح وأولاده) للعباسى المجاورة لدار القيطون بضريح وبحرم مولانا إدريس ما نصه. حضر الفقيه الأجل العلامة الخطيب البليغ الأكمل أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدي الكبير ابن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المري وضمن لمولاي الخ وذلك الرسم تاريخه مهل رجب عام انهن وثلاثين ومائة وألف، وعدها أحمد بن عبد الرحمن الشديد (كذا) والآخر مبيض محلله ليس مكسوبا ونص الرسم: الحمد لله كان مشتركا شركة المعاضلة والنياع بين الإخوان الأربعة الأشراف الأربعة سيدي محمد وسيدي عبد الله وسيدي يحيى وسيدي أحمد أولاد الشريف الجليل الخ أبي العباس سيدي أحمد بن إدريس الحسنى الجوطى، وأهم السيدة عائشة المدعوة عسوة بنت الفقيه الأجل العلامة أسي عبد الله سيدي محمد ابن سودة المري جميع الدار الكائنة بحومة روضة مولاي إدريس - نفعنا الله به - تجاور دار ابن يوسف ودار الكبيط. ودار العباسى، وعرى فى القدم بدار ابن زاكور، تختص الأم المذكورة بنصفها الواحد ويختص السادات المذكورون بالنصف الآخر على السوية، وبقي كذلك إلى أن نوبت الأم المذكورة فوريتها أولادها المذكورين. تم نوبى سيدي محمد المذكور فورته زوجه المصونة السيدة زيروا بنت الفقيه الأجل الحاج الأبر، أبى عبد الله سيدي محمد المدعو الطالب ابن سودة المري، وولده منها الشريف الخ إلى أن حال حضر الفقيه الأجل، العلامة الخطيب البليغ الأكمل، أبو عبد الله سيدي محمد المدعو سيدي الكبير بن الفقيه الأجل الناظر الأفضل سيدي الطالب ابن سودة المري وضمن إلى آخر ما قدّمناه. وأسفل ما كتبنا: الحمد له يشهد الواضع اسمه بمعرفة الدار الكائنة بحومة الزاوية ضريح مولاي إدريس - نفعنا الله به - المعروفة لورثة العباسى وتجاور دار القسطون ودار ابن زاكور ودار ابن عبد الحلیم المعرفة التامة ومعها، يشهد بأنها صارت بالشراء لأمر المؤمنين مولاي رشيد على يد خديمة الأنصح كان ناظر الموراث فى حينه إذ ذاك وهو أبو عبد الله سيدي محمد بن على ابن سودة المري الخ. تاريخه صفر عام تسام عسرة ومائة وألف، محمد بن أحمد الجابري لطف الله به، وعلى بن محمد العونى.»

عبد الله بن عيد السلام جسوس
ومنهم الأديب البليغ أبو محمد عبد الله بن العلامة عبد السلام جسوس.
تقدمت ترجمة والده المذكور. كان صاحب الترجمة - رحمه الله - له اليد الطولى في
الأدب ونظم الشعر، مع السلاسة وحسن التعبير مشهوراً في ذلك (465).

تذكرة المحسنين

محمد المسناوي الدلائي

الإمام العلامة المحقق الهمام الحافظ الضابط المتقن المشارك المتقن أبو عبد الله
سيدي محمد المسناوي بن الأستاذ سيدي أحمد بن العلامة سيدي محمد المسناوي نجل
الشيخ الشهير العارف الكبير سيدي محمد بن الولي الكبير سيدي أبي بكر الدلائي دفين
زاويته بالدلاء. وكان ولد بالزاوية في عام اثنين وسبعين وألف وانتقل لفاس قبل بلوغه مع
أهله، وبها قرأ وأقرأ وتعلم وعلم وأمّ وخطب بضريح تاج الأولياء مولانا إدريس نفعنا الله به،
ودفن داخل قبة سيدي العايدي خارج باب الفتوح ملاصقاً لجدار القبة وراء ظهر صاحبها.

عبد الله بن عيد السلام جسوس

وبها توفي الفقيه الأديب، النبيه الأريب، سيدي عبد الله بن العلامة الشهيد
المحتسب الفريد، أبي محمد سيدي عبد السلام بن الحاج حمدون جسوس.

(465) ترجمة عبد الله جسوس ساقطة من ط.

العام السابع من العشرة الرابعة

محمد بن احمد بن الشاذلي الدلائي

فمنهم العالم الأديب، العلامة الأريب، أبو عبد الله سيدي محمد بن أحمد بن سيدي الشاذلي [بن محمد بن الشيخ أبي بكر] (466) الدلائي. تقدمت تراحم من عدا والده. كان صاحب الترجمة عالماً بفنون الأدب من نحو وبيان ومعان وتصريف وعروض وقواف وأيام العرب، حافظاً لكلامهم، له التقديم في ذلك على جمع أهل عصره، شهد له بذلك أسياخه فضلاً عن أقرانه، مع مروءة وحباء وكرم نفس وعلو همة ومكارم أخلاق. ومع ما كان عليه من الافنقار [والصبر على الفقر] (467) يؤثر العلم على كل شيء، عالماً بالتوقفت، كشر الاعتناء بالتقبيد. وله أنظام بمعان مطربة، وألفاظ مسعذبة. (ومن كلامه في علو الهمة، وقد بين فيها حال نفسه:

ما أن يعسبك فقد الحلى والحلل	إن أنت بالهيم السماء كنت مل
قد ضل من ظن أن المال يرفع ما	أوهى السؤال بعرض فبه مستذل
لابارك الله بعد العرض في عرض	الدينا ولا نلت ما بالعز لم أنل
ورب جساهلة هبت تعاتبني	إن كنت عن غمر عيش مؤثر الوشل
قالت رأيتك ذا قول محبیره	أبهى من الروض غب الواكف الهطل
وفي الملوك له كفاء فأأمهم	حتى بعبدوك ذا خيل وذا خول
ولست أصغى وإن لجت لتعدل بي	عن منهج الصوب بالتعتاب والعدل
وإن من كرمي بخلي بشعري في	نقريظ ذي كرم أو ذم ذي بخل
فلن تراني مسديلاً ما حسب له	في غير ذكر الوغا والاعين النجل
يابى إبانى وآبانى وبأنف بي	محدد أناف ولم يقنع على زحل
نفس الكريم تعاف الورد يصحبه	ذل على ظمأ في الجو مستتعل
لو كنت سائل غير الله لم أسل	غير المذاكى وغير البيض والأسل
ما شمت بارق عضب كنت شائمه	إلا أنتجعت به أحيا من السبل

(466) ساقط من ط.

(467) زيادة في ط.

لا ترض بالعيش في ظل الهوان وخُضُ
فليس بدرك بالجبن البقاء ولا
حليت شطري صروف الدهر ()
فمسا بطرت لإثراء ولا حسبي
وكنت إن ما بدا لي من غنى عطل
وشي المهتد يبدو فوق صفحته
لتيل عز غمار الموت والشكل
الاقدم يقضي بما لم يقض في الأزل
ومن يسار ومن صاب ومن غسل
أبدت به خلة تنتساب من خلل
الفيت من حلى فضل غير ذي عطل
بغنسه عن نسبة الأعمال والحلل [(468)

أخذ عن أبي عبد الله السنائي وأقاربه وغيرهم. وأخذ عنه طبقة أشياخنا وحكى لي
أحدهم أن علم العروض انقطع مدة تدريسه بفاس ولم يجدوا من يقرئهم إياه حتى دلوا على
صاحب الترجمة، فكانوا يقرؤون عليه الخرجية بباب داره. فأخذه عنه وحققوه.
توفي - رحمه الله - عام سبعة وثلاثين ومائة وألف. [ودفن قرب سيدي العايدى قرب
شيخه السنائي - رحمه الله -] (469).

(468) هذه القصيدة ساقطة من ك وس.

(469) زيادة في ط.

العام الثامن من العشرة الرابعة

أبو جيدة محلي

فمنهم الولي الشهير، المجذوب الكبير، سيدي أبو جيدة (470) محلي. كان جوالا سفارا لا يستقر بموضع، ونعترية أحوال كثيرة فينطق بالمغيبات، وتجري على لسانه حكم وتظهر عليه كرامات، وخوارق عادات. يتأثر بالسماع فتعترية منه غيبية، شهير الولاية في مدن المغرب: فاس وتازا وتطاون ومكناسة وغيرها. يكون مقيما فإذا أحس بقافلة خارجة اعتراه داعي السفر وينادي في الناس: من يعطي كذا حتى يحضر من يكتلف له بكراء الدابة التي يسافر عليها أو بعضه ويخرج، وهكذا حاله وله كرامات كثيرة.

توفى بتطاون ودفن بها عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، ودفن بداخلها وبني عليه ضريح كبير تقام فيه الصلوات الخمس، ويتبرك الناس بالدفن في جواره مقصودا للزيارة والتبرك به.

[ومن كراماته ما حكى لنا أن جماعة من أولاد اليهود بتطاون قصدوه بالإذابة كما هو شأنهم في إخفاء المكائد، فأخذ كل منهم إبرة، ومهما قرب منهم نخسه منهم واحد بالإبرة. فلما ناله منهم ذلك قال لأبائهم أنتم وجهتم أولادكم بكيدكم لإذابتي، ولابد من أولادكم الذين آذوني من أن نسلوا، فما بقي منهم واحد إلا ودخل الإسلام، والحمد لله] (471).

(470) في ط أبو جيدة.

(471) هذه الفقرة الأخيرة ساقطة من ط

العام التاسع من العشرة الرابعة

إسماعيل بن الشريف العلوي

فمنهم الخليفة السلطان المنصور، أمر المومنين الملك المشهور، أو النصر مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الذي شرفت سجالمة بأماكنه ودياره، بل وجميع المغرب وجهات أقطاره. وهو ابن محمد بن علي بن يوسف بن مولانا علي الشريف، بن حسن بن محمد بن مولانا الحسن القادم، بن بلقاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد ابن إسماعيل بن العاسم بن الإمام محمد النفس الزكية الملقب المهدي، ابن سيدنا عبد الله الكامل، ابن سيدنا الحسن المثني، ابن سيدنا الحسن السبط، ابن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء - يتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد نظمت هذا النسب الكريم في رجز متوسلا بجاههم العظيم، وهو مبتدأ من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إمام وقتنا أدام الله نصره:

يا ربنا بالمصطفى الكريم	وقسـرـبه من ربه العظيم
وبنته الزهراء وزوجها علي	وبابنها الحسن ذي الفضل الجلي
وبالمـنـني نجله الأواه	وبابنه الكريم عبد الله
وبالرضى محمد المهدي	والقاسم المعظم الزكي
ثم باسماعيل ذرة الشرف	وأحمد ابنه بتيممة الصدف
بحـسن ثم علي ابنه	ثم أبي بكر العلي في شأنه
عرفة الأرضي الكريم السؤدد	ونجله الفضل أبي محمد
ونجله يا رباً عبد الله	بالحسن الأسمى الرضى الأواه
محمد فنجله بلقاسم	بالحسن الاعظم وهو القادم
محمد فحسن الأزكى المنيف	فابنه مولاي علي الشريف
بيـسـوسف تم بنجله علي	وبابنه محمد الأرضي العلي
وبأبي ملوكنا الشريف	من لم نزل في ظله النوريفة
مولاي اسماعيل تاج الدنيا	رتبته واحدة في العليا
يا ربنا وبالعظيم الجاه	سيدنا مولاي عبد الله

رب ونجله أمير المؤمنين من أيد الله بفتححه المبين
سبدنا محمد شمس الزمان وروح عمالم الأنام في الأوان
ظل إلهنا على العباد وعينه لحاضر وباد
ورحمة الله على المسكين وفضله لذى الفسوي والدين
رب بهذا النسب المطهر المقدم المعظم المنور
أدم لنا وجوده وحفظه وهب لنا رضاك كل لحظه
واجعل علينا حرمة النبي بجسائه المعظم العلي
صلى عليه الله مسادام الدوام في كل ما له ابتداء واحتتام [472]

[كان -رضى الله عنه- إكليل ملوك زمانه، وفريد عقده وأوانه، أقام الله به الجهاد، وأحيا به الدين بالمغرب بعدما باد، وأضمر به كل ظالم معتد، وقطع به دابر كل باغ ومعاند] [473] وأعز الله به رسوم الدين بعد دروسه، وأضحك به وجه الزمان بعد طول عبوسه. وأخمد به الشرور بعد تاجيح نارها. وأحيا به المعالي بعد الأخذ بشارها. ويسط الله له اليد على المغرب فعلت أقداره، ولاحت في الأفاق شموسه وأقماره، وتكاملت في الحسن أنجاده وأغواره. وشمخ فيه ملكه، فدار بالنصر والتمكين فلكه. وانعش به كل الأرامل والأيتام، ورسمت للدين فيه أئمة وأعلام. وولاه الدهر زمامه، وأكمل السعد واليمن مرامه، فشدا بذكره صادحا، وما أحسن قول من قال فيه مخاطبا له ومادحا:

وأطلت أيام السرور فلم يعب من قال أيام السرور قصار
وجبرت من جرح الزمان فكذبت أقوالهم جرح الزمان جبار

ومن مفاخره، وكريم مآثره، أن هدأ حصونا في المغرب للكفرة، وخرّب دبارا لأهل الشرك والفجرة.

[فمنها فتح المهديّة بالمعمورة فأخذها عنوة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني عام اثنين وتسعين وألف، قيل بقتال وقيل بغير قتال وإنما أخذها بقطع الماء عنها. ومن لطف الله أن لم يمت أحد من المسلمين وغنم من كان بها من النصارى وجعل الله ذلك له من العمل المقبول الذي ينال به رضى الله. ومنها فتح طنجة، ففي رابع وعشرين من المحرم عام

[472] هذه الفقرة الطويلة المشتملة على نثر ونظم، المكونة بين معقوفتين ساقطة من نص.

[473] ساقط من ط.

تسعين وألف وقعت غزوته بها فمات من المسلمين نحو خمسين ومن الكفار نحو ثلاثمائة، وأخذ لهم قصبه منها بأربعة أبراج. ثم في ربيع الأول من عام خمسة وتسعين وألف أخذها من غير قتال فتركها الكفار وهربوا بما قذف الله في قلوبهم من الرعب منه بعد أن خربوا دورها جعل الله له ثوابها من الذخائر التي يجدها يوم لقاءه. ومنها فتح العرائش، ففي آخر شوال عام مائة وألف أنزل عليها الجيوش وحاصرها ثم أمر بإرسال البارود تحت أسوارها بحفر العملة، ثم أرسلوا فيها النيران حتى تصدعت أسوارها ففتحتها عنوة وغنم ما فيها من النصارى. وكان عددهم ألفا وسبعمائة، ومن على أسرهم بالعتق. وفرح المسلمون بهذا الفتح المبارك وصحبهم منه سرور عظيم. ومما قال في ذلك سيدنا الجدي -رحمه الله- هذه القصيدة التي هو مطلعها وذكر فيها الفتوحات المتقدمة وبمدح مولانا صاحب الترجمة:

عسلا عرش دين الله كل عرائش وهد بنصر الله حصن العرائش

إلى أن قال فيها:

هنيئًا بعز المسلمين وجمعهم وإذلال أهل الكفر أهل الفواحش
هنيئًا بنصر الله أمة أحمد وإمدادهم منه بجند مباطش
بهذا لهن عيش كل موقو بهذا ليفرح دائما كل عائش
لنا النصر والبشرى لنا بإماننا هزير الوغيا غيظ العدو المناقش
أبي النصر إسماعيل ناصر ديننا وجامي الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الثرى وهمامهم وسيد أقبال الورى دون خادش
ملك له بمن به صصار كلنا يروح ويغسدو في أجل معساش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى له الفتح في أواسطها والهوامش
أباد حصون الكفر بالسيف والقنا وما أذعنت من قبله لمبشاش
فسل عامري معمورة عن فتوحه وسل طنجة من قبيل هذا العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به كذلك ما في الأرض من كل هامش
به سعدت أهل المعارف كلها فاشرق من جذواه لهفة عاتش
نعم إنه من نبعة نبوية وفرع زكي طيب النشر عارش
لذاك ملوك الأرض طرا تهسابه فكلهم ما بين مدهى ودهش

ومسا التترك إلا في دواه دعتهم صدورهم جاشت بأعظم جاشئ
له سطوة في أرضنا هاشميين يذوب لها قلب الحسود المخادش
لك الفتح ممدود فجاهد عدونا وحشهم وما أوفى لهم كل حاشئ
فلا تخش حبا ما حست فيانه لك النصر عند الملتقى والنهاوش
عليكم من الرحمان عس كلاءه نصابكم عند اشتداد المدهاشئ
ودام لكل المسلمين ظلالكم ودمنا به في طبسات المعاشئ

وهي أطول من هذا، ونقدمت بهامها عام واحد ومائه لما ذكرنا فتح العرائش في محله [474].

بويج صاحب الترجمة بعد وفاة أخيه الخليفة مولانا الرشيد في يوم الأربعاء خامس عشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين وألف من الهجرة النبوية بهاس. وكان ثورة أهل فاس القديم عليه بن عشاء يوم الخميس [أول يوم من جمادى الأولى] (475) عام ثلاثة وثمانين وألف. وفي آخر يوم من جمادى الثانية لجؤوا إليه ورجعوا لديه فوجدوا فيه كل خير لم يظنوه وهو معدنه وأصله، فعفا عنهم وصفح ولم يمنن عليهم في ذلك. فاستكثر الله له الخبر ووقع الصلح بينهم، ورحل عنهم في ضحوة الثلاثاء التاسع عشر من رجب عام أربعة وثمانين وألف. وتمهد له ملك المغرب من أقصى الظهر، إلى أقصى وادي نون والساقية الحمراء، ومن البحر إلى أقصى الصحراء قبله. فكثرت عمارته جدا، وجدد الناس لأنام العلوم عهدا، فكانت أسواق العلم في خلافته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة.

توفي -رضوان الله عليه ورحمته- يوم السبت ثاني وعشرين من رجب عام تسعه وثلاثين ومائة وألف. وكان ابتداء مرضه في ثاني يوم من شهر جمادى الأولى من عام الترجمة. فحجبه (476) صاحبه وصيفه الخصي مرجان، فلم يره أحد منذ مرض إلى أن مات. فغسله الفقيه العلامة سيدي أحمد بن سيدي سعيد العميري، وصلى عليه العلامة سيدي الحسن بن رحال المعداني، وأدخله قبره ليلا. وكان الناس في حياته يغبطون به غابة ويتخوفون موته لما يرتقبون بعده من الفتن. وكثر منهم بطلب الله تعالى أن لا يدرك موته وأن يموت في حياته لما شهدوا في أيامه من عيش الضعفاء والأيتام، وإقامة الناس لآحيا -الضائعين أتم قيام، وإذا تتبعنا أخباره ومآثره فلا يسعها مجلد. وتقدم ذكر بعض حوادث الأعوام في أيامه.

(474) هذه الفقرة الطويلة المتشكلة على نثر ونظم أيضا المكتوبة بين معفوتين مأخوذة عن ط. وقد سقط النظم محله من ك و س. وكتبت تفاصيل فتح طبعه والمعمورة والعرائش طرأ في هامش ك. وأدمع ناسخ من هذه الطرز في نص الكتاب كعادته.

(475) ساقط من ك

(476) في المخطوطتين: فأجابه، وهو بصحيف ظاهر. والعيارة كلها ساقطة من ط.

من حوادث السنة

ثورة أهل فاس وقتلهم العامل الروسي

ومن حوادث هذه السنة في صبححة اليوم الذي ورد فيه الخبر على فاس بموت السلطان صاحب الترجمة قتل أهل فاس قائده بها الرئيس أبا علي بن عبد الخالق بن عبد الله الروسي عامل السلطان على فاس، بما أضمرُوا له من الحقد لتصرفه فبهم بالمغارم، وأخذ الحق من الظالم للمظلوم، وزجر السفهاء عن أهل المروءة، ولعدم اتخاذه منهم العمال والوتادين والمفردين وأهل الضرب والتجريد، بعد أن حاول مدافعتهم وقتالهم، ونحصنه بالدار المقابلة لباب حفاة مسجد الأندلس، وجمع الوتادين أصحابه بالعدة فلم يغنه شيء من ذلك، ودخلوا عليه في داره وقتلوه، ومثل به بين الأزقة، وقتلوا من أصحابه من ظفروا به، ولم يفلت منهم إلا من تحصن بالحرمات والاختفاء في الدور ونحوها، وعددهم نحو أربعة وعشرين. ثم اجتمع أهل فاس على أن يوجهوا اثنين من كل قبيلة من مشاهير الأشراف للسلطان الذي يبيع بمكناسة، وهو مولاي أحمد بن إسماعيل بقصد الاعتذار، فتغيظ أولاً، ثم لما أعلم بأن الموجهين له من كبار الأشراف فرح بهم وقبل اعتذارهم وشفاعتهم، وبالغ في تعظيمهم واحترامهم، ورجعوا لفاس فرحين. ووقعت هدنة بين الناس عن الحرب إلا أنهم رفضوا جميع ما كان يجري عليهم من الوظائف السلطانية، وحملوا الأسلحة وركبوا الخيل، وضع الناس بالفرح والسرور، واشتغلوا بالملاهي والاجتماع في النزعات والتنقي في اللباس والجلوس أفواجا مقبلين على اللهو واللعب والهذيان في كل متسع من أزقة فاس. ولم يكن للأحكام السلطانية نفوذ فيها في سائر المغرب، ولبس للسلطان سوى الدعاء على المنابر والاسم، وكمل العام كله على هذه الحالة، وكثر في المغرب الفتن والأهوال، فكان هذا هو الأصل للفتن التي أتت بعده. (477)

وفاة مولاي اسماعيل

وفي ثاني يوم من شهر جمادى الأولى من عام تسعة وثلاثين ومائة وألف ابتداء السلطان مولانا اسماعيل مرضه الذي توفي منه، وكانت وقاته -رحمه الله- منه في يوم السبت الثامن والعشرين من رجب العام. فكانت مدة مرضه شهرين وسبعة أيام. (وجعل الله له هذا المرض آخر عمره ليرفعه به أعلى الدرجات. لأنه آخر ما بثاب عليه الإنسان من سسده الملك الدين) وكانت مدة خلافته ستة وخمسون (كذا) سنة وسبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، البقاء والدوام لله. وتولى غسله الفقهاء، ومنهم أبو العباس السيد أحمد بن السيد سعيد العمبري. وكان الذي تقدم إماماً للصلاة عليه الفقيه العلامة أبو علي السيد الحسن بن رجال المعداني. وكل ما قيدته هنا في هذه الترجمة وغيرها من الحوادث والشواريح كله وجدته مقمداً بخط من بظن به الثقة، والعلم عند الله تعالى بكل شيء وإليه ترجع الأمور. ومن وفاته

(477) حوادث هذه السنة من الحوادث. أتبتها نسخها ولو أن فيها نساً من التكرار مع ما سبق، للفوائد الرائدة فيها ماعداً رحمه محمد بن حمدون، ناسى المذكورة في آخر حوادث هذه السنة بالحوادث خطأ، حذفها، وسرد في صلب الكتاب في السنة التالية.

-رحمه الله- إلى تمام لعام وهي خمسة أشهر وجميع العام الذي بعده كان في ذلك قتال عظيم وحروب، وتراكمت فتن في جميع أقطار المغرب وسفك في الدماء مما لا يحصى، أفضت إلى فناء خلافتي لا تحصى، ووقع نهب كثير في الأموال لا يحاط به، وكاد أن يهلك جميع من في المغرب لولا لطف الله ورحمته بالمؤمنين. ولكن لا أعقل تفصيل ذلك لصغر سني حينئذ وقلة مبالغاتي بتمعيده بقرب ذلك. وكذلك في العام الذي بعده أيضا، والحوادث والقوة بالله، والأمر لله من قبل ومن بعد. اهـ.

الاسعار وقت وفاة مولاي إسماعيل

وكانت سوم الفمخ في حين وفاته ثلاثون موزونة وهي سبع أواقى ونصف للوسق وأقل وأزيد بقليل، وسوم الشعير ثمان موزونات وعشر موزونات للوسق، وسوم الزيت خمسة عشر موزونة للقله. والقوت كله على هذا القياس فسبحان المدير الحكيم الخبير الفعال لما يريد، لا بسأل عما يفعل، لا إله إلا الله هو العلي العظيم، التقدير العليم الحكيم.

بيعة أحمد الذهبي وقيام الفتن في عصره

وفي غد يوم موته ببيع ولده أبو العباس أحمد الملقب بالذهبي على لقب أبي العباس أحمد المنصور الذهبي السعدي. بايعه كافة الجيش من العبيد وغيرهم من الأحرار والوادية وغيرهم من القبائل الجيشية وتابعهم على ذلك الكافة من العامة والخاصة سوى أهل فاس. فإنهم قد تأخرت بيعتهم بعض الأيام حتى قتلوا القائد بو علي الروسي وجماعة من أصحابه بنفس ما وصلهم خبر موت السلطان وبسعة ولده مولاي أحمد. ثم بعد ذلك بعثوا بيعتهم مع جماعتهم فقبل منهم وقال لهم «خيرا» ولم يذكر لهم شيئا آخر. وقتل السلطان بعض أهل الفواحس لأمر اقتضاه، وهدأت الفن وأربابها، ورجع أهل فاس إلى ديارهم فرحين مسرورين، وبقي في ملكه نحو من سنة وأيام، وقع فيها قتال ومشاهد عظام.

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

السلطان إسماعيل بن الشريف

الملك المظفر المنصور، والجامع لأمر خلافة المغرب المنظوم منها والمنثور، السريف الهمام مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف أخ مولانا الرشيد المتقدم. وكانت مدته السعيدة خمسا وخمسين سنة ولقد قام على ساق الجد ومهد المغرب غاية المهاد، ووطن المواطن وأمن السبل في سائر البلاد، وجمع شمل المملكة بعد اندثارها، وتلافى بالإحياء جميع أطلالها وآثارها، وسد معالم الدين، وقطع دابر أهل الزيغ المتعدين، وفتح ثغور المغرب كلها، وحرد سيف عدله حتى وصل حبلها، ورد مباءة الدين لمجاريها، وقاسى التبدائد مع أجلاف المغرب لتجاريتها. توفى رحمه الله بعد صلاة الظهر من يوم السبت ثامن وعشري رجب من السنة، ودفن بعد صلاة العشاء داخل حرم التسخ الشهير، والولي الكبير، مولانا عبد الرحمان المجذوب نفعنا الله به.

العام العاشر من العشرة الرابعة

الحسن بن رحال المعدني

فمنهم الفقيه الكبير، العالم العلامة الحافظ الشهير، صاعقة الفقه المالكي في وقته وصاحب التدريس بمكناسة الزيتون، ونادرة الزمان في كشف الأوهام والتلبيس (478) أبو علي الحسن بن رحال المعدني، أحل أعلام الزمان، وكبراء الأوان، له عارضة كبيرة في الفقه واتساع في النوازل وتدبر في الفتوى وتدبر في مجلس الأقران، فكان مبتدئ التدريس في المدرسة المتوكلية من طالعة فاس عند طلوع الشمس ويتمادى فيه إلى الزوال ولا يضجر ولا يمل ولا يكل مما بلقى عليه من المباحث ولا يعجز عن جواب، وكل ذلك ينقول تحيظ بالمرام، وكان حافظا للمذهب المالكي مرجوعا إليه في فتاويه مستحضرا لفروعه. سمعت ممن كان يحضر تدريسه أنه كان يقول أقدر من حفظه مثل ما للحطاب علي المختصر مرتين. وكان كثير المطالعة والتدريس والتفريد لا يمل من النظر، دؤوبا على تدريس مختصر خليل، له عليه حاشية كبرى منتملة على عدة أسفار متسعة النقل. وله حاشية على شرح ميارة على ابن عاصم. وله نألبف سماه الإرفاق في مسائل الاستحقاق. وكان كثير الإنصاف والتواضع سليم الصدر كريم الأخلاق، بعيدا من التصنع مصعبا في الكلام مفضالا جوادا، ولي فضاء فاس العليا، ثم تأخر عنه وأكب على التدريس، وفي آخر عمره ولي قضاء مكناسة فتولى بها قاضيا. وكان ذا عيال يلزمه قدر كثير من الزرع كل يوم، لأنه كان كثير الزوج مطلقا، فولد عدة أولاد ولم يبق من عقبه إلا رجل واحد. وكان كثير التردد إلى سيدي أحمد بن عبد الله معن، فكان يبالغ في إكرامه وبذاكره وكرمه بأنواع الأطعمة المنتخبة، لأنه كان يعجبه التنعم بأنواع الأطعمة في الأكل، فداوم مدة إقامته بفاس على الإتيان إليه لزائنته بالخفية في آخر يوم كل أربعاء ويبيت بها ليلة الخميس ويومه لفراغه من التدريس. وكان أكولا. وقد أخبرني بعض الفقهاء أنه بات عنده ضيفا فأتى بطعام كثير في إناء كبير بسبع جماعة من الناس فأكل الضيف مثل عاداته وأكل صاحب الترجمة جميع الطعام الذي بقى وشرب ما يناسبه من اللبن العقيد، فبقي الضيف متعجبا، وبات يظالم إلى أن طلع الفجر، فصلى الفجر والصبح، ثم رجع للمطالعة إلى أن خرج للتدريس، فجلس يدرس إلى الزوال على عادته، وكان مع ذلك قليل النوم لا ينام إلا القليل. وقد انفق الأطباء على أن كثرة الأكل تورث كثرة النوم، وقلته نورث كثرة السهر.

1478 كُتِبَ العبارة الأولى في ط: صاعقة العلوم التدريس. وصحفت العبارة الأخيرة في المخطوطتين فكسبت فهما: قال في كشف الأوهام والتلبيس.

أخذ عن جماعة، منهم الشيخ اليوسي، وجدنا عبد السلام بن الطيب الفادري الحسني، وسبدي سعيد العمبري، وأبو عبد الله المسناوي، وغيرهم من أهل الفقه. وأخذ عنه من أهل الفقه من لا يحصى، منهم من شوخنا سيدي محمد المدعوالكبير السرخيني، وأبو العباس بن مبارك الفلالي اللمطي، ومن غيرهم سيدي يوسف المجلدي، وسبدي محمد اليكري بن محمد الشادلي الدلائي، وسيدي محمد بن عبد الصادق الفرجي الذكالي، وغيرهم.

مرض بمكناسة الزيتون وابتدأ قراءة الشفا وهو مريض، والطلبة يدخلون عليه للمراة بداره، فتوفي ثالث رجب عام أربعين ومائة وألف (479).

محمد بن حمدون بناني المحوَّجَب

ومنه الفقه العلامة المدرس المفتي النوازي أبو عبد الله محمد بن حمدون بناني [وكان يعرف بالمحوَّجَب لكونه كان أقرن الحاجبين] (480)، ممن سلم له قلم الفتيا بفاس، وحقق الوثائق وفصولها، وما تتعلق به وتتوفر عليه كالفرائض والحساب وإتقان ألفاظ الرسوم. وله شرح على خطبة الألفية، وتقييد سماه الفوائد المشتملة في جملة الحمدلة والبسملة. وكان المرجع اليه بفاس في الفصل بين الخصوم، لكنه ما دخلت يديه قضية إلا ووقع الفصل فيها في الحين، وكان ولي الأحكام الشرعية بفاس حينئذ كثيرا ما بعصره له مفاصلة النوازل، وكان يقبض منهم الأجرة على ذلك، وزعموا أنه كان يقسم الأجرة مع من له الأحكام المشار إليه.

توفي أول ليلة السبت السادس عشر من ذي الحجة منم أربعين ومائة وألف، فبكون من أهل العام قبله، أو في آخر يوم من الشهر أو أول يوم من المحرم فاتح عام واحد وأربعين، والأول أصح، ودفن بروضة الشيخ سدي محمد مبارزة بأقصى الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

وقعة الخميس بين عدوتي فاس

ومن حوادث هذه السنة (481) وقعة الخميس بين المدينتين فاس الإدريسة وفاس العليا المرينية. وسبب ذلك اللعب بضرب الحجر بين الأحداث من كلتا المدينتين بموضع يعرف بسوق السممن عند باب السبع يباع فيه يوم الخميس، فنشبت الحرب بين المدينتين. وكان كثر ممن بفاس الإدريسة خرج لسوق الخميس على العادة بأحسن لباسه، وكان ثالث

(479) أنبئنا في هذه الترجمة نص المخطوطتين ك و س لأنه أرفى، ولم نسه على الفقر والجمل الساقطة من ط

(480) زيادة في ط.

(481) النص الطويل جدا لحوادث هذه السنة مأخوذ عن ك و س، وقد اختصر في صفحة ورع في الحوليات، وفي ثلاثة أسطر في ط.

يوم المولد الخامس عشر من ربيع النبوي، فكسر السوق الأوداية ونهبوه، وسلبوا الناس من الثياب وضربوا الرقاب، وقبضوا جميع من خرج للسوق من فاس الإدريسية وسجن بفاس الجديد، إلا من وجد مخرجاً للفرار فنجا. ومن الغد جاء إخوان الأوداية الذي مستقرهم الرياض من مكناسة الزيتون عوناً لهم. ثم يوم الأحد وقع الصلح بين المدينتين وسرحوا من سجن من أهل الإدريسية بفاس الجديد، فرجعوا لفاس الإدريسية، ورجع أعوانهم الذين أتوا من مكناسة وغمرها لمحلمهم. ثم بعد ذلك بيوم كلف السلطان أهل فاس الإدريسية بدفع ما كانوا يدفعونه لأبيه من الهدايا والوظائف في كل شهر، وهو الشريف مولاي أحمد الذهبي بن مولاي إسماعيل الحسنى السجلماسى، فامتنع أهل فاس الإدريسية من دفع شيء من ذلك قل أو جل. وكان ذلك حيلة من الأوداية لعدواتهم لأهل فاس، فسدوا له من داخله (كذا) بذلك، فشعلت نار الفتنة، وتعاقد أهل فاس الإدريسية مع بني حسن الساكنين بسايس (482)، وقد كانوا بفاس الجديدة قبل الأوداية. فحقد الأوداية على أهل فاس في الصلح المذكور، ونشب الحرب بين المدينتين، ووجه السلطان إلى الأوداية الأنفاض والمهارس، وأمرهم أن يرموا فاس بالكور والهنب، فرموا فاساً بذلك، ثم حذب من رغب السلطان فسمح، وبعث إلى فاس الإدريسية أخاه مولانا المستضى بالله، فقدم لفاس ولم يقل إلا خيراً، ثم وجهوا معه للسلطان جماعة من الأشراف وغبرهم بقصد طلب الصلح فسمح وصالح بينهم وبين الأوداية على شرط أن يرسل معهم ولده مولاي أبا فارس بقصد السولية عليهم والسكنى بالقصبة الجديدة وقبض البساتين من أيديهم. فلما رجع الأمر بهذا من السلطان صار الأمر إلى عامة فاس فتخوفوا على أنفسهم، فقالوا لا نفعل هذا إلا إذا رحلت المحلة عنا بجميع جيوشها، فأرسل السلطان إليها فرحلت فلم يفعلوا. فخرج مولاي أبو فارس من عندهم في يوم شديد المطر مغضباً عليهم، فوقع في ذلك اليوم حرب مع الأوداية فمات من ناحية الأوداية نحو أربعين رجلاً. ثم بعد ذلك رام زهل فاس الإدريسية الهجوم على فاس المرينية وأخذها من يد الأوداية، واجتمع رأى رؤسائها على الخروج لذلك. فخرج الأندلس بجمع عظيم على باب فتوح وقصدوا فاس العليا من جهة الملاح وباب الجياف (483)، لأن سورها مهتوك، واللمطيون يخرجون من باب الجيسة إليها من الجهة الأخرى، فلم يخرحوا وتربصوا. فهتمت الأوداية لذلك وأخلوا قصبه شراقة خوفاً من الاستلاء على من بها وعدم مقاومتهم للحرب عنها، لأن كثيراً منهم غائب في الضعاع لجمع أموالهم خوفاً من النهب، ودخلهم من ذلك الدهش والرعب، وعانوا من ذلك شدة عظيمة ما أوهن به أهل فاس الإدريسية وتركوا الحزم والضبط ووطنوا أن لا محالة في أخذها. فأنخر أهل النجدة والحزم والحرم المستمرون على الحرب في الحروك، وكان أكثر من حمل السلاح من أهل فاس الإدريسية ونصرد للحرب وخرج اله الأحدات الذين لا معرفه

(482) كتب في المحطونتن هكذا. باساس، ولعله مقرأ بسديد السين ولبزم جيند إضافة لام قبلها.

(483) هكذا تكتب في س أما في ك فتكتب. باب الجيف. بدون ألف. هنا وفيما يلي.

لهم به، وإذا أخرج المكحلة يفرغ لخروجها، أكرههم على ذلك رؤساؤهم وتأخروا عن الخروج معهم، وتركوا بعضهم يمشي في بعض. فساروا إلى باب الجياف فلما رأوا الأوداية أكثر من عددهم، وقلة نجدتهم ولا رئيس لهم على الحرب بل أمره باد بينهم، اختاروا من صناديدهم نحو العشرين وخرجوا على باب الجياف. فلما أبصرهم أهل فاس هربوا من غير قتال لمعرفتهم بهم بأنهم من أهل النجدة، وظنوا أنهم يتبعهم عدد عديد، فتبعوهم قسلا ورجعوا إلى فاس الجديد خوف الكرة عليهم من أهل فاس. فكان عدد من مات من أهل فاس الإدريسية نحو العشرين، ورجعوا إلى فاس منهزمين. وبقي بأيدي الأوداية أقوام من أهل فاس، فقطعوا رؤوسهم ووجهوهم لمكناسة الزيتون للسلطان. فاغتاظ السلطان على أهل فاس الإدريسية، فوجه إليهم قائده موسى الجراري -بفتح أوله وتسديد ثانيه- بعد أن أمر بتعليق الرؤوس على باب الملاح. وبعث إليه أنفاضا ومهارس، ووقع القتال بين موسى الجراري وأهل فاس الإدريسية بوطاء ابن مسفر خارج باب الجيسة، فهزموه حتى كاد أن ينفى بأبديهم، ثم جمع موسى الجراري جيش السلطان والأوداية وأحاط بالبستيون الخارج عن باب الجيسة من كل جهة، فهزمهم أهل فاس عنه، ثم إن موسى الجراري تناول صلحا بين السلطان وأهل فاس، فأنف من ذلك الأوداية فوشوا به إلى السلطان، فلما قدم عليه سجنه، فرجع أهل فاس من مكناسة وعزموا على الحصار. ثم إن السلطان سرح موسى من السجن ووجهه بمحلته إلى فاس، فنزل بظهر الزاوية خارج باب المحروق، فانقبض الأوداية عنه، فرحل بمحلته ونزل بين سبو وفاس ولم يتناول حربا مع أهل فاس. ومع هذا كله السلطان مقبل على الملتذات من الأكل والمشروب والملبوس والمنكوح والمسموع، وكثرت الغارات بين قبائل المغرب، والنهب والقطع في الطرق، وكثر الخوف، وأكل القوي الضعيف، وانقطع السبيل وكثرت إراقة دماء المسلمين.

خلع العبيد أحمد الذهبي ومبايعة أخيه عبد المالك

فلما رأى ذلك الجيش وأحسوا منه عدم النهوض والقيام بأمر المسلمين، وهم عبيد مَشْرَع الرملة الذي جمعهم الخليفة مولانا إسماعيل والد السلطان مولاي أحمد الذهبي، وتركهم بعدد عديد يزعمون أن أقل عددهم ستون ألفا من المقاتلة المرتب لهم الخراج المستقرين بمشْرَع الرملة، سوى غيرهم الذين في سائر بلاد المغرب. فاتفق رأبهم على خلع السلطان مولاي أحمد الذهبي المذكور، فخلعوه وأخرجوه من دار الملك وسجنوه يداره السى كان بها قبل ولايته الإمارة، وخطبوا بمكناسة بالصحابة فقط من غير ذكر أمر، وجعلوا أمر الخلافة للعلماء. فلما بلغ الخبر بذلك لفاس، رحل موسى الجراري بمحلته من سبو ورجع لمكناسة، وأهل محلته إلى منازلهم، ثم إن من كان من العلماء حاضرا بمكناسة أجمع على مبايعة أخيه أمير المؤمنين الخليفة مولاي عبد المالك ابن الخليفة مولانا إسماعيل الشريف الحسن السجلماسي، لنهوضه بأمر الخلافة وحزمه وضيظه وحسن سيرته وسياسته، وكثرة

عدله في الأحكام، ومحبيته للمهادنة بين الناس وتأمين الطرق وشجاعته، حسبما شاهدوا ذلك منه قبل في حياة أبيه. وكان يبيع له قبل موت أبيه بتارودانت وسائل بلاد السوس وانقبضوا عن بيعة أخيه، ووقع بينه وبين العبد حروب ووقائع ومواقف كان يواجه بهم أخوه إليه على نهر أبي الاعوان وفي غيره، مرة يكون الظفر له وأخرى لغيره، إلى أن مزقهم وقل جمعهم وقتل صناديدهم ولم يقدروا عليه، فتركوا له السوس فانعقدت له البيعة بمكناسة وتبعهم سائر قبائل المغرب، وبعثوا له بذلك وطلبوا منه القدم عليهم، وذهب أهل الغرب في جم غفير للقاءه، وزال عن أهل فاس الحصار وما كان بينهم من الضيق وتحكيم من لا خلاق له فيهم، وفرح الناس ببيعة مولاي عبد المالك، وأكثرهم فرحا أهل فاس الإدريسية، لأنهم حركوا معه فكان يحسن لهم ويواسي ضعفاءهم ويصبرهم على ما ينالونه من الأذى من عمال أبيه، فكانوا يثنون عليه ويتشيعون له في حياة أبيه، وطمعوا بولايته تهدينا للبلاد، وتأمينا للعباد، وترك ما كان يضرب على الناس من الوظائف، لأنه كان لا يريد ذلك ولا يجربها على من كان يكون عليه عاملا لأبيه، لأن الغالب على أحكامه العدل، وتيقنوا بعزل من كان من العمال وغيرهم من الجيوش عبيد وأوداية يسعى في ضرر الناس.

وكان عقد بيعته في أوائل شعبان عام الترجمة، وبعثوا بها إلى سوس مع الشرفاء والأعيان، فقدم إلى مكناسة في أواخر رمضان، فحمد جميع الناس، وخدمت جميع الفتن لهيية مولانا عبد المالك، لما يعلمون من سرعة رأيه وحركته وبطشه بالبغاة، ونجدته وشجاعته في الحرب، ومحبيته للهدنة والرفق بالرعية والإنصاف من الظالم للمظلوم. فعند قدومه شرع بقراءة العلم صحيح البخاري وغيره، وأرسل لسائر القبائل للاجتماع به فحضروا معه العبيد، فأنف جيش عبيد الرملة من ذلك. وكان أكثر الناس حرما لذلك سفيان وبني مالك. وكانوا لما مرض مولاي إسماعيل أعلمتهم زوجته أختهم حليلة السفينانية أم ولده مولاي زيدان الصغير يخبر مرضه، فتفقدوا خيلهم وعدتهم وصلحوا شأن أمرهم، كما فعل سائر قبائل المغرب، فجردوا لهم العبيد وساروا إليهم وأخذوهم على غفلة، فنبهوا جميع أموالهم من الماشية وغيرها، وأثخنوهم بالقتل رجالا وصبيانا ونساء ووثبوا على النساء والأبكار بالوطء. وذلك كله في مرض السلطان وهم لا يمنعون ولا يدفعون لظنهم أن ذلك عن أمر من السلطان. فلما مات السلطان وتحققوا بأن ذلك ليس عن أمره حقد سفيان وبني مالك علي العبيد، فكانت بينهم وبين العبيد حروب أيام مولانا أحمد، تارة لهم وتارة عليهم، فلما أحضروا في عيد الفطر مع مولانا عبد المالك مع القبائل ورأت ذلك العبيد مع ما كان لهم عليه من التحقد والعداوة بسبب من قتل من كبرائهم في حربه وأرادوا الاستيلاء عليه فنجاه الله منهم، ثم أمر القبائل بأن تعين كل قبيلة منها عددا يركب الخيل ويكون معه جيشا يجري عليهم المرنب كل سنة من بيت المال، وأخرج من الأوداية والمخازنية المتغلبين على الديوان والمشور جماعة منهم أولاد بورويس، وأولاد دليم، والدرابكة، وأولاد خليفة، والشباطمة، والمواريد، وضمهم للشبانات الذين هم باطنته، فانحرفوا عنه، وكان هو منحرفا

عنهم لما بلغه من سوء فعلهم مع الناس وما وقع بينهم وبني أهل فاس، فراسلوا العبيد في الخروج عليه، ثم إن مولانا عبد المالك استفتى العلماء في أمور شنيعة جدا شنعوها على أخيه توجب القتل لمن ارتكبها وفعلها، وكثر الكلام بها على الألسنة، لكن لم يشهد عليهم بذلك، منها طلبوا منه الإنصاف من أخيه مولاي أحمد المذكور بعض أهل فاس من لا سبب لهم في الخروج عليه ولا قدرة لهم على ذلك ولا على حرب من يريد ذلك ولا على مدافعته بقول ولا فعل، فنهبت أموالهم وحطبت أشجارهم، وهدمت دورهم بالبنب، وماتت نساؤهم وأولادهم وآباؤهم وأهلهم بالهدم، مع أن من نسب له الخروج عليه لم يتحقق منه ذلك ولم يثبت عليه، وإنما يدفع عن نفسه الأودية وغيرهم من الجيش الذين كانوا ينهبون أموالهم ويريدون الوثوب على نساؤهم كما فعلوا بالقبائل والبوادي والحواضر، فنسبوا الخروج لهم ليحصلوا ما أرادوا به فيهم، ووشوا بأهل فاس إلى مولاي أحمد ونسبوا لهم الخروج عليه، فقبل منهم ذلك من غير ثبوت لهم بذلك على أهل فاس، فأطلق يدهم عليهم، فخاض العلماء في ذلك ولم تتفق أقوالهم ولا آراؤهم في شيء، فلم يجسبوا عن شيء، واتفقوا على أن التفويض في ذلك للسلطان يجتهد ويحكم باجتهاده. فاستشار في ذلك كاتبه العلامة سيدي محمد بن محمد بن أحمد الفاسي، فأجابه بأنه لم يتم موجب قتله بما طلبه به بعض الضعفاء من المومنين من أهل فاس، فرجع عما استفتى فيه العلماء من قتله، وأرسل به إلى سجن فاس المرينية، وذلك في شهر شوال المذكور. ثم رضي عنه وسرحه من السجن بعد أن أبقاه فيه نحو الجمعة، وأرسله إلى بلدهم سجلماسة، وكان مولاي عبد المالك لما بويج بتارودانت والسوس استعمل ولده على سجلماسة ونواحيها، فلما صرف مولاي أحمد إلى سجلماسة فر من الطريق وانحاز لزواية سيدي سعيد أحنصال من أيت عطاء. وكان قيم الزاوية المذكورة ممن يشتغل بعلم الحدان، فأخبر مولاي أحمد برجوعه للملك. فلما سمع العبيد بما أخبره به قيم الزاوية المذكور عزموا على الخروج على مولاي عبد المالك وباعوا مولاي أحمد المخلوع ثانيا، وأعلنوا بذلك في صبيحة عيد الأضحى من العام، ومنعوا خطيب الرملة من ذكر مولاي عبد المالك، فخطب بمولاي أحمد، فوصل الخبر لمولاي عبد المالك ثاني يوم العيد، فجمع العلماء وشاورهم في أمر العبيد، فكتب العلماء كتابا للعبيد بنهونهم عن الخروج عليه، وأعلموهم بما في ذلك من المضرة بالمسلمين ومخالفة الشريعة وبالغوا في تحذيرهم من ذلك، وأرسلوا لهم مع الشيخ الكبير المتبرك به شرقا وغربا حيا وميتا مولانا الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملاحي الحسنبي العلمي دفين وازان، لأن العلماء لم يأتمنوا على أحد غيره من إذابتهم ووثوبهم بالقتل على من يوصل لهم ذلك الكتاب إلا بالشيخ المذكور لتلمذة (484) أكثرهم له وانتساب رؤسائهم بخدمته، فساعف العلماء فيما طلبوه منه من إيصال الكتاب إلى العبيد، فسار بالكتاب إلى العبيد ودفعه إليهم، فأجابوه

(484) كذا في س، وفي ك: لتلامذة.

بميسور من القول بما لم يتبين له منهم الرجوع عما نهاهم عنه ولا التماذي عليه، فلما شهد ذلك منهم رجوع إلى وازان وأرسل من غير كتاب مع بعض الفقهاء الذين ساروا معه صحبة الكتاب إلى العلماء بالخير. ثم أخذ مولاي عبد المالك يرسل إلى القبائل ويجمعهم، فجمع منهم عددا كثيرا، وأرسل إلى مولاي الطيب صاحب وازان المذكور ثانيا وأرسله إليهم، فكلّمهم عن الرجوع عما أرادوا من خلع مولاي عبد المالك المذكور وبيعة مولاي أحمد ثانيا، وأخبرهم عما يقع بين ذلك من الفتن وقتل المسلمين ونهب أموالهم، وعن النهي الوارد في ذلك. فسار مولاي الطيب إليهم إلى مشرع الرملة وأخبرهم بذلك كله وكلّمهم في شأن ذلك فلم يقبلوا طلبه منهم، ورجع مولاي الطيب المبعوث إليهم ثانيا إلى مولاي عبد المالك وأخبره بامتناعهم عما نهاهم عنه وتصمّمهم على خلعهم. ووصل الخبر إلى مولاي أحمد فأسرع إليهم ووصل في خلال ذلك مع يوسف احنصال، فلف معهم بني حسن على ذلك وارتحلوا معه إلى مكناسة فعزم مولاي عبد المالك على الخروج للقائهم مع القبائل التي كانت معه واجتمعت عليه، فتهمت (كذا) له الأوداية الساكنون بمكناسة، فرجع عن الخروج إليهم وعزم على قتالهم بها، فجاهر الأوداية بالخروج عليه وبيعة أخيه، وشرعوا فوراً في قتال جيشه، ولحق بهم العبيد إلى مكناسة يوم الاثنين رابع وعشرين من ذي الحجة عام الترجمة تم نادى بعض رؤساء العبيد على بعض أبواب قصبة السلطان الموالي للقصبة الخضراء بنصر أخيه مولانا عبد الله. وكانت خنانة بنت بكار المغفري زوجة مولانا اسماعيل هي الساكنة بتلك الدار الموالية لتلك الباب، فلما سمعت النداء بنصر ولدها فتحت الباب من ناحيتها، فبينما الناس يقاتلون بنواحي مدينة مكناسة إذ سمعوا بدخول العبيد القصبة، فسقط في أيديهم وخرج السلطان فاراً بنفسه فيمن خف من أصحابه بنحو ثلاثمائة، فجنب طريق فاس المشهورة وقدم فاس الأدرسية. ووقع في القصبة نهب عظيم وافتضح كثير، ونهبوا أموالا كثيرة لا يحصيها الواصف، وأعادوا الغارة على مكناسة بمثل ذلك نهباً وسبياً ووثوباً على النساء والأبكار، فالله تعالى يتولى حفهم والحكم فيه، ولا حول ولا قوة الا بالله. وكان ذلك ثاني اليوم المذكور.

ثم إن مولاي عبد المالك ترك رماة أهل فاس بقصبة مكناسة، وكانوا نحو ألفي رجل وفر بنفسه لفاس. فلما أراد الدخول إليها اضطرب رأى أهلها، فمنهم من قال لا بدخل إليها إذ لا مقاومة لنا بحرب العبيد [ونحن عاجزون عن المدافعة عنه، وأهلنا بأيدي العبيد، منهم من فر بنفسه، ومنهم من سجن، ومنهم من قال يدخل ونستعين به على حرب العبيد] (485) فإنهم لا يشكون في دخولهم إياها كما لا نسك نحن فيما يقولون وبواعدون به بأنهم ينزلون علينا ويحاصرون بها حتى يدخلوها علينا ويفعلون بنا ما فعلوا بمكناسة وقصبتها وقبائل

(485) ما بين معروضين ساقط من ك

المغرب، اللهم أن تكون قتالنا على الخليفة الذي هو ببعنه في أعناقنا وطاعته واجبة علينا وهو بين أظهرنا، نقاتل نحن وهو من خرج عليه. فصار من أراد دخوله للمدينة هم الأكثر فأدخلوه، واستوطن دار القيطون من مدينة فاس القرويين. وكما اضطرب رأي العوام في أمر دخوله مدينة فاس، اضطرب رأي علمائها، فالأكثر قالوا بدخوله فاس. ولحق به من لم يخرج عليه من القبائل وهم جيش سوس نحو العشرة آلاف، ومن أتباعه خدام المشور نحو ثلاثة آلاف بين راجل وقارس منتصبين، فاطلق حيس سوس على قتال الأوداية، فأكلوا ضياعهم وعزائبهم والمتغلبين على بلاد ساسي ونواحيه، وحاصر الأوداية بفاس المرينية وحاول أخذها، فأكثر إخوانهم المستقرون بمكناسة من الاستصراخ بمولاي أحمد وبالعبيد في إغاثة إخوانهم الذين بفاس قبل أن يدركهم فوات الاستيلاء على المدينة، فزغائهم فورا مولاي أحمد ومعه جمش، ونزل بوادي فاس بعد أن قبض بمكناسة على الحسن بن عبد فائد مكناسة الزيتون، والقائد علي بن بش الزموري، وعلى مرجان الخصى صاحب أبيه، ومحمد بن علي قاضي العبيد، ووالى جمعهم وأخرجهم من الحرمات وقتلهم صبورا وصلبوا. وسيأتي خبر حصار فاس إن شاء الله في العام بعد هذا.

*** ————— *** ————— **تذكرة المحسنين** ————— *** ————— ***

محمّد بن حمدون بناني المَحْجُوب

توفي العلامة سيدي محمد بن حمدون بناني الكبير المعروف بالمحجوب أول ليلة السبت سادس عشر حجة الحرام من السنة، ودفن بداخل روضة الشيخ مسارة من الدرب الطويل من عدوة فاس القرويين.

العشرة الخامسة من المائة الثانية بعد ألف سنة من الهجرة العام الأول منها أحمد بن علي الوجاري

فمنهم العالم الشهير، النحوي الإمامي الكبير، الأديب اللغوي الخطير، الحاذق النبيه، الذكي النزيه، الخير الدين البركة، أبو العباس سيدي أحمد بن علي الوجاري الأندلسي القضاء أصلا الفاسي دارا ومولدا. نادرة الزمان علما وعملا ومروءة وتؤدة، طلب منه توليه القضاء أهل فاس والسلطان مولاي أحمد في ولايته عليهم الولاية الأولى لما أخرج أهل فاس سيدي علي أبا عنان عن القضاء ودخل الحرمات، فامتنع الوجاري المذكور من ولاية ذلك واختفى حتى قدم لذلك غيره فخرج. وأخذ علم النحو والتصريف واللغة وأيام العرب وغير ذلك عن جماعة من الشيوخ، وعمدته هو جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وأخذ عن أخيه محمد العربي بن الطيب القادري. وأخذ عنه العربية من لا يحصون. كان دؤوبا على تدريس الألفية لابن مالك، يختصها مرتين في كل سنة أو ما يقرب منها. وكان له مجلس غاص في تدريس العربية بقصده الناس م كل نواحي المغرب لأخذها عنه، فلم يكون يشار لغيره في العربية بعد موت الشيخ المسناوي. وانتفع به جم غفير، وتخرج به غالب علماء فاس وغيرها من الواردين عليها بقصد القراءة. يقتصر في تدريسه على مهمات المسائل وتحرير المشكلات، ويستحضر اللطائف والنوادر والغرائب ينقلها في مجلس درسه مع أنظمة وأشعار لاتفة بالمقام بروحا لأهل المجلس. وقد رأيت كثيرا من الناس ممن كانوا يحضرون مجلسه يذكرون ذلك عنه ويستحسنونه. وكان أولا مجلسه بسطح المدرسة الرشيدية، فلما كثر ازدحام القراء عليه وضاق عليهم، وكان يؤذيهم حر الشمس في الصيف والبرد في الشتاء، رغب أهل المجلس الشيخ في التدريس بالقرويين لأجل الوسع، فامتنع من ذلك هضما لنفسه وتوقير المجلس القرويين، إذ كانت عادة فاس قديما لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة في العلم والدين في وقته، فكانوا ينازعون أنفسهم في هذه المرتبة. وقد أفضى الأمر اليوم إلى نساها كبير، فصاروا يستبقون للتدريس فيها من غير أهلية لمطلق التدريس فضلا عن المهارة فيه، كما قبل.

نلك المكارم لا قعسبان من لبن شيبب يماء فعادات بعد أبوالا

تم إن طله مجلس صاحب الترجمة تشفعوا له ببعض الشرفاء أن ينقل لهم التدريس إلى مكان منسج بسعهم، فتسبب الشرفاء في تنفيذ الخراج لصاحب الترجمة من وافر القرويين على أن يدرس بمسجد الأندلس، وتلك عادة مساجد فاس أن تنفذ مصالحها من وافر القرويين مع ما في ذلك من كف الإذابة من بعض ولاة السوء. ثم إن الشرفاء المذكورين تشفعوا لصاحب الترجمة في الأمرين معا: التدريس بمسجد الأندلس، وقبول الخراج، فقبل ذلك ويعى يدرس العربية بمسجد الأندلس إلى أن توفي. ولم يتزوج إلا في آخر عمره، فولد له

ولد ومات بعده من نحو سبع سنين، فلم يستمر له عقب. وكانت له ألفة مع سيدي محمد مولانا الرشيد بن مولانا الشريف الحسنى من باب رأس السراطين. وكان صاحب الترجمة يلازم مجلس المسناوى في تدريس خليل مع ما له من كلفة التدريس، وكان المسناوي لا يقطع أمرا دون مشورة صاحب الترجمة لترجيح عقله وضبط أحواله، بجزء النهار كل وقت لما أصرفه (كذا) فيه، لا يتحرك في وقت إلا فمما عن له. وفي قصر اللبل يخص الضحى للنوم.

توفي - رحمه الله - ليلة الأربعاء الحادي عشر من جمادى الثانية عام أحد وأربعين ومائة وألف، دفن ظهره بموضع عليه أثر بناء سقاية عن بسار الداخل لبوذة سيدي محمد بن عباد خارجها، موافقة أول يوم من يناير في مطر شديد وثلج وريح، ورتاد جماعة من تلامذته، منهم شيخنا العالم الصالح الصوفي البركة، سيدي عبد المجيد بن على المدعو بالزياي - رحمه الله تعالى -:

مات شيخنا الإمام، وسيدنا الهمام، الدراكة الفهام، الذي من الله به على الأنام (486) لما أراد نفعهم بعلوم الآلة النبي هي وسيلة إلى شرائع الإسلام، وجعله مصابحا يزيل عن قلوب الطلبة الظلام، وينتفعون به على الدوام، فلست (487) ترى من فيهم، إلا وعنه عقل الشوارد اليهم، ولا من لبيب أريب، إلا وعنه أقتنى الغرب، ولا من ذي ذوق سليم، وطبع مستقيم، إلا وعنه أخذ طريق الأدب القويم، وكف يعدل مسزاته وقيم (488)، ولا من ثابت الجنان، بميز بين الإساءة والإحسان، إلا ومنه تعلم إصلاح اللسان والبيان، فى مسدان الطروس بالأقلام والبنان، ولا من لامس قط ما الام، إلا ومنه عرف ما يتألف منه الكلام، ولا من حسن العبارة، إلا ومنه فهم الإشارة، ولا من دائم الاهتداء، إلا وبه كان الابتداء، ولا حسن الأشغال، إلا وبه كان له الأشغال، ولا من كسير التواضع، إلا ومن تأديبه فى التنازع، ولا من زائد اللطافة والظرافة، إلا وشرفه بالإضافة، ولا من يريد القطف، إلا وبمجالسه تعلم العطف، ولا من مجيد نجيب، إلا وكان لندائه مجيب، ولا من حسن الإلهام، جيد الأفهام، إلا بما حصل منه بالاستفهام، ولا من ناظر فى نفسه بعين التحقير، إلا ومنه تعلم التصغر، ولا من حكم غطريف، إلا ومنه تعلم المواد والتصريف، وكلا من التكسير والسلامة، والعلقة بالصحة والعمامة، ولا من سالك أوضاع المسالك، إلا ومنه تعلم ذلك، ولا من واف بالمواعد، إلا ومنه أخذ القواعد، ولا من تمسك بالقناعة، إلا وبه اقتدى فى الصناعة، ولا من اكتفى بالوقاية، إلا من أخذ منه النفاة، ولا ميز بين النفاة والتفاية، والا وحصلت له به الكفاية، ذلك قدوتنا وسيدنا وعمدتنا أبو العباس سيدي أحمد بن علال الوجاري نسيبا، اليمنى ثم الأندلسى الغرناطي ثم الفاسي. توفي رحمه الله إلى آخر ما قدمناه. ثم قال: فقلت أرثيه على سبيل الاستطاعة:

486) كذا فى س، وفى ك: الذي آثره الله على الأنام.

487) فى المخطوطتين: فليت، وهو تصحيف.

488) كلمة «يقوم» غير واضحة فى س وساقطة من ك. وهى التى يقتصها السياق،

العنين جادت بدمع جبار
أسفاً وحقاً ليّ التأسف كيف لا
ما شدّ ما ألفت من فقد الألى
لهفى على ما فاتني من قُربهم
لو كان لي بعض الحجا للزيمتهم
إذ كل حال غبّر تين مناهج
لو حلّ وحش الفبر ففرّ وجاره
فالآن لم يبقّ البعاد بمهجتي
لله صبّ غصه الأشياخ فد
لله قلب فرقه الأشياخ قد
هذا وإن ختامهم مسك الهدى
الماجد الأرضى المجد المرتضى
(كـلذا) أريحى لم يزل
ما إن رأيتُ بمثله في فضله
بكت السماء وظال فسه بكاؤها
وبكته أرض وهي أجدر بالبكا
قد طال ما زان المدارس درسه
ولطالما أدنى العويص إلى الحجا
ما أنس لآ أنسى مجالسه وما
ما ذرت الشمس المنيرة دائماً
بالبشر بل بالبشر بل بالخلق بل
في مجلس التدريس كنا أنجماً
لا غررو إن هبت رباح أزعجت
يا هل ترى الغيم المغطى بدرها
أم هل تراني صابراً بعند التوى
ما لي على حمل التوى من طاقة

والقلب ذاب أسى لخطب جبار
وأنا المصاب ببحري الأبحار
كُنّا بهم من أربح التسجار
وتساعلي باللهو والميسار
وإذا انفصلت لزمّت قبر وجار
لمهالك ومراتع الفجار
بطلت لشهاد حبله الأوجار
ولمقتلى من ساكن أو جار
أسقته كاساً سأل من زنجار
صارت له في الفعل كالمنجار
بحر النداء غوث النداء الوجار
المنتفي من لبّ خبير نجار
بوصي كما يوفي بحق الجار
غرباً وشرقاً أو لدى زنجار
حتى رمّت بالودق والأحجار
ويكته أطيّار على الأشجار
من قسبة سُفلى ومن أجار
فبصر سهلاً وهو م الأوعار
يجسرى بها من غامض أو عار
إلا له نفع بلا إضرار
بالصّفح عمّا كان من أوزار
هو بدرها المتلالى الأنوار
غيماً أكنّ البدر في الأسنار
يُسقي بأفق الجسو من دينار
كسلاً جرزعت وليس زندي بوّار
عظم المصاب وما قدرت أوّاري

مَنْ ذَا الَّذِي بِخُلَاصَةِ يَشْفِي الظُّمَأ
 مَنْ ذَا لِأَفْعَالٍ وَأَسْمَاءٍ وَمَنْ
 مَنْ ذَا لِقَامُوسٍ يُغْوِصُ لِيَقْتَنِي
 مَنْ ذَا لِأَدَابٍ وَكُتُبٍ نَوَادِرِ
 مَنْ ذَا لِتَدْرِيسِ الْمَقَامَاتِ الَّتِي
 سِيَمَا وَكَانَ يَخْصُّهَا بِقِرَاءَةٍ
 حَازَ الْحِلَاوَةَ وَالطَّلَاوَةَ كُلَّهَا
 مَنْ كَانَ ذَا عِوْنٍ عَلَى أَمَالِهِ
 لَا تَعْتَقِدُ أَنَّ الْجَزِيرَةَ وَحْدَهَا
 هَذَا النَّوَى قَسْدَ هَاجِ قَلْبِي فَاذْكُرِي
 بِاعَاذِلِي كُنْ عَاذِرِي لَا تَلْحَنِي
 مَاذَا تَرَى فِيمَنْ مَضَتْ أَشْيَاخُهُ
 بِوُجُودِهِمْ قَدْ كُنْتُ فِي رَغْدِ الْمُنَى
 فَلَمَنْ أَبْرَحَ الْيَوْمَ بِالسُّكُوتِ إِذَا
 إِنَّ الَّذِينَ كَرَعْتُ مِنْ حِيَاضِهِمْ
 وَفَهَمْتُ مِنْ أَوْصَافِهِمْ وَلَزِمْتُ مِنْ
 وَطَرْتُ فِي أَنْوَارِهِمْ وَرَكِبْتُ فِي
 وَغَرَقْتُ فِي إِجْلَالِهِمْ وَشَرِبْتُ مِنْ
 وَوَعَيْتُ عَنْهُمْ مَا تَحْمُلُ خَاطِرِي
 ذَهَبُوا وَخَلَوْنِي لَوْجَهِي هَائِمًا
 تَسْوِي إِلَيْهِمْ ذُو زِيَادٍ مِنْلَمَّا
 لَوْ كَانَ شَيْخٌ يُفْتِنْدِي مِنْ مَوْنِهِ
 لَا يُبْعِدُ الرَّحْمَانَ أَشْيَاخًا لَنَا
 كَمْ قَدْ مَدَدْتَاهُمْ عَلَى لِحْدِ الثَّرَى
 فِي قَلْبِي صَبْرٌ لِلَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ
 مَا هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْبَةُ غَسْرُ مَا

وَيَأْوُضِحُ يُطْفِي لِهَسْبِ أَوَارِ
 لِلنَّحْوِ حَقِيقَةً بِذِي الْأَعْصَارِ
 مِنْهُ الصَّحَّاحُ وَيَاتِي بِالْأَذْخَارِ
 وَكَمَا بِكُلِّ الشَّعْرِ مِنْ أَسْرَارِ
 أُرَبِّتُ عَلَى السُّوَارِ وَالْأَزْهَارِ
 فِي فَصْلِ نَيْسَانَ وَفِي إِشَارِ
 وَمِنْ الظَّرَافَةِ فَسَازِ بِالْإِكْثَارِ
 فَأَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ أَنْصَارِ
 مِنْهُ خَلْتُ بِلِ سَائِرِ الْأَمْصَارِ
 هَلْ مِنْ دَوَاٍ لِلْقَلْبِ وَالْأَبْصَارِ
 فِيمَا تَرَى مِنْ دَمْعِي الْمِدْرَارِ
 وَغَدَاً فَرِيدًا كَاسِفَ الْأَقْمَارِ
 أَجْنِي الْجَنَّا مِنْ مَطْعَمِ أَوْ قَسَارِ
 مَا هَالُ خَطْبٌ مُثْقَلُ الْأَوْقَارِ
 وَرَفَعْتُ فِي رِيَاضِهِمْ أَبْصَارِي
 آدَابِهِمْ مَا لَاقَ بِالْحَدْفَارِ
 أَنَارِهِمْ مِتْنَانِيًّا حُدَّ بَارِ
 سَلْسَالِهِمْ وَشُفِبْتُ بِالْمِصْطَارِ
 وَرَوَيْتُ عَنْهُمْ مُسْتَدَّ الْأَخْبَارِ
 ذَا حَسْرَةٍ وَالدَّمْعُ كَالْخِرْخَارِ
 يَشْتَاقُ خَيْرًا صَاحِبُ الْأَخْيَارِ
 لَقَسْدَتْهُمْ بِالرُّوحِ وَالْأَعْمَارِ
 أَفْنَاهُمْ حَسْدَانٌ دَهْرٍ سَارِ
 مَسَا أَبَ مِنْهُمْ آتِبُ لِلدَّارِ
 صَبْرٍ تَجَرَّعَهُ مِنَ الْأَقْسَارِ
 قَدْ شَيْبَ بِالْأَقْدَاءِ وَالْأَقْدَارِ

قَارِ بِهَا ذُو الْجَهْلِ فِي رَعْدِ الْمَنَى
 كَمْ أَذْكَرْتَنِي حَالَهَا طَبَعَتْ عَلَيَّ
 غَرَارَةٌ غَدَارَةٌ خُدَاعَةٌ
 مَا إِنْ تَدُومُ لِحَالَةِ بِلٍ لَا يُرَى
 آلتٌ بِمَسْنَأْ أَنْهَسَا طَوْلَ الْمَسْدَا
 فِإِذَا يَمُوتُ الْمَرْءُ يَوْمًا زَهُونَا
 عَلَلْتُ قَلْبِي سَابِنَ عِلَالٍ بِكُمْ
 الْمُتَّفِينِ الصَّادِقِينَ الْمُفْتَقِي
 الْحَاثِرِينَ الْفَضْلَ أَجْمَعَ وَالثَّقَى
 فَلَحَفْتَهُمْ وَتَرَكْتَنِي حِلْفَ الْأَسَى
 فَسَقَى الْإِلَاهُ ضَرِيحَهُمْ بِسَحَابٍ
 وَسَقَى ضَرِيحَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مُرْتَنَةً
 وَعَلَى الْجَمِيعِ تَحِيَّةٌ مَا غَرَدَتْ
 وَأَتَمُّ رِيحَانٍ وَرِيحٍ دَائِمٍ
 وَأَعْمُ رَضْوَانٍ وَأَهْنَى رَاحَةٍ
 وَبِهَا اللَّيْبُ مَلَازِمُ الْأَكْسَادِ
 بَا خِاطَبَ الدُّنْيَا أَفْهَمَنْ تَذَكَّرَ
 لِدَاغَةَ لِدَاغَةَ كَالنَّارِ
 إِلَّا تَفَلُّبُهَا عَلَى أُطْوَارِ
 لَا تَسْتَسْقِصِيمُ لِنَسَالِدِ أُطْوَارِ
 بَلَغَ الْمُنَا مِنْ سَسَائِرِ الْأُطْوَارِ
 لَمَّا اعْتَرَّتَنِي فُرْقَةُ الْأَخْيَارِ
 بِفَسْعَالِهِمْ وَالْقَادَةَ الْأَخْيَارِ
 مَا مَثَلُهُمْ فِي سَائِرِ الْأَقْوَارِ
 وَالِدَمْعُ فِي الْوَجَنَاتِ كَالْأَسْطَارِ
 مِنْ رَحْمَةٍ تَنْهَلُ بِالْأَمْطَارِ
 قُدْسِيَّةً مَخْتُومَةَ الْأَعْطَارِ
 قُمْرِيَّةُ الْبَيْسَاءِ فِي الْأَيْكَارِ
 مَا أَحْتَاجَتِ الْأَنْظَامُ لِلْأَفْكَارِ
 مَا حَنَّ وَحَشَّ الْقَفْرِ لِلْأَوْكَارِ (489)

ارتكب ناظمها أموراً لا يعتد بها إلا من له يد في ذلك، فمنها قوله في البيت الثامن عشر (490) منها: وهو م الأوعار، أراد وهو من الأوعار محذوف منه نون من، وهي لغة بني خثعم من قبائل اليمن على حد قول الشاعر:

لَقَدْ ظَفِرَ الزَّوَارُ أَقْفِيَةَ الْعِيدَا
 بِمَا جَاوَزَ النَّمَالَ مِ الْأَسْرِ وَالْقَتْلَا

ومنها التزام ما لا يلزم في قافية سبعة عشر بيتا من أولها، وفيها أنواع كثيرة من البلاغة ينحقتها من مارس شيئا من علوم اللسان، فلذلك استوعبنا نقل أبياتها مع طولها. ولصاحب الترجمة منزلة في قلوب الخاصة والعامه من أهل فاس (491).

489) بقمب بعض أبيات هذه القصيدة مكسورة وكلمات منها غير واضحة بسبب تحريف النسخ أو محو أو تمزق في مواضع من س.

490) في المخطوطتين: الثاني عشر. وهو تصحيف.

491) اختصر برحمة أحمد الوحاري في صفحة واحدة في ط وسقط منها فيما سقط هذه المرساة الطويلة.

محمد بن عبد الرحمان الدلائي

ومنهم الفقيه العالم العلامة الشهر، الخطيب البليغ الواعظ المحقق الكبير، الفصيح البليغ الحافظ المؤرخ النسابة الأثير، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان بن سيدي أبي بكر الدلائي، تقدمت ترجمة أبيه وجده. وكان صاحب الترجمة أحد أعلام الزمان، علماً وديانة، وعلو شأن، ومنزلة في اللغة ومكانة. ممن بحرر العلم وفسده، ويحسن النظم والنثر ويجسده، وممن إلبه المرجع وعلسه في وقته التّعويل، في علوم الإنشاء والبلاغة والنرسيل. يبهر بفصاحته الألباب، ويأتي في خطبه بالعجب العجاب. وله في ذلك الفلم الأعلى، والفضل الأجل، والقدر الأعلى [تحققت ذلك بما وقفت عليه من أنظامه، وتلغيته ممن مارس حضور خطبه وكلامه] (492)

ألف تأليف، منها تأليف في السيرة النبوية مشتمل على جزء يسع مجلداً، ومنها منظومة سماها درة التيجان، ولقطة اللؤلؤ والمرجان جمع فيها مشاهير شرفاء المغرب. وقد أبدى فيها من حسن العبارة، ولطيف الإشارة، والقيام بالأدب مع الشرفاء، ومحبة الرسول المصطفى، وأوردها من مناهل التحقيق، ومن التصريف العتيق، ما لا يشك عاقل أنه من السحر الحلال، بل لا يخفى إلا على جهول أو مضمّر شر تائه في مهاوي الضلال، ممن استولى عليه الجمود، وبلغ إدراكه الغاية في الاضمحلال (والجحود). ولي أولاً الخطابة في المدرسة المتوكلية بطالعة فاس، ثم وليها بعد ذلك في مسجد الشرفاء بعد موت خطيبها ولد عمه وشيخه سيدي محمد المسناوي، وبقي خطيباً به إلى أن أزعجه الشوق فرحل من المغرب يقصد الحج، وباع داره بسرعة وهباً نفسه وخرج مع الركب، فأدرسته الوفاة بعد أن حج بغير طوافه طواف الوداع. ولما قرب أمره انتقع لونه وجعل يدعو ويقول: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه، اللهم احبسني عنده أو اقبض روحى معه. فلم يملك نفسه للركوب (ولم يمسك نفسه على الدابة، فحمله عليها من كان معه من أهل عشرته لإزعاج الركب بالخروج) (493) فقبض الله روحه بقرب انفصاله عن البيت، فدفن بوادي فاطمة، وأجاب الله دعاءه، وحقق رجاءه.

أخذ عن جماعة، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسنى، وأبو عبد الله محمد المسناوي، [والشيخ الحسن بن رحال] (494) وغيرهم. فبرع في الفقه واللغة والسير وعلم الأنساب والأدب وغير ذلك. وكان يتنقل بالليل ويطول في القراءة والسجود، وفي أيام المصنف يفعل ذلك بعرضة داره، فخرجت زوجته تنظر إليه يوماً فرأت ضوءاً مشرقاً عليه من

(492) ساقط من ك و س.

(493) ساقط أيضا من ك و س.

(494) ساقط منهما كذلك.

السماء وبقي نحو ما نقرأ. وتخرج به شيوخ من فاس وغيرها. وقد رأته مرة واحدة في صغري وهو يخطب على منبر جامع الشرفاء وأنا بالباب الموالي لسوق العطارين داخل المسجد، وصوته يبلغ نواحي المسجد كله إذ كان صيناً جداً - رحمه الله تعالى - (495)

أحمد بن العربي ابن سليمان

ومتهم الإمام الحافظ المحدث الفقيه العلامة المدرس المحقق النفاع، الذي حصل له من كل فن باع، أبو العباس سبدي أحمد ابن التاجر الخير الدبن البركة سبدي العربي ابن الوجيه الزويه الحاذق الإخباري الحاج سليمان الأندلسي الفاسي، اشتهروا بفاس بابن سليمان، و [عقبه] هم الفاطنون اليوم بجزء ابن عامر من عدوة فاس القرويين، مشتهر بيئتهم يطلب العلم والدين والمروءة والحسب. كان صاحب الترجمة أحد علماء فاس، واشتهر بتدريس علم الحديث والسير والتفسير وغسر ذلك. حفظ اصطلاح ذلك ومارس كتبه. قرأ على سبدي محمد بن عبد القادر الفاسي، وولده سيدي الطيب، وسيدي محمد بن أحمد القسطيني، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. ومحل تدريسه بمسجده الذي كان يؤم به، وهو الجامع المعروف بجامع الزليج بين قنطرة الرصيف ورحبة التبن من فاس القرويين، فانتفع به كثير من عامة تلك الناحية وخاصتهم وكان مولعا بنسخ الكتب، فإذا أفضى من التدريس والمطالعة بنسخ الكتب، فنسخ كتباً عديدة، فلا تراه إلا مدرسا أو مطالعا أو ناسخا أو مصليا أو تالبا لكتاب الله عز وجل مقبلا على شأنه فيما يعنيه. ومن براعته في ذلك أنه نسخ نسخة من ابن حجر على البخاري في سفر واحد، وهو عند حفدته الآن. وممن قرأ عليه ولده الفقيه العلامة المدرس العدل الأرضي أبو عبد الله سيدي محمد، وغيره.

توفي صاحب الترجمة عام واحد وأربعين ومائة وألف، ودفن بداره بجزء ابن عامر عدوة فاس القرويين - رحمه الله تعالى - .

محمد الكبير الصقلي الرُداني

ومتهم الشريف الصالح البركة مولاي محمد بن علي الصقلي الحسبني، دعي بالكبير لكبر سنه، وبالرُداني لإقامته بمدينة تاردانت. كان في أول أمره من أهل التجارة حتى حصل له منها مال كثر جدا، فُنهب له في وفعة مراكش وناردانت لثورة مولاي محمد بن مولاي إسماعيل الحسبني بتلك النواحي، ثم اتبع ذلك بحرق الرسوم التي في مضمونها ما له على الناس من الدبون اشتملت على مال عريض وقد أفلس الذين هم بذمتهم في نهب الوقعة المذكورة مع من مات منهم في تلك الحروب. فلما صدر منه ذلك توهموا أنه اختل عقله وليس كذلك. ثم تجرد وحدث الناس عنه بكرامات وخوارق، فكان من الناس من يقبل بدسه ويطلب منه الدعاء ويعظمه.

495) ابنينا في هذه الرحمة - كالعاده - من المخطوطات لأنه أوفى، والحقا به جملا معيده من ط.

توفي في رجب أو شعبان من عام الترجمة، ودفن بالمزارعة التي على رأس الشيخ ابن
عباد خارج الروضة داخل باب الفتوح من فاس الأندلس (496)

العربي ابن عيشون

ومنهم المجذوب البهلول المتبرك به الشائع الكرامات، اللائح عليه طرق الملاعبة
(497)، سدي العربي ابن عيشون الفاسي. حدث عامة أهل فاس وخاصتهم عنه بكرامات،
وخوارق وتصرفات، ولهم فيه اعتقاد. وكان يشبر لما يقع في آتى الأوقات، ويخبر
بالمغيبات. أخذ عن الشيخ مولاي التهامي بن محمد الشريف اليملحي العلمي الحسنى دفين
وزان.

توفي قتيلاً يوم عاشوراء. وكان قد وقع على مدينة فاس حرب عظيم، أحذقت بها
الجيوش من كل جهة، وقصدوا دخولها دفعة، فحاربهم أهل المدينة من أسوارها ولم يخرج
عن السور منهم إلا القليل، فهزم الله تعالى الجيوش كلها واستنفذها وجميع أهلها فردهم
خائنين. ومن صنع الله ولطفه أن لم يمت سوى صاحب الترجمة، لأنه خرج عن باب المسافرين
فأصابته رصاصة فقتلته. وحكوا أنهم منعوه الخروج أولاً خوفاً عليه، فقال إن لم تنركوني
أخرج لتدخلن على أولادكم العبيد، يشير إلى أنه المتصرف من الله في ردهم عن المدينة،
وأنه اقتدهم برقيته، هكذا زعم غير واحد والله أعلم بحقيقة ذلك. وتقدم سبب نزول هذا
الجيش على فاس، وسيذكر ما آل إليه الأمر بعد ذلك إن شاء الله.

من حوادث السنة

دخول عبد المالك إلى فاس ومحاصرة أخيه أحمد لها

ومن حوادث السنة أنه لما دخل المحرم فاتح السنة، وكان السلطان مولانا عبد المالك
ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى دخل مدينة فاس بقصد أن ينصروه ويقاتلوا من خرج
عليه مع من بمكت على بيعته من القبائل، وطمع أن يجتمع عليه قبائل المغرب وسوس،
فحاول أخذ المدينة البضاء فاس الجديد المرينية ويستوطنها لأنها دار الخلافة، ويخرج منها
الأوداية الخارجين عليه لأنها ليست لهم، وإنما هم فيها إداية على أهل فاس الإدرسيه.
فقاتل الأوداية المنحصرين بها بعد نهب ما هو عندهم خارج عنها من مواش ونحوها في
عزائبهم. وأرسلوا صارختهم للعبيد، فجاءوا مسرعين ومعهم السلطان مولانا أحمد الذهبي
ابن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى، وهم لا يتمكنون في دخولهم فاس وعيشهم بأهلها كما
فعلوا بمكناسة. ففر أهل سوس الذين جاؤوا مع مولاي عبد الملك من سوس إذ علموا أن لا

(496) ترجمة الصفي ساقطة من ط.

(497) في ك - الملاحات. وما أئعتاه عن س أنسب.

طاقة لهم بالعبيد الذين جاؤوا بمولاي أحمد فأدرك العبيد البعض من أهل سوس على وادي سبو، فنهبوا لهم كثيراً من أموالهم وبعض العيال وسلم جلهم.

في تاسع المحرم قدم على السلطان مولاي أحمد من بقي من جيشه من قبائل المغرب، فأحاطت الجيوش بمدينة فاس كالحاتم. فلما أصبح يوم عاشوراء مَبَز جيش العبيد على فاس وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقصدها دفعة واحدة، ولم يخرج لهم واحد من أهل فاس، وإنما حاربوهم من أسوارها فقط. فلم يحصلوا على شيء، فسرى عن أهل فاس بعد أن كان داخلهم دهش عظيم. ثم كتب لهم مولاي أحمد رسائل يدعوهم إلى خلع مولاي عبد الملك والدخول في طاعته، فامتنعوا، وهو في ذلك مساعف للعبيد، وإلا فقد كان حاله إنما يريد الراحة، لكن كان الأمر والنهي للعبيد، وليس له من الملك إلا الاسم بلا مسمى، وهو تابع لأمرهم ورأيهم، لا يقطع أمراً إلا بما يأمرونه به. وبهذا استعذر أهل فاس وامتنعوا من الدخول تحت حكم العبيد. ثم حمى وطبس الفتنة وبقي الحرب سجالات.

قتال بين العبيد والقبائل المناصرة لعبد الملك

تم ورد الخبر بأن سفيان وبنو مالك وشراكة وأولاد جامع والحبانية بأنهم يريدون أن يجتمعوا ويأتوا لنصر مولاي عبد الملك لأنهم بافون على عهدهم ولم يخلعوا بيعته، فوجه لهم العبيد جيشاً سار إليهم فاقتتلوا معهم قرب وادي إبنول، فانهزمت القبائل وبقي منهم قتلى كثيرون حجزهم الوادي عنهم، ومن جملة من قتل مع القبائل الوزبر المتولى جمعهم وزبر مولاي عبد الملك مولاي المنتصر بن مولاي إسماعيل الحسني، وحمل إلى فاس ودفن بروضة سدي الخياط بالدوح من فاس الفرويين، قتله الأوداية وأرسلوه مع بعض المسجونين من أهل فاس، قصدهم بذلك ليتحقق مولاي عبد الملك هزيمة جيشه. فحينئذ نشس وانقطع رجاؤه من المدد، وتدد العبيد الحصار على فاس وقطعوا الماء عن عدوة القرويين وأدنوا محلثهم لسورها، ونصبوا عليها الأنفاط والمهارس، ورموها بالكور والبُنْب من كل جهاتها، وأحاطوا بها بالاشبارات، فكان بينهم وبينها أقل من رمبة مكحلة. وربما كان رصاصهم يبلغ سطح الدور من بعض جهاتها فيصيب من يكون بالأسطحة.

ووقع ضنن عظيم بالمدينة وهدم بالبُنْب كثير، وموت من النساء والأطفال ومن لا يستطيع منعها ولا دفعها من الرجال العاجزين عن القتال. واللفظ والحمد لله مع ذلك حاصل في جميع الأمور. ونهب أهل الصحلة المرس الكبير الذي بين سبدي على ابن حرازم وسبدي الحسن الدراوي إلى سور المدينة، وحطبوا الأشجار وتجلدوا وتوقفوا على دخول فاس. وتجلد أهل فاس وأخلوا من المدينة الدور التي يصل إليها الرمي بالكور والبُنْب. وافتصروا على سكني ما لا يصل إليها، ورنسوا الحرس على الأسوار بحيث لا تخلو ممن يعمرها، وحفروا واديا خارج السور محسطة به، وآخر أبعد منه من جهة باب الجيسة، وتجلدوا للمدافعة عن أنفسهم وعن أهل المسكنة من المومنين الذين لا يستطيعون دفعا ولا منعاً

العاجزين عن القتال وعن المنع أو القبول بالقول باللسان، متوجهين إلى الله تعالى في اللطف والنجاة وإخماد الفتن، متضرعين إلى الله لاتذنين بحماه وحمى رسوله وأوليائه. وظهر من ذلك لطف عظيم في أمور عظيمة، وأهل المدينة في ذلك كله يسايرون الجيش ويخرجون له خارج السور ولا يرضون بالاعتصار عليه، وكان جيش عظيم مجموع ما بين العبيد والقائل خارجة أزيد من مائة ألف. ثم إن القبائل التي انهزمت يابنول أعادوا الجمع ثانيا لنصر سلطانهم والمدافعة عنه ما أمكنوا، وجعلوا يترقبون الفرصة كيف يصلون إليه إلى فاس من الجيش المحيط بها، واستقروا بموضع يقال له تبسة من بلاد الحسانة. وكان العبيد ينهبون زرع الحسانة الذي في أمراهم ويأتون به للمحلة. فخرج العبيد لنهب زرع الحسانة على العادة فرصدهم القبائل المجتمعة بتبسة واقتتلوا وهزموا العبيد وقتلوا رئيسهم ونهبوا لهم من الدواب ما يزيد على ستمائة. فلما وصل ذلك للعبيد أرسلوا جيشاً منهم ومن الأودية وتقابلوا للقتال بتبسة أيضاً، فغلبهم جيش العبيد وهزمهم، وتفرق القبائل في الجهات ولم يتبع العبيد إلا سفمان لكثرة حقدهم عليهم، حتى أدركوا حلتهم بالزيتون المطروح، فأوقعوا بهم وقعة عظيمة من القتل والسيبي والوثوب على النساء والأبكار بالوطء والفضيحة، ولم يكف السلاح لا عن الأطفال ولا عن الكلاب.

هتك العبيد حرمان شرفاء وزان

فلجؤوا لحرَم وزان ظنا منهم أن يتركوهم حث استحرموا به ويمتنعون، فلم يستحرموه ولم ينفعهم شئاً، واستأصلوا بغيبتهم، ونهبوا ديارهم وديار الشرفاء أهل الحرم، ولم يجيروا من استجار بالروضات وغيرها. وكانت هذه الواقعة بوزان على الناس من أعظم المصائب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال تعالى: «الذين يُؤدُّونَ اللّٰهَ ورسولَهُ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ» الآية. قال القاضي عياض: ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقيراً أهل بيته وبرهم، من إذايته صلى الله عليه وسلم إذاية أهل بيته. وفي الصحيح: (فاطمة بضعة مني) الحديث. قال الشيخ زروق: وللجزء من الحرمة ما للكُل، وللعبد من الحرمة ما لسببه الذي نسب إليه. انتهى. وفي الخبر: (سلمانٌ منَّا أهلُ البَيْتِ)، لأن سلمان كان ليهودي واشتراه صلى الله عليه وسلم وأعتقه، فسلمان من مواليه. وكانت هذه الواقعة بوزان في الخامس والعشرين من صفر.

نشيد العبيد الحصار على فاس

ورجع حينئذ العبيد من وزان إلى فاس وقد داخلهم من العجب ما أطمعهم بالاستيلاء على فاس والبطش بها فأجمعوا على دخولها. ففي رابع عشر ربيع النبوي سردوا جيشهم على أن يدفعوا عليها دفعة واحدة من كل جهة، وعلامة ذلك خروج نفص من كل محلة عند الفجر

على حين غفلة من أهلها. فكان من لطف الله أن أخبر بذلك بعض أهل المخزن (498) بعض من له الصيت بفاس بالصلاح والولامة، فذفع الرسالة التي أتته من المحلة إلى أهل فاس، فباتوا على طهر يرتقبون ذلك. فلما خرجت الأنفاض كان أهل المدينة على حذر، فإذا هم من كل حدب ينسلون إلى أسوار المدينة، وجاء العبيد بالسالمة كل سلوم يسع العشرة في الدرجة الواحدة منهم. وكانوا حفروا تحت بعض الأسوار قرب سيدي الحاج بودرهم مسنة وجعلوا فيها البارود وأرسلوا عليها النار. فمن لطف الله صعد السور بالبارود ورجع لمحلته وتعد (كذا) شبشا والحمد لله. فرجع العبيد لفسطاطهم خائبين ولم ينالوا منها شيئا. ولما طلع النهار ووضعت الحرب أوزارها أصبح قتلى العبيد صرعى على كل ناحية، وأكثرهم بباب الفتوح، وهم عدد كثير. فمن هذه الواقعة يئس العبيد من دخول فاس عنوة واستبشر أهل فاس وزال عنهم الفزع. ثم توجه العبيد إلى الخدع والمكيدة واجتهدوا في إرسال البُنب والكور، وطال الأمر وانقطع من يقوم بدعوة مولاي عبد الملك من كل موضع، فلم يبق لذلك بقية سوى فاس، وانقطع منها الصابون واللحم وجمع ماوتى به من خارجها، إلا أن الزرع والإدام كان بها كثيراً في هذا الحصار.

إبرام الصلح بين العبيد وأهل فاس

وبقى كل من الفريقين مصابراً للآخر حتى كان النصف من جمادى الأولى ترأسوا في الصلح (499) على أن تكون القصبستان والبستونان بأيدي مولاي أحمد، وبجعل فيها من يقوم بدعوته فيهم خاصة، ويكون سلطان فاس مولاي عبد الملك، ويرجع مولاي أحمد إلى مكانة وجيشه إلى محله، ويخرج مولاي عبد الملك للمحلة يصطليح مع أخيه مولاي أحمد ويرجع إلى فاس، وحينئذ يمكن مولاي أحمد من القصبستين والبستينيين. فخرج مولاي عبد الملك للصلح مع أخيه من ضريح مولانا إدريس صحبة العبيد متجلدا مظهرا عدم الإكراه عليه على الخروج للصلح والملاقة بأخيه مولاي أحمد، وذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من

(498) هنا في هامس س طرة نفسها: «هو صالح بن صالح الأودي، وكان من أصحاب السيخ مولاي السهامي، والمراد ببعض من له الصيت سيدي محمد بن التهامي المذكور كان نارلا بحومة الشرشور.

(499)ها في الحوليات زيادة تفصيل: وفي يوم الخميس الحادي والعشرين من جمادى الأولى من العام دخل المدينة الباشا سالم الدكالي ومعه بعض رؤساء الحد من العمد نحو الخمسين بعهد إبرام الصلح معهم، ودخلوا لقبه مولانا إدريس - نفع الله به - وكلموا مع أهل المدينة في الصلح سنهم وبس السلطان مولاي أحمد، وأعطوهم الأمان عن إيدنه وأمره وتم الصلح بينهم وأبرموه على ذلك معهم ودخلوا بذلك في طاعة مولاي أحمد ونصروه وخرج مولاي عبد الملك من الحرم الإدوسى مع الوصفان (بعدهما) أمته الباشا سالم الدكالي وغيره ممن معه من رؤساء العبيد وأعطوه من العهود والسرائى... منهم ومن أخيه ما لا مزيد عليه. وركبوا خيولهم وجرحوا على باب فسوح، وانفطخ القال وهدأت العنتة والطمأن الناس وطلعوا إلى مولاي أحمد لفاس الجديد وتلافوا به وقال لهم خيرا ورجعوا في أمان الله. وتلافي معه أخوه مولاي عبد الملك وحاطبه بخير، ورحلت المحلة من الغد وذهبوا إلى مكانة الزيتون على تلك الحال من الذلة والهوان وسجنوه بدار الباشا امسائل من رؤساء العبيد مدة إلى أن قتل محتوقا ليلة الثلاثاء الموافق نوايين من رجب العام - رحمه الله - وتوفي أخوه السلطان مولاي أحمد بعده نحو ثلاثة أيام أو أربعة في الرابع من شعبان العام. قيل إنه كان مريضا، وقيل إنه مات مسموماً، والله أعلم.»

جمادى الأولى. فلقبه أخوه وأظهر له البشر والبرور، ثم قبض عليه وأرسله إلى مكناسة صحبة الباشا مساهل. واشتد المرض بمولاي أحمد.

قتل العبيد عبد المالك وأحمد ابني مولاي إسماعيل

وفي آخر يوم من رجب فشا في الناس أن مولاي عبد المالك قتل بمكناسة، فسقط بأيدي أهل فاس وتحققوا أنها مكيدة من العبيد خدعهم بها. فناصروا حسند مولاي أحمد وأعلنوا بنصره. ولما رأى العبيد ما نزل بمولاي أحمد من المرض حملوه في محفة إلى مكناس وارتحلوا صحبته ولم يطلبوا أهل فاس ما اصطلحوا معهم عليه من إعطاء الفصبتين والبستيونين، وبوصوله إلى مكناس مات مولاي أحمد في رابع شعبان من عام الترجمة، وبقي كثير من الناس من يكذب بموت مولاي عبد المالك. وقوم يعتقدون حياته وأنه سيجتمع عليه جيش ويظهر. وربما باع بعضهم متاعه إلى أجل ظهوره ويخلصه المشتري منه أجلا منصرما. فلما تحقق موته بعد موت أخيه مولاي أحمد علم الناس حق من بزعم أنه حي لم يمت. وفي مدة هذا الحصار واشتغال السلطان بمكائد القتال كثر النهب والفتن بين سائر قبائل المغرب، وكثر القتل وسفك الدماء، فماتت خلائق لا يحصون، وكان أن يهلك جمع من في المغرب من خاص وعام لولا لطف الله المرجو في الشدة.

البيعة الأولى لمولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل

تدارك (الله سبحانه) عباده المؤمنين بجوده ورحمته، وجمع كلمتهم على بيعة الخليفة الإمام، أمير المؤمنين مولانا السلطان المظفر الهمام، أبي محمد مولانا عبد الله ابن الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف ابن المجاهد المناغر مولانا علي الشريف الحسن السجلماسي. فكان طالعه سعيد (كذا) ورحمه الله عم بها القريب والبعيد. اختاره الله من صميم أهل البيت الطاهرين أبناء مولانا رابع الخلفاء الراشدين. أدام الله بهم حماية الإسلام، ومتع المسلمون في ظلهم على الدوام. فبوع الخليفة أمير المؤمنين مولانا عبد الله المذكور بحضرة مكناسة دار الخلافة، فبايعه كافة الجيش وجميع الناس، ولم يتخلف عنه أحد بعد وفاة أخيه مولاي أحمد في رابع شعبان عام أحد وأربعين ومائة وألف من الهجرة النبوية. وكان حينئذ بتاقيالت فبعثوا إليه البيعة واستدعوه للقدوم إلى المغرب، فوصل إلى فاس مهل رمضان، فدخل فاس بقصد زيارة مولانا إدريس. وكان حمدون الروسي خلفه، وكان عدواً لأهل فاس، إذ كان ولد أخيه قائدهم أبو علي بن عبد الخالق ووثبوا عليه وقتلوه بعد وفاة مولانا إسماعيل. فسبوه خلف السلطان مولانا عبد الله، فأنف السلطان من فعل ذلك به وهو خلفه، وغضب ورجع مسرعاً ولم يزر مولانا إدريس. وكان دخوله من باب الفتوح. فلما وقع ما وقع وغضب ترك الدخول لمولانا إدريس والمرور به ومر على القنطرة بين المدينتين على باب النقبة على البليدة وخرج على باب الجيسة وسار إلى

فاس الجديد، فنزل بقبة النصر، فصعد إليه أهل فاس الإدريسية وبأبعوه في فاس الجديد. ففرق بين أشرف فاس وطلبتها ألف دينار ذهباً إسماعيلية، ثم رحل إلى مكناسة وأرسل لسائر قبائل المغرب ومداشره بإعطاء الخيل والعدة، فدخلهم دهش وأسرعوا في إعطاء ذلك.

امتناع أهل فاس على مولاي عبد الله ومحاصرته المدينة

وفي مهل شوال أرسل لأهل فاس بتسليم القصبتين والبستيونين لأنهما لجانب السلطنة وليست للربعية وتوعدهم إن لم يفعلوا. وتعددت الرسل بينهم وبينه فامتنعوا على ذلك خوفاً من أن يواخذوا بما أحدثوا بعد موت أبيه، فتجدلوا على الامتناع بعد أن رضوا بإعطاء الوظائف المخزنية التي كانت تلزمهم حياة السلطان مولانا إسماعيل، ويعطون المراهن منهم في ذلك، فأبى وأبوا. فأرسل لحصارهم الجيوش في النصف من شوال، ثم قدم بنفسه وحاصرهم من كل ناحية، واجتهد في رمي البُنب والكُور كأول مرة (500)، وضيق عليهم وصار يغادهم بالقتال ويراوحهم، فصابروا وأرسلوا إلى الإمام الولي الصالح سيدي أحمد الحبيب بتأفيلالت بستغيتون به ويطلبون التسفاعة فيهم، فأرسل إلى السلطان ولده سيدي حمزة وأخاه الصالح، فوصلوا إليه وكلموه فأبى إلا أن يعطوا القصبتين والبستيونين. فدخلوا لفاس ورغبوا من أهلها بذلك ماطلب السلطان، لأنه أسهل من زيادة معاداته، فأبوا، فخرجوا عنهم وجدوا في الحصار، فتعددت الوقائع معه، ثم إن الزرع غلا بفاس إذ كان أول الحصار على حين فراغ المخازن من الزرع أول دخول فصل الصيف، والزرع كله باقي بفادانه لم يحملوا منه ولا غيره شيئاً، فلما اشتد عليهم الغلاء ألقوا بأنفسهم في المهالك وخرجوا في عشية [إلى المحلة] التي قاتدها موسى الجراري بوادي المالح فوشبوا عليه ففر أو هلك واحتوى أهل فاس على جميع ما فيها ومنفضين عظيمين كانا فيها فجزوهما إلى باب الجيسة. ومثل ذلك فعل آخرون من أهل فاس بالمحلة التي كانت بسبدي أبي جسدة، واستبشر ضعفاء العقول بذلك وفرحوا. ثم بعد ذلك بأيام قامت غوغاء من بعضهم فخرجوا إلى السلطان يطلبون منه الصلح، فأبى أن يترك شئنا من شروطه، وعدد عليهم فعلاتهم، فعادوا لما كانوا عليه فبقوا مدة. ثم إن السلطان عزم على أخذ القلعتين اللتين خارج باب الجيسة فصباحهم قبل طلوع الشمس في غفلة، فاستولى جيشه عليهما، فخرج إليه أهل فاس

(500) ها زاده بيان في الحوليات: «حتى كان يرميها في كل يوم سحر السبعين من الكور وما سيف على العشر من السب، ومثل ذلك كله فلم يتضرر بذلك أحد من أهل فاس المقاتلين ولا من غيرهم... سوى ذات مرة سقطت شبه منها يوم جمعه بمسجد إدريس - بفق الله به - والإمام بخطب على المنبر، والمسجد غاص بالساء على المعارف، فلم يحترق بها سوى رجل واحد مات بالأقدام من أجل شدة الزحام عند فرار الناس من المسجد، وخرج الناس سه من غير صلا... وكان الصبان الصغار يحكون ذلك ويضحكون منه».

في الحين وجدوا في قتالهم حتى أخرجوهم منهما بعد أن أحاطوا بهم، فما أنجاهم إلا أن ألقوا بأنفسهم من الشواحق، واستولوا على من بقي بأيديهم قتلا وأسرا. فتحقق السلطان أن لا سبيل لاقتحام المدينة. ثم بعد أيام وقع الصلح معه على أن يعطوه ما طلب بشرط أن يؤخر ذلك نحو الشهرين، ويعطوه المراهن على ذلك. فخرجوا بهديتهم وفرح بهم وخلع على كبارهم، وأعطى الشرفاء والطلبة ألف مشقال فضلة دراهم، فوفوه بالشرط وفتحوا المدينة، وأسكن عبيده بالقصبتين والبستيونين، ورحل عنهم لمكناسة دار ملكه، تاسع عشر ربيع النبوي من العام الذي بعد هذا، وهو عام اثنين وأربعين (501).

تذكرة المحسنين

أحمد بن علي الوجاري

الفيقيه العلامة النحرير، الهمام المشارك الشهير، أبو العباس سيدي أحمد بن علي الوجاري، ودفن بالقوس المبني داخل روضة العارف بالله سيدي محمد بن عباد رضي الله عنه.

محمد بن محمد الدلائي

والشيخ الإمام العلامة الهمام الجامع لمحاسن الأوصاف أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان الدلائي، حصل له شوق مزعج فباع داره ومالا بدمنه وتوجه لبيت الله الحرام صحبه الركب السعيد، فلما وصل إلى مكة المشرفة وحصل منها مرغوبه وتم حجه وطاف طواف الوداع تغيير حاله وجعل يقول في دعائه: اللهم كما أبلغتني بيتك فلا تطردني عنه. اللهم أجلسني عنده أو اقبض روحي معه، فخرج وهو كذلك لم يملك نفسه للركوب فحمل، وبنفس انفصاله عنه توفي ودفن بوادي فاطمة.

(501) حوادث هذه السنة الطويلة من ك و س وقد اختصرت في نحو صفحين في الحوليات. وفي بضعة أسطر في ط.

العام الثاني من العشرة الخامسة

إدريس المشاط

فمنهم الفقيه العالم الأستاذ القاضي سيدي إدريس [بن المهدي] (502) المشاط (503) به دعي، [المنافي، هكذا هذه النسبة عند قبيلته، وقد رأيتها في رسوم قديمة مؤرخة بسنة خمس وستين وتسعمائة مجردة من غير زيادة وصف عليها في رسوم متعددة بعد ذلك التاريخ، وهي ليست محصورة في القرشي عبد مناف ابن قُصي بن كلاب، لأن النسب له لم تصل إليه إلا من أحد أولاده الأربعة: هاشم، وشقيقه المطلب، وعبد شمس، ونوفل، فيقال هاشمي، ومطلبي، وعبد شمسي، ونوفلي. هذا هو المتعارف. وإذا قيل في أحد هؤلاء مَنَافِيّ فلأيد من البيان من أي أولاد عبد مناف هو. هذا هو المعروف المذكور عند النسابين. وعبد مناف أيضا في بني عبد الدار، ولكن نسبة هذا عبيدي لا منافي، لشهرة عبد الدار. وعبد مناف أيضا في بني مخزوم، وهو والد السيد الأرقم الصحابي من السابقين الأولين. ونسبة هذا مخزومي لا منافي أيضا. وعبد مناف في بني تميم الأردم، وهو عبد مناف بن سعد بن جابر بن كثير بن تميم الأردم. ومناف معروف في بني دارم من بني تميم. وعبد مناف في بني سلول، وهو عبد مناف بن قيس بن حبشية بن سلول. كل هذا من جمهرة ابن حزم وغيرها. وقال الرشاطي: وفي عامر بن صعصعة عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. انتهى. فنسبة صاحب الترجمة محتملة لكل من ذلك على حد السواء، إلا أن بتبين ترجيح إلى أحد ممن ذكر... [504]

ولي صاحب الترجمة قضاء تادلا وخطبة مسجد الأندلس ثم سافر للحج، فتوفي عام الترجمة، ودفن بعجروود [من طريق الحجاز قرب مصر] (505).

محمد بن إدريس العراقي

ومنهم [الشريف الكبير] العالم النحوي [الشهر، المدرس الإمام، المحقق الهمام، أبو عبد الله] (506) مولاي محمد بن إدريس العراقي الحسيني [أحد أئمة النحو والعروض

(502) زيادة من ك و س

(503) في هامش ك طرة نصها: «كاتب مولاي أحمد الذهبي ابن مولانا إسماعيل الحسي».

(504) ما بين معرفتين - وهو معظم الترجمة - ساقط من ط، مثبت في ك و س.

(505) ساقط أيضا من ط، ثابت في محطوطي ك و س.

(506) ساقط كذلك من ط.

بفاس. كثر فيها تدرسه فأفاد كما استفاد، وانتفع به الحاضر والباد. ألف تأليف عديدة موجودة في مبيضتها بخط يده، وقفت منها على شرح على أرجوزه شيخه عبد السلام الفادري أخرجته من مبيضته وهو على ملكي الآن في علم السمر، وشرح على الجروسة أيضا، وحاشية عليها أيضا، وشرح على لامية الأفعال، وشرح على الجمل، وشرح على الفقه العراقي في اصطلاح الحديث، فكتب منه بسيرا ولم يكمله، وتقييد على شمائل الترمذي، وكترم من المقدمات، وقد وقفت على الجميع عند ولده شيخنا مولاي إدريس (507) فأخذ عن جماعة من شيوخنا كالإمام سبدي محمد بن سيدي عبد القادر الفاسي، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني وغيرهما. وأخذ عنه عامة من أدركنا، وتولى درس النحو بمسجد القرويين بالكرسي الذي عن يمين الداخل لها من باب الكتبيين. وتوفي في العشرين من ربيع الثاني عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ودفن في روضة ابن عبد الرزاق قرب سيدي أبي غالب من حومة سريوة داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس. وله أولاد وأحفاد كلهم علماء نبلاء بارك الله فيهم، ولهم مصنفات لم يؤلف فيها مثلهم. ورثاه الأدب اللغوي النجب سيدي عبد المجيد بن علي المدعو بالزنادي فقال:

ألا في سببسيل الله ماذا بلاقي فؤادُ محبٍ مؤلم بفراق

(507) ما بين معقوفتين ساقط من ط، سبت كله في صلب س، وبعضه في طره كد.

وهن لي من عهد العراق راق
 بحسنة بين ما فيها من راق
 وعيني كسائر الدمع صفت
 ويدر المسحي احد في محاق
 ومن بعد ذلك حات بعين دفاق
 فاستأ وعيهاها دمع مرق
 على المرقي الأرصي الشريف العرق
 إلى ميرة مكي بعير نفاق
 وما قد حوى من عافى وراق
 وأتساه فدى من معاني دفاق
 إلى غسير هذا من عنود رفاق
 حوى المكرمات مع رفيع المراق
 وحاز السببا في رفعة وراق
 ولو بلغت روي لأدسى تراق
 لهم سببه أريت على كل راق
 سري نيلة للقدس فوفى راق
 فكان نداء الجسهل أنفق راق
 على حبه (كذا) خربت رواق
 على ودهم أفنى وغسيري راق
 وإني لهم روق بغسيري راق
 تنانير من طرفي لفسرط اتسباق
 لتالي سبمط نظمت في سباق
 لحنسا رتاء روجها في سباق
 ويغندر صبأ في غناء وسباق
 وسدتم بإحراز خصال سباق
 ولو جأ شوجبيه وحسن طباق

سل النجم هل ذاق ما في ماميا
 دهنتي دواهي الدهر بغشا وفجشا
 ففلى كتيب مستهان متيم
 وكيف وشمس الأفق قد حال لونها
 وأما السما فانمرا واريد لونها
 ولما رأنتي ساهاها ح ما بها
 وما داك إلا من أساها وحزنها
 من اختصار ضم العلم للعلم والشم
 قد احتضنه الرحمان بالنحو كله
 وعلم عروس والقوافي وشيها
 إلى علم دين عاملا بحمدوده
 هو العالم العلامة العلم الذي
 وحاز النهي والفصل والعدل والتقى
 ومن لست أنسى دائما حسن درسه
 محمد الأسمى ابن ادريس نجل من
 أولئك قوه ينتنون لسيد
 رسول أتى بالدين والحق والهسدي
 عليه صلاة الله مع آله الألى
 وإني لموقوف على باب ربهم
 وإني لموقوف بخدمه بيتهم
 آل رسول الله دمسعي عليكم
 ونظمي رثاكم في بديع نظاميه
 وإني لحسان المسديح وإني
 ولكنني في ذا المقام مقصر
 لقد فسقتم آل الرسول سواكم
 فماذا عسى المخلوق يبلغ جهده

فتربوه طولَ المَدَى بفراقكم
 أمولايَ عبدَ القادرِ بنَ مُحَمَّدٍ
 افترنى صبي إخواننا رضى (كذا)
 فما الدهرُ والأنامُ إلا كَمَا نَرَى
 وإن الإمامَ الحبرَ إن غابَ شَخْصُهُ
 سَقَى اللهُ أرضاً حلَّها بهواطلُ
 عليه تَحِيَّاتٌ شَذَاهَا مُمَسِّكُ
 وجاهله مَا إن لَدَى خلاق
 ابن إدريسَ إن الصُّبرَ للأمنِ راق
 فلو يقبل الإفدا فُدى بيوان
 مماتُ حَبِيبٍ أَوْ فِرَاقُ رِفَاقِ
 فَإِنَّ الثُّنَا بَاقٍ لِيَوْمِ المَسَاقِ
 مِنَ الرُّحَمَاتِ صَوْبُهَا بِأَنْدِاقِ
 بَعْفُو وَغَفْرُ مَا لَهُ مِنْ نَفَاقِ (508)

عبد القادر بن محمد بن إدريس العراقي

قوله أمولاي عبد القادر هو وكذ صاحب الترجمة توفي أواسط جمادى الأولى عام
 اثنين وأربعين ومائة وألف.

[إدريس العراقي - الحفيد -]

والموجود الآن من أولاد صاحب الترجمة العالم المحدث أبو العلاء، مولاي ادريس
 المولى روايات السير بالكرسي الذي بباب محراب القرويين صباحاً ومساءً، والمنذري بعد
 صلاة العصر، والحلية قبله بكرسيين بالقرويين أيضاً، والإمامة بمسجد السمارن بالرصيف
 من فاس القرويين.

محمد بن محمد الفاسي

ومنهم العالم العلامة المشارك الفهامة المدرس النحرير الخطيب القاضي أبو عبد الله
 سيدي محمد بن سيدي محمد بن العلامة سيدي محمد بن المحدث سيدي أحمد ابن الصوفي
 سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجم من عدا والده. كان صاحب الترجمة من الحفاظ المتقين،
 عذب العبارة، حسن الإشارة، ممن له عارضة اللسان في التدريس والخطبة والفتوى، ولي
 قضاء فاس الجديد المرينية، ثم أحر عنه، ثم ولي الإمامة والخطبة بمسجد مولانا إدريس
 بزروهون، ثم [ولاه] (509) أمير المؤمنين الخليفة مولانا عبد الله بن المنصور بالله السلطان
 مولانا إسماعيل الحسنی (510) الخطبة والإمامة والتدريس بمسجد قصبه دار الخلافة
 بمكناسة. أخذ عن سيدي محمد بن أحمد القسطيني، وجدنا عبد السلام بن الطيب القادري،

(508) هذه القصيدة - كمعظم الترجمة - ساقطة من ط.

(509) ساقط من س.

(510) في ط: أن خطب بالسلطان مولانا إسماعيل، تم خطب بولده مولانا عبد الله

وعن شريكه بالأخذ عنهما سيدي محمد المسناوي. [وأخذ عنه كثر من طلبة فاس وغيرهم] (511). وتوفي ثاني جمادى الأولى عام اثنين وأربعين ومائة وألف، ورثاه سيدي عبد المجيد الزبادي فقال:

والموتُ للأخيارِ حقاً يصْطَفِي
فَعَلِيَّ هَذَا الْبَيِّنُ لَمْ يَتَسَعَّفِ
والعينُ تَهْمِي بالدموعِ الذرفِ
والقلبُ مستبولٌ بوجدٍ مُتَلَفِ
والوجدِ والأشواقِ أم لم يُسَعَفِ
ويلومُ في ذا الوجدِ مَنْ لَمْ يُنْصَفِ
وأعوذُ من شرِّ الفراقِ المُرجِفِ
يُنْسِيكَ مِنْ أَهْوَالِ هَوَالِ الْمَوْقِفِ
بن أحمد بن أبي المحاسن يوسف
حقاً كما نال الجمال اليوسفي
وأقَى على أعلى السنام الأشرفِ
يُغْنِيكَ عَنْ حَمْلِ الطِّبَا والمُشْرِفِ
في كلِّ علمٍ رائقٍ مُسْتَتْرَفِ
وعريضها وبسيطها المُسْتَرْفِ
بالحق والتحقق لم يتوقف
بحر المعاني سابعاً لم يتلف
كَلِفَ الْجَمِيلِ وَغَيْرَهُ لَمْ يَكْلِفِ
مَنْ قَدْ جَنَى كَلِيفاً بِغَيْرِ تَكْلِفِ
عَنَ فِي الْعُلُومِ وَغَيْرِهَا لَمْ يَأْلِفِ
طُلَّابُ عِلْمٍ قَلَّتْ يَابِدُرُ اخْتِفِ

نارُ الفراقِ أخي أَبَتِ أَنْ تَنْطَفِي
عطفاً على رَمَقِي وَلِنِ وتَلَطَّفِ
فَالجِسْمُ لَمْ تَبْرَحْ بِذَوْبٍ تَأْسَفِ
وَالسَّقْمُ يَجْرِي فِي الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا
أفهل يُسَاعِدُنِي امرؤُ في ذا الْجَوِي
كَلَا يُسَاعِدُنِي لِبَيْبٍ مُنْصَفِ
فَأعوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْ جَزَعِ النَّوِي
تَسَاهَدْتُ يَوْمَ الْبَيِّنِ هَوَالاً هَانِلاً
بمحمد بن محمد بن محمد بن
مَنْ حَازَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَجَلَالَةٍ
العالم العلامة الحبر الذي
مَنْ قَوْلُهُ فِي الْحَقِّ سَيْفٌ صَارُمُ
طَوْدُ الْفَهْمِ بِحَلِّ كُلِّ عَسِيفَةٍ
بحر العلوم طويلها ومدبدها
مَا شَتَّتْ مِنْهَا سَلٌ يُجِيبُكَ بِدِيهَةٍ
ضَمَّ الْفُرُوعَ إِلَى الْأَصُولِ وَخَاضَ فِي
نَاهِيكَ مِنْ شَهْمٍ سَرِيٍّ مَاجِدِ
كَلِفَ النَّدَا وَالْحِلْمِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ
أَلْفِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْبِرَا
وَإِذَا تَرَاهُ وَعِنْدَهُ فِي دَرْسِهِ

لو أَنَّهُ أَهْدَى إِلَى بَدْرِ السَّمَا
 نَادَاهُ دَاعِي السَّمَوَاتِ هَلْ مِنْ مُشْفِقٍ
 وَهَوَاهُ لَوْ يُفْسِدِي لَكُنْتُ فِدَاءَهُ
 صَبْرًا أَبَا حَفْصٍ عَلَى مَا قَدْ عَدَا
 لَكِنْ رَأَيْنَا الصَّبِيرَ أَحْسَنَ جُنَّةٍ
 فَتَخَذْتَهُ حِصْنًا لِكُلِّ مَلْمَسَةٍ
 اللَّهُ يُعْظِمُ أَجْرَنَا وَيُمِدُّنَا
 وَعَلَى أَبِي عَبْدِ إِلَهِ مُحَمَّدٍ
 مَا ارْتاحَ لِلأَلْحَانِ صَبٌّ مُنْشَدًا
 لِتَمَامِهِ فَضَّلَ السَّنَا لَمْ يَخْسِفِ
 لِلْقَائِهِ لَبِيٍّ وَلَمْ يَسْتَنْكِفِ
 مَنْ نَفَسَهُ بِالرُّوحِ لَيْسَ بِمُسْتَرْفٍ
 فِينَا مِنَ الأَحْزَانِ مَا لَمْ يُوصَفِ
 عِنْدَ الكُرُوبِ بِهَا اكْتَفَى مَنْ بِكَتْفِي
 فَمَنْ اسْتَجَارَ بِهِ مِنَ البَلَوِ سُفِي
 بِالْعَفْوِ وَالغُفْرَانِ وَاللَّطْفِ الخُفِي
 أَزْكَى سَلامٍ مُتَّحِفٍ وَمُشْرِفٍ
 نَارُ الفِرَاقِ أَخِي أَبَتْ أَنْ تَنْطَفِي (512)

الحسين بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدرعي

ومنهم السيد الأير، العالم الصالح الأتور، أبو محمد الحسن بن محمد بن علي ابن شرحبيل الدرعي (اشتهر تلقيبه بجده) [513] أحد أصحاب الشيخ سيدي أحمد ابن ناصر ومرافقه في رحلته الحجازيتين [514]. ولد سنة تسع - بمشاة - وسيعين - بموحدة - وألف. كان صاحب الترجمة متفنا في علوم عقلية ونقلية، وشارك شيخه أبا العباس [ابن ناصر] [515] في شيوخه، [وقرأ على أبي العباس الهشتوكي واستفاد منه] [516] له على صغرى السنوسي شرحان اتان، وثلاثة شروح على سيف النصر لشيخه أبي العباس ابن ناصر، [وجمع مناقب شيخه أبي العباس ابن ناصر] [517]. توفي بإزايته بسوس الأقصى سنة اثنتين وأربعين ومائة وألف.

حوادث هذه السنة

الصلح بين مولاي عبد الله وأهل فاس ورخص الأسعار

وفي مهل ربيع الأول النبوي من عام اثنتين وأربعين ومائة وألف [518] ابتدئت الكلمة

[512] هذه المراثية ساقطة من ط. وقد لفتنا أبياتها بحسب ما استطعنا، إذ بعض أسطوارها ناقصة من ك. وبعض ألفاظها مقلوبة أو محرفة في كل من ك و س.

[513] ساقط من ط.

[514] في ط. في رحلته الحجازية - بالإنفراد ..

[515] ساقط من ك و س.

[516] ساقط من ط.

[517] ساقط كذلك من ط. وفي بعض ألفاظها مخالفة لمخطوطتي ك و س.

[518] حوادث هذه السنة ساقطة من ط. ومن ك و س. وأبتناها نفلا عن الحوليات (ص 35 - 36)

بين الخاصة من فريق من أهل المدينة وبين السلطان مولانا عبد الله بإيقاع الصلح فتوسلوا به. ويعدده بنحو أربعة أيام خرجوا إليه مع العلماء والأشراف وبكساوي الصالحين والصبيان (من) المحاضر بالوواح القرآن وكتب الحديث ومصاحف القرآن والرغبات والرهبات، فتلاقوا به بوادي فاس، فأقبل عليهم وقال لهم «خيراً» ووعدهم به وسامحهم وعفا عنهم في كل ما كان بينه وبينهم، وقضى لهم جميع ما طلبوه منه، ومكنوه من مفاتيح القصبتين والحصنين المسميين بالبستيونين، ورجعوا من عنده فرحين مسرورين مستبشرين. وكان سوم القمح قد انتهى في مدة الحصار إلى ست أواقي للمد، وعندما وقع الصلح بين أهل فاس وبين السلطان ونصروه رجع إلى تسع موزونات للمد. ثم زاد إلى ست أواقي كما كان في أيام الحصار لقلته لا لغير ذلك. وذكر عنه أنه صير في أمد الحصار على قتال مدينة فاس ثلاثة آلاف قنطار من المال، ونحو ألف قنطار من البارود، ومثل ذلك من البُنْب والكور (519).

*** ———— *** ———— **تذكرة المحسنين** ———— *** ———— ***

مُحمد بن محمد الفاسي

العلامة الحافظ الأفضل، الدراكة الخطيب الأمثل، الماهر النحرير، بديع الحفظ والتحرير، سيدي مَحمد بن الفقيه سيدي محمد بن الإمام القاضي سيدي محمد بن إمام المحدثين سيدي أحمد الفاسي بمكناسة الزيتون عن غير عقب في ثاني جمادى الأولى من السنة، ودفن بروضة الولي سيدي أحمد ابن خضراء.

مُحمد بن إدريس العراقي

وفي العشرين من ربيع الثاني الإمام النحوي الهمام العلامة المحقق المدفق أبو عبد الله مولاي مَحمد بن الشريف البركة مولاي إدريس العراقي الحسني.

(519) في الحوليات بعد هذا ما يوجد في حوادث سنة 1143 في ط و ك و س. وهو خطأ من ناسخ الحوليات.

العام الثالث من العشرة الخامسة

تمهيد البلاد للسلطان مولاي عبد الله

استهلت هذه السنة والخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا عبد الله ابن أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل الحسنى مبسوطة يده في المغرب على جميع مدنه وقراه وقبائله ومدائمه [بسطاً مؤيداً بنصر الله وتأييده] (520)، وهو في دار الخلافة بمكناسة يخرج لملاقاته جميع من يرد عليه ويتهيأ لكل ذي شكية صباحاً ومساءً، ولا يستطيع أحد أن يحول بينه وبين كل ذي شكية قبل الوصول إليه، وأموره مضبوطة وأحكامه نافذة، وأجرى الناس على ما هم عليه في المنازل على ما قرره والده. وكذلك أبقى الناس في تولي الخطط، فلا يستطيع أحد أن ينازع أحداً في خطة وليها هو أو أبوه أو جده في عهد أمير المؤمنين السلطان الخليفة مولانا إسماعيل ابن السلطان مولانا الشريف الحسنى، ولا في مرتب من حبس أو صدقات الصالحين أو غير ذلك، وهو في ذلك كله يحافظ على إحياء ولايات والده. ويسبب ذلك كان أهل الجانب العظيم كالأشراف والمرابطين والعلماء في أقوى منعة وأعز رفعة، ومن يخرق على أحد عادة في ذلك أصلاً.

توجه خناتة بنت بكار إلى الحج

مع حفيدها سيدي محمد بن عبد الله

ثم إن أمه السيدة الجليلة الفقيهة الفضيلة خناتة بنت السيد الوحيه الفاضل النبيه الحاذق في الأخبار، ومن لأذ به يجار، ولا يصل إليه عار، حتى في الفياض والفقار، سيد قومه وعميدهم وفارسهم ومانعهم الشيخ بكار، المغفري، التمسست من ولدها أمير المؤمنين مولانا عبد الله الحسنى التوجه للشرق بقصد الحج، فأجابها لذلك، وهيأ لها جميع ما تحتاجه، ووجه معها ولده خليفتنا الآن بالمغرب أمير المؤمنين السلطان المنصور بالله، المؤيد فيما أولاه، مولانا أبا عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسنى فحج معها، فكانت في هذه السنة المباركة حجته، وأحمدت بتوفيق الله في كل حركة وجهته، وزار جده المصطفى الرسول، واتصلت الفروع مشاهدة بالأصول. ولله در من قال في مثل ذلك:

إن قيل زرتهم بما رجعتُم يا أكرم الخلق ما أقولُ
قولوا رجعنا بكل خيرٍ واجتمع الفرع والأصولُ

ولهذين البيتين حكاية، وهي أن بعض الأشراف زاروا قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم فأنشد البيت الأول منهما، فسمع البيت الثاني من الروضة المشرفة جواباً له. وهما

بالقاف المعقودة في السؤال والجواب. وتقدمت هذه الحكاية عام اثنين ومائة وألف. وقد أنعم الله على المغرب بمولانا سيدي محمد الذي هو سلطانه، وأشرق في جميع أقطاره بحمد الله يمنه وأمانه[521] أدام الله للمسلمين وجوده، وأصحاب النصر عساكره وجنوده، وتمتع المسلمون بحياته، وكان الله له في حركاته وسكناته. [ولم نقف على وفاة أحد من العلماء ولا الصالحين في هذا العام]522).

رخص أسعار القمح وسوء العلاقات

بين السلطان مولاي عبد الله وأهل فاس

وفي سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف (523) نزل المطر الغزير ورجع سوم القمح إلى أربعين أوقية للوسق. وسبب رجوعه إلى هذا السوم أن السلطان مولانا عبد الله بعث خديمه القائد علي بن عبو الشاوي المدعو ولد المجاطية لنهب زروع أهل فاس وغيرهم الكائنة داخل المدينة. فكان يدخل على الديار ويأخذ كل ما يجد فيها من القمح، فكف الناس عن شرائه بسبب ذلك فوصل سومه بعد ذلك إلى مثقالين للسوق وأقل وأكثر بشيء قليل. وكان قصده بذلك - والله أعلم - إتلاف الزروع في المدينة ليرتفع سومها ويهلك أهلها أو غير ذلك، فعامله الله بنقيض مقصوده، ويفعل الله في عباده من ذلك ما يشاء. وجعل يقتل أهل الديوان من عظماء العبيد ورؤساء الجيش وأكابر القبائل من الأحرار. وقتل نحو سبعة عشر رجلا من رؤساء رماة أهل فاس الذين كانوا معه في الحركة، وأمر بمحمد بن يوسف منهم فجر بالمحلة في أرجل البغال. وولّى على مدينة فاس حمدون الروسي فهدم أسوارها ونقل أبوابها لفاس الجديد.

521) ما بين معقوفتين ساقط من ك وس

522) زيادة من ط

523) الفقرة التالية منقولة عن الحوليات لانفرادها بها.

العام الرابع من العشرة الخامسة

محمد بن عبد الرحمان ابن زكري

فمنهم الشيخ العلامة النحوي أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن زكري الفاسي المولد والمنشأ والوفاة. [أخذ عن سيدي محمد بن عبد الله دفين وزان، ثم عن ولده مولاي التهامي، ثم عن ولده سيدي محمد الطب] (524) ومما وصفه به شيخنا سيدي عبد المجيد بن علي الزبادي ما نصه: الشيخ الإمام، الحبر الهمام، الثقة الحجة، السالك من مناهج الدين أوضع محجة، الحافظ الضابط الثبت، الحسن النعت والسمت، العلامة الفهامة الدراكة المشارك، الذي لم يعف عن الانفراد بدائرة وقته متدارك انتهى المراد منه. وللناس فيه آراء، والذي عندنا أنه قوي محقق حسبما عرفناه من تقايبه التي سمعناها من أشياخنا الذين أخذوها عنه. وشرحه لألفية الجلال السيوطي المسمومة بالفريدة شاهد بذلك، وكذا حاشيته على أوضح ابن هشام الذي أوصلها إلى المفعول المطلق ولم يكلمها، وشرح النصيحة الكافية للشيخ زروق، وشرح الصلاة المشيشية، وشرح الهمزية وشرح الحكم لابن عطاء الله، وشرح القواعد الزروقية، وتعليق على صحيح البخاري، وتفسير لمواضع من القرآن، والفوائد المتبعة، في العوائد المبتدعة. وله في النحو والبيان والمنطق والأصول والفقه والتصوف تقايد، وله أنظام كثيرة (525). هذا الذي نسب له شيخنا تلميذه سيدي عبد المجيد الزبادي، ونسبوا له تأليف أخرى مضمنها تفضيل العجم على العرب، ولم أقف على شيء منها، وقد في الرد على ما وصفوا لي تقييد، فانظروه إن شئت.

وسمعا (526) سماعا مستفيضا أنه ألف تأليفا في أفضلية العجم على العرب، ولم تر من شيوخ وقتنا من أهل الدين إلا من يعيب عليه ويُسَنع عليه غاية التشنيع، وهو جذير بذلك، لأن العرب لهم مزية على غيرهم من الخلق برسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الإمام التنسي: وخالفت في ذلك طائفة من أهل الأهواء يقال لهم الشعوبية، وهم فرقتان: فرقة تدعي التسوية، وفرقة تدعي تفضيل العجم على العرب، فبادر علماء الإسلام بالرد عليهم برسائل حسان انتهت كلام التنسي بحذف منه.

قلت: وأدلة أفضلية العرب على العجم معلومة مشهورة في الكتاب والسنة. ولم يبق قيمن خرج عنها إلا الحكم بما يحكم على أهل الأهواء، ولنورد هنا ما تيسر لنا من أدلة أفضلية العرب بعد تعريف الشعوبية من هو. قال عبد الحق الإشبيلي الأزدي المالكي في

(524) ما بين معقوفتين ساقط من ط، ثابت في صلب س، وفي هامش ك كطرة.

(525) جل هذه المؤلفات غير المذكورة في ط. وفيها إضافة: « قصيدة في المدح النبوي عارض بها هزيمة البوصيري وشرحها ونكت فيها على البوصيري مسائل يروم نقدها عليه، ويأبى الله ذلك. وسيتبين أمره في ذلك إن شاء الله هنا ».

(526) من هنا يبتدئ رد المؤلف القادري على شعوبية ابن زكري في نحو 13 صفحة لا توجد إلا في ط وحدها.

مختصر اقتباس الأنوار للرشاطي، قال في مختصر العين: الشعوبي هو الذي يُصغَرُ أمر العرب، وحكى الهروي عن الليث قال: الشعوبي الذي يصغر أمر العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم، ثم قال إن الشعوب من العجم كالقبائل من العرب. انتهى كلام عبد الحق، أنظر بقيته. وفي القاموس: والشعوبي محتقر أمر العرب وهم الشعوبية. وقد ألف زين الدين العراقي تأليفا سماه: محجة القرب بمحبة العرب. قال شهاب الدين الخفاجي في شرح الشفا: وفيه رد على الشعوبية انتهى.

قلت: وأدلة الرد على الشعوبية في السماعيات كثيرة، أخرجها أهل الصحة وغيرهم. فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه في صفته صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا قَرْنًا حَتَّى بُعِثْتُ مِنَ الْقُرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ). قال الشهاب القسطلاني: والمراد بالبعث نقله في أصلاب الآباء أبا فأباً قرناً قرناً حتى ظهر في القرن الذي وجد فيه، أي انتقلت أولاً من صلب ولد إسماعيل، ثم من كنانة، ثم من قريش، ثم من بني هاشم. فالفاء في قوله قرناً قرناً للترتيب في الفضل على سبيل الترقى من الأب الأبعد إلى الأقرب فالأقرب، كما في قولهم خذ الأفضل فالأفضل، واعمل الأحسن فالأجمل انتهى كلام القسطلاني. وأخرج الترمذي وحسنه ورجال سنده على شرط الصحيح إلا يزيد بن أبي زياد أخرج له مقروناً عن العباس بن عبد المطلب:

... قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ قُرَيْشًا جَلَسُوا يَتَذَكَّرُونَ أَحْسَابَهُمْ بَيْنَهُمْ فَجَعَلُوا مَتْلَكَ كَمَثَلِ نَحْلَةٍ فِي كَبِوَةٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ قَبِيلَةٍ تَمْ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي مِنْ خَيْرِ بُيُوتِهِمْ فَأَنَا خَيْرُهُمْ بَنًا وَخَيْرُهُمْ نَفْسًا).

قال المنوي في شرحه الكبير للجامع الصغير: فالحديث صريح في تفضيل العرب على العجم. وأخرج الترمذي وحسنه أيضاً عن سلمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بِاسْلَمَانٍ لَا تَبْغِضُنِي فَنَفَارِقَ دِينِكَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللَّهُ. قَالَ تَبْغِضُ الْعَرَبَ فَتَبْغِضُنِي). قال الترمذي إثر الحديث المذكور: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شجاع بن الوليد، وبين محل الغرابة فيه بقوله لا نعرفه إلا من حديث شجاع. وشجاع هذا هو ابن الوليد الشكوني.

قال الذهبي في التهذيب: المحدث الصالح، ثم نقل توثيقه عن ابن أبي خبيشة وعبد الخالق بن منشور، ولا يضر نفرد النقطة لأن التعدد ليس بشرط في الصحيح على المعتمد عند علماء اصطلاح الحديث كما في محله. وأخرج الطبراني والبيهقي عن أبي نعيم ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَاخْتَارَ مِنَ الْخَلْقِ بَنِي آدَمَ، وَاخْتَارَ مِنْ بَنِي آدَمَ الْعَرَبَ وَاخْتَارَ مِنَ الْعَرَبِ مُضَرَ وَاخْتَارَ مِنْ مُضَرَ قُرَيْشًا وَاخْتَارَ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ وَاخْتَارَنِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَأَنَا مِنْ خَبَارٍ إِلَى خَبَارٍ). فما حسنه الترمذي في الحديثين

المتقدمين قد ارتقى عن مرتبة الحسن إلى الصحة بكثرة طرقه المشار إليها هنا وبما ذكره بعد. وقد صرح ابن حجر في النخبة وشرحها بهذا فقال: وشكراً طرقه يصحح، وإنما يحكم له بالصحة عند تعدد الطرق لأن للصورة المجموعة قوة تجبر القدر الذي قصر به ضبط راوي الحسن عن رواي الصحيح. انتهى. فشواهد رواها عدة من الصحابة بروايات كثيرة، فرواية العباس بن عبد المطلب عند البيهقي وأبي نعيم، ورواية عبد الله بن عباس أخرجها أبو نعيم في الدلائل والطبراني والبيهقي وابن حبان والحاكم في المستدرک، والطبراني في الكبير، وابن مردويه والمرهبي والصابوني وابن عمر العدني في مسنده، ورواية أنس بن مالك أخرجها البيهقي وابن عساكر من طريق مالك بن أنس والحاكم في المستدرک، والطبراني في الأوسط، ورواية ربيعة بن الحارث أخرجها الحاكم، ورواية المطلب بن أبي وداعة أخرجها الترمذي وابن مردويه والبيهقي، ورواية وائلة بن الأسقع عن الترمذي وتذكرها فريبا، وكلها تدل على أفضلية العرب على من عداهم إما نصاً أو ظاهراً، وقد نقلها العلماء في كتبهم كالحافظ زين الدين العراقي في محجة القرب، والحافظ السيوطي في خصائصه الكبرى وجامعيه الكبير والصغير، فمن أراد الوقوف على ذلك فليراجعهم، ولولا فرط الطول لجلينا ألفاظها، وهذا كله في مطلق العرب الجامع للقحطانية والعدنانية وغيرهم، وأما الخصوص منهم فالنصوص في أفضليتهم مخرجة في الكتب الصحاح ولا يسع أحداً إنكارها. فأخرج مسلم في صحيحه عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَالدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ). وأخرجه الترمذي أيضاً في كتاب المناقب من جامعه وصححه أيضاً عن وائلة بن الأسقع مرفوعاً بزيادة: (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ وَالدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ وَالدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ) الحديث بتمامه المتقدم. ومما هو صريح في فضل العرب الإسماعيلية ماورد في كثير من الأحاديث في فضائل الأعمال، فمنه ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لَأَنْ أَعُدَّ أَذْكَرُ اللَّهِ وَأَكْبَرُهُ وَأَحْمَدُهُ وَأَسْبَحُهُ وَأَهْلَلُهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ مِنْ وَالدِ إِسْمَاعِيلَ). وما رواه الطبراني في كبيره عن أبي الدرداء: (مَنْ قَالَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ وَهُوَ ثَانِ رَجُلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَنْكَلِمَ لِإِلَهٍ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيَمُتْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ لِكُلِّ مَرَّةٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكُنَّ لَهُ فِي يَوْمِهِ حَرْزًا مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحَرَسًا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَكَانَ لَهُ بِكُلِّ مَرَّةٍ عَتَقَ رَقَبَةً مِنْ وَالدِ إِسْمَاعِيلَ ثَمَنَ كُلِّ رَقَبَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَلَمْ يَلْحَقْهُ يَوْمٌ ذَنْبٌ إِلَّا الشَّرِكُ بِاللَّهِ. وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ كَانَ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ). وهذا النوع كثير، راجع ترغيب المنذري وغيره تقف عليه. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن نسبة من بني تميم كانت عند عائشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم (اعتقها فإنها من ولد إسماعيل). وأما ما ورد في الأنصار فقوله صلى الله عليه وسلم: (لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا

يُبَغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ قَمَنَّ أَحِبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) وقوله صلى الله عليه: (آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الْأَنْصَارِ). وقال لهم: أَنْتُمْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ) قالها مرارا. وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ أَتْبَاعَنَا مِنَّا فَقَالَ: (اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَتْبَاعَهُمْ مِنْهُمْ). وقال صلى الله عليه وسلم: (وَفِي كُلِّ دَوْرٍ الْأَنْصَارِ حَبْرٌ)، وقد افنخروا بمبايعتهم عنده، فقال قائلهم وذلك في غزوة الخندق:

نحن الذين بايعوا مسحما على الجهاد ما حيينا أبدا

فأجابهم صلى الله عليه وسلم: (اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الْآخِرَةِ، فَأَكْرَمُ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ). وقال صلى الله عليه وسلم: (أَوْصِبْكُمْ بِالْأَنْصَارِ فَإِنَّهُمْ كَرِيهِي وَعَيْبَتِي (527) وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَيَقِي الَّذِي لَهُمْ فاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ). وقال: (فَإِنَّ النَّاسَ يَكْتُمُونَ وَيَقُولُ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا كَالْمَلْحِ فِي الطَّعَامِ فَمَنْ وَكَيْ مِنْكُمْ أَمْرًا يُضِرُّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ). و أما غير الأنصار فقال صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا بَعَادِيَهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَكْبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ وَجْهَهُ فِي النَّارِ مَا أَقَامُوا الدِّينَ). وقال صلى الله عليه وسلم: (قُرَيْشٌ وَالْأَنْصَارُ وَجْهَيْنِ وَمُزَيْنَةُ وَأَسْلَمُ وَأَشْجَعُ وَغِفَارٌ مَوَالِي لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ). وقال صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ).

والروايات في هذا المعنى كثيرة، ولكن اقتصرنا هنا على ما في الصحيحين أو أحدهما. وأيضاً فإن أعظم جيشه صلى الله عليه وسلم والمقاتلين معه في الحروب والوفائع العظيمة هم العرب وإن كان معهم غيرهم فقليل، وحاربوا آباءهم وأبناءهم وقتلوهم في مرضاة الله ورسوله، وبانعوه صلى الله عليه وسلم على الموت دونهم، واختصوا بهذه المزية دون غيرهم من جميع من كان حينئذ على وجه الأرض، وأثنى الله عليهم بذلك فقال تعالى: «لِلْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» الآية. وقال صلى الله عليه وسلم في أهل بدر: (وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ) راجع لفظ تمامه في البخاري وأيضاً فإن سادة هذه الأمة الذين هم العشرة سادات الأمة بالإطلاق كلهم من العرب. وكون المقاتلين والمقتولين عرب أيضاً لم يخرج من قاتلهم عن المزية، ووقائعهم في أهل الشام والعراق ومصر وغيرها معلومة معروفة. وأين بنو إسرائيل وسائر العجم من هذه المزايا. وأيضاً فإن من الفقهاء من يفرق في أخذ الجزية والاسترقاق بين العرب والعجم، ويفرق بين حكم نصارى بنى تغلب وبين حكم سائر أهل الكتاب في الجزية.

(527) أراد أنهم بطائنته وموضع سره وأمانته، والذين يعتمد عليهم في أمره. انظر النيهام، لابن الأثير (مادة كرش).

قال ابن راشد: الجزية تؤخذ من أهل الكتاب والمجوس من العجم باتفاق، ولا تؤخذ من قريش ولا من المرتدين باتفاق. فأما المرتدون فإنهم ليسوا على دين يُقرون عليه، لقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ) وأما قريش فليلمكانتهم من النبي صلى الله عليه وسلم انتهت. نقله المواق، ونقل اللخمي وغيره عن ابن وهب أن الجزية لا تؤخذ من مجوس العرب، ونقل عنه الباجي والمازري عدم أخذها من العرب مطلقا لا بقيد المجوس. وأما الاسترقاق فيجوز على مذهبا استرقاق جميع العرب، ومنع ابن وهب استرقاق قبائل قريش والأنصار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار، نقله السنهوري وغيره. ودليل قول ابن وهب ما سبق للبخاري، وليس هذا هو دليل المسألة، بل الدلائل تقدمت.

ومع ما قررنا فلا يجوز تنقيص من ليس من العرب أو من كان قريبا عهد بكفره وسلفه وحقره بمجرد ذلك، ولا سيما إن ظهر عليه وصف معظم شرعا كالدين والعلم، فإن هذا من الباطل والظلم. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ) الحديث. وقال عليه السلام في خطبة الوداع: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ) الحديث. وقال عليه السلام: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُسِيرُ إِلَى صَدْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. بِحَسَبِ أَمْرِي مِمَّنِ الشَّرُّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعَرَضُهُ وَمَالُهُ)، رواه () (528) ونصوص ذلك كثيرة.

استنكار تعبير حديثي العهد بالإسلام

وأعظم من ذلك يعبير قريب العهد بالإسلام فيقولون لمن علم قُربُ عهده بالإسلام: يا إسلامي، وقصدهم به للتعبير بالكفر الذي هو قريب عهد به، وأحدثوا له ألقابا أخرى، وذلك لا يحل، بل الواجب التسوية بين المسلم من في كل الحقوق، بل يتأكد على أهل الهمم العلية زيادة اعتناء بهم والحرص في جبر خواطرهم حتى يرضيهم أبلغ الإرضاء، ولا يلزم من هذا أن يخالطهم في الأمور المتعلقة بنفسه، فإن له الخيار في التحري عن ملاقاتهم هم وغيرهم وجميع من يتخيل فيه عدم السلامة من خلطته، فلا يلزمه الإنكاح منهم وإيهم، كما لا يلزم لغيرهم ذلك كأعيان الحواضر لأهل البوادي لأسباب، ومن أوضحها عدم الموافقة في المألوفات، فإن لكل فريق أعرافا مخصوصة به. ونص ابن الحاج على أن ذا الصناعات الدنية ليس كُفُوًا لمن هو من أهل المروءات والصنائع الجليلة، نقله عنه ابن عرفة. والنظر في الكفاة في أمور، منها الجاه كما في كلام ابن الحاجب. قال ابن رشد: والمراد به المنصب انتهى وقد تقرر أن للعرب جاهًا على غيرهم، فلا يلزم من اعتبار هذا كله النفرقة بين المسلمين، مع أن كل صنف من الناس له مألوفات وعوائد تُباين عوائد غيره، فإذا خالفها

(528) في هامش المطبوعة الحجرية: بياض بالأصول هاهنا.

تفارق ضرره، فلكل واحد أن يعتبر ما يناسبه و ماتطيب به عشرته مع زوجته أو زوجه، فلا يكون من اعتبر هذا وإن التزمه أبداً مُفرقا بين المسلمين، ولئن فرضنا السلامة من كل هذه الأوقات في الذي هو حديث عهد بالإسلام فلا يلزم أهل الشرف مناكحته للمعرة اللاحقة لهم في ذلك، وقد صرح جماعة من الفقهاء منهم القاضي عبد الوهاب بأن للناس مناكح قد عرفت لهم وعرفوا بها. وما وقع في المدونة بأن المولى كُفَّ للعربية لقوله تعالى: «إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ». رَدُّ اللّخْمِي بِأَنَّ الْآيَةَ لَا مَدْخَلَ لَهَا هَاهُنَا، لِأَنَّ مَضْمَنَهَا الْحَالُ عِنْدَ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْزِلَةُ الدُّنْيَا وَمَا يَلْحَقُ بِهِ الْمَعْرَةُ غَيْرُ ذَلِكَ، نَقْلُهُ بِهَرَامٍ وَغَيْرِهِ، وَكَمَا يَجِبُ عَلَى الْعَرَبِيِّ التَّحَرُّزُ مِنْ اسْتِحْقَاقِ الْعَجْمِيِّ وَتَنْقِصِهِ بِسَبَبِ حُدُوثِ إِسْلَامِهِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى الْعَجْمِيِّ عَدَمُ مَوَازِنَتِهِ بِمَا التَّزَمَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي شَرَعَهَا لَهُ الشَّرْعُ. وَيَجِبُ عَلَيْهِ كَذَلِكَ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنَ الْعِضِّ مِنَ الْعَرَبِيِّ وَكَرَاهِيَّتِهِ بِسَبَبِ خُرُوجِهِ مِنْ جِنْسِهِ، فَإِنَّ كِلَا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِيهِ أَنْفَةٌ مِنْ غَيْرِهِ، لَكِنْ هِيَ فِي الْعَجْمِ أَشَدَّ شَيْئًا فِي الْمَدِينِ الَّتِي فِي بِلَادِ الْعَجْمِ، وَتَعْصِبُهُمْ لِأَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ أَشَدَّ التَّعْصِبِ أَمْرٌ مَشَاهِدٌ، وَلَهُمْ تَفْرِيقٌ بَيْنَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا تَجِدُ مِنْهُ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ لِعَلْمٍ أَوْ صِلَاحٍ مِنْ جِنْسِهِمْ يَقَاوِمُ أَحَدًا غَيْرَهُمْ مِنْ غَيْرِ الَّذِي هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ. وَزَادَهُمْ فِي ذَلِكَ إِغْرَاءٌ مَا سَمِعُوهُ عَنْ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ حَتَّى أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ دَاءً عَضَالًا فِي دِينِهِمْ زِيَادَةً عَلَى أَنْفَةِ نَفْسِهِمْ، وَتَفَاقَمَ ذَلِكَ إِلَى هَوَسٍ وَتَخْلِيطٍ يَنْبَغِي الْإِعْرَاضَ عَنْهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَنْقَلِ لَنَا عَنْهُ ذَلِكَ بِطَرِيقٍ مُتَّصِلَةٍ، وَإِنَّمَا عِنْدَنَا مَجْرَدُ السَّمَاعِ، فَإِنَّ كَانَ مُبَرِّئًا مِنْهُ فَهُوَ مُرَادُنَا وَهُوَ الظَّنُّ بِهِ، وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا عَنْهُ فَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ وَيَكْرِمُنَا وَإِيَّاهُ بِرَحْمَتِهِ.

وأما ما ذكره الشيخ أبو عبد الله مباركة الأكبر في كتابه المسمى بنصبحة المغترين في التفرقة بين المسلمين فأمره قريب، وكثير مما اشتمل عليه حق وصدق، ولكن له فيه تحامل. وقد يتوجه له من العذر من أن جهلة أهل زمانه أغضبوه، إذ كانوا أشداء على هؤلاء القوم الذين هم حديثو عهد بالإسلام، وما كان يسوغ لهم إذابهم بما أجروا عليهم من العوائد التي لا تلزمهم شرعا، بل يجب زجر من ظلمهم بذلك ونهيبهم عنه، والحق أحق ما قيل، وما كان الواجب إلا معاملتهم بمقتضى أخوة الإيسان والإسلام ومراعاة حرمة النبي فيهم عليه السلام. وهذا الحكم متقرر في جميع من خرج عن العرب، سواء كان من بني إسرائيل أو من غيرهم. وقوله تعالى في خطاب بني إسرائيل: «وَأَنْتُمْ فَضَّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» وقوله تعالى: «وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ». لا يقتضي تفضيلهم على العرب حتى يعارض ما تقدم، لأن هذا التفضيل كما قال المفسرون إما أن يكون على عالم زمانهم فقط دون من بعدهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم من الأنبياء، وإما أن يكون بأشياء مخصوصة من المن والسلوى وما ذكر معهما وهو عشرة بينها المفسرون. ولا يلزم من التفضيل بأشياء مخصوصة التفضيل مطلقا. قال ابن عطية: في آية البقرة وفي الكلام انساع. قال قتادة وابن زيد وابن جريج وغيرهم: المعني على عالم زمانهم الذي كانت فيه النبوة المتكررة والملك، لأن الله تعالى يقول في أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» وقال في الآتية التي بعدها: «تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» إن قدرنا فضيلة بني إسرائيل بخصوصية كثرة الأنبياء وغير ذلك، فالعالمون عموم مطلق، وإن قدرنا تفضيلهم على الإطلاق فالعالمون عالمو زمانهم، لأن أمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منهم بالنص. انتهى. وقد أطبق عليه من رأينا من المفسرين، ولا بصح تعميمه على إطلاعه، وإلا لزم تفضيلهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الملائكة لأنهم من العالمين، وهو باطل قطعاً، أما تفضيل عمومهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر، وأما تفضيل خصوصهم عليه وهم الأنبياء الذين كانوا منهم فبدعة.

ولانزاع بين أهل السنة في أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل المخلوقين الأنبياء وغيرهم ولهم على ذلك أدلة كثيرة جداً، منها قوله صلى الله عليه وسلم: (وَيَبْدِي لَوْ أَنَّ الْحَمْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وقوله: (أَدَمُ قَمَنْ دُونَهُ نَحْتُ لَوَائِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ومنها حدث الشفاعة المخرج في الصحيحين في أهل الموقف إذ ياتون الأنبياء فكلهم يقول نفسي نفسي حتى يأتوا محمداً فسقول أنا لها، قف على لفظه بتمامه، ومنها أنه أول شافع وأول مشفع، ومنها أن الله تعالى أقسم بحياته في قوله سبحانه: «لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ»، ومنها أن الله تعالى ناداه بأحب أسمائه وأسنى أوصافه فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ» وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره صلى الله عليه وسلم، بل ثبت أن كلاً منهم نودي في القرآن باسمه، كقوله يا آدم، ياموسى، يا هارون، يانوح، ياداود الخ. وفيها أن كل معجزة لنبي انقضت بزمانه، ومعجزة سيدنا محمد وهي القرآن باقية إلى يوم الدين. وهذه الأدلة موجودة كثيرة، ولولا الإطالة لجلينا منها جملة وافية. وقد ألف في هذه المسألة عز الدين ابن عبد السلام تأليفاً حسناً سماه كتاب السؤل في تفضيل الرسول، وقد أفتح فيه من نقول الأدلة وتوجيهها على أنواع مختلفة، وعلسه جرى أقوال العلماء خلفا وسلفا. قال ابن زكري في محصل المقاصد:

رَسُولُنَا أَفْضَلُ بِالْإِطْبَاقِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ

ثم إن صاحب الترجمة خالف هذا كله وتمذهب بمذهب الشعوبية فيما حكى لنا عنه، ومما يدل ما حكى عنه قوله في مطلع همزته التي ساجل بها همزية البوصيري:

رَبَّنَا لِلْحَبِيبِ مِنْكَ الْجَزَاءُ تَقْتَضِيهِ الْأَرْوَاحُ وَالْأَجْزَاءُ

وقد نكث به على قول البوصيري في أول همزته:

كَيْفَ تَرُقِّي رُقِيكَ الْأَنْبِيَاءُ يَا سَمَاءَ مَا طَاوَلَتْهَا سَمَاءُ

وصرح في أول شرحه لهما بمرتبته المذكورة بشيء من ذلك فليست بظاهرة من أرادها وليحذر. وقد أطلنا هنا رجاء أن لا يبتلي بما ابتلي به مسلم. وما بتأكد بيانه هنا قوله صلى الله عليه وسلم: (ثَلَاثَةٌ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَ أَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَّنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ سَبْدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أُمَّةٌ فَعَدَّاهَا فَأَحْسَنَ غَدَاءَهَا ثُمَّ أَدْبَاهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ). أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه.

قال القرطبي: الكتابي الذي يضاعف أجره مرتين هو الذي كان على الحق في شرعه عقداً وفعلاً إلى أن آمن بنبينا صلى الله عليه وسلم، فسوجر على اتباع الحق الأول والثاني انتهى.

قال ابن حجر في الفتح بعد نفيه: ويشكل عليه أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل: (أَسْلَمَ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ) ، وهرقل كان ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وأعطى هرقل الأجر مرتين لكونه كان مومناً بنبيه ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو موافق لقوله تعالى: « أَوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ » ويحتمل أن يكون تضعيف الأجر له من جهة إسلامه ومن جهة أن إسلامه يكون سبباً لإسلام أتباعه. واستنبط منه شيخنا شيخ الإسلام أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في الذبائح والمناكحة، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل، وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له ولقومه بأهل الكتاب، خلافاً لمن خص ذلك بالاسرائيليين ويمن علم أن سلفه دخل في اليهودية أو النصرانية قبل التبديل والله أعلم انتهى وقال الداودي ومن تبعه إنه يحتمل أن يتناول سائر الأمم فعلمه من خير كما في حديث حكيم بن حزام أسلمت على ما سلك من خير، وهو متعقب، لأن الحديث تقيد بأهل الكتاب فلا يتناول غيرهم إلا بقياس الخير على الإيمان. وأيضاً فالنكحة في قوله آمن بنبيه الإشعار بعلّة الأجر، أي أن سبب الأجر الإيمان بالنبيين، والكفار ليسوا كذلك. ويمكن أن يقال: الفرق بين أهل الكتاب وغيرهم من الكفار أن أهل الكتاب يعرفون محمداً صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى: « يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ » فمن آمن به واتبعه منهم كان له فضل على غيره، وكذلك من كذبه منهم كان وزره أشد من وزر غيره. هـ. وقال المهلب: جاء النص في هؤلاء الثلاثة لبنية فيه على سائر من أحسن في معنيين، أي في أي فعل كان من أفعال البر.

قلت: وهذا يؤيد ما قال الداودي من تمكن حملته على من فعل خيراً من أهل الكتاب انتهى كله حاشية العلقمي على الجامع الصغير. وقال قبله: فإن قلت: هل يختص ذلك بمن كان في عهده عليه السلام أو يستمر إلى يوم الساعة كالخصلتين الأخيرتين؟ قلت: ذهب الكرمانى إلى الأول، والبليغيني إلى الثاني، قال ابن حجر وهو الأظهر، والمرأة كالرجل في ذلك هـ. وقال ابن المنير: مومن أهل الكتاب لا بد أن يكون مومناً بنبينا صلى الله عليه وسلم

لما أخذ الله عليهم من العهد والميثاق، فإذا بُعث فيأمنه مستمر، فكيف يتعدد إيمانه حتى يتعدد أحره؟ ثم أجاب بأن إيمانه الأول بأن الموصوف بكذا وكذا رسول، والثاني بأن محمدا هو الموصوف، فظهر التغاير فثبت التعدد. قال شيخ بعد نقله: ويحتمل أن يكون تعدد أجره لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضله الله على علم، فحصل له الأجر الثاني لمجاهدة نفسه على مخالفة أنظاره هـ. وقال قبله أيضا: وقال شيخنا هو شامل لليهود والنصارى كما دل عليه سبب نزول قوله تعالى: «أُولَئِكَ يُوتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ» نزل في جماعة منهم عبد الله بن سلام ورفاعة القرظي، وهما من اليهود، وسلمان الفارسي كان نصرانياً خلافاً لمن خصه بالنصارى هـ. ومن رفيع قدره عليه السلام أن الله أخذ على كل نبي أنه إن أدرك زمانه يومن به ويكون من أنصاره، وقد أوضح هذا المعنى التاج السبكي في تأليفه المسمى بالتعظيم والمنة، وفي قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَكُنتُمْ تُرْتَبُونَ، فكل أمة تابعة له صلى الله عليه وسلم وهو أس نظامها، ويذر تمامها، وفارس أعلامها، ولا تنفع إلا الاستغاثة به في كل ما عسر على المرء من عيوب نفسه كالكبيرة وحب العلو والجاه.

وقال تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا» الخ. وأصل الادعاءات كلها حب العلو. وفي الصحيحين والنسائي واللفظ للخاري عن أبي هريرة: قيل يا رسول الله: (مَنْ أَكْرَمَ النَّاسِ قَالَ: أَتْقَاهُمْ. قَالُوا لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي خَيْرَهُمْ فِي أَجَاهِلِيهِمْ خَيْرُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا) انتهى. قال القرظي: وفي حديث آخر كمعادن الذهب والفضة، وهو مثل وجه التمثيل أن المعادن نشتمل على جواهر نفيسة وخسيسة، وكل معدن يُخرج ما في أصله، وكذا الناس يظهر على كل ما في أصله، فمن له شرف في الجاهلية فأسلم لم يزد الإسلام إلا شرفاً، فإن تفقه في الدين وصل الغاية في الشرف لاجتماع أسباب الشرف كلها، وعليه يصدق خيارهم في الجاهلية الحديث، وقال الأبي بعد نقله المقصود إنما هو بيان الخيار في الإسلام لا الخيار في الجاهلية لأنه لا يترتب عليه أحكام، فيتعين أن خياركم في الإسلام مبتدأ، وخياركم في الجاهلية الخبر. انتهى.

قلت: وفيه نظر، إذ لا يتعسن، لأن قوله خياركم في الجاهلية هو المبتدأ وخياركم في الإسلام هو الخبر بالشرط الذي في قوله إذا فقها، فإن لم يفقها لم يكونوا خياراً. هذا هو الظاهر. قال النووي يعني أن أصحاب المروءات ومكارم الأخلاق في الجاهلية إذا أسلموا وفقها فهم خيار الناس. ثم قال النووي: والفضيلة في الإسلام بالتفوق، لكن إذا انضم إليها شرف النسب زادت فضلاً. وفقها - بضم القاف - على المشهور، وحكي كسرهما، أي صاروا فقهاء عالمين بأحكام الشريعة الفقهية. فإن قيل ما قدرتم من أفضلية العرب على العجم ينافيه أحاديث وردت وهي مذكورة في كتب العلماء، منها قول جابر: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أواسط أيام التشريق خطبة الوداع فقال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ وَلَا

لَأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى. إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ. أَلَا هَلْ بَلَغْتُ. فَأَلُوا بَلَى يَارَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ (الغائب) الحديث رواه البيهقي. ومنها حديث عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " (إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسَبَابٍ عَلَيَّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَكَلَدَ آدَمَ طَبَقُ الصَّاعِ لَمْ تَمَلُئُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَيَّ أَحَدٍ إِلَّا بِالذَّنِّ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ. حَسَبُ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بِخَسَلٍ بَدْبًا). وحديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (انظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلَا أَسْوَدَ إِلَّا أَنْ تَفْضُلَهُ بِالتَّقْوَى) وحديث أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَحَّرَهَا بِالْأَيَاءِ. النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، لَبِئْسَتِ هَيْبَتُهُمْ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِرِجَالِ إِيْمَانِهِمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ أَوْ لِيَكُونُوا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ النَّتْنَ بِأَنْفِهَا).

قلنا كل هذه الأحاديث لا تصلح للاحتجاج. أما حديث جابر الأول وهو قوله خَطْبِنَا فرواه البيهقي وقال في إسناده بعض من نُجِهل ونقله المنذري. وأما حديث عقبة بن عامر فقال المنذري رواه أحمد والبيهقي كلاهما من رواية من رواية ابن لهيعة، وابن لهيعة هذا هو عبد الله الحضرمي قاضي مصر، قال الذهبي في مختصر التهذيب العمل على تضعفه، وقال ابن حجر له في التذليل: اُخْتَلَطَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ وَكَثُرَ عَنْهُ الْمُنَاكَرُ فِي رِوَايَتِهِ، وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: كَانَ صَالِحًا وَلَكِنَّهُ بَدَّلَ عَلَى الضَّعْفَاءِ. وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ فَالْمُنْذَرِيُّ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِوَايَتُهُ ثِقَاتٌ مَشْهُورُونَ إِلَّا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيَّ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي ذَرٍّ. وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فَسَكَتَ عَنْهُ الْمُنْذَرِيُّ وَقَالَ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ دَرَجَةَ الْحَسَنِ نَازِلَةٌ عَنِ الْاِحْتِجَاجِ، وَذَكَرَ ابْنُ حَجْرٍ مِثْلَهُ فِي كِتَابِ الْمُنَاقِبِ مِنْ شَرْحِهِ لِلْبُخَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ: (أَمَّا بَعْدُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ غَيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَحَّرَهَا بِالْأَيَاءِ. يَا أَيُّهَا النَّاسُ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ، تَمَّ تَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ الْخ). قَالَ ابْنُ حَجْرٍ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ ابْنَ مَرْدَوَيْهَ ذَكَرَ أَنَّ مُحَمَّدَ ابْنَ الْمُنْبَرِيِّ رَوَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَجَاءَ عَنْ مُوسَى بْنِ عَقْبَةَ، وَإِنَّمَا هُوَ مُوسَى بْنُ عَبِيدَةَ، وَابْنُ عَقْبَةَ تَقَى، وَابْنُ عَبِيدَةَ ضَعْفٌ وَهُوَ مَعْرُوفٌ بِرِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عَبِيدَةَ. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ حَجْرٍ.

فيذا نقرر هذا تبين أن لامعارضة بين هذه الأحاديث وبين الأحاديث المتقدمة في الدلالة على أفضلية العرب لتصور هذه المعارضة لها وضعفها لأن المتقدمة متشتملة على الصحيح وغير ذلك مع كثرتها. فإن كان مراد صاحب الترجمة أن لا يُهان واحد من المسلمين من أي جنس كان ولا يحقر ولا بغض منه ولا يترفع عليه ولا يؤذي بشيء لم يلزمه شرعا ولا يُطاول عليه بالنسبة العربية وغير ذلك فصحيح. وهو واجب على كل مسلم، وبه ندين الله، وهذا ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى: « النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ » وفي الحديث المشهور: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِأَنَّ أَوْلَىٰ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، أَقْرَبُ وَإِنْ شِئْتُمْ:

النَّبِيِّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) الحديث. ولا يُعْبَرُ عَمَّنْ هُوَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مِمَّا يُوْذِيهِ إِلَّا مَنْ لَا حَيَاءَ فِيهِ. ولقد رأيت منهم أقواما خيرين دنيين ولهم مروءة، ولا بغص منهم إِلَّا مَنْ لَا أَخْلَاقَ لَهُ وَمَنْ لَا يَبَالِي بِدِينِهِ. وَإِنْ كَانَ مُرَادُ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ إِنْكَارَ مَحَبَّةِ الْعَرَبِ وَنَفْيَ مَزِيَّتِهِمْ، سَبَّحَا مِنْ صَحْتِ فِيهِمُ الْأَحَادِيثِ كَالْأَنْصَارِ وَقَرِيْشِ وَأَهْلِ الْبِسْتِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، فَقَدْ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ شَيْعَةٍ، وَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِمَا يُحْكَمُ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ.

وَأَمَّا التَّمَسُّكُ بِهَذِهِ الْبِدْعَةِ بِأَنَّ مَنْ كَانَ حَدِيثٌ عَهْدٌ بِالْإِسْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ دَلِيلٌ أَفْضَلِيْنَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهِمْ أَوْلَادُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَسَيِّدِنَا مُوسَىٰ وَسَيِّدِنَا هَارُونَ وَسَيِّدِنَا زَكَرِيَّا، وَنَرَفَعُهُمْ بِذَلِكَ عَلَى الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّةِ، فَهَذَا مِنَ الضَّلَالِ الْمَبِينِ وَالْهَوَسِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْخُرُوجُ مِنَ الدِّينِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ إِلَّا فَسْمَنٌ هُوَ مُمَيِّزٌ بِالنَّصِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَزَوْجِهِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ. وَأَمَّا غَيْرُهَا فَمَنْ لَا تُسَمَّرَةُ النَّصِّ فَلَا يُمْكِنُ ثَبُوتُهُ وَلَا يَوْجُدُ فِي ذَلِكَ إِلَّا مُجْرَدُ الْإِدْعَاءِ وَالتَّوَهُمِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانُوا قَبْلَ زَمَانِ الْإِسْلَامِ بِفُرُونٍ كَثِيرَةٍ وَسِنِينَ مُتَطَاوِلَةٍ بَعِيدَةٍ، وَكَمَا لَا يَوْجُدُ نَقْلٌ صَحِيحٌ مِمَّا قَبْلَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالْخَبَرِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَذَلِكَ نَقْلُ النَّسَبِ لِأَنَّهُ نَقْلٌ بِالْخَبَرِ وَمُنْدَرَجٌ فِيهِ. وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ مِنْ أُمَّةِ هَذَا الشَّانِ: نَقْلُ الثَّقَةِ عَنِ الثَّقَةِ يَبْلُغُ بِهِ الْمَصْطَقَىٰ مَعَ الْإِتِّصَالِ بِخُصُوصِ الْمُسْلِمِينَ دُونَ جَمِيعِ الْمَلَلِ، أَمَّا مَعَ الْأَرْسَالِ وَالْإِعْضَالِ فَيَوْجُدُ فِي الْيَهُودِ لَكِنْ لَا بِقَرِيْبُونَ مِنْ مُوسَىٰ قَرِيْبًا مِنْ نَبِيِّنَا حَيْثُ يَكُونُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ نَفْسًا، وَأَمَّا الْإِنْصَارِيُّ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ صِفَةِ هَذَا النَّقْلِ إِلَّا تَحْرِيمُ الطَّلَاقِ انْتَهَىٰ كَلَامُ ابْنِ حَزْمٍ. عَلَىٰ أَنَّ هَذَا النَّقْلَ الْمَتَوَهُمِ إِنَّمَا هُوَ حِكْمِيٌّ عَنِ الْيَهُودِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ) كَمَا فِي الصَّحِيحِ. قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ عَلَيْهِ: وَمَنْعَ الْفُقَهَاءِ تَصْدِيقَهُمْ مَرَّةً وَاحِدَةً كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الشَّهَادَةِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ كَلَامٍ: فَحَصَلَ مِنْ كَلَامِ الْوَجْهَيْنِ الْعَمُومُ لِعَدَمِ صَدَقَتِهِمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهَذَا هُوَ الْحَكْمُ وَعَلَيْهِ السَّلَفُ انْتَهَىٰ. وَقَالَ ابْنُ سَيْرِينَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ دِينٌ فَانظُرُوا عَمَّنْ أَخَذُوا (كَذَا) دِينَكُمْ، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ لَقَالَ مِنْ شَاءَ مَا شَاءَ، ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي خُطْبَةٍ صَحِيحَةٍ. وَقَدْ حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَتَرَكُوا رِوَايَةَ مَنْ كَانَ يَخَالِطُهَا مَخَافَةَ إِدْخَالِ شَيْءٍ مِنْهَا فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ بَالِغَ الْعَرَبِ فِي حِفْظِ أَنْسَابِهِمْ وَخُصُوصًا بَنِي هَاشِمٍ مِنْ زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْآنِ، وَنَقَلُوهُ بِشَهَادَةِ أُمَّةٍ كُلِّ زَمَانٍ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَوْجُدُ مَا هُوَ مُسْلِمٌ إِلَّا الْقَلِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لَا يَسْلَمُ مِنْهُ، مَعَ اعْتِنَاءِ الْمُؤَلِّفِينَ فِي التَّارِيخِ بِذَلِكَ وَالتَّنْبِيهِ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِمْ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَسَ هَذَا مَحَلُّهُ. فَكَيْفَ يَعْتَبَرُ بِمَا هُوَ بِمُجْرَدِ الْإِدْعَاءِ أَوْ بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى شُبْهَةِ كَافِرٍ مَعْلُومٍ بِالتَّيْبِيدِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّلْبِيسِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَهَذَا مَا ظَهَرَ فِي تَقْرِيرِ حَكْمِ الْمَسْأَلَةِ فِي الْخَارِجِ. وَأَمَّا الْإِنْسَانُ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ سِوَا مَا كَانَ عَرَبِيًّا أَوْ

غيره فلا يطمئن لشيء، ولا تسكن نفسه لمزية وإن كانت له فيها منزلة بمفتضى الظاهر، فإن الأمر عند الله تعالى مغيبٌ عنا، ولا نتحقق درجة من درجات التعظيم من شرف وعلم وولاية إلا بحسن الخاتمة. قال العارف بالله سيدي عبد الرحمان بن محمد الفاسي: ينبغي لكل أحد له فضيلة وُعد عليها في العقبى أن لا يقطع بذلك لنفسه، فإن شرط ذلك الإيمان عند الله، وهو غيب لا يقطع به لأحد إلا من ميزه النص. على أن من تحقق قبضة الحق تعالى لا يسكن لوعده وُعد به، وبه تفهم قول سيدي عبد السلام بن مشيش: وألحقتني بنسبه، فإن الطيني مشروط بالدينى، وهو غيب. وكذا ما ورد فى قبول الطاعات والدعاء. وإدخاره فإنما هو فيمن علم منه خاتمة الإيمان ونفذت بذلك قدرته ومشيتته. وأما أحد فى خاصته فلا يصح له الجزم والقطع بذلك لنفسه ولا لغيره. وقال شيخنا أبو الحسن: وقد أبهت علينا الأمر لترجو ونخاف، وذلك سر العبودية، وبذلك تنقطع الآمال إلا من الله، وتتحقق الرجاء والاعتماد عليه انتهى كلامه. ولم تنزل هذه أحوال الناس من وجوه العرب وعظماء الأخيار من أهل البيت وغيرهم، فقد كان سيد أهل البيت سدينا الحسن بن علي - رضى الله عنه - حليماً ورعا فاضلاً دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدينا رغبة فيما عند الله وقال: والله ما أحببت منذ علمت ما ينتفعني أن ألي أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن تُراق فى ذلك محجمة دم، فعرضه الله تعالى ملك الآخرة بأن كان هو أول الأقطاب، وجعل الخلافة فى عقبه الشريف، وأظهر الله عليهم بركة ذلك، رحمتنا الله بفضله أمين) (529).

مُحمد بن أحمد بن محمد ميارة

ومنهم العالم العلامة المشارك المحقق الدراكة الفهامة (أحد أعلام الفقهاء، وأكابر النباه، وأفاضل الوجهاء) (530) أبو عبد الله سيدي مُحمد - بالفتح - بن أحمد بن الشيخ (شارح العاصمية) (531) سيدي محمد ميارة الفاسي، تقدمت ترجمة جده المذكور عام اثنين وسبعين وألف. كان لصاحب الترجمة نحقق فى العلوم العقلية، ودراية تامة فى العلوم النقلية، وحفظ فى النوازل، وكان إليه المرجع فى فتاوى فاس وحوادثها، وكان موثقاً به فى سائر أموره (عند الخاصة والعامة) (532) ولي أولا الشهادة فى أوقاف المساكين، ثم ولي النظر فى مُحاسبة نظار سائر الأقباس. وكان يتعاطى الشهادة، مقصوداً فى مهماتها، مُعتمداً فى مسائلها، وكل ما كان يرجع فبه للعلماء بفاس لا يجاوزه. (وأخبرني من حضره مع السلطان الخليفة أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل الشريف الحسنى السجلماسي وهو يقول له: افضلني مع إخوانك، يعنى أهل فاس، إذ كانوا حسنة لا يُدعون إلى أحكامه، وقد صرحوا بمخالفته فى أمور، فقال له إنني لم أسمع كلامهم، يريد أن القاضي لا يحكم إلا إذا سمع كلام الخصمين معاً، والسلطان أحدهما، والآخر هم أهل فاس وهم

(529) هنا ينتهى البتر المرحود فى س و ك، وهو المتعلق برد المؤلف على شعبية ابن ركري

(530) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(531) زيادة فى ط.

(532) ساقط من ك و س.

غائبون. قال المُخِير، وهو والدي الخياط بن محمد القادري الحسني وهو الذي أخبر المؤلف بهذه الحكاية بمحضري،: فدخلني دهش حتى أترقب البطش بنا لما واجهه به مع ما هو عليه من شدة البطش ونفوذ الكلمة وصوله الملك وكثرة الأتباع. كَانَ لَهُ فِي السبع سنين الأولى من خلافته من الأتباع ثلاثون ألفاً. وكان والي فاس الرئيس الروحي يستشيرهُ فِي حوادث ولا يثق إلاّ بِهِ، فكان لا يحيد عن الحق في شيء معلوم ذلك منه (533) وكان صاحب سمت حسن وذكاء وفطنة تامة، وكان مهاباً محبباً للعامة والخاصة. توفي رحمه الله في خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بمقبرة جده بأقصى درب الطويل عدوة فاس القرويين.

من حوادث السنة

رحلة السحافي الحجازية

ومن حوادث هذه السنة (534) (أن أَلْف الشرقي السحافي رحلة في حج خاتمة حسنة جداً، وكانت فقيهة من القراء، تُحسِن القراءات السبع، قرأت على الكاتب السيد محمد المكي الدكالي، توفي في أوائل العشرة العاشرة من الثاني عشر بعد ألف (كذا). والسحافي توفي بعد الخمسين ومائة وألف (535). وكان رجوع أم مولانا المنصور بالله أبي محمد عبد الله بن مولانا إسماعيل الحسني مع حفيدها المنصور بالله أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله الحسني من الحج، واليمن والسلامة يصحبهما، والبركة والخير معهما.

حركة السلطان لأيت يمور

حركة السلطان لأيت يمور، وأتى فيها بيوسف الحنصالي الذي كان سببا في القيام على أخيه مولاي عبد المالك فقتله شر قتلة ومنع من دفنه حتى تمزقت أعضاؤه، فعلم به ذلك لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحدثان. وقد حُكي لنا أنه قال له حين قتله: أردت أن لا أقتلك لكن خفت أن أتركك يقال إن جنونك غلبني. وقويت رهبة السلطان في قلوب الناس، وعظمت همته، وضخم ملكه، وصار له المغرب كالزيت، وقتل الطغاة من سائر قبائل المغرب، وشدد المغارم على أهل فاس أمر يطول شرحه (536)، ولم يخرج منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة، فأخذ منهم مالا كثيرا مع الحركة إلى سبته.

(533) ما بين معقوفتين ساقط من ط، ثابت كله في صلب س، وبعضه في هامش ك، لعله بخط ابن عم المؤلف، محمد بن الحياط القادري صاحب التقايد التاريخية المشهورة وفيما عدا ذلك تختلف الألفاظ المحطوطتين مع ط في بعض الألفاظ والتراكيب.

(534) حوادث هذه السنة ساقطة من ط.

(535) ما بين معقوفتين لا يوجد إلا في س وحدها

(536) في هامش ك و س طرة نصها. أخذ جميع الزرع ولم يترك لهم سوى ربع وسق على يد قائده ولد المجاطية ابن موسى المجاطي صاحب الطابع، وكان عامل فاس عيد اللطيف بن عبد الله الروسي، فلم يعلم ما أخذه المجاطي من فاس من الررع، فسأل السلطان الروسي عن ذلك فلم يجد عنده علماً فقتله، وولى مكانه محمد بن علي ويشي الزموري فأخذ من أهل فاس من الأموال والمغارم والوظائف ثمانية وعشرين ألف متقال فضة من عشر أواق. ولا حول ولا قوة إلا بالله

محنة تجار مع فاس مولاي عبد الله (537)

ويعث - مولاي عبد الله - قائده عبد الرزاق بن علي ويسى الزموري لقاس وقبضهم في المال أجمعين، وجعلهم في السجن وكلفهم بدفع المال فورا. فمنهم من أعطى عشرة آلاف مثقال، كالحاج حدو ابن زاكور والحاج علي الحريشي والحاج محمد الزوبهني والحاج عبد الرحمان اللبار، ومنهم من أعطى أربعة آلاف مثقال، ومنهم من أعطى ثلاثة آلاف مثقال إلى الخمسمائة مثقال وهكذا. وعم ذلك جميع وجوه الناس وفُتِنُوا بذلك غاية الفتنه حتى دفعوا على ما قيل قنطار (538). وعشرين فنطارا من المال. وبعد ذلك بشهرين أو ما يقرب منهما قتل السلطان مولانا عبد الله عبد اللطيف الروسي، وبعث القائد محمد وعلي ويشي أخا عبد الرزاق المذكور، وجعل أيضا يقبض التجار على السروج، فمنهم من أعطى ألفين مثقالا، ومنهم من أعطى ألفا، ومنهم من أعطى خمسمائة إلى المائة مثقال إلى الخمسين منقلا. وبعد الفراغ من قبض حق السروج جعل يفرض الهدية التي كانت تعمل له من الشهر إلى الشهر، وهو يقبض أهل المدينة ويعذبهم على ذلك بالسجن والضرب المؤلم الموجه الشديد، والناس معه في العذاب الأليم. وكان يقبض النساء ويسجنهم ويضربهم (كذا) الضرب الفاحش، ويباشر ذلك الأرزال، والفساق من أصحابه الأندال. ودام ذلك الأمر على الناس نحو السنين إلى أن فر هو وأصحابه من فاس بانقضاء دولة مولانا عبد الله من الملك. وحكي عمن يوثق به أنه قتل في مدة خلافته هذه من المخلوقات سبعة آلاف، وقتل كبراء الدولة من العبيد وغيرهم من أحرار القبائل.

تذكرة المحسنين

محمد بن أحمد ميارة

العلامة الهمام سيدي محمد بن أحمد ميارة ضحوة الجمعة خامس محرم من السنة.

محمد بن عبد الرحمان ابن زكري

وفى يوم الأربعاء ثامن عشر صفر توفي العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان ابن

زكري.

(537) النص التالي انعدت به الحوليات، (ص 37) وقد ورد فيها - في هذه السنة والتي قبلها - أن خاتمة بنت بكار رأت في حجبها من ثراء الفاسيين ورفاهيتهم ما أحفظها «فاغرت بهم ولدها السلطان مولاي عبد الله، وحرضته على أخذهم ونهبهم بكلام يوغر الصدور، ويشير الشرور».

(538) كذا في الأصل ولعل الصواب: مائة قنطار

العام الخامس من العشرة الخامسة

محمد الطيب بن مسعود المريني

فمنهم الفقيه الأديب، صاحب النظم العجيب، والنثر الغرب، المؤرخ النسابة الأرفع، العالم الصوفي الأنفع، أبو عبد الله سيدي محمد الطيب بن مسعود المريني (539)، من كبار الأدباء، وأعيان الفقهاء النجباء، وله تمسك بأهل الصلاح، وانحياش (540) لجانب الطريقة الصوفية، فألف تأليف، منها: تبصرة العاقل وتذكرة العاقل، جمع فسه من المواعظ والحكم ما ينبىء عن حاله من الفضل والعلم، ورتبه على خمسة عشر بابا، وقبله أعيان الوقت ومدحوه وأحسنوا الثناء عليه وعلى كتابه، فمنها ما كتبه عليه العلامة الصالح البركة الأنور أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان التادلي ما نصه:

الحمد لله الكريم الفتاح، عظيم العفو والفضل والسماح، فاتح أقفال الصدور، بمفاتيح السرور والأفراح، خص نسيم الأسحار بطيب الهبوب، فأحيا به القلوب، وأراح الأرواح. سقى بساتين أسرارهم، يعرف طيب أذكارهم، فعبق عن أنوارهم وفاح، وفق من شاء من عباده المومنين، لخدمة عباده الصالحين، قفاصوا بينات الأفكار، في تناهي التذکر والأذكار، واستخرجوا دُررَ علوم أغنى سماعها عن نعمة الأوتار، واقتطعوا من حدائق الفهوم أزهارها فبلغوا بذلك الأوطار، ورفعوا عن ذوات الحجب والأستار، واقتضوا من عرائس منح الله تعالى لهم حسناء الأبيكار. والصلاة التامة المباركة على الواسطة لهم في كل مجد وفخار، الطيب المحتد والتجار، أشرف المخلوقات كلها برأ وبحراً وسائر الأقطار، سيدنا ومولانا محمد النبي الهاشمي الطاهر المختار، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطيبين، والرضى عن صحبه الأكرمين، وخصوصا المهاجرين والأنصار، وعن التابعين ومن تبعهم باحسان في نفع المسلمين إلى انقضاء الآجال والأعمار، صلاة وسلاماً بتعاقبان ما تعاقب الليل والنهار. وبعد، فإن أخانا في الله وحبيبنا من أجله الفقيه النجيب الأريب الأديب خديم أهل الله، والمحب في جناب رسول الله، ذا العقل الناقب، والقلب السليم المراقب للعواقب، حائز قصب السبق في الخلق الدنيوي والديني، أبا عبد الله محمد الطيب المريني، لما الهمة الله طريق الهدى وسلك به سبيل الرشد وأعانته ووفقه، وأفصح لسان قلبه وأطلقه، ألف هذا الكتاب الذي عثر فيه على الصواب، وسحر بحسنه العقول والألباب، وجمع فيه عين المطولات باختصار في أبواب، وسمّاه باعانة القاصدين، وسراج نزهة المريرين، وطلب مني أن أكتب عليه ما يوجب بيانه، ويظهر استحسانه. وسعادة المرء استعماله. قال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُهُ فِي الدِّينِ)، وقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يَرِدِ

(539) هذه الترجمة الطويلة لمحمد الطيب المريني ساقطة كلها من ط.

(540) في ك: وانحياز - بالزاي.

اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَسْتَعْمِلُهُ، ويحمد الله المستعمل على ما استعمل فيه ممّا فيه من رضى الله و صفاء قلب غيره وقلبه، وسمعنه من أوله إلى آخره يسرد مؤلفه ظناً منه أنني ممن بحسن السباحة، في تلك البحار والسياسة، ولاسيما في هذه الصحاري والقفار، ولم أسد ولو خلت الديار. ولله در المائل:

إِذَا هَلَكْتَ أَسَدُ الْعَرِينِ وَكَمْ يَكُنْ لَهَا خَلْفُ فِي الْجَبَلِ سَادِ الشَّعَالِبِ

ولما رأيت سؤاله إلحافاً، أولينه إسعافاً، فوجدت كتابه كما يُظن بمؤلفه من النباهة والعقل، ويشهد له ما جمعه من الحكايات والروايات والأحاديث النبويات، والنقل من الداوين الصوفية وغيرها التي لا يحصيها ويلهم إليها إلا النادر القليل، فقلت فيه أبياتا وإن لم أكن ممن بحسن الشعر من الطويل:

جمعت كتاباً في العلوم مباركا	جليلاً كنبر النفع للخير مرشدا
صحيحاً به الخيرات لأحت وأشرقت	بأنوارها تُبدي الرشاد إلى الهدا
يفيد الورى علماً وحلماً وحكمة	ويشرح بالأسرار للناس أقيدا
تبارك ما أولاك مولاك ذو العطا	ونسأله أن لا تزال مُسنددا
هو البحر في علم الحقيقه فائض	ولكنه يروي زلالاً مبيردا
ويخرج منه الدر بسطع نوره	وغوصه أهل المكارم والندا
فكن شاكراً خسير الإله وبره	تتل فوق ما قد نلت علماً وسؤدا

إلى آخره، فقد أطل.

وممن كتب على التأليف المذكور سدي الحاج أحمد بن علي الجرندي ما نصه:

يقول كاتبه الراجي عفو مولاه، الغارق في بحار خطاياه، أحمد بن علي الجرندي هداه الله سواء الطريق، وأوقفه على عين الصواب والتحقيق. قد طالعت (من) هذا الكتاب الحفيل ما أعجب، وحتّم شكر مؤلفه وأوجب. قد اشتمل على أسلوب غريب، وحسن ترصيف وترتيب، جمع فيه ما افترق في المطولات، وضم أحاديث الوعظ للآيات، ومزج الماء السلاف، وحاد فيه عن التكلف والاعتساف، فبرز موضوعاً غريباً، قرّب فيه المحتاج تقريباً، ينتفع به الشادي والمبتدي، ويتفطن لرموزه ذو القريحة المهتدي، فمطالع أنواره قد بزغت ساطعة، وحجج مسانله قد ظهرت باهرة قاطعة، فجزاه الله على هذا الوضع جزاء حسنا، وعوضه نفائس من الثواب وميننا، ووقفنا وإياه لِمَا يُحِبُّه ويرضاه، ويجعلنا ممن يتقيّه

ويخشاه، بجاه نبيه الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ومما كتب على التأليف المذكور الفقيه العلامة المدرس سدي محمد بن محمد المشاط ما نص الحاجة منه:

لَمَّا طالعت نبذاً من تأليف الأديب الأريب، سيدي محمد الطيب الدراكة النجيب، المسمى بتبصيرة الغافل، وتذكرة العاقل، وجدته قد وافق اسمه مسماه الخ. وكتب عليه جماعة من أعيان الوقت يطول جلب كلامهم. كالفاضل سيدي علي بن أحمد الشدادي، وشيخنا العلامة سيدي محمد بن عبد السلام بناني، والمفتي النوازلي سيدي محمد بن حمدون بناني الملقب بالمحوج، وغيرهم، وله تأليفان في فضل الأذكار وأنواعها وكيفية العمل بها، أحدها اسمه نزهة الأفكار، في أنواع الأذكار، وفيه قصائد جيدة من نظمه في نحو الاستغفار (والطلاب) (541) والتصليات، والآخر اسمه () (542) وله ديوان مجموع فيه أنظامه موجود الآن بأيدي الناس يتداول، وله مقامة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله معن، وأثنى فيها على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، ومما مدح فيها به كتابه المقصد قوله: لا مسوا عليك وما دروا بالمقصد ورأوا ملامى للسلامة مرتدي

وتقدمت لصاحب الترجمة الكتابة مع الخليفة أمير المؤمنين السلطان مولانا إسماعيل، ثم ولأه النقابة على أشرف المغرب والتقديم على جمعهم والفصل بينهم في الخصوص، فمال أمره إلى أن تنكر له السلطان وأمر بقتله، ثم إن الوزير الرئيس عبد الله الروسي أخفاه عن السلطان وأظهر له أنه قتله، وبقي بداره مقتصرًا عليها، وسبيل الله عليه ستره في الحقيقة ومنعه وكفاه ما أهمه ببركة حبه في أوليائه وأهل بيته. وكان من أهل الدين المتين، والمحبة في أهل بيت سيد النبيين، وأولياء الله الصالحين، والانحياز (543) لجانب العلماء العاملين، وكان من أهل الولاية، والتعلق بسبب الهداية، فصحب الشيخ سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، ثم لما طال أمره جعل يتعاطى الشهادة في سماط عدول فاس. وكان أهل المروءة يقصدونه لمواساته مع ما له من جودة اللفظ وحسن التبليغ في الوثائق لعرضة (كذا) قلمه وعلمه بالنوازل، فانتعش أمره ولم يستطع أحد أن يبلغ أمره للسلطان من شوكة الروسي إلى أن توفى السلطان رحمه الله وأسكنه من الجنان فسيحه، فقتل أهل فاس قائدهم أبا علي الروسي كما ذكرنا وزاكا (544) قاضي فاس سيدي علي بن

(541) زيادة من س.

(542) بياض في الأصول بقدر ست كلمات.

(543) في ك: والانحياز.

(544) بمعنى التجأ واحتجى في اللهجة المغربية الدارجة.

أبي عنان في مولانا إدريس. وقتلوا أيضا المحتسب الطالب أحمد المحمودي، وكان من أهل العدل لا ضرر ولا ضرار، فاتفق أهل فاس على أن يولوا صاحب الترجمة الحسبة لعلمه بها والقيام بحقها وثقتة وورعه، ولما رأوا من عدله في ولايته النقاية، فطلبوا منه ولاية الحسبة فولياها وصلحت تلك الخطة بولايته، وسار بسيرة العدل. ثم تعرضت له عوارض عزل نفسه عنها ورجع لتحمل الشهادة مقصودا مشهوراً إلى أن توفي بفاس عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن خارج باب الجيسة حوز سيدي مسعود الشراط أحد أبواب مدينة فاس القرويين.

علي بن أحمد الحرشي

منهم (العالم المدرس) (545) الوجيه أبو الحسن علي بن أحمد الحرشي - بضم أوله وفتح ثالثة فياء تحتية ساكنة على صيغة المصغر بياء النسب - الفاسي داراً ومنشأً وقراراً. أخذ عن سيدي عبد القادر الفاسي وولديه أبي زيد سيدي عبد الرحمان وسيدي محمد. كان لصاحب الترجمة إقدام على التصنيف، فشرح الموطأ للإمام مالك، والشفا للقاضي عياض، وشمائل الترمذي، واختصر الإصابة، ونفح الطيب، وتخرىج أحاديث النصيحة وبعض أهل عصره لم يدعنوا له ولم يسلموا له، وأكثروا عليه من القيل، حتى قال فيه عبد الله بن العلامة سيدي عبد السلام جسوس منظومة، منها:

قُلْ لِلْحُرْشِيِّ الْجَهْلُ الَّذِي	يَزْعَمُ أَنْ صَنَّفَ شَرْحَ الشُّفَا
نَسَخَتْ شُرُوحَ الْأَكْبَى سَلْفُوا	وَلَفَّظْتَهُمْ فِي نَقُولِهَا حَرْفَا
قَصَدْتُ أَنْ تَمَحُّوْا آثَارَهُمْ	فَمَا عَسَدَا أَنْ زِدْتَهُمْ شَرْقَا
فَقُلْ لِمَنْ بَيْتِنِي الْمَنَازِلُ (كَذَا)	وَنَسَوْتُ مِنْ سُخْفِكَ الصُّحُفَا
فَلَيْسَ ذَا وَكَسْرِكَ فَسَادُجُ فُلْنُ	تَعْبُدُوْا قَسِدْرًا لَكَ قَدْ عُرِفَا
حَسْبُ الشُّفَا الْقَاضِي الشَّهَابُ الَّذِي	قَبُضَتْهُ اللَّهُ لَهُ وَاصْطَفَا
وَحَسْبُ بِيهِ الدَّلْجِيُّ وَتَالِبُهُ	كَذَا ابْنُ مَسْرُوقٍ لِمَا شَتَّفَا
إِنْ صَرَّضَرَ الْبَازِي فَلَا بِنَبْغِي	لِلدَّيْكَ مَا يَعْنُوهُ أَنْ يَهْتَسَفَا
فَاضْرِبْ بِمَا أَلْفَقْتَهُ بِحِجَابِيَا (كَذَا)	بِأَنَّ رَأْيِي أَنْ نَعْتَلِي فَاخْتَفَا
وَالْبَيْتُ بِالْبَيْتِ مَعْ زَمْسِزِمِ	وَالْحَجْرُ الْأَسْوَدُ ثُمَّ الصُّفَا
لَوْ عَلِمَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ أَنْ	سَتَسْتَطِيعُ الشَّرْحُ مَا أَلْفَا
أَوْ عَلِمَ إِمَامُنَا مَسَالِكُ	أَنَّ الْحُرْشِيَّ شَارِحُ لَاحْتَسَفَا

وحذفت من هذا النظم ما فيه زيادة أغراض ومبالغة فيه، لأن بين الناظم ووالده وبين صاحب الترجمة عداوة لا حاجة في إيرادها ولا في تعيين سببها. وما أشار به الناظم إلى قصور صاحب الترجمة عن هؤلاء الأعلام المذكورين في النظم كالشهاب (546) والدلجي (547) وابن مرزوق (548) لاشك فيه لأنه اشتهر عند أهل العصر بأن لا يجابه لقصور لسانه عن تحرير العبارة (كذا) وعدم ممارسته للعلوم التي يفترق التدريس إليها، وكونه لم يظهر لشرحه فائدة مع وجود شروح من ذكر. وقد سمعت ممن أثق به أنه حضر بعض أعياد السلطان بمكناسة مع جماعة من علماء الوقت فأحضر صاحب الترجمة شرحه للشفا وناوله لسيدني لحسن بن رحال المعداني فطالع منه ما تيسر ثم قال له: لم نعرش فيه على شيء من كلامك حتى نعلم صحة قولك من بطلانه، وإنما نقلت كلام الشراح خاصة ولم تقل أنت شيئاً (549). واستجازه شيخنا سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي عن سيدي عيد القادر الفاسي، عن عم أبيه سيدي عبد الرحمان، عن القصار، (عن سيدي رضوان، عن سقّين، عن زكرياء، عن ابن حجر بسنده إلى البخاري، فإن ذكر هذا السند تبركاً فمسلم، وإن كان يقصد اتصال روايته ففيه نظر) (550) لأنه لم يتصل بالسماع، بل تخللته الإجازة في مواضع كما في فهرسة القصار المذكور (551).

توجه صاحب الترجمة للبحر، وتوفى بالمدينة، ودفن في البقيع الشريف عام الترجمة. وكان يتردد للرئيس عبد الله الروسي ودفع له ولده الفقيه عبد القادر فاستخدمه الروسي كاتباً عنده لجوذة خطه وحسن ترسيله وحرصه على القيام بذلك المقام، فنال صاحب الترجمة من الواجهة بسبب وقوف ولده في تلك الباب الغاية بحيث نفذ الاحباس الموقفة على كراسي التدريس بغير أن يكون لذلك التدريس أهلاً ودفع بخدمة ولده للروسي عن نفسه وأهله إذاية أهل الشرط والتكليف والتقية من عمال فاس. وما ذكرت هذا تنقبصاً منه (552).

546) يعني شهاب الدين أحمد بن حسين بن رسلان الرملي الشافعي المتوفى عام 844 صاحب التعلقة الجيدة على الشفا.

547) يقصد شمس الدين محمد بن محمد الدلجي الشافعي المتوفى عام 947 مؤلف كتاب الاصطفا لبيان معاني الشفا.

548) يريد أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني المتوفى عام 781 المعروف بالخطيب.

549) هنا في هامش كطرة نصها: «الأولى أن يشرح بما يظهر له من كلامه، ثم ينقل ما دعت الحاجة إليه، وإلا فلا يكون شرحاً، وإنما يكون جمع مجموعاً فيه كلام غيره».

550) ما بين معقوفتين ساقط من ك و س.

551) هنا في هامش ك طرة أخرى نصها: «وقد سمعنا صحيح مسلم دراية عن شيخنا مولاي إدريس العراقي عن الحريشي هذا بهذا السد».

552) ترجمة الحريشي في ط مختصرة خالية من المظومة الهجائية والتعليق عليها، ومن القسم الأخير المتعلق بالاتصال بحاكم فاس الروسي.

أحمد بن يوسف الفاسي (553)

ومنهم السيد الفقيه أحمد بن يوسف بن العلامة سيدي محمد بن يوعسرية بن علي ابن العارف سيدي يوسف الفاسي. تقدمت تراجمهم. ولد عام واحد وسبعين وألف، وتوفي عام خمسة وأربعين ومائة وألف بتطاون، وبها دفن بزوايتهم.

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي (554)

ومنهم الوجيه سيدي أحمد بن الحافظ أبي زيد عبد الرحمان بن سيدي عبد القادر الفاسي. تقدمت ترجمة أبيه وجده. كان صاحب الترجمة رئيس حرمهم بعد وفاة أخيه سيدي محمد ووليّ زوايتهم الكائنة بحومة القلقليين، فأدرك بذلك الوجاهة وصار معظما ملحوظا مقصودا في الحاجات والنوائب، ويتحصن به من البلاء والمصائب، مع سخاء ومروءة. ولد عام تسعين - بتقديم التاء - وألف، وتوفي عام خمسة وأربعين ومائة وألف، ودفن بزوايتهم بالقلقليين من فاس القرويين.

تذكرة المحسنين

أحمد بن عبد الرحمان الفاسي

الفقيه سيدي أحمد بن الإمام سيدي عبد الرحمان بن الشيخ الأكبر سيدي عبد القادر الفاسي، في واحد وعشري ربيع الثاني من السنة، ودفن بالزاوية.

(553) هذه الترجمة ساقطة كلها من ط.
 (554) وهذه الترجمة أيضا لا توجد في ط.

العام السادس من العشرة الخامسة

أحمد بن عبد الوهاب الوزبر الغساني

فمنهم الفقيه الصوفي الأثير، الناظم النائر الأديب الشهير، أبو العباس سيدي أحمد ابن الفقيه عبد الوهاب الوزبر الغساني النُّجَار، الأندلسي الفاسي الدار . كان رضي الله عنه له مشاركة، وله معرفة في علوم الحديث والسير والتاريخ والأنساب وطريقة الصوفية، أعجوبة الزمان في صنعة الإنشاء والترسيل، وممن عليه فيها المدار والتعويل، يسحر الألباب، ويأتي بالعجب العجاب، وله عارضة متسعة في التأليف، فألف كتباً عديدة، جامعة مفيدة، فمنها: حاشيته على الكلاعي بلغ فيها إلى خلافة أبي بكر وتوفي قبل إكمالها، وشرح على الهمزية، وشرح على البردة في مجلد كبير، وقد التزم فيه كلام الأليوري والعقباني والشطبي بعد شرحه بما يظهر له. أرخ تمامه وكان الفراغ منه عند طلوع فجر يوم الأربعاء الثالث والعشرين من جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف، وهو شرح مفيد جدا. وتألف في مناقب سيدي أحمد بن عبد الله سماه المقباس في فضائل أبي العباس، وجلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي. وله مقصورة في مدح سيدي أحمد بن عبد الله، وشرحها في سفرين، وشرح الحزب الكبير للشيخ سيدي أبي الحسن الشاذلي، وشرح صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش، وعوارف المنة فيمن شهد له بالجنة، وقصيدة مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أهل الطريقة بعده إلى شيخه سيدي أحمد بن عبد الله الذين هم واسطة وسندُ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو مائة بيت، وشرحها. ومطلع هذه القصيدة:

أَحْمَدُ مَنْ عَمَّ الْوَرَى فَضْلُهُ سَبْحَانَهُ الْمُعْطَى بِغَيْرِ سَوَالٍ
يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ هُدَاهُ رُبْنَا ذُو الْجَسَلِ

وله تقييد في التعريف بسيدي محمد المسناوي الدلائي، وتقييد في التعريف بجدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسني. وله أنظام كثيرة، ورسائل برع فيها، وله خطب، كثير التقبيد في أنواع العلوم ونحو ذلك، وكان مبرزاً للشهادة مقصوداً فيها، وله ملكة ومهارة في كتابة الوثائق على اختلاف أنواعها وكثرة اتساعها، ما تبينت من فصاحة وبيان، وضبط وتحقيق وإتقان. ولما توفي الفقيه الخير الدين الأريب اللبيب أبو الحسن سيدي علي الخميري الأندلسي إمام زاوية سيدي محمد بن عبد الله معن التي بالمخفية من فاس الأندلس، ولي صاحب الترجمة الإمامة بها، فكان يصلي بها الأوقات الخمس. وكان ممن يحضر الصلوات بها سيدي أحمد ابن عبد الله معن، وسيدي أحمد اليمنى، فلهاذا كان يقال لصاحب الترجمة إمام الأحمدين، وكان يسرد بها صحيح البخاري بعد صلاة العصر، ويختمه

في كل رمضان ختمة مخصوصة. وكان فصيحاً فكان يورق كتاب الكلاعي في السير بين العشائين، وهو الذي صلى على الأحمدين، وكان عادة أصحابها إذا مات أحدهم شسعون جنازته من داره إلى الجنان الذي اتخذها أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن لدفن موتاهم خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس، ثم يصلي عليه إمام الزاوية من غير مرور به للقرويين والأندلس ليصلى عليه بهما. وكان يرافق سيدي أحمد بن عبد الله إذا سار لبعض ضرورياته. فقد أخبرني شيخنا سيدي محمد الكبير بن محمد السرغيني أن صاحب الترجمة أخبره أنه مرّ مع سيدي أحمد بن عبد الله مرة بسوق الخميس لبعض المقضيات، ولما رجع اختار سيدي أحمد ابن عبد الله المرور على باب الحديد فاراً من ازدحام الناس عليه، وكان لا يحب الشهرة، فلما مروا بالمحجّ المذكور خرج معهم اليهود جماعة فجماعة يقبلون يدي سيدي أحمد بن عبد الله، فقال سيدي أحمد لصاحب الترجمة هذا جزء من يفرّ من المسلمين، كراهة لما تسلط عليه من اليهود. وبقي صاحب الترجمة إماماً بالزاوية إلى أن مرض فاستتاب غيره في الإمامة، وكان يصلي بها إلى أن توفي. أخبرني ولد أخيه العدل الأفضل، الأوجه الأمثل، سيدي عبد السلام بن عبد الوهاب الوزير، وتقدمت ترجمة والده، أن عمه صاحب الترجمة ولد حدود سبعين وألف، وتوفي ثاني ربيع الأول عام ستة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالساحة المزليجة المتصلة بقبة، سيدي محمد بن عبد الله معن خارج باب الفتوح أحد بابي عدوة فاس الأندلس (555).

الحسن الصنهاجي

ومتهم سيدي لحسن الصنهاجي، لا معرفة لي به ولا بحاله دفين (في دار براح زعموا أنها له على يد صاحبه سيدي أحمد بن محمد الوراق الصقلي الحسيني) (556) برجة الزيب بين مسجد الرحبة المعلق ومسجد العقبة الزرقاء المعلق أيضاً الأسفل، واتخذت الدار التي دفن بها مقبرة ويترك به الآن.

(555) ترجمة أحمد بن عبد الوهاب الوزير هنا مختصرة في ط بأقل من نصف ما هنا المنقول عن ك و س.
(556) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

العام السابع من العشرة الخامسة

محمد المَدْرَع

فمنهم الولي الصالح البركة العابد الزاهد الورع الفقيه الأستاذ المقرئ الموجود المحقق الأنصح الأنفع، أبو عبد الله محمد المدعو المدرع، الأندلسي النجار، الفاسي القرار. كان متجرداً للعبادة والذكر لا يفتر عنه أصلاً، وكلما كلمته أجاب لا إله إلا الله ملازماً لمسجد الأندلس أو القرويين، متبحراً في التصوف محققاً في الطريقة، مرتبة أوراده لا يغفل عنها، وجهته كلها لمولاه، لا يدع مراقبته في علانيته ونجواه. أخذ طريقة القوم عن العارف المحقق سيدي محمد بن أحمد الدريج التطواني (557)، وهو حررها وتأدب وتربي بالشيخ سيدي أحمد بن عبد الله وسيدي أحمد اليميني، وشاركه في الأخذ عنهما. وتوجه للحج فلقى مشايخ ورأى منهم أمراض عظيماً. أوْحَى عنه أنه لما كان في المواجهة النبوية أحسن بذاته انحلت حتى صارت كالماء، لما أدركه من عظيم المواجهة النبوية، وبقي طريحاً فإذا بشيخ من شيوخ الشرق جعل يده على بعض مفاصله فانجمع ورجع إلى ما كان عليه وقال له: مالك يا مغربي؟ إن الرجال تُقيم هنا أبداً ولا يظهر عليهم هذا، وجعل كلما جعل يده على موضع من جسده رجع إلى معتادة حتى انجمع كله، فكان يقول: لا أنساها له أبداً، لأنه أغانتني. وحج مراراً. وفي عام ثمانية وعشرين ومائة وألف صحبه في طريقه للحج والذي وعمي القاسم فانفصلا عنه وتركاه مجاوراً بالمدينة المشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام [558]. وكان لصاحب الترجمة أصحاب وأتباع وجلساء يرافقونه سراً وحضراً، إذ كان شديد الاعتناء بزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش، وبقي كذلك يزوره كل عام إلى أن توفي. وكان قبل ذلك شديد الاعتناء بزيارة سيدي أبي يعزى. [وحدثني والذي غير ما مرة أنه خرج وجماعة من الأشراف أهل فاس، منهم من أبناء جنسنا أبي وعمي قاسم وابن عم أبي عبد القادر بن العربي، وأبناء عم جدنا محمد وعبد الله بن أحمد مع صاحب الترجمة في ركب من الزائرين لسيدي أبي يعزى، إذا هم في بعض الفلوات ضلُّوا عن الطريق، وكان الصلح مخوفاً جداً، فجعل بعض الأشراف يسب سيدي أبا يعزى أقبح السب ويقول له تتركنا تائهين ولا ترشدنا للطريق، فأخذ والذي يزجره عن ذلك، فبينما هم كذلك إذ أقبل عليهم فارس راكباً على فرسه، فلما رآهم قصدهم بالجري على فرسه، فلم يشكوا في الهلاك لظنهم أنه مُدْلٌ للصوص. فلما وصل إليهم سألهم من أنتم؟ فقالوا نحن زائرون سيدي أبا يعزى، فأكب على أيديهم وأرجلهم يقبلهم ويطلب منهم الدعاء، فقالوا له ما شأنك؟ فقال كنت نائماً في خيمتي الساعة، فرأيت رسول

557) كذا في ك و س. وفي ط: التطواني.

558) ما بين معقوفتين ساقط من ط.

الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس كهيئة القاضي وقوم يتحاكمون إليه، فلما قربت منه قال: أين أبو يعزى؟ فجاؤوا به إليه صلى الله عليه وسلم وأبو يعزى كالمقبوض في أيديهم فقال له صلى الله عليه وسلم: أتترك أولادي يتيمون وهم جاؤوا يزورونك؟ أذهب إليهم وأرشدهم للطريق فهم في الشعبة الفلانية الشعبة التي وجدتهم فيها، فخرج أبو يعزى وأخذني من يدي وقال لي: اذهب إليهم وأرشدهم للطريق، فجئت إليكم، وصاحب الترجمة في ذلك كله يتبسم، وبقي الفارس المذكور يطلب منهم الوصول إلى محله فأبوا إلا أن يبلغوا لمحفل زيارة أبي يعزى، فذهب معهم إلى أن زاروا وزار معهم ورجع بهم على حلته وأكرمهم. وهذا من غيرته صلى الله عليه وسلم على ذريته واعتنائه بأهل بيته⁽⁵⁵⁹⁾. ولصاحب الترجمة اعتناء بزيارة الصالحين، وله نظم جيد في أكثر صالحى فاس وقفت عليه بخطه، وأيضاً بخط الأديب محمد بن علي بن إبراهيم الذكالي المدعو بغازي. (ومن رسائله هذه الرسالة التي نذكرها، كتب بها لبعض الشرفاء: إلى سيدنا حفظك الله ورعاك، وطهر قلبك من شهواتك وهواك، ووزقك من التوفيق ما يزجرك ويتهاك. أما بعد. أما أن لك سيدي أن ترجع إلى مولاك؟ أما تخشى أن يراك حيث نهاك؟ أما تخشى من سطوته وانتقامه؟ أما تخاف من عذابه وعقابه؟ أما لك عقل يزجرك؟ أما لك حياء يمتعك؟ أما تراقب ربك المنان، ذا الطول والإحسان؟ اتبارزه بالمخالفة والعصيان؟ ورحم الله القائل:

إِذَا لَمْ تَضُنْ عِرْضاً وَلَمْ تَخْشَ خَالِقاً وَتَسْتَحْيَ مَخْلُوقاً فَمَا شَيْئَتَ قَاصِعَ

أما ترى الشيب دخل بمفرتك ولحيتك، وأنت في تهاديك وغفلتك؟ أما ترى العمر ينهب، والذنب يكتب؟ ورحم الله الشاعر:

نسير إلى الآجال في كل ساعة	وأيامنا تُسطوى وهن رواحلي
وما أقيح التحريط في زمن الصبا	فكيف به والشيب في الرأس شامل
تزود من الدنيا بزادٍ مبلغ	فعمرك أيام وهن قلائل

لكن النفس أمرها عسير، وفي مخالفتها جهاد كبير، فإن رضى الملك القدوس، في مخالفة النفوس، وما استولت عليه فهو في سجن الهوى محبوس، ومن تغافل عن دائمه، أبس من دوائه. فاطلب سيدي التوبة من الله في جميع أوقاتك، فهو الكريم الذي لا يخيب آمال الطالبين. قال جل من قائل: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ». والسلام⁽⁵⁶⁰⁾. قرأ على جدنا عبد السلام بن الطيب القادري، وسيدي محمد القسنطيني، وسيدي

(559) ما بين معقوفتين ساقط كذلك من ط.

(560) هذه الرسالة ساقطة أيضاً من ط باستثناء الأبيات الثلاثة.

محمد السنوسي، والجرندي، وكان يُجود القرآن بحرفي نافع والمكي. توفي سنة الترجمة ودفن متصلاً بغيرسيدي الغرابلي بالقلعة قرب سيدي محمد القالب في يوم كثير المطر، وبني عليه قوس، وترك ولده الطالب الأنجب أبا عبد الله محمد توفي حدود الأربعين ومائة وألف (561)

من حوادث السنة

ثورة العبيد على السلطان مولاي عبد الله

ففي يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الثاني (562) ثار العبيد على أمير المؤمنين السلطان المظفر الهمام مولانا عبد الله ابن المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا إسماعيل الشريف الحسيني بسبب من قتل منهم صبراً من الذين غَدَرُوا أخاه الخليفة السلطان مولاي عبد الملك ودَسُوا له من قتله، فأخذ يثأر أخيه وأكثر القتل من رؤسائهم حتى كاد أن يستأصل كبارهم وطغاتهم بعد أن وضع المغارم الثقيلة خصوصاً مدينة فاس، فكاد أن يفلس أهل الثروة (563) منهم، ولم يحاش عن هذه إلا الشرفاء والمرابطين والطلبة فإنهم كانوا في زمنه في عز ومنعة وتوقير واحترام، وتبجل وإعظام. ثم إن السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل الشريف الحسيني لما ثار عليه العبيد أجمع على الفرار، فأرسل إلى العبيد مائة قنطار من الفضة يريد بذلك حل كلمتهم. فأخذوا وفرقوها في مصالحهم لحره وازدادوا بها قوة ونفروا منه، وأمر الله ومراده فوق ذلك، فحمل ما رفته دوابه من المال وذهب إلى نادلا، فنزل على مرس أبي الأعران الذي هو هناك مجموع لبيت المال، فنادى بإباحته في القبائل، فأخرجته الناس واستعانوا به على المسغبة التي نزلت في تلك السنة في ذلك البلد، لأن تلك السنة كان اليبس بمراكش وحوزها. ثم دحل السوس فنزل بموضع يقال له شوشاوة، فأطال المقام بها، وسيأتي تمام ذلك إن شاء الله.

مبايعة العبيد لمولاي علي بن مولاي إسماعيل

تم يعد مسيره السوس أعلن العبيد بنصر أخيه السلطان أمير المؤمنين أبي الحسن مولاي علي ابن الخليفة أمير المؤمنين المنصور بالله مولانا إسماعيل بن الشريف الحسني، فقاموا بدعوته، وإلى التمسك بطاعته، وتابعهم أهل المغرب في ذلك لما كانوا فيه من ضيق المغرم والتكليف بما لا طاقة لهم به، فأسقط عنهم ذلك، ففرحوا لسقوط المغرم عنهم كأنهم خرجوا من الرِّحْم إلى الدنيا أو العيش بعد الموت، فأرسل العبيد، وأهل المغرب فاس وغيرها وكلهم تابعون للعبيد بالبيعة إلى مولاي علي وهو بتافلات، فقدم إلى فاس ودخل دار الملك من فاس المرينية يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الأولى من السنة. وفي يوم

(561) ولده هذا غير مذكور في ط، ويظهر أنه وقع تصحيف في تاريخ وفاته.

(562) حوادث السنة ساقط كلها من ط، ثابتة في ك و س.

(563) في ك: الثوب.

الخميس بعده توجه لمكناس فدخلها غدوة يوم الجمعة وصلّى بجامع دار الخلافة بالقصبة، وخطبها وإمامها هو قاضي القضاة سيدى محمد الطالب بن عبد الواحد أبي عنان، فقدم ذكر السلطان عن ذكر الصحابة عسى أن ينال بما ابتدعه منزله عند السلطان، فلما فرغ من الخطبة قدم غيره للصلاة، ولما فرغ منها عزله لفعله ذلك وولّى مكانه القاضي العميري. ثم نظر في خزائن المال فوجدها خالية قفراء إلا ذهباً بها أعطاه للعبيد، ولم يف مرتبهم الذي كانوا يقبضونه في نصف كل سنة عادة، فكمّل لهم مائتتى قنطار (564) من تنافيد على الناس التي خصتهم لكمال راتبهم. وكان الخليفة السلطان مولاي عبد الله الحسنى لما أراد السير إلى سوس دفن المال الذي لم يخضره من يحمله من الدواب في الأرض و أخفاه بأجمعه هو وما سلم من نهب القصبة بعد وفاة والده، ثم أخرجوه هو بعد ذلك بسنين كما باتى ذكر ذلك إن شاء الله.

إسناد السلطان مولاي علي قيادة فاس إلى مسعود الروسي.

ثم إن مولاي علي ولى على فاس القائد مسعود الروسي، فكلّفهم بإخراج خمسمائة من الرماة وقتل الحاج أحمد بودة اللمطي رئيس اللمطيين بعد موت مولانا إسماعيل منّ وثب على دار أخيه أبي علي بن عبد الخالق الروسي وقتله، فقتله بأخيه، وكان يميل إلى مولاي عبد الله، لأن السيدة خناته بنت الشيخ بكار المغفري أم مولانا عبد الله تشفعت في بودة لمّا قتل ولدها مولاي عبد الله الفئة الباغية من رؤساء فاس، فاجتمع رؤساء أهل فاس بعد صلاة الجمعة وأعدوا أصواتهم كصوت واحد قائلين: نحن بالله وبالشريعة، فكان من ذلك ضجيج وصياح. فلما سمع ذلك مسعود الروسي خرج من فاراً خوفاً على نفسه فيبلغ خبرهم لمولاي علي فتغيظ وأرسل من يستفهم حالهم، فتعددت الرسل بينه وبينهم في أمر يطول ذكره. أخرج أولاً الشرفاء مستشفعين إليه ليمهل أهل فاس حتى يعينوا الرماة ثم لم يفعلوا، فأراد حصارهم فلبسوا عليه الأمر فأخرجوا الخيام وأنزلوها، بموضع المصلّى خارج باب الفتوح ومعهم بعض (السلّاكط) يلبسون عليه أنهم يخرجون المحلة والأمر خلاف ذلك، تم وجهوا له شرفاء فاس مستشفعين ليمهلهم حتى يجمعوا الرماة، وعللوا له ذلك بتعذر قلة ذات اليد لاستيفاء راتب الرماة، فأمهلهم شهراً ثم إنهم لم يفوا له بذلك، وقال للشرفاء إن أتيتموني ثالثاً مستشفعين فيهم سأسجنكم مكبلين مسلسلين. فلما لم يفعلوا له بعد الشهر أراد إرسال جيش لحصار فاس فطلبوا تانياً من أعيان الأشراف التشفع فيهم، فخرج جميع من خرج في المرتين اللتين قبل هذه، وهم بين الخمسين والستين، فقبض عليهم وسلسهم وكبلهم وهم من جميع الأعيان الذين ذكرهم صاحب الدر السنّي، فلم ينج منهم إلا والذي اختفى في الطريق لأنه كان أخبره بعض رؤساء العبيد بأن السلطان يقبضهم لا محالة فاخفى ونجاه الله ورجع إلى فاس يخبر بقبضهم (565)

(564) هنا في هامش كطرة نصها: «بلغ صرف الذهب في هذه السنة ثمان أراى عدة للمثقال المسبوك».
 (565) ما بين معقوفتين مكتوف في هامش كطرة، وقد أدمجه ناسخ س في صلب الكتاب، وهو عبد السلام بن الخياط القادري صاحب التقايد التاريخية.

ثورة الفاسيين على مولاي علي ومحاصرة فاس
فأمر السلطان قواده بمحاصرة فاس، فنزلوا لحصارها أواخر شعبان من سنة سبع وأربعين، فشنوا الغارات على فاس وحصروها، فأقبل ضعفاؤها ومن ليس له قدرة مع رؤسائها للمنع وللدفع عن نفسه من المؤمنين العاجزين من الناس والرجال واليتامى والأرامل وأهل البيت على الدعاء إلى الله والتضرع والتشفع بكتاب الله في هذا الشهر رمضان آناء الليل وأطراف النهار، فنداركهم الله بلطفه الخفي المرجو بعد الشدة، وذلك أنه أمر عبيد الرملة بتوجيه جيشهم لحصار فاس فامتنعوا ونهوه عن حصار فاس وقال له رئيسهم سالم الدكالي: إن حصار فاس ينهض الفتن بالمغرب ويكثر النهب والغارات بين القبائل فتفتطح الطرق ويشتد الغلاء، ونكون الكربة لأخيك مولانا عبد الله عليك، فرجع عن ذلك وأمره قواده بالرحيل عن حصار فاس، وكان أهل فاس أسقطوا اسمه من الخطبة في مدة الحصار واكتفوا بذكر الصحابة فقط. فلما رحلت المحلة عنهم خطبوا به كما كانوا عليه. وكان سجن جماعة من أعيان شرفاء فاس وعلمائها الذين جاؤه يطلبون العفو ويمهل أهل فاس في الرماة حتى يعينهم وعطائهم، فامتنعهم محناً عظيمة وهو يهددهم بالقتل والتجريد من الثياب المدة بعد المدة، فلما نهاه العبيد عن حصار فاس وأرنحل الجيش عنهم بعث شرفاء فاس إلى الشيخ الولي الصالح المتبرك به شرقاً وغرباً حيا وميتا سيدي محمد المدعو الطيب بن الإمام سيدي محمد الشريف اليملاحي الحسنى العلمي صاحب أوزان من بلاد مسمودة الغرب رسولا يطلب منه أن يتشفع في أهلهم المسجونين عند السلطان للعبيد يأمرهم السلطان بتسريحهم فوجه مولاي الطيب المذكور الرسول بنفسه إلى العبيد، فأجابوه إلى ذلك وبعثوا الباشا الحوات أحد رؤسائهم إلى السلطان بعدم موافقة العبيد على فعله بالشرفاء، وهددوه إن لم يسرحهم من سجنهم إلى فاس ير منهم ما يكره، فأطلق فوراً الشرفاء والفقهاء، ووصلوا إلى فاس ووزق الله المطر في هذه السنة فصح فيها الزرع وجميع المواشى والأثمار، وجاء على أكمل حالة، ولم يضع منه لأربابه شيء، واستمرت العافية إلى تمام السنة (566)

*** — تذكرة المحسنين — ***

محمد المدرع

الشيخ الذاكر البركة سيدي الحاج محمد المدرع الأندلسي. كان الشيخ المسناوي يجله ويعظمه ويستخلفه في إمامة الصلاة، وكان كثيرا ما يتشد.

نسبى إلى الأجمال في كل لحظة وأيامنا تطوى وهو مسراجل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا فكيف به والتسبب في الرأس تساعل
تزود من الدنيا بزاد مسبلغ فسفسنرك أيام وهن قلائل

دفن رحمه الله بروضة قرب ضريح الولي سيدي محمد بن الطالب برأس القليعة داخل باب الفتوح أحد أبواب فاس.

(566) وردت حوادث هذه السنة في الحوليات مختصرة، إلا أنها تحتوي على إشارات تاريخية مفيدة.

العام الثامن من العشرة الخامسة

محمد الكندوز

فمنهم الشيخ الشهير، العلامة النحوي الكبير، الحافظ الضابط. اللفظ المُعَبَّرُ المحصل المحقق الصالح البركة المتفي الموفق الزاهد الأورع، المدرس الأنفع، شيخنا وتشيخ أسياننا أبو عبد الله محمد بن الحسن الجندوز المصمودي (567) ولم تزل البركة في المصامدة من قدم الزمان، فقد حكى في المنهل الأصفى (568) عن الشيخ علي اللجائي وغيره أن المصامدة فيهم بركة، لأنهم وقد (569) منهم رجل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وحكي عن غيره أنهما رجلا. قال وذكر لي قوم أنهم سبعة وأن قبورهم موجودة إلى الآن هـ. وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلم البعض منهم بلغة البربر [فانظره، وصاحب المنهل الأصفى هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسن التلمساني] (570)

كان صاحب الترجمة - رضي الله عنه - من العلماء العاملين، ومن الصالحاء الفاضلين، له عكوف علي تعلم العلم وتعليمه، واسع الخلق، كريم النفس، طيب اللقاء، حسن اللهجة، واضح المَحْجُضَة. فمن كريم خلقه أنه لا يستنكف عن القراءة على من هو أصغر منه سناً ومنزلة، بل يتبع الحكمة ما أمكن، فهي أبدأ ضالته، حريصاً على الفهم وإدراك الدقائق. ويرع في النحو وكان مشاراً إليه فيه، أحد أعيانه، معلوم في تحقيقه وإتقانه، يقوم على ألفية ابن مالك بشروحها وحواشيها، ويستحضر الكثير من تحقیقات الدماميني في شرح التسهيل، ومثل ذلك من شرح الرضی على كافية ابن الحاجب، وغيرها من كتب العربية، ويحفظ كشيراً من الأدب والحكم واللغة وأنام العرب ماهرأ في جمع ذلك مقبلاً على التدريس، وله فيه لسان فصيح وتبليغ بليغ، مجلسه مجلس أبهة ووقار، لا يستطيع أحد أن يجلس فيه إلا مُشَمَّراً عن ساعد الجد، وله فيه مهابة وجلالة، وعلو مكانة، لا يسع أحداً الجلوس في مجلس إقرائه إلا مطرقاً مستمعاً مصغاً مستجمعاً. ومع ذلك فله اعتناء بالمساكين والضعفاء و أهل الدين، فبتنازل في علو شرفه، ويبسط في منعة قدره، وكان عذب الفكاهة، أربى على أهل زمانه بالمهارة في علم العربية وسعة الخلق وهضم النفس.

(567) هنا في هامش ك و من طرة نصها: «أخذ طريق القوم والأورد عن شيخنا مولاي الطيب ابن محمد الشريف العلمي

الحسني دفين وزن

(568) هنا أيضا في هامش ك و س طرة أخرى يتأكد أنها من إنشاء عبد السلام بن الخياط القادري صاحب التعايد التاريخية، وربما كانت يخطه في ك نصها: «مؤلف هذا الكتاب المسمى بالمنهل الأصفى هو أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي الشريف الحسن التلمساني، نقل عنه الحكاية تمامها حد والدنا في كاشه محمد العربي بن الطيب القادري الحسني، لأن ابنته فاطمة هي أم والذي الخياط بن محمد بن علال القادري الحسني. ونقل هذه الحكاية أيضا العلامة الشهاب الخفاجي في شرح نسيم الرياض.

(569) في ط واحد، وهو تصحيف

(570) ما بين معنوتين ساقط من ك وس.

وكان مفتقراً ومع ذلك لا يتمادى لشيء من الأسباب وغيرها. وكان محباً لآل البيت عظيم المودة لهم ممن يؤثرهم بنفسه وماله. وقال لي هذه مدة من اثنين وأربعين عاماً وأنا في قراءة العربية وودت لو اقتصررت في العربية على ستة أعوام منها، وجعلت ستة وثلاثين في قراءة فنون من علوم أخرى، فأياك أن تفعل كما فعلت، فعليك بالمشاركة في العلوم، وذلك بقرب سنة وفاته (571)

أخذ عن شيوخ المغرب، كالشيخ المسناوي وطبقته، وتخرج به جماعة. [وقال فيه شيخنا العلامة سيدي عبد المجيد الزبدي فيما وجدته بخطه ما نصه: الفقيه النبيه، الناقد النزير، الحافظ الدراكة الفهامة الذي قطع في التعلم والتعليم لباليه وأيامه، نحوي عصره، وشيخ أرباب العربية في قطره ومصره، الجميل الاتصاف، بجسيم الأوصاف، كالحلم والإتصاف، والإسعاد والإسعاف، والديانة والصيانة والعفاف هـ. ثم قال: قرأت عليه من مختصر السعد إلى الفن الأول، وحضرت عنده في مجلس ألفية ابن مالك نحو الثلث منها هـ. وكان متين الدين، قوي الورع واليقين، دؤوباً على الذكر لا يفتر عنه مهما انفرد عن الطلبة والتدريس] (572)

قرأت عليه ألفية ابن مالك ختمة كاملة، ثم أخرى بلفظي إلى النداء، ومختصر السعد، ونحو الثلث من مختصر خليل بكلام الزرقاني، وينقل من التوضيح. توفي عشية يوم الخميس الثالث من المحرم عام ثمانية وأربعين ومائة وألف بفاس، ودفن في عرصة لأبناء بعض أشياخه الشرفاء أهل وازان، اتخذ فيها مقبرة لهم قرب زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين، ولما دفن خارج قبة ابن شيخه مولانا النهامي، وهو الشيخ البركة الولي الصالح المراقب الكثير الإنفاق وإطعام الطعام للضعفاء والمساكين وإكرام أهل البيت المتبرك به حياً وميتاً سيدي محمد بن الشيخ مولانا النهامي، لم يرض بذلك الطلبة وذهب بعضهم للشرفاء أهل وازان وزنا من جملتهم، وطلبنا منهم بتركنا نحمله لمحل آخر، فطلب من الطلبة أن يتركوه على حاله، ثم تردد الكلام من الطلبة فقام بعض إخواني في الأخذ على شرفاء وازان [وهو محمد بن علال القادري الحسني دفين رأس الجنان] (573) وقال لهم عينوا لنا الموضوع التي تريدون حمله إليه. وكان الطلبة من أفراد المدارس ليس لهم مواضع، فأجبت القائل أنا بأن يختار الطلبة في الرواضي الثلاث التي لقبيلنا وهو داخل باب الفتوح، فأجابني بأن تلك المقبرة ذات ستر بالجدران ومتصلة بالعمارات، ورواضنا برآح لا جدران لهم ولا تحافظ ولا سر لمن يبريد زيارته من النساء، فكما أشار إليه ابن الحاج في المدخل،

(571) هذه الرصية ومقدمتها اختصرت في سطر في ط

(572) ما بين معقوفتين ساقط من ط

(573) ما بين معقوفتين مكتوب كطرة في هامش ك، وأدمجه ناسخ س في صلب الكتاب.

فقلت له ننقله لجنان أصحاب سيدي أحمد بن عبد الله معن، فقال لي أوقفه أصحابه على دفن موتاهم، وهذا ليس من تلامذته، وهو من بلاد هذا الشرف (كذا) ومن تلامذتهم، وكان يعيش بما يجرونه عليه من عطائهم من الفرض والتطوع، ولما مات أقام تجهيزه ودفنه، فمن فعل معه شيئاً من هذا منكم؟ فلم نجد له جواباً وتركناه على حاله. وكان في جنازته موقف عظيم لم يتخلف عنها أحد من عامة فاس وخاصتها، ورثاه بعض تلامذته، وهو شيخنا الأديب اللغوي الناظم سيدي عبد المجيد الزبادي بقوله:

قَصَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ جَمَّ الْفَوَاضِلِ مُحَمَّدُ الْجَنْدُوزُ بِحَرِّ الْفَضَائِلِ
حَقِيقٌ لِأَهْلِ النَّحْوِ سَكَبُ دَمْعِهِمْ عَلِيٌّ فَفَقْدُهُ وَالِدُكُمْ لَيْسَ بِطَائِلِ
قَمَمَنْ لِنَتَّالِفِ النَّحَاةِ يُبَيِّنُهَا وَيُعَرِّبُ مَا فِيهَا لِكُلِّ مُسَائِلِ
وَمَنْ لِقَهْمِومِ الطَّالِبِينَ يَدُلُّهَا عَلِيٌّ الْحَقُّ إِنْ رَامَتْ جَوَابَ مَسَائِلِ
إِذَا لَمْ يَلْحَ لِابْنِ الْحُسَيْنِ بِمَجْلِسِ مُحَيِّبًا قَمًا فِي الدَّرْسِ خَيْرُ لِسَائِلِ
لَقَدْ عَزَّ إِيَّانَ الزَّمَانِ بِمَثَلِهِ فَيَا لَزَمَانَ فِدَا أُنَى بِنَوَائِلِ
عَلَى مَثَلِهِ يُبَكِّي وَلَا يُسَامُ الْبُكَاءَ فَبَاعِظْ بِمَفْقُودٍ وَأَشْدُدْ بِنَائِلِ
وَيَوْمَ نَوَاهُ غَمٌّ حَرٌّ مُصَابِهِ قَلُوبَ ذَوِي الْأَلْبَسَابِ دُونَ الْأَرَائِلِ
عَلَى رَمْسِهِ (574) مَنِّي السَّلَامُ مُصَاحِبًا لِرَحْمَةِ مَوْلَانَا الْكَرِيمِ الْمَوَاصِلِ

ولما رأى تقصر أهل الأدب من تلامذته عن رثائه قال أيضاً معندراً عنهم:
وقوله «غَمٌّ حَرٌّ» هو رمز لعام وفاته، وذلك أن الغين المعجمة مع الراء ألف ومائة،
والمليم مع الحاء المهملة ثمانية وأربعين (575).

يَابْنَ الْحُسَيْنِ بِنَحْوِكُمْ حَسُنَتْ عَقُوبُنَا وَكَذَا الْأَذْهَانَ وَالْفَكْرُ
إِنَّ النَّحَاةَ (عَدُوا) مِنْ هَوْلِ بَنِيكُمْ رَأَمُوا الرِّثَا فَنَسُوا الَّذِي ذَكَرُوا (576)

أبو جيدة بن محمد المشاط المنافي

ومنهم الأديب الموقت العدل شيخنا سيدي أبو جيدة بن محمد المشاط المنافي. كان موقتاً بمنار مسجد الأندلس، قائماً به ويضبطه، حريصاً على مهمات المسجد المذكور. وكان يقوم على روضة الجادري في التوقيت، وعلى ألفية ابن مالك ويعتني بمطالعة ابن هشام. مات في سنين شبابه، في التاسع والعشرين من جمادى الثانية عام الترجمة، ودفن بقرب باب الحمراء داخل باب الفتوح عدوة فاس الأندلس، وترك ولداً مات صغيراً. قرأت عليه

(574) في ك: على مثله. وما أثبتناه من س أنسب.

(575) البيتان مكسوران في المخطوطتين، وقد اجتهدنا في إصلاحهما بما يظهر أنه أقرب إلى الأصل.

(576) النص الأخير من هذه الترجمة كله ساقط من ط

الجرومية، وألفية ابن مالك إلى الاشتغال، عامله الله برحمته وفضله (577)

محمد السوسي

ومنهم الولي الصالح العَلَم الواضح، سيدي محمد السوسي، أحد أعلام الأولياء، والأكابر الأصفياء، له قَدَمٌ راسخ في الطريقة، وإدراك تام في الحقيقة. أخذ عن سيدي أحمد اليميني، وسيدي أحمد بن عبد الله. رحل لزيارة سيدي محمد بن سعيد نزيل عراضة من طرابلس، لأنه تلاقى بالشيخين المذكورين، قال وأما أنا فأغنانني الله عن الأخذ عنه. وقال لبعض أصحابه: أحبُّ فقراء الزمان ولا تطمع فيهم، لأن الله أغناك عنهم بشيخك. وكان بعض أصحابه ساكناً بمجاورة أبي علي الروسي والي شرطة فاس، فلما عزم أهل فاس على الفتك به خاف وأتى صاحبه هذا، فضمن أن لا يدخل أحد داره على شرط أن لا ينهب شيئاً من متاع الروسي. فلما فتكوا به جعل وتادين الشرطة بتسورون سطح داره للاختفاء بها من أهل فاس ليلاً يقتلوهم، فنهب ولده مكحلة وشكارة بارود بإخفاء من والده، فكسر أهل فاس باب الدار وهجموا عليها لطلب الحرس، فكان من لطف الله أن اعتذر عنه أحدهم وأخرجهم من الدار، فذهب لصاحب الترجمة فأخبره بما وقع فوجده مغضباً عليه وقال له: أليس التزمت أن لا يدخل دارك من نهَبَ الروسي شيئاً، فرجع لداره وألح عليهم فأقروا له وأخرجوا له مكحلة. وكان صاحب الترجمة يأوي مع سيدي أحمد اليميني حتى مات، فنزل بمسجد سيدي دراس بن إسماعيل بمصمودة عدوة فاس الأندلس، فكان ذلك من سعادة مؤذنه سيدي محمد الصنهاجي. ثم رحل للمشرق فمات بالشام عام الترجمة، وبُنيت عليه قبة، فهي من أعظم مزاراتهم (578)

من حوادث السنة

خصب ورخاء

وفي عام ثمانسة وأربعين وألف (579) أعطى الله تعالى لعباده الخير، وأنزل الله المطر الغزير الذي لم يُعهد (مثلُه)، وفرح الناس بذلك، وحرث الناس بفاس وبالعرب كله، وكانوا يظنون أنهم يرفعون صابة كثيرة لم يُعهد مثلها، والناس بذلك فرحون مطمئنون. وفي سادس ذي الحجة من آخر العام حين قربت الصابة للوجود، قدم مولانا عبد الله من سوس ونزل بتادلا، فوقع في الصابة فساد حين قدومه ولم يكن منها كائنة (580).

(577) ترجمة أبي جيدة كلها ساقط من ط. وبعدها أقحمت في المخطوطتين سطور تتعلق بتحركات الجبيد، صرنا عنها صفحاً.

(578) هنا في ط. إقحام ترجمة قاسم ابن رحمون المتوفى عام 1149 وقد اعتذر المؤلف في آخرها عن ذكرها - خطأ - ضمن عام 1148. وهي في ك و س آخر السنة الموالية

(579) حوادث هذه السنة ساقطة من ط.

(580) هذه الفقرة القصيرة المتعلقة بالخصب والرخاء منقولة عن الحوليات (ص 38، 39) التي انفردت بها. وأما الفقرة الثانية الطويلة المتعلقة بتنافس السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي وتناحر أنصارهما فهي من ك و س، ومضمونها في الحوليات مع اختلاف يسير لم نر فائدة في تتبعه.

تنافس وتناحر بين السلطانين مولاي عبد الله ومولاي علي ومن حوادث السنة أنه في شهر ربيع عام الترجمة تجهز عبيد مشرع الرملة للحركة لسوس متبعين السلطان مولاي عبد الله بن مولاي إسماعيل، وتولى القيام بذلك كبيرهم الباشا سالم الدكالي، فبلغوا حاحا وعجزوا عن الإقدام عليه وهو يتارودانت لهيبته وخوف بطشه، فطالت إقامتهم وقت عليهم الميرة، فانقلبوا راجعين لنحو ثلاثة أشهر من خروجهم. ثم بالقرب من ذلك ورد الخبر أن مولاي عبد الله نزل تادلا، فأخذ أخوه مولاي علي في التأهب لقتاله وبعث للعبيد يعلمهم بخروجه، فوعده بالقدوم عليه، وعسكر بجيشه مع الأودية وغيرهم خارج مكناسة، فبقي يرصد قدومهم عليه حتى عيد الأضحى (581) جاءه المنادي بانهم خلعه ورجعوا لطاعة خليفتهم الأول أخيه أمير المومنين مولانا عبد الله ابن المنصور بالله مولانا اسماعيل بن الشريف الحسني، فارتحل مولاي علي سريعا وفر فوراً فأصبح من ليلته على ضفة واد فاس، فطلب من الأودية القيام معه فأغلقوا دونه الباب، ثم ارتحل فوراً فنزل بقترة سبو حتى قضى أصحابه من فاس ما يحتاجون إليه، وأخرج له بعض أهل فاس خبزاً لأصحابه، ثم ارتحل عشية النهار متوجهاً لناعية المشرق، فبقي بين عرب أهل المشرق، ثم نودي بنصر مولاي عبد الله في المغرب وجميع أقطاره، فانقسم الناس فرقتين: فرقة فرحت غاية الفرح لأن الطرقات منذ خرج عنه أهل المغرب وهي فاسدة، ولم تمض الأحكام لمولاي علي دون أمر العبيد في شيء، وهذه الفرقة هي الشرفاء والمرابطون والطلبة والفقراء الضعفاء الذين لم تلزمهم وظيفة المغارم، وفرقة نكدت وفزعت وكرحت ولايته عليهم مخافة أخذهم بما فعلوا، وهذه الفرقة منهم الذين سعوا في الخروج عليه ومن أظهر في الأرض الفساة وأهل النهب والقطع والتعدي والغصب، ومن كان يناله شيء من المغارم خاف أن يرجعوا لما كانوا عليه، فإن مولاي علي لم يجر عليهم ذلك إلاً أمراً يسيراً منه. ومن هذا العام حدث الكره والعداوة بين العوام وأهل البيت إلى الآن. وكان بقصبة تادلا القائد مولود الجبيلي الوديعي مع بعض العبيد عاملاً على تلك البلاد، فلما قدم مولاي عبد الله بلاد تادلا أغلقوا القصبة ليلاً يريد الدخول إليها ظناً منهم أن الأمر لم يرجع إليه، فلم يلبثوا إذ وردت عليهم الأرسال بأن العبيد وأهل المغرب نصروا مولانا عبد الله ورجعوا إلى بيعته وخلعوا أخاه مولاي علي، فسقط في أيديهم وطلبوا الأمان لأنفسهم من السلطان، ثم رجع لداره موهماً لهم أنه يريد بعض مقتضياته، فضرب نفسه برصاصة من كابوس أطارت نحيبه، فحملوا شلوه للسلطان كذلك فاشتد غيظه على من بقي فقتل ممن كان بالقصبة نحو سبعين رجلاً، ثم جاء العبيد للقائد بنحو ألف ومعهم الشرفاء والعلماء فبشروهم بالخبر وأعلن لهم أن سبب ما وقع بينهم وبينه هو سالم الدكالي، فوعده أن ياتوه به ويسامحهم فيما صدر

581) في ك: حتى جاء عيد الفطر.

منهم، وأعطاهم مالاً وأمرهم بالرحيل في الحين، فارتحلوا وانلاس على وجل ومخافة من انحلال الأمر.

فلما رجعوا لمحلهم مشرع الرمل وجدوا سالم الذكالي وجميع من باشر معه الخروج على مولاي عبد الله مجتمعين معه وخلعوا مولاي عبد الله ثانياً وأعلنوا ببيعة السلطان سيدي محمد بن الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين مولانا إسماعيل بنمولانا الشريف الحسنى السجلماسي المدعو ابن عربيّة، ويعثوا بذلك لفاس ومكناسة وسائر بلاد المغرب يدعونهم لبيعتهم، وإلى التمسك بدعوتهم، فاجتمع عبيد الزنقة وغيرهم من عبيد مشرع الرمل الذين لم ينكثوا ببيعة مولانا عبد الله ولم يريدوا الخروج عنه، فأل الأمر إلى القتال بين الطائفتين، فغلب سالم الذكالي وطائفته، ففر إلى مولانا إدريس الأكبر دفين زهون في جماعة من الرؤساء أصحابه، فأخرجه العبيد وقيدوه في الحديد ومعه أصحاب ووجهوهم إلى السلطان مولانا عبد الله، فسجنهم أياماً ثم أمر بإحضارهم فأحضروا بين يديه، فعدّد عليه فعلاتهم وقتلهم صبراً، وذلك في أول المحرم فاتح عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم قصد الدخول لدار الملك بمكناسة، فنزل قريبا بموضوع يقال له بوفكران، فكان من أمره ما يأتي في العام بعد هذا (582).

تذكرة المحسنين

أحمد بن محمد خان العثماني

مات خامس عشر الدولة العثمانية السلطان أحمد بن محمد خان، وكان تولّى بعد خلع أخيه ووجه العساكر نحو العجم، وسقاهم كؤوس الندم، وبعده فعل أموراً مخلة فعزم القوم على خلعهم، فلما علم ذلك خلع نفسه بعد ولايته سبعاً وعشرين سنة، وبقي بعد الخلع ستة أعوام ومات في هذه السنة.

(582) حوادث هذه السنة كما وردت هنا متفقة إجمالاً مع ما في الحوليات.

العام التاسع من العشرة الخامسة

محمد العياشي الرحماني

فمنهم الفقيه الإمام العالم الزاهد الورع العابد الولي المتجرد سيدي محمد العياشي ابن علي مرزوق الرحماني، من رحامنة سوس، كما في فهرسته بخطه. كان شهير الولاية يقصده الناس كثيراً للتبرك به وهو كثر البعد منهم مُقلُّ للكلام معهم جداً. سكن سنين بمدرسة الواد من عدوة الأندلس، وله كرامات، منها أن بعض المترفهيين (583) مرض له ولد وكان عنده بمنزلة فأشرف على الهلاك فقصد صاحب الترجمة وطلب منه الوقوف إلى الله في شفاء الولد، فقال له انتني بمائة مثقال سُفِّ ولذُك، فأُتِيَ له بها في الحين، فأخذ منها عشر موزونات فدفعها لمقدم المدرسة وأمره أن يشتري منها للطلبة خبزاً، ورد الباقي من المائة مثقال كله لصاحب، فرجع لداره فوجد الولد قد عوفي من مرضه. ومنها أنه بلغ عنه لبعض المنتصبين لإطعام الفقراء المتصفيين بالولاية قال صاحب الترجمة إن الرجل هو الذي يخرج الرصاص من سجنه كالمدفع أو كلام بمعناه، فعاب عليه ذلك، فاتفق أن ورد صاحب الترجمة على الذي عاب عليه كلامه ضيفاً فلما أنزلوا له الطعام امتنع صاحب الترجمة على الذي عاب عليه من أكله، فألح عليه فقال له بسرعة: ما يعرفون إلا أن يعيوا على الناس كلامهم ولا يدرون ما يطعمونهم، فعزم صاحب الطعام على صانعه النائب عنه أن يبين له أمر طعامه، فأخبره أن اللحم الذي في الطعام من كبش وجده ضالاً فالتقطه إلى أن يتبين صاحبه، فلم يظهر مالكة ولم يحضر عند ورود المضيف في الحين غيره وتعذر جلب غره لضيق الوقت، فذبحه النائب على أنه إذا ظهر مالكة يؤدي له آخر أفضل منه، ولم يخبر بالأمر المنوب عنه [(584)

أخذ صاحب الترجمة عن مشايخ كثيرين حسبما تضمنته فهرسته، أخبرني من رآها بمصر ولم أقف عليها، منهم سيدي عبد الرحمن مولاي كرزاز، ورحل إلى الحج فحج وتوفي في إقامته بمصر في رابع عشر المحرم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بالقرافة منها إزاء ابن أبي جمرة. أخبرني بعض الحجاج أن بينهما نحو ذراع، وحضر جنازته جم غفير من أهل مصر وغيرها، لأنه ظهرت له في إقامته بها خوارق وكرامات.

أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلاتي

ومنهم الفقيه الولي الصالح الوجيه، المشارك النبيه، المقصود لحل المشكلات، سيدي أبو بكر بن محمد بن محمد المدعو الخديم ابن الشيخ سيدي أبي بكر الدلاتي. كان صاحب الترجمة من الأولياء المجتهدين في العبادة والدين، يسافر في فصل الربيع والخريف

(583) في ط أنه والي فاس.

(584) ما بين معقوفتين ساقط من ط ص 38 - 39

لزيارة الأولياء ولقاء المشايخ، يحضر مجالس العلم بفاس على كبر سنة ذوياً على الذكر وتلاوة القرآن ومطالعة كتب التصوف، وتربى وتأدب بالشبخين سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن، وكان سيدي أحمد ابن عبد الله يستشير في الأمور المهمة لأنه كان له عقل ودهاء وفراصة. وحج في رفقة شيخه سيدي أحمد بن عبد الله، واستفتاه شيخه في الدخول للروضة المشرفة فأجاب بقوله: أما الدخول من جهة الشرع فجائز لا بأس به، وأما من جهة الأدب فهو أعرف، يعنى لا، فقدم الشيخ الأدب ورجع عن الدخول. وقوله جائز موافق لقول خليل في مناسكه ونصه: واحرص أن يكون ركوعك في الروضة تجعل المنبر على يمينك والقبور عن يسارك، والأحسن من الروضة العمود المخلوق، ثم تتقدم إلى القبور. القابسي وأبو بكر بن عبد الرحمن وغيرهما ولا يتلصق به انتهى. قال ابن الحاج: وينبغي له أن لا يدخل من داخل الدرابزين التي هنالك، لأن المكان محل احترام وتعظيم، فينبه العالم غيره على ذلك ه. ولما حج صاحب الترجمة وأراد أن يحاور بالمدينة أخذ عنه العهد سيدي أحمد بن عبد الله على أن يرجع لفاس وقال له نريد أن يسقى أولادي في حجرك، فأوفى بعهده معه ورجع لفاس ولزم صحبته إلى أن توفي سيدي أحمد، فبقى صاحب الترجمة يقوم بمصالح الزاوية والجل من أولاد سيدي أحمد تحت طوع يديه وكشر من أصحابه مجتمعين عليه، وهو كالأب الشفيق لجميعهم في البحث عنهم والسعي في مصالحهم والنصح لهم، وتوصيل المنافع وتلقي الخلائق. وكان له جاه عند ولاة الوقت السلطان فمن دونه، فكان صاحب الكلمة فيهم مقبول الشفاعة، وله دراية تامة بسياستهم. وتزوج ابنة سيدي أحمد اليميني قيل بإشارة من والدها، وورث من أبيها مالا كثيرا، بنى لها داراً بازائها عرسه. وكان أخوها أبو عبد الله محمد يأوي إليه شياطين من الأتس يدلونه على المسائل الفبيحة، فكان صاحب الترجمة ينهاهم، فلما لم ينهوا سلط على بعضهم بعض الولاة، فاغتاظ لذلك الأخ المذكور فشكاه لبعض قواد البربر ووشوا به للسلطان وأنهوا إليه أنه يتشبه بالسلطان وينى في داره على شكل بناء السلطان وغير ذلك مما يغتاظ منه الملوك، فأوغروا صدر السلطان عليه فأمر بسجنه فسجن ونقف ما بداره ونهبت عزائبه وماله من الماشية، ثم إن الله تعالى تداركه بلطفه فسرحه السلطان عن قريب، وأمر برجوع جميع مائته له، وسجن السلطان القائد أبا علي الروسي المباشر لنهيه حتى يعطيه مائته له فرده له. وكان أبو علي الروسي نهب أيضا دار سيدي عبد الرحمان ولد سيدي أحمد بن عبد الله معن التي بالمخفية فرد له ذلك أيضا. وكان كبير ممن أكثر فيه القول والقلم ورموه بمواجهه أهل ادنيا والولاة وعدم المبالاة بالمساكين وابن السبيل، إذ كان بقلق عليه داره ولا يأذن لأحد في الدخول عليه لأهل الدنيا والوجهات ونحو ذلك، وأما الفقراء والمساكين وابن السبيل فلا يتوصلون له، فكان لا يفعل معهم ذلك ويتستر منهم ويتغيب، لأن أهل هذه البلد لهم حدة في البحث في أمور لاتتعلق بمنفعتهم ولا بضررهم، وليس لهم من العقل ما ينحجزون به عن أعراض الناس، فيسرعون إلى هتكها كثيرا، وقل من تخالطه أو تباشره فتسلم من إذابته. وصاحب الترجمة في كل ما وصف به

فباجتهاده مصيب، أخذ من الحق بأوفر نصيب. وفي الخبر مرفوعاً وعلى العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مُقبلاً على شأنه هـ . [ثم إن صاحب الترجمة كان في زمان القائد محمد بن علي الزموري الذي كان ينهب أموال أهل فاس فخاف أن يأذن لهم في الدخول عليه فيشكوه به فيتسبب له ويقول إنك مشتغل بغيرك وبنهيه، كما سعوا به أولاً ونهب داره وعزائبه أبو علي الروسي، وفي الخبر: المومن لا يلدغ من جحر مرّتن [(585). والمراد بمعرفة الزمان معرفة أهله وكيفية الخلوص من الإذابة من جانبه وجانبيه حتى لا يؤذيهم ولا يؤذونه، ولبس ذلك إلاً بالانقطاع عنهم والبعد منهم مع مباشرتهم ظاهراً ونصفية القلب عنهم باطناً، ومراعاة حرمتهم سرا وعلائية. وهذا في حق من سكن هذه المدينة، أعني مدينة فاس، أكيد جداً، فصاحب الترجمة ممن يُفتدى به في ذلك لمعرفته بالطريقة، وبحثه عن المسائل العارضة له في كل أموره، وأخذه في كلها بالعلم عن أهله. وكان مؤدباً بأدب أهل الطريقة الصوفية، عالماً متبحراً حافظاً للسيرة معتنياً بأخبار الخلق ذرياً على الأمور، جرت عليه العوائد والغرائب، وجال في البلاد فبلغ السودان. سمعت من العلامة سيدي عبد السلام الولائي أن صاحب الترجمة أخبره عن سفره حيث كان قاصداً للسودان، فإذا الرفقة التي كان معها بتهيؤون لحمل الحجارة وأخذ العصا كحالة من يلقي اللصوص، فإذا هم قصدوا سلحفاة وهي كبيرة تماثل صورة البقرة فجعلوا يضربونها حتى فتلوها فإذا هي أنتى، فجعلوا بملوون الظروف الكبار من بيضها، قال لأنهم يتداوون به كبض الدجاج إلا أنه من غر صفرة فيه، وفيه زفرة، وقسموا لحمها وأطراف ظهرها وفرجها بذلك غاية. فقدم على بعض الأولياء من العباد بتلك السواحل، فأقام معه نحو ستة أيام ولم يتكلم معه كلمة، ثم لما أراد الانصراف قال له: يا سيدي ودعني لله فياني أريد الرجوع، فقال له هلاً جلست معنا فيأنتا استحسناً رفقتك؟ فقال له: لا طاقة لي بذلك، لأن شيعي عهد لي بالرجوع إليه بالمغرب، فقال لي على بركة الله، وأوصيك بأمر، قال فقلت له وما هو؟ فقال لي: التسليم، وإياك أن تنازع الله في فعله.

وتوفي صاحب الترجمة ليلة الجمعة خامس عشر جمادى الأولى، عام تسعة وأربعين ومائة وألف، عن أربعة (كذا) وتسعين سنة - بتقديم التاء - فتكون ولادته في حدود ثمان وخمسين سنة وألف، ودفن في قبة سيدي أحمد اليمنى شبيخه متصلاً به من جهة الغرب التي بالجنان الذي اتخذوه مقبرة خارج باب الفتوح من فاس الأندلس. وسمعت والدي الطيب بن عبد السلام القادري الحسن يقول: إن صاحب الترجمة هو وارث حال سيدي أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله معن، وسيدي أحمد بن عبد الله هو وارث حال سيدي قاسم الخصاصي، وسيدي قاسم الخصاصي، هو وارث حال سيدي محمد بن عبد الله معن، وهو وارث حال العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي صاحب زاوية القلقليين من فاس القرويين والان غار هذا الماء ولا ندرى ابن ذهب هـ وأخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي

(585) ما بين معقوفتين ساقط من ك ثابت في س.

اختط زاوية القلقلين (586)، عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد اله عن التابع، وأمرني والدي برثائه فقلت:

إذا لم تجد عيني يوئل السحائب
وإن لم تكن تهمي الدماء جفونها
ولو أنصفت حقاً لمن حان فقد
أبصر عسبن بعد فقد ضيائها
وأودى بها الدهر الخؤون وعاقها
خليلي إن النهر قد جل خطبه
فكم سيد الأطلال بعد غفائها
فلو كانت الأرواح يوماً وقاية
هو الموت لا ينجو امرؤ من نباله
فعش ما تشا ما أنت أول هالم
ودم في نعيم العز إنك وارد
لئن وافت الأيام قصدك والمنا
فقد علت الوراد صرفاً عن الظما
ووافت بما تهسواه في ظل جنة
فكان المني ممن تقدم فيهم
لقد حاز في المجد المؤئل منزلاً
فيا للثري فاق الثريا مجادة
كريم السجايا واسعاً في المراهب
سمي صفي المسطفي وأمنيه
فكم راض في روض المجادة منهلاً
وكم قد روي ورد الحقيقة وارثوي
وفاز بتقوى الله سرراً ومعلنأ
تحلى بحلي يوسف محسن
وقد ضم سر الأحمدي متابعاً
فتلك شمس أترقت من مشارق
لئن لم أتلك المشساهد منهم
كساهم إله العرش من خلع الرضى

فَمَا هِيَ إِلَّا مِنْ حَجَارِ الْكَتَائِبِ
فَمَا عَرَفْتُ قَدْرًا لَخَطَرِ الْمَصَائِبِ
لَمَّا أَبْصَرْتُ غَيْرَ الدُّجَا وَالْغِيَاهِبِ
وَأَنْسَأْتُهَا قَدْ نَالَهَا كُلُّ صَائِبِ
وَأَغْرَبْتُهَا عَنْ أَهْلِهَا وَالْأَقْرَابِ
بِمَا قَدْ حَوَى مِنْ مَعْجَبَاتِ عَجَائِبِ
وَكَمْ حَطَّ مِنْ عَالِ مُدَانِي الْكَوَاكِبِ
لَمَّا نَالَ ذَا عَزِّ صَفَاحِ الْغَوَاصِبِ
وَلَوْ رَضَ بِالْبَنِيَانِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
وَلَا أَخْرَقَ قَدْ عَصَّ مِنْ حَقِّ صَائِبِ
مَكَانًا بِهِ تُجَلَى أُمُورُ الْعَسَوَاقِبِ
وَوَقَى لَكَ الْإِقْبَالَ نَيْلَ الْمَشَارِبِ
وَفَازَتْ بَرِّيًّا مِنْ هِنَاءِ الْمَشَارِبِ
مَعَ الْحَبِّ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ الْخُصَائِبِ
مُعِزًّا مُجَلًّا وَاقْبَاً لِلرَّغَائِبِ
وَحَلًّا مَكَانًا مِنْ أَعَالِي الْمَنَاصِبِ
بِمَا ضَمَّ مِنْ جِسْمِ عَبِيْقِ الْأَطَائِبِ
عَزِيْزِ الْعَطَايَا فَاخِرًا فِي الْمَنَاقِبِ
أَبُو بَكْرٍ الْأَسْمَى السَّنِي الْمَرَائِبِ
وَعَلَّ رَحِيْقًا سَاتِعًا لِلشُّوَارِبِ
وَحَاضٍ بِهَا بِحْرًا طَمِي الْغَوَارِبِ
وَحَازَ مَقَامًا عِنْدَ أَكْرَمِ وَاهِبِ
بِهِ جَمَالٌ فَاخِرًا فِي الْمَنَاقِبِ
فَنَالَ بِهِ كُلَّ الْمُنَا وَالْمَطَالِبِ
وَعَمَّضَ سَنَاهَا فِي جَمِيعِ الْمَعَارِبِ
قَمِنَ ذِكْرِهِمْ أَرْجُو سَنَى الْمَوَاهِبِ
وَوَالَى عَلَيْهِمْ أَنْفَا كَالسُّوَاكِبِ

(586) في هامش ك طرة نصها: «أخذ سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي اختط زاوية القلقلين عن الشيخ القصار، عن سيدي رضوان بن عبد الله، عن التابع» وقد أدمجها ناسخ س في صلب الكتاب.

وَلَا زَالَ فِي أَسْمَى الْبُرُوجِ شَهَابُهُمْ
وَمِنِّي صَلَاةٌ كَلِمًا لَاحَ بَارِقُ
وَأَصْحَابِهِ وَالْأَلِ وَالْعِشْرَةَ الَّتِي
يَغَارُ إِلَى عَلِيَّسَاكِ كُلِّ مَنَابِقِ
عَلِي أَحْمَدُ الْمُخْتَارُ مِنْ نَسْلِ غَالِبِ
تَنَاهَتْ لِنَيْلِ الْمَجْدِ أَعْلَى الْمَنَابِقِ

والمراد بالأحمدين سيدي أحمد اليميني وسيدي أحمد بن عبد الله معن (587)

عبد القادر ابن الصنيّ التّازي (588)

ومنهم الفقيه العالم الشهير سيدي عبد القادر بن الصني القاطن بتازا ودفينها. كان له صيت بها، ولم أقف على كلام أحد فيه فنورده فيه، ولم أره. توفي أواخر شعبان عام تسعة و أربعين ومائة وألف بتازا، وبها دفن.

الحاجة الملوّنية

ومنهم المرأة العابدة الزاهدة السيدة الحاجة الملوّنية. كانت ذات الكرامات الظاهرة، والأنوار الباهرة، والإلهامات العرفانية، والمواهب الرحمانية، من الصالحات المجتهدات، ورزقت من التوفيق والإعانة على المشاق ما لم يتفق لفحول الرجال، ولا يقدر عليه إلا المجتهدون الكُمال. ظهرت لها كرامات وخوارق، وتحدث الناس عامة وخاصة بخصوصيتها، وقد حجت من المغرب سبعاً وعشرين حجة مشياً على أقدامها، ولا تكون إلا في مقدم الركب بحيث لا يقدم عليها في السير أحد قوة منها، ولا تأكل من عند أحد شئاً، وإن ألح عليها أحد في قبول شيء من الطعام أو الماء أو غيره قبلته منه وأعطته بيدها في الحين للمساكين. فإذا عرض عليها أحد الشرب في وقت العطش، وفي أشد ما يكون الحر وغيره تأبى من قبول ذلك مع عزة الماء جداً، ومنهم من يقول لها وهبت لك جميع القرية وهي مكّتى بالماء لله عز وجل، فإذا علمت صدقه قبلتها منه ونادت في المساكين، فإذا اجتمعوا لها سقتهم منها حتى تفرغ بتمامها في الحين، هكذا كان دأبها في سفرها. وكانت تحج وترجع للمغرب وتدخل لفاس، فإذا تكلم معها أحد ممن له خبرة ومعرفة بالتصوف وبشيء من طريق القوم أبدت له من المعارف ما لا يعرفه. لما قرّبت وفاتها جاورت بالمدينة فماتت بها في حدود عام الترجمة، وهو عام تسعة وأربعين ومائة وألف.

قاسم ابن رَحْمُون

ومنهم العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأنبياء، الموصوف بالولاية والانتفاع، ذو البحر الزاخر، والمدد المنواتر، أبو محمد مولاي قاسم بن محمد ابن رحمون (589) الشريف الحسني من أولاد ابن رحمون النازلين ببعض

(587) هذه الترجمة المطولة لأبي بكر الدلائي اختُصرت في ط في نصف صفحة فقط.

(588) هذه الترجمة ساقطة من ط.

(589) أدرجت هذه الترجمة في ط. خطأ. في سنة 1148. كما سبقت الإشارة إلى ذلك وهي في ط مختصرة في بضعة أسطر.

مداشر جبل زرهون ويوآديه، وهم ينتسبون إلي الشرف، ولا أعلم من أي فريق من الحسينيين هم، (إلا أنهم من الرحامنة النازلين بواد السدد من بلاد الهبط قرب جبل صرصر، وهم في عداد الموارسة من أهل الغرب، وتارة في عداد سفيان) وليسوا هم من أولاد ابن رحمون العلميين الذين هم من بني الإمام محمد بن إدريس بن إدريس. وصاحب الترجمة لم يستمر له عقب لا من ذكر ولا من أنثى، ولا له قرابة كذلك، وبعضهم ينتسب إلى القرب منه، والله أعلم بحقيقة ذلك. قال خليل في المختصر: وفي التوارث بالإقرار وليس ثم وارث ثابت خلاف. ولي معرفة بصاحب الترجمة، لكن لم تدلني على بيان حال، واستفاض عندي بيان حاله عن جماعة من الثقات المعتمد بهم عند قضاة فاس في قبول الشهادات وتلقيها من الناس، وهم من أصحابه الذين طالت ملازمتهم له، فحدثونا عنه بكرامات وخوارق للعادات كثيرة لا تحصى. وكان ممن يطلب عليه الغنى بالله، وينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام، فيدعي بحق عن حق، ويصرح لنفسه بالتصريف التام والتمكين في المقامات والأحوال، وأصحابه لا يرون تقديم أحد عليه من أهل زمانه، وإن لا يدرك أحد مقامه إلى شيخه، إذ كان تصريف صاحب الترجمة في حياة أشياخه بحث لم يخرج قط عن حكم التقليد عن شيخه مدة حياته. فإذا مات له شيخ أخذ عن وصيه بعده حتى مات في حياة شيخه إذ كان دأبه ذلك وكان صاحب الترجمة تعتربه الأحوال مع ملازمة السنة، لاسيما عند الاجتماع ومداولة الأذكار، والإنشاد في مدح أولياء الله الأبرار، ومدح مولانا محمد رسول الله المختار، فيحمي وطيسه عند سماع ذلك ويستعمل السماع هو أو يأمر به أصحابه، ويحصل لهم اللذة عند مداولة الذكر أو غيره فينادي هو أو يأمر من أصحابه من يفعل ذلك بأن يقول: من يشتري مني ادراك كذا فيعطيني كذا، فيحصل له ذلك لا محالة، نحو إن شفا الله لك مريضة فعليك لي أداء بدنة، وإن رزقك الله مائة دينار فعليك لي عشرة دنانير. قالوا فيشترون منه ذلك بما قال فيصدقه الله فيه ولا يمكنه فيه، ذلك دأبه، ويصرف الثمن المقبوض منهم باجتهاده إما في إكرام بعض الأصحاب أو في بعض ما يجب عليهم من الإنفاق والمصالح لهم وفي إعانتهم على زيارة دار شيخه وشيخهم، وفي مصالح نفسه، لأنه كان لا شيء له أولاً، وكان حرفته الحياكة طرازاً ينسج بيده، ثم كُفي عن ذلك. وسبقت له قراءة فكان من العارفين. ومع وصفه بجميع ما ذكر لا يخرج غالباً عن السنة، وأقواله كلها موافقة للكلام القوم، فمن قرأ كتبهم وسمع كلامه يقول كل ما يخاطبني به أو يأمر بفعله أو يفعله نجد له شاهداً في كتبهم.

والحاصل كل ما ذكرته لك عنهم فهو ضروري عندهم متفقون عليه، وأخباره يطول استقصاؤها في هذه الترجمة، ينبغي أن يفرد لها ديوان. أخذ صاحب الترجمة أولاً عن شيخه الإمام سيدي محمد بن الشيخ مولاي عبد الله الشريف السملحي العلمي دفين وزان من بلاد مصمودة الغرب، بواسطة مقدمه على تلامذته الذين هم بفاس الشيخ سيدي الحاج الخياط الرقعي دفين زاويتهم التي بالشرشور من فاس القرويين. ثم بعد وفاة سيدي محمد المذكور

أخذ عن وصيه وولده الشيخ مولاي التهامي بن محمد دفين وازان أيضاً. ثم بعد وفاته أيضاً أخذ عن وصيه وأخيه الشيخ المتبرك به شرقاً وغرباً في عصرنا سيدي محمد الطيب بن سيدي محمد المذكور. وفي حياته توفي صاحب الترجمة، وهو الذي أُذِنَ له وولاه على أصحابه أهل فاس إلى أن توفي سابع ذي الحجة متم عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ودفن بدار بَرَاحًا اشتراها هو قرب وفاته بقصد أن يدفن هو بها فدفن بها أصحابه إمضاءً لقصده بأقصى درب منية من حومة التجارين، ولها باب آخر بزقاق الحجر من فاس القرويين. ثم اشترى بعض قرابته بعد وفاته نائباً عن أصحابه داراً أخرى تجاورها وهي التي دُفِنَ بها سيدي القَلْبِيْزُ وزادها فيها أصحابه وبنوها زاوية وجعلوا عليها أوقافاً تُقام بها الأوقات وقراءة أحزاب القرآن، ويدرس بها العلم في فصل الشتاء بين العشاءين، ويورق بها صباحاً، ولكل ذلك أوقاف، ولها كتب محبسة وثريا ومصابيح، وهي اليوم أعظم من جميع زوايا فاس اتباعاً واجتماعاً على مداولة الهيللة واستعمال الرقص والسماع وقراءة الأحزاب المأمور بها من شيخه المذكور، ولها صيت بفاس، تباع فيها القبور بثمان غال لا يدركه إلا من له وسع في المال، فلذلك ترك الدفن فيها أصحابه الذين سعوا في اتخاذها زاوية وفي بنائها، لأن قريبه منهم من الدفن بها إلا بالشراء منه وأخذه هو ثمن القبر، فتركوا الدفن بها والكلام معه عليها، وجعلوا هجرتهم في ذلك لله ورسوله، فجمع من ذلك أموالاً، وما أُظِنَ أن يكون له منها شيء، ولله عاقبة الأمور. إن الأرض لله يُورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. واللَّهُ يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

من حوادث السنة

خروج أهل فاس لملاقاة السلطان مولاي عبد الله بوفكران

لما نزل السلطان المنصور بالله مولانا عبد الله بأبي فكران من عمل مكناسة في محرم فاتح عام الترجمة تهيأ للقائه أهل فاس بأشرافهم وعلمائهم وكبارهم ورماتهم، فلَقَّوه حيث ذكر، فعاتبهم على عدم الإسراع للقائه مع من لاقاه بتادلاً، وعلى قتل مَنْ قتلوا في ولاية أخيه السلطان مولاي علي، وهم قوم كانوا أصحاب قائده عليهم محمد بن علي بن يشي الزموري، فانتخب من كبارهم الذين لهم الحل والعقد في أمر المدينة لا من أهل المروءة ستة عشر رجلاً (590) وقتلهم صبراً، وصرف باقي الرماة أهل المدينة ولم يتعرض لهم بسوء قولاً ولا فعلاً (591)، وولّى عليهم قائده محمد بن علي المذكور، وهو عامله عليهم في أخذ المال منهم قبل خروء العبيد عليه، فرجع جميع من كان عنده ومنعوا القائد محمد بن علي المذكور

(590) في هامش س طرة بخط محمد بن الطالب ابن سودة المتوفى عام 1334 هـ، نصها: انظر هل هم أولاد بزور رهط سيدي عبد الله بزور، فإنه قتل منهم في يوم واحد 16 رجلاً، والسابع عتر هو العبدوني، كذا أخبرني بعض المسنين الذين ألفوا...

(591) وهي نفس النسخة طرة أخرى نفس الخط - «وكذلك أخبرني أن قتل السلطان مولاي عبد الله ثلاثة العربي الفرناطي، ومسعود قصاره، من الأندلس برجة الزيب، والعربي الذيب من اللطيين، كان لهم درب يوحا باللمطيين».

من الدخول لفاس، فنزل بالقصبة الجديدة منها إذ كان فيها عبيد السلطان وخاصته إذًاك، وتكررت الرسل بين القائد وأهل فاس.

عصيان أهل فاس ومحاصرة مدينتهم

ثم مقتل القائد مسعود الروسي

ثم كتب للسلطان بامتناعهم، فوجه إليهم قائده أبا بكر الأودي، فصباحهم في خامس وعشرين من صفر، فأغار على سرحهم، وكان شاع فيهم أن السلطان وجه إليهم قائداً آخر فطلب سلباً كثيراً، وانقطعت السبل ونودي من قبيل السلطان بالوعيد الشديد لمن دخل مدينة فاس بالميرة، فبقوا محاصرين إلى مهل ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسي والياً على فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن علي، وأما غيره فهم راضون به أيًا ما كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة ولإطفاء نار الغلاء، فدخل الروسي دار أخيه بعدوة فاس الأندلس، فجعل الناس ياتون للسلام عليه، وكثر الازدحام عليه وهو داهش لا يدري ما يحلُّ به، ثم في الحين دخل عليه من جرى في الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدار بعض الأشراف مُحترماً ومختفياً. فلما كان من الليل اجتمع رأيهم على قتل القائد الروسي أخذاً بثأر أخيهم بودة، إذ كان هو قتله في زمن ولايته لمولاي علي، فأخرجوه من المحل الذي كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون في حصارهم، وغلا الزرع فكان من نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وقل الإدام وانقطع اللحم، واستمروا على حصارهم، ومكث أهل فاس على الإعلان بنصر مولاي عبد الله والخطة به على المنابر.

مبايعة الفاسيين سيدي محمد ابن عربية

وفي آخر ربيع الأول أجمع أهل فاس على عدم قبول دعوة مولاي عبد الله أصلاً والقيام بدعوة أخيه سيدي محمد المدعو بابن عربية، وكان مختفياً عندهم، وأوغر صدره في الحين أهل فاس على شيعة مولانا عبد الله، وهم السرفاء والطلبة والزوايا، ووشوا له بمن ذكر بأنهم لما أراد أهل فاس القيام بدعوته مع سالم الذكالي فمنعوه من ذلك وقاموا بدعوة مولاي عبد الله في مقابلتهم، فخافوا أن يكون الظفر لمولاي عبد الله على سالم الذكالي ويقتله ويرجع على أهل فاس، فتركوا القيام بدعوة سيدي محمد وتبعوا من قام بدعوة مولانا عبد الله. فلما قتل مولانا عبد الله سالمًا الذكالي ولم يتم الأمر لسيدي محمد خاف على نفسه وفر لفاس من مكناسة، واختفى بفاس إلى أن كان ما ذكر إلى الآن، فأخبروه بحال من ذكر، فنودي بفاس ببيعة السلطان الجليل، ذي القدر الكبير، أمير المومنين أبي عبد الله الغالب بالله والمتوكل عليه سيدي محمد بن الخليفة الكبير المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المومنين المنصور بالله أبي النصر مولانا إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف الحسن السجلماسي. واجتمع أهل المدينتين فاس الإدريسية والجديدة المرنية على بيعته، فكتبت له البيعة بفاس وجعلت في خزانة مولانا إدريس، ونودي بذلك في سائر البلاد المجاورة لها، وبعث بالخبر إلى عبيد مشرع الرمل، و أمر بحصار محمد بن علي قائد أخيه ومن معه

بالقصبين والبستيونين، وذلك في أول جمادى الثانية. فلما وصلت ارساله إلى عبيد مشرع الرمل اجتمعت فرقة سالم الدكالي ونادوا ببيعته ففامت الفرقة الأخرى في مقابلتهم، ووقع القتال بينهم، فغلب أصحاب سالم الدكالي، ثم وقع الصلح واتفق جميعهم على بيعه سيدي محمد ابن عربية وبعثوا ببيعتهم له لفاس، فورد ذلك لفاس يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الثانية وفر من القصبية القائد محمد بن علي ومن معه، ولم يكن بينهم وبين من حاصرهم من جيش السلطان قتال ولا رمى بكور أو بنب ولا حفر مسنة ولا طمع في الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أو صاهم بعدم ذلك وقال لهم إن ذلك لا يفيد في فاس شيئاً، وقد بلغت في الحصار الآخر الذي قبل هذا الجهد وما حصل لي من ذلك إلا تضييع الأموال والمشقة، وإنما يُدْعَى أهلها للطاعة بقطع الميرة عنهم، فنادى في القبائل بذلك وقُطعت الميرة عن فاس، فنال أهلها المساكين والضعفاء الذين لا يقدرّون على الدفع عن أنفسهم من رؤسائها شيئاً شدة من الغلاء والجوع. ومن الغد قر محمد بن علي والجيش عن فاس، وخرج السلطان سيدي محمد لفاس الجديد فدخل دار الملك منها ومعه الاوداية. وفي عتية هذا اليوم ورد الخبر لفاس من مكناسة أن السلطان مولاي عبد الله احتمل أمه وعياله وحشمه وجميع ذائره وأمواله وارتحل من مكناس. وكان لما أراد الخروج من مكناسة إلى تادلا حيث وصله خروج العبيد عليه دفن الأموال والذخائر التي لم تحضره الدواب لحملها، وترك أمه وعياله بدورهم. فلما رجع إلى مكناسة وأراد الرحيل منها حمل جميع ذلك وترك دار الملك قفراً.

وفي الحادي والعشرين من الشهر ارتحل سيدي محمد من دار الملك من فاس المرينية ودخل دار الملك بمكناسة فوجدها قفراً فارغة حتى من الزرع، وليس عنده ما يقوم به عيشه فضلاً عن مصالح عيال الجيوش وليس بمكناسة ونواحيها شيء ممن يمشي على أربع، إذ كان مولاي عبد الله لما رحل من مكناسة أمر من تابعه من البربر بسن الغارة على جميع نواحي مكناسة وسائس فلم يتركوا لأحد شيئاً. والذي أزعجه على الخروج من مكناسة أن جميع من بها وبأحوازها من العبيد خرجوا عن دعوته ونادوا بنصر سيدي محمد مع متولي القيام بذلك منهم الباشة ابن النوني، فوجه لحربهم جميع جيشه وأتباعه مع أخيه الفارس الأتجد، البطل الأرشد، مولانا الرشيد ابن أمير المومنين مولانا اسماعيل الحسني، فوقع القتال بين الفريقين كان الظفر فيه للعبيد بعد أن وقع نهب فيهم وقتن، ومات في القتال مولاي الرشيد وابن النوني. ثم اتبع من كان بمكناس من العبيد مولانا عبد الله ليفتكوا به، فلما نزلوا عين اللوح أرسل الله تعالى عليهم أمطاراً كثيرة وأرياحاً وأصابهم برد شديد حتى كادوا أن يهلكوا فرجعوا خائبين قصدهم، وكسر الله شوكتهم بذلك عنه بغير قتال.

انحباش البربر لمولاي عبد الله

وانتصارهم على جيش سيدي محمد من العبيد

وفي شوال أكثر أتباع مولانا عبد الله من البربر الغارة على سايس وغيره من البلاد

الموالية لجبال البربر، ففرَّ مَنْ كان يلي جبال البربر فخلا جميع تلك البلاد. ثم شَنَّ الغارات البربرُ على من يمر بالطرقات، وأكثروا النهب في سائر البلاد التي يقدرّون على الوصول إليها من كل جهة، وقاموا بدعوة مولانا عبد الله في سائر جبالهم، وانخذهم بطانة له. ففي هذا الوقت بدأ انتعاشهم، فكان ظهورهم على يده، فلما رأى مولانا عبد الله فرار الناس من البربر وخلو البلاد التي تليهم، نزل جبل غمرة الموالي لبلاد سايس، وانقطعت الميرة عن فاس الإدريسية من كل ناحية، من غارات البربر على ما حولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها، فارتفعت الأسعار. فلما رأى سيدي محمد ما أصاب الناس من كثرة النهب استدعى العبيد والقبائل للحركة إلى بلاد البربر وقتالهم عسى أن يكون في ذلك المهادنة وتأمين الطرق وإصلاح الأمة، وليس بدار الملك ما يقوم به عيشه فضلاً عن مصالح عيال الجسّ، ولم يكن أجرى في أيام ولايته مكسا ولا معونة، لا في حاضر ولا باد، فأجاب الناس لما دعاهم إليه عبيد الرمل والقبائل، فخرج ونزل ببطبط، تاسع عشر ذي القعدة، واجتمع عليه الناس العبيد والأودية وأهل فاس وسائر قبائل الغرب، ثم وقع القتال بين جيش سيدي محمد من العبيد وجيش مولانا عبد الله من البربر، فانهزم جيش سيدي محمد من العبيد واتبعهم البربر فراسخ، واستولى البربر على محلة العبيد بما فيها، ففويت شوكة البربر بذلك وضعفت شوكة العبيد. ثم رجع سيدي محمد لفاس وزار مولاي إدريس أوائل ذي الحجة، فوجد بمولاي ادريس ابن عمه الشريف الوجيه الحاذق في الأخبار مولاي الحسن الشريف الفضلي الحسن السجلماسي، فواجهه بكلام فأجابه بمتله، فأشار إلى وجهه بيده التي أصابته فيها رصاصة كما يأتي إن شاء الله. وخرج من زيارة مولانا إدريس ونكب جماعة من أشرف تافلالت.

(وفي إقامته تلك الأيام جاء إليه من قال له إن هنا عريفة من عرائف مولاي عبد الله ساكنة بدار من حومة جرنيز من مدينة فاس الإدريسية عندها ذخائر كثيرة مدفونة. فأمر فائده حاكم فاس وهو الشريف مولاي عبد المجيد بوطالب مع بعض المفدمين على رماة الجيش بفاس بالبحث عن ذلك والطلب الأحث فيه، فبحشوا في ذلك فوجدوه مبنيا عليه ولوجهه، فحفروا ذلك البناء فوجدوا كثيرا من الذهب المطبوع ومن الدراهم السكبة وكثيراً من أساور الذهب والفضة وكثيراً من الجواهر واليواقيت وسكاكين كثيرة بجباير الذهب وكوابس محلاة وكساو وغنسات وغير ذلك من الأثاث الفاخرة والذخائر النفيسة عند هذه العريفة المذكورة من ذلك بنحو اثني عشر ألف متقال، فأعطى بعض ذلك للقائد المذكور وللمفدمين من الجيش، ورجع لمكناسة بجمل ذلك يستعين به على رواتب الجيش من الوصفان وغيرهم) (592)

وبعد ثلاثة أيام خرج لمكناسة وبقيت الناس في غارات البربر كذلك إلى أن خرج سيدي محمد لحربهم الثاني من منتصف المحرم كما يأتي إن شاء الله خبره في عام خمسين

(592) هذه الفقرة المكتوبة بين معقوفتين انفردت بها الحوليات (ص 45).

بعد هذا، واستمر ارتفاع المطر وزادت الأسعار، وأشرف جميع من في المغرب على الهلاك، ولله عاقبة الأمور (593).

كسوف كلي

وفي ليلة الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من العام، والمدينة ما زالت محصورة وكان لها في الحصار مدة من شهرين وثمانية عشر يوماً، كسف البدر كسوفاً كلياً، وكان ذلك في الثلث الآخر من الليل، وبقي نحو أربع سوانع ونحو درجين وعاد لحاله. (594)

وباء عظيم بمصر قضى على كثير من المغاربة

وورد الخبر قبل ذلك بأيام من مصر في البحر على تطاون في كثير من البرايات أنه ضاع من المغاربة أهل فاس وغيرهم بالوباء من أعيان التجار وغيرهم كثير من الناس، وزعموا أنه ضاع بمصر وأحوازها من أهلها ستمائة ألف وستون ألفاً من الخلق بهذا الوباء، وختل الإسكندرية ورشيد وغيرهما من المدن والقرى، والأمر لله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

تغلب مولاي المستضيء بن اسماعيل على سجالماسة

وفي أوائل رجب العام بعث السلطان سيدي محمد أخاه مولاي سليمان خليفة عنه لتافلات وبعث معه من المحلة ما يأتي له بالعيال من تافلات، وجاوزوا تازا ومنها ذهبوا لتافلات. وبعد ذلك بأيام خرج السلطان سيدي محمد بن اسماعيل مع العبيد حاركاً لأخيه مولاي عبد الله لعين اللوح. وحين سمع مولاي عبد الله بخروج أخيه السلطان سيدي محمد مع العبيد من مكناسة قاصداً إليه فر من ثمة وأمعن في دخول الجبل. ورجع السلطان سيدي محمد بسبب ذلك لمكناسة ولم يلق قتالا. وكان الرماة من فاس قد خرجت لتلحف بالسلطان فوجدوه قد رجع لمكناس فردهم لفاس في عافية الله وحفظه. ولما رجع السلطان سيدي محمد لمكناسة بعث خلف أعدئيل وألزمه بإعطاء عشرة آلاف مثقال فأعطاها وقبض من وجوه أهل مكناسة مثلها وأعطوها كل واحد منهم على قدر حاله وماله. ودفع ذلك كله راتباً للعبيد، ولا يفيد فيهم شيء من ذلك. وفي منتصف شعبان العام قدم على السلطان سيدي محمد بن اسماعيل العيال من تافلات مع من بعثه وراءهم وأخبروا أن خليفته أخاه مولاي سليمان لم يدخل قصبية سجالماسة لأنه وجد أخاه مولاي المستضيء قد تغلب عليها وسبقه إليها ومنعه من دخولها، وحماه أخوه الآخر وأعمانه وهو مولاي زين العابدين. ولما أخبر بذلك السلطان سيدي محمد غضب لذلك غضباً شديداً وأمر بقبض كل من يوجد من أصحاب مولاي

(593) حوادث سنة 1149 في الحوليات تتفق في معظمها مع الحوادث المذكورة هنا نقلاً عن ك و س، إلا أنها تخالفها في بعض الجزئيات، وتضيف معلومات جديدة لذلك رأينا إثبات نصها - على طوله - للمقارنة عند الاقتضاء.

(594) هذه الفقرة والعقرات الخمس بعدها كلها عن الحوليات (ص 41 - 46) لانفرادها بها.

المستضيء ومولاي زين العابدين. فقبض جميع من وجد منهم فقتل منهم البعض وأبقى البعض مقبوضاً، وأمر يقبض الأشراف السجلماسيين القاطنين بفاس، فأكلت زروعهم ونُهبت ديارهم، ونُهبت جميع أموال التجار من أهل تلمسان من الفنادق والديار. كل ذلك في تلك الأيام وبعد ذلك انقلبت بسبب ذلك الأحوال. هذا كله ومولانا عبد الله يدور عند قبائل البربر بقرب جبال فازازا إلى حوز غمرة إلى البهاليل إلى سهب عشار، والأوداية خانقة منه ومن البربر الذين معه، ونقلوا عزائبهم ومواشيهم قرب فاس الجديد خوفاً عليهم.

قدوم ركب الحاج، ومحنة التاجر عديل

وفي منتصف شهر ذي الحجة العام قدم ركب الحاج سالماً، وجاءوا بما معهم من السلع لم يقدوا في الطريق منها شيئاً بنهب ولا بغيره، إلا أن الحاجة التي كانت عندهم مشتتة في المشرف بمثقال مثلاً كانت تساوي لهم سبع أواقٍ ووجدوا الخواجة اعديل مسجوناً عند السلطان سيدي محمد بن اسماعيل وهو يطالبه الأموال الكثيرة، وكان ابن عمه) الحاج الطيب هو شيخ الركب الذي قدم وحلف السلطان للخواجة اعديل إن لم يأت ابن عمه شيخ الركب الحاج الطيب المذكور ليديبخته. فجاءه ابن عمه المذكور وقدم مع الحاج لمكانسة بهديته وهدية الحجاج وتلقى بالسلطان وأستعذر له فقبل منه هديته ومعذرتة، وسمح لابن عمه الخواجة وسرحه من السجن وقال له: قد سرحته وسمحت له لأجل وصول ركب الحجاج إلي والتبرك بهم.

إغارة خيل المغافرة على فاس

وفي الحادي والعشرين من ذي الحجة العام جاءت خيل المغافرة الذين هم من شيعة مولاي عبد الله مع القائد بويكر بن بوزيد بن العربي الوديي وغاروا على دول أهل فاس من جهة باب الفتوح وذهبوا بما وجدوه من بقر وغنم ودواب وغير ذلك.

نهب الزرع واشتداد القحط

وأمر السلطان سيدي محمد بن اسماعيل بنهب جميع من يظهر عنده الزرع بمكناس وبزهون وفاس. فكانوا يدخلون لدار هذا اليوم ومن الغد يدخلون لدار الآخر وبعده لدار غيره، ويأخذ المسخرون في ذلك جميع ما يجدونه من ذلك وغيره ويحتفظون بكثير ولا يبلغون له إلا القليل. وكثر الظلم بسبب ذلك وظهرت السباب بفاس في الليل، فكانوا يقلعون أبواب الدروب ويدخلون على الناس في ديارهم بالأربعين رجلاً وأكثر بفناراتهم وعدتهم وآلات حربهم، ويأخذون جميع ما يجدونه فيها من زرع وأثاث وغر ذلك ويقتلون من يريدون قتله، ويدخلون أيضاً على الناس في الزرائب داخل المدينة ويأخذون أيضاً ما يجدونه فيها من بقر وغنم. وكل يوم يقطعون على سراح المدينة وينهبون جميع ما يجدونه عندهم ولا يقدر أحد أن يُغيب أحداً، أو يدافع عنه لا في ليل ولا في نهار، فأخيفت السبل وقطعت الطرق جهاراً، وأعلنت الوداية بقطع الطريق وصار جميع حوزية فاس كلها تقطع الطريق على المارة كالحجوة وبني راشد وشراقة وأولاد جامع والبربر والحباينة، ولا بقي أحد يدخل لفاس ولا

يخرج منه، وقل المطر في ذلك العام ولم ينزل قط إلا مرتين، وغلت الأسعار بسبب ذلك فبلغ سوم القمح في شهر ذي الحجة منها ستة أواقى للمد، وسوم الشعير إلى أربع أواقى للمد. ولم يجد أحد بما يشتريه من غلبة الفساد وكثرة الكساد فى السلع، لأن التي كانت تساوي عددا صارت تساو نصفه أو أقل ولم يوجد من يشتريها أيضا لا بقليل و لا بكثير من كثرة قطع الطرقات وغلبة الفساد وشدة الغلاء وقلة الأمطار، وقاسى الناس من ذلك الشدائد العظام من انقطاع ظهور اللحم وقلة الإدام. ولم يزل الأمر في شدة وازدياد وماتت بالضيعة رقاب كثيرة. وارتفعت الأسعار لأجل الفتن وقلة الأمطار، وبلغ القمح نحو ثمان موزونات للصاع النبوي، وفر الناس من المدينة لأجل ذلك كل فرار، والحول والقوة بالله.

تذكرة المحسنين

الحسن الصنهاجي

السيد الجليل أبو علي سيدي الحسن الصنهاجي، كان من أصحاب الولي الكبير سيدي أحمد ابن ناصر، قدم على فاس فأكب عليه الناس وذكروا له كرامات وأمورا. دفن بروضته عن يمين المنعطف من العقبة الزرقاء لرحمة الزبيب من عدوة فاس القرويين وذكروه ابن عيشون ولم يذكر له تاريخاً فيمن لم يقف لهم على تعريف.

العام العاشر من العشرة الخامسة

محمد ابن عيسى الميسوري

فمنهم الشيخ العالم الأستاذ المقرئ، [المجود الصالح الناصح المبارك] (595) المدرس النفاع [المنقطع المتبتل] (596) شيخنا وسيدنا محمد المدعو بن عيسى لا نعرف له لقباً سواه، وهو من قرية ميسور، كان مشاركاً في كثير من العلوم، مجرداً للإقراء، وسكناه بمدرة الواد من عدوة فاس الأندلس، وتدرسه بها وبمدرسة الصهرح نيابة في الثانية أنتفع عليه كثير من طلبة فاس المبتدئين، قريب التفهيم لهم، تدرسه في النحو والبيان والمنطق والكلام والقراءة والتوقييت والفقه، لا يطلب منه أحد تدرسي كتاب فيما ذكر إلا أجاب إليه، حسن الصوت في قراءة القرآن، مُغفل عن كثير من عوائد الدنيا، مقصود للتبرك والصلاح، زوجته أمه ودفعت عنه الصداق، ثم في ليلة البناء لم يستطع أن يفارق كتبه خوفاً عليهم من النهب من سكان المدرسة. فلما علم أهل المرأة أنه لا مراد له في التزوج طلبوا منه طلاقها فطلقها ولم يتزوج بعدها. أخذ عن مشايخ فاس، منهم جدنا عبد السلام بن الطيب القادري الحسنی، وغيره. ولما اشتد الغلاء بفاس خرج منها فاراً بنفسه مع الطلبة إلى المشرق، فمرض في الطريق قرب وجدة ومات هنالك عام خمسين ومائة وألف (597).

علي بن أحمد الأغصاوي

ومنهم البهلول المؤله المتبرك به سيدي علي بن أحمد الأغصاوي حامل السلل، كان يقال له سيدي علي مولى السلل. ويظهر من حالته الاستغراق والتوله وكل ما يحتاجه يحمله معه من الخبز والماء مزموماً بالقصب، وعلى ظهره سلة أو اثنتان فيها ما يحتاجه لنفسه، ومعه مصحف مزموماً بالقصب والخيط، هكذا دأبه سار أو أقام، كثير الزيارات للمقابر والطواف بها. حدث الناس عنه بكرامات وخوارق. مأواه بمسجد سيدي دراس بمصمودة عدوة فاس الأندلس إلى أن مات في غلاء فاس عام الترجمة، ودفن بباب الفتوح.

إدريس بن محمد العراقي

ومنهم الشريف الوجيه المؤرخ النسابة الإخباري أبو العلاء مولاي إدريس بن محمد العراقي الحسيني. كان يحضر مع شرفاء فاس في المواسم مع السلطان، وكان له لسان طويل في الكلام، فكان علماء فاس ينكرون خروجه معهم لذلك. وكان له مروءة وعقل تام. ومن مآثره بناء مسجد بإزاء داره بفرن شط من فاس القرويين، وحبس عليه أوقافاً إعانة للإمام

(595) زيادة من ط.

(596) زيادة من ط كذلك.

(597) لا يختلف مضمون هذه الترجمة في ط عن ك و س إلا اختلافاً بسيطاً في الألفاظ، وتقص خبر الزواج والطلاق من ط.

والمؤذن ومرتب لقراءة حزب القرآن. توفي يوم الجمعة سابع صفر عام خمسين ومائة وألف، ودفن بروضة سيد أحمد الشاوي بحومة الجرف من فاس القرويين بشراء القبر له من بعض أهلنا بحكم التنفيذ العام بمنافع الضريح إلينا وما يتعلق به (598).

أمنة الساكمة

وفي اليوم الحادي عشر من محرم الحرام فاتح عام خمسين ومائة وألف توفيت المرأة الصالحة أمنة الساكمة، ودفنت بمأواها الذي كانت تأوي إليه وتبيت فيه بإزاء البرج الجديد من فاس العليا، وكانت لها جنازة حافلة حضرها الجم الغفير من الناس (599).

الحاج علي جسوس

وفي آخر رجب توفي شيخ الركب السيد الحاج علي جسوس أخو الفقيه العلامة المرحوم السيد الحاج عبد السلام جسوس، رحم الله الجميع بمنه وكرمه أمين. (600)

من حوادث السنة

حركة السلطان سيدي محمد لبلاد البربر وانهزامه

ففي منتصف صفر (601) أمر سيدي محمد عبيد الرمل وقبائل المغرب بالحركة معه للبربر الخارجيين عنه الذين ينهبون من جاورهم في البلاد، وكان إبان إفراك الزرع، فخرج العبيد فأكلوا كل ما مروا به من الزرع وتركوا الأرض قاعاً صفصفاً، فنزل مكناس مع القبائل المجتمعة مع السلطان، ولحقهم أهل فاس والأودية، وخرج سيدي محمد بالجميع من مكناسة فنزلوا ببطيط، ثم نزلوا على قرية صفرو، فاعتصم أهلها بأسوارها وبذلوا طاعتهم له وطلبوا العفو لأنفسهم حيث كانوا لم يدخلوا في طاعة سيدي محمد، فسمح لهم ورحل السلطان بمن معه، فنزل على قبيلة المزدغ فتحصنوا بمعقلهم وقاتلوا من دنا منهم من الجيش وجرحوا، فأظهروا لهم الميل عنهم حتى استأمنوهم، فولّوا عليهم واستباحوهم قتلاً ونهباً، فوقع فيهم والعياد بالله أمر شنيع، ثم رحل سيدي محمد في طلب مولاي عبد الله ومن قام بدعوته من البربر، فمر ببلاد غمارة فلم يترك جيشه داراً إلا وهدموها، وما مروا بشجرة إلا وقطعوها، ولا مالا إلا ونهبوه، وتركوا تلك الجبال خراباً بلاقع. ثم ساروا على فعلهم كذلك إلى أن وصلوا إلى بلاد آيت عياش، فخرج المرابطون أولاد سيدي عبد الله أعيّاش ومعهم صبيان المكتب بألواحهم مستشفعين في البربر وتضرعوا لسيدي محمد في العفو وذكروا له أن مولاي عبد الله سار لتشافلات وأن البربر انحازت عنه وطلبوا منهم أن يطلبوا العفو عنهم ودخلوا في دعوته، فأبى قبول شفاعتهم فيهم، وشمر لقتال البربر واتباعهم في رؤوس تلك الجبال، وطعم

(598) هذه الترجمة ساقطة من ط.

(599) هذه الترجمة لا توجد إلا في الحوليات (ص 47)

(600) هذه الترجمة لا توجد كذلك إلا في الحوليات (ص 55)

(601) في الحوليات (ص 47) أن الخروج لهذه الحركة كان في اليوم الآخر من الشهر - المحرم - أو في مهل صفر بعده، وساق أثناء ذلك محنة شرفاء فاس المتخلفين عن الحركة مع السلطان والمغارم الفادحة التي فرضت عليهم.

فى الاستيلاء عليهم وتقدم لحريمهم بنفسه من غير تعبئة، فأصيب برصاصة هسمت عظم ذراعه فى الحين فى اليد التى لطم بها وجه ابن عمه المستحرم منه بضريح مولانا إدريس، ونجا عن قرب من الهلاك بعد اليأس من الحياة، فانهزم جيشه لجرحه فى الحين، ومات فى القتال بينهما أموات كثيرة، وأمر جيشه بالرحيل فوراً، ورجع إلى الغرب فأخذ البربر فى أعقابهم ونهبوا كثيراً من الدواب الحاملة للأثقال للمحلة والسلطان، ولحقوا بذلك إلى مولاي عبد الله وهو بتافلات، وأعلموه بجرح أخيه ورجوعه للغرب، وطلبوا منه الرجوع لبلادهم لاتباع أخيه سيدي محمد. وكان مولاي عبد الله سئم المقام فى بلادهم ولا رأى منهم نصحا له، وإنما مرادهم النهب فقط لا الهدنة وتمهيد الطاعة، فرهبهم مولاي عبد الله بعد أن تبين له مرادهم.

انقطاع الطرق وارتفاع الأسعار

وانتشار النهب والخراب بفاس

ورجع سيدي محمد لمكناسة واستقر بها، وانقطعت الطرق بالكلية، وارتفعت الأسعار فبلغ القمح نحو ثلاث أواق ونصف قديمة للصاع النبوي، وجعل اللصوص يهجمون على الناس فى ديارهم ليلاً ويقتلونهم ويستغيثون فلا يفتنون. وبلغ النهب فى النهار إلى باب الدور التى بأطراف المدينة، فلا يستطيع أحد أن يخرج عن وادي عدوة الأندلس ولا عن باب القصبين ولا عن الحفارين من فاس القرويين. وانعدم الحطب من فاس فأكثر الناس الهدم فى الدور لأخذ الخشب لطبخ ما يتقوتون به، وخلا من السكنى نحو الثلثين من فاس بالجوع والفرار عنها. وتخرّب أكثر من ذلك من دورها وحوانيتها وغير ذلك، وأخرج العدو الكافر الزرع من بلاده للمسلمين من البحر فى تطاون ونواحيها، فخرج أهل فاس لجلبه إلهيم فاشتروه منهم، فكان والى تلك البلاد الباشا أحمد بن علي بن عبد الله الريفى يبطن البداوة وغيرهم من أهل الإبل الذين يحملون فى الطرق بأن لا يحملوا لأهل فاس شيئاً، وفي الظاهر يأمرهم بالحمل إلى فاس وينصح فى ذلك بلسانه، فتعذر على الناس جلب الزرع لفاس وطال بعد ذلك نحو ستة أشهر حتى وصل للريفى أن أكثر من بفاس الذين لهم عيال كثيرون لا يقدرون على حملهم لبلاد أخرى من قلة الزاد والتناول وحفظ المروءة ماتوا عن آخرهم بالجوع، فسر بذلك فى الباطن، ولا أغنى الناس مال ولا متاع، فعرف كثير من الناس من أهل الأموال ضاعوا، وكل من حفظه الله ونجا من أهل فاس فعن مشقة، وبلغ سوم القمح فى هذه المدة ست أواقى للصاع النبوي، ودخل الركب النبوي لفاس فلم يشعروا به إلا بعد وصوله لدور فاس، وأتى بزرع معه من طرابلس فانحط القمح إلى نحو سبع موزنات للصاع النبوي، وسار أهل فاس بإبلهم إلى تطوان فحملوا عليها الزرع وأتوا به لفاس حيث تحققوا ما بطنهم به الريفى، وأخبرهم البداوة بذلك، وتدارك الله تعالى عباده باللطف الخفي المرجو بعد الشدة وبقي الأمر كذلك إلى تمام عام خمسين.

طلوع مولاي عبد الله إلى تادالا، وتنكبله بأهل فاس المقيمين بمراكش

وفي شوال خرج مولاي عبد الله من تافلات وذهب لتادالا ثم لقصبه مزرم بأيت عتاب، واجتمعت عليه قبائل تلك الناحية وأهدوا له، وجاء أهل تارودانت بعد أن قُتل بها القائم في تلك الناحية محمد بن عبد الله السوسي كان زعم أنه المهدي صاحب الأمر، قُتل في حرب هوارة من عرب سوس، ثم أرسل مولاي عبد الله إلى مراكش فقبض أهل فاس الذين بها واستولى على أمتعتهم ونالتهم محنة، ثم عفا عنهم وأطلقهم، وهو مقيم بالمزم ينتظر جواب العبيد لدعوته، فانصرفوا عنه إلى أخيه مولاي المستضيء بالله كما سنذكره في العام بعد إن شاء الله تعالى.

قتل التاجر بوجيدة برادة

وفي عشية يوم الأربعاء الحادي والعشرين من الشهر (602) أمر السلطان سيدي محمد ابن اسماعيل بقتل التاجر الأرضي الحاج بوجيدة بن محمد برادة، فقطع رأسه وعلق بباب الجديد من مكناسة الزيتون أمنها الله. وكان قبضه قبل ذلك وكلفه بإعطاء المال وأمر بتغريق ذمته وأخذ جميع ماله، وبيعت أصوله بأجمعها. وكان السبب في قتله أن كبر اللمطين محمد الذيب قال للسلطان إن الحاج محمد يزور وأبناء عمه تعرضوا له على برادة المذكور، فحلف السلطان إن لم يأت إليه أولاد يزور لمكناس لملاقاته ليقتلن برادة المذكور. تم إنهم لم يأتوا إليه فقتل برادة - رحمه الله - في هذا الغرض الفاسد، والنظر الكاسد، ظلما وعدوانا، والملافة بينهم عند الله.

فتنة بين قاضي فاس وأحد العدول.

وفي أوائل صفر المذكور وقعت حكاية كبيرة بفاس، وهي أن بعض العدول كان ينتمي إلى النسب العلي بقال له مولاي عبد العزيز البوزيري، كان له خصام مع بعض إخوانه ووصلوا لمجلس القاضي الفقيه السيد يعيش بن الرغاي الشاوي إذ كان قاضيا حينئذ بفاس. فظهر للقاضي فيما بيد العدل الشريف المذكور أنه زور وتليبس، فويخه القاضي على ذلك وتخاضم معه. ومن الغد وقت صلاة الظهر جاء عبد العزيز بخنجر تحته فسله من غمده وضرب القاضي به، فلم يصله فمسكه القاضي بيده وأعشقه (كذا) واجتمعت عليه الناس وضربوه ضربا فاحشا، وجاءوا به حاكم البلد فأطافه في الأسواق. ثم كتبوا بذلك للسلطان سيدي محمد، وكان نازلا بجيوشه قريبا من صفرو، فبعث أربعة من العبيد وأعرأص أخا الحاكم وأخرجوه لباب الفتوح وضربوه برصاصتين وقُطع رأسه وعلق بباب الفتوح، والحوال والقوة بالله.

(602) هذه العقرة والعقرات الست بعدها كلها من الحوليات التي انعدرت بها دون سائر النسخ.

مقتل مولاي سليمان بن إسماعيل

وفي ثالث عشر صفر المذكور قدم مولانا سليمان بن إسماعيل على أخيه السلطان سيدي محمد وهو نازل بمحلته بحوز صفرو من مدينة تازا ومعه عبيد تازا ومكناسة ووزارة وغيرهم من القبائل الجيشية بحالة حزم وضبط. وحين وصل للمحلة السلطانية تلقته جيوش العبيد عن آخرهم وعملوا ملعبا جيدا بالبارود فرحاً به وبمحلة إخوانهم الذين معه غاية الفرح، فساء ذلك السلطان سيدي محمد وغازه وتغير منه، وقتل رجلاً من أخواله شاوي النسب كان يحمل له المظل. ومن الغد أخذ السلطان جميع ما كان لأخيه مولاي سليمان مما أتى به من تازا من هدية بقر وغنم ومال، وعزل من أصحابه المسخرين الذين كانوا معه بتازا يحملون المكاحيل أمامه ومن المزاريق والمظل والدواب والخزانة من الطعام وغير ذلك وقال له: « اذهب في حال سبيلك إلى مكناسة الزيتونا » وفي ليلة السبت الخامس عشر من الشهر قدم مولاي سليمان المذكور من المحلة من عند أخيه السلطان لفاس فوجد باب الفتوح مغلقا، فجاء لباب المحروق ودخل منه لفاس ومعه بعض إخوانه وبعض أصحابه، فحين وصل قرب باب القصبية القديمة ضربه بعض اللصوص برصاصة أصابته على ضلعتيه ووقفت بشاكلته. وزعموا أن أخاه السلطان أتبع له من ضربه وذلك عند آخر الثلث الأول من الليل. ونهبوا جميع ما كان معه، وأدخل للقصبية القديمة، وبقي حيا تلك الليلة واليوم بعدها. وفي الليلة الثانية عند الآخر من الليل خرجت روحه. ومن الغد وهو يوم الأحد سادس عشر من الشهر دفن بروضة الشيخ سيدي أبي بكر بن العربي نفع الله به، وأخبر عنه من يوثق به من أهل تازا أنه كان قد كسر الحرمات على الزوايا من أهل الجانب الرياني وأخذهم ونهب أموالهم وقتل في تلك المدة النبي تخلف فيها نحو الثلاثين نفسا. وكانت تلك المدة نحو ثلاثة أشهر. وكان أظلم من أخيه وأعتى وأطغى من غيره، غفر الله لنا وله. وكان يتمسك بخدمة الولي الصالح أبي العباس الشيخ سيدي أحمد الحبيب - نفع الله به -، وحيث كان بجود بنفسه قال لمن حضره « يا فلان بلغ سلامي إلى الشيخ وقل له إنني على محبته وخدمته عفا الله عنا وعنه ».

مقتل قاضي فاس يعيش بن الرغاي الشاوي

وفي ليلة الأحد أول يوم من ربيع الأول النبوي من العام، دخل السياب على الفقيه القاضي السيد يعيش بن الرغاي الشاوي بداره من حومة الدوح، فقتلوه بالرصاص ونهبوا داره وسلبوا أهله وعباله وأولاده، ولم يتركوا من ماله شيئا بداره وامتلا به، وأخذ الله الحق فيه بسبب الشريف عبد العزيز الذي قُتل على يده بباب الفتوح، وهو قتل بين أولاده وعباله، وبينهما من الموت شهر واحد أو ما يقرب منه. ويقال إن أهل الشريف المذكور ذهبوا إلى السياب وتشفقوا إليهم في أخذ ثأرهم من السيد يعيش المذكور فأتوا إليه وقتلوه كما ذكر والله أعلم كيف كان هذا الأمر كله، فسبحان مصرف الأمور القادر على ما يشاء، ولا يظلم ربك أحداً.

بيعة مولاي المهدي بن إسماعيل بسلا

وفي خلال هذه الأيام بعث السلطان أخاه مولاي المهدي إلى مدينة سلا عاملاً له ونائباً عنه فيها. ثم إنه دعا لنفسه قبايعة أهل سلا والرباط والصباح من بني احسن والبعض من الجند ونصروه علانية وخطبوا به في الرباط وفي سلا نحواً من ثلاث جمع أو أربع، وبقي كذلك نحواً من شهر. ثم إن العبيد بالرمل اجتمعت كلمتهم على حل ذلك، فبعثوا لعبيد جناوة الذين بقصبة الرباط (603) أن يقبضوا على مولاي المهدي المذكور وعلى من معه. فقبضوه وجاءوا بهم لعبيد الرمل، فقتلوا البعض من أصحابه، وأتوا به مكبولا لأخيه السلطان سيدي محمد. فأمر به إلى السجن فسجن بمكناس، وبقي مسجوناً أياماً قلائل وسرحه، والأمر بيد الله.

انتهاب الأودية بتامسنا

وفي هذا الشهر بلغ الخبر عن الأودية الذين كانوا رحلوا لسوس وذهبوا بأولادهم ونسائهم وأموالهم مع السيد العسال أن قبائل أهل تامسنا لما توسطوهم النزلة داروا بهم وقتلواهم وغلبوا عليهم، فقتلوا منهم ونهبوهم وأخذوا لهم مالا كثيراً، ومنهم من نهب له نحو من ثلاثين قنطاراً من المال، ومنهم من نهب له أقل وأكثر، كل ذلك بحسب الوسع والرفاهية، وتركوهم حفاة عراة جياعا، فوصلوا لمراكش كذلك وقد أخذ الله الحق فيهم عما كانوا جاروا على المسلمين وتجروا بقطع الطرقات عليهم وعلى فاس وأحوازها، ولا يظلم ربك أحداً.

زلزلة بفاس ورخص الأسعار

وفي التاسع عشر من ذي القعدة العام المذكور وقعت زلزلة عظيمة بعد العشاء الأخيرة بساعة، والله لطيف بعباده. وفي أوائل ذي الحجة العام جاءت أيضا القوافل الكثيرة من ملوية وتطاون أيضا بالزرع ونزل المطر ورخصت الأسعار حتى بلغ الزرع ستة أواق للمد.

603 « قصة كئابة » . من قصص العبيد الاسماعيلية . توجد بمدينة سلا خارج باب سبعة بجوار ضريح الشيخ أبي موسى الدكالي على شاطئ البحر، وما تزال أسوارها وأطلالها قائمة حتى اليوم

فهرس الجزء الخامس
من
موسوعة أعلام المغرب
مرتب على حروف الهجاء
حسب الاسم والنسب والشهرة

فهرس الجزء الخامس من موسوعة أعلام المغرب

أ

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1884	أمّة ، الساكمة الأبار، محمد بن الحسن	1113
1830	إبراهيم بن حسن ← الكوراني الشهرزوري	1105
1846.1844	ابن إدريس العمراني، إدريس	1109
1972	ابن الحاج، أحمد بن العربي	1133
1838	ابن الحاج، أحمد بن محمد	1107
1979	ابن الحسن، محمد	1135
1840	ابن حمدوش، علي	1108
1839	ابن حمّ الشاوي، سالم	1107
2070	ابن حمّ القصري، محمد بن إبراهيم	1149
2083	ابن رحمون، قاسم	1150
1940.1937	ابن الرغاي الشاوي، يعيش	1120
2033	ابن زاكور، محمد بن قاسم	1144
2016	ابن زكري، محمد بن عبد الرحمان	1141
1991	ابن سليمان، أحمد بن العربي	1136
2029	ابن سوّدة، محمد الكبير بن الطالب	1142
2070	ابن شرحبيل الدرعي، الحسين	1149
1831	ابن الصّني التازي، عبد القادر	1106
2079	ابن العروسي، محمد	1150
1845	ابن عيسى الميسوري، محمد	1109
2017	ابن عيشون الشراط، محمد	1141
1945	ابن عيشون، العربي	1124
1826	ابن القاضي، الطيب بن عبد الرحمان	1103
	ابن قريش التطاوني، محمد	

ملحوظة : "أبو" و"ابن" تعتبران في الترتيب.
و"ابن" في البداية بالهمزة (ا ب ن) وفي الوسط بدونها (ب ن).

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
1990	ابن مسعود ، عزوز 1136
1961	ابن مقلب الفاسي ، محمد العربي 1129
1960	ابن ناصر الدوعي ، أحمد بن محمد 1129
1945	ابن يحيى ، أحمد بلعباس 1124
	أبو بكر بن محمد بن الخديم ← الدلائي
	أبو جيدة ← محلي
	أبو عسرية بن أحمد ← الفاسي
1831	أبو عنان ، عبد الواحد بن محمد 1106
1940.1937	أبو مدين السوسي ، محمد 1120
	أحمد بلعباس ← ابن يحيى
	أحمد بن إبراهيم ← العثماني
	أحمد بن أحمد ← العمراني الطود
	أحمد بن عبد الحفي ← الحلبي
	أحمد بن عبد الرحمان ← الفاسي
	أحمد بن عيد القادر ← التاستاوتي
	أحمد بن عيد القادر ← القادري
	أحمد بن عيد الله ← معن
	أحمد بن عبد الوهاب ← الوزير الغساني
	أحمد بن العربي ← ابن الحاج
	أحمد بن العربي ← ابن سليمان
	أحمد بن علي ← التملي
	أحمد بن علي ← الجرندي
	أحمد بن علي ← الوجاري
	أحمد بن محمد ← ابن الحاج
	أحمد بن محمد ← ابن ناصر الدرعي
	أحمد بن محمد ← أدراق
	أحمد بن محمد خان ← العثماني
	أحمد بن محمد ← الشريف التونسي
	أحمد بن محمد ← العلمي السلامي
	أحمد بن محمد ← الولائي
	أحمد بن محمد ← اليمني
	أحمد بن المسناوي ← الدلائي

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	أحمد بن ناجي ← السجلماسي	
	أحمد بن يوسف ← الفاسي	
	أحمد ← الحاج الشعير	
	أحمد ← حجي السلوي	
	أحمد حَدُّ ← ميارة	
	أحمد ← الشفشاوني	
	أحمد ← المريني	
	أحمد ← النفراوي المصري	
1893	أحتصال، سعيد	1114
1903	أدراق، أحمد بن محمد	1116
	إدريس ← ابن إدريس العمراني	
	إدريس بن محمد ← العراقي	
	[إدريس ← العراقي الحفيد]	
	إدريس ← المشاط	
	إسماعيل بن الشريف ← العلوي	
1977	أعزوز، علي	1134
1962	أعياش، حمزة بن عبد الله	1130
2079	الأغصاوي، علي بن أحمد	1150
1904	امسي الخير، محمد	1117
	الأندلسي ← مروان ... محمد بن علي	
- ب -		
1973.1969	بُرْدُلَّة، العربي بن أحمد	1133
1933	بركة، علي الحاج	1120
2009.2003	بناني المحوجب، محمد بن حمدون	1140
1897	بيو، محمد بن محمد	1115
- ت -		
1907	التاجموعتي، عبد الملك بن محمد	1118
1944	التادلي الصومعي، محمد بن عبد الرحمان	1123

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
	التازي ← ابن الصنّي ... عبد القادر	
1954	التازي ← الصنّي ... محمد بن عبد الرحمان	1127
1964	التاستاوتي، أحمد بن عبد القادر	1131
	القرشي، عبد الكريم	
1954	التطاوني ← ابن قرّيش ... محمد	1127
	التلمي، أحمد بن علي	
	التهامي بن محمد ← الوزاني اليملحي	
	التواتي ← معاد ... عبد الرحمان	
	التونسي ← الشريف ... أحمد بن محمد	
- ج -		
1948	الجابري القصري، ظاهر	1126
1946	الجزندي، أحمد بن علي	1125
1800	الجزائري، محمد بن عبد الكريم	1102
1942-1941	جسوس، عبد السلام بن أحمد (حمدون)	1121
1992	جسوس، عبد الله بن عبد السلام	1136
2080	جسوس، علي (الحاج -)	1150
1918	الجَمَاعِي المستغاثي، محمد بن سعيد	1120
1915	جمّوع، مسعود بن محمد	1119
	الجوطي ← الطاهري الحسنّي ... علال	
- ح -		
1897	الحاج الحيايط الرقعي، محمد	1115
1895	الحاج الشعير، أحمد	1115
	الحاجة ← الملوانية	
	حاطّ روجو ← اللخمي محمد بن المهدي	
1825	حجي، أحمد السلوي	1103
2050	الحريشيو علي بن أحمد	1145
1801	الحريشي، محمد بن أحمد	1102
1874	حسو، عبد الله	1112

أرقام الصفحات	ستوات الوفیات	
1934	الحسن بن رحال ← المعدني حسن بن علي ← العجمي الحسن بن مسعود ← اليوسي الحسن ← الصنهاجي الحسين ← ابن شرحبيل الدرعي الحسين بن محمد ← القواس الخلبي، أحمد بن عبد الحبي حمزة بن عبد الله ← أعياش	1120
	- خ -	
1796	الحريشي، محمد الخباط ← الحاج ... الرقعي، محمد	1102
	- د -	
1968	الدباغ، عبد العزيز بن مسعود الدرعي ← ابن شرحبيل ... الحسين الدرعي ← ابن ناصر ... أحمد بن محمد	1132
1947	الدريج التطواني، محمد	1126
2066	الدلائي، أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم	1149
1904	الدلائي، أحمد بن المسناوي	1117
1993	الدلائي، محمد بن أحمد بن الشادلي	1137
2023.2015	الدلائي، محمد بن عبد الرحمان	1141
1837	الدلائي، محمد بن محمد الشادلي	1107
1826.1825	الدلائي، محمد الشادلي	1103
1992.1980	الدلائي، محمد المسناوي	1136
	- ر -	
1944	الراموش، محمد (حم)	1123
1844	الرايس، عبد الرحمان	1109

أرقام الصفحات

سنوات الوفيات

الرحماني ← العياشي ... محمد
الردّاني ← الصقلي ... محمد الكبير
الرقعي ← الحاج الحياط ... محمد

- ز -

1896	الزنجني، محمد بن أحمد	1115
1939	الزعتري المصري، علي	1120
1838	الزموري، علي بن منصور	1107

- س -

2080	الساكمة، أمّنة	1150
	سالم ← ابن حمّ الشاوي	
1944	السالمي، محمد	1123
1943	السجلماسي، أحمد بن ناجي	1122
	سعيد ← أحنصال	
1906	سعيد بن أبي القاسم ← العميري السلاسي، عيد الرحمان بن محمد	1118
	السلامي ← العلمي ... أحمد بن محمد	
	سليمان بن إبراهيم ← العثماني	
	سليمان بن إسماعيل ← العلوي	
	السوداني ← عثمان ...	
2063	السوسي ← أبو مدين ... محمد السوسي، محمد	1148

- ش -

1870	الشاوي ← ابن حمّ ... سالم الشاوي ← ابن الرغاي ... يعيش الشدّيد، محمد بن حمدون	1110
	الشراط ← ابن عيشون ... محمد	

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1801	الشريف التونسي، أحمد بن محمد	1102
1891	الشفشاوني، أحمد	1113
	الشهرزوري ← الكوراني ... إبراهيم بن حسن	
	- ص -	
2016	الصقلي الرّداني، محمد الكبير	1141
1830	الصقلي، محمد (حم)	1105
1895	الصني التازي، محمد بن عبد الرحمان الصني	1115
2078.2054	الصنهاجي، الحسن	1146
	الصومعي ← التادلي ... محمد بن عبد الرحمان	
	- ط -	
	طاهر ← الجابري القصري	
1914	الطاهري الحسني الجوطي، علال	1118
1827	الطليطلي، مسعود بن عبد القادر	1104
	الطود ← العمراني ... أحمد بن أحمد	
	الطيب بن عبد الرحمان ← ابن القاضي	
	الطيب بن محمد ← الفاسي	
	- ع -	
1896	العافية، محمد العربي بن محمد	1115
	عبد الرحمان بن محمد ← السلاسي	
	عبد الرحمان ← الرئيس	
	عبد الرحمان ← معاد التواتي	
	عبد السلام بن أحمد (حمدون) ← جسوس	
	عبد السلام بن الطيب ← القادري	
	عبد العزيز بن مسعود ← الدباغ	
	عبد القادر ← ابن الصني التازي	
	عبد القادر بن محمد ← العراقي	

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
	عبد الكريم ← الترغي
	عبد الله بن عبد السلام ← جسوس
	عبد الله بن محمد ← القاسي
	عبد الله ← حسو
	عبد الملك بن محمد ← التاجموعتي
	عبد الواحد بن محمد ← أبو عنان
1893	عثمان السوداني
1836	العثماني، أحمد بن إبراهيم
2065	العثماني، أحمد بن محمد خان
1822	العثماني، سليمان بن إبراهيم
1886	العجمي، حسن بن علي
2079	العراقي، إدريس بن محمد
2027	[العراقي، إدريس ... الخفيد]
2027	العراقي، عبد القادر بن محمد
2030.2024	العراقي، محمد بن إدريس
1902	العراقي، محمد بن العربي
	العربي ← ابن عيشون
	العربي بن أحمد ← بردلة
	العربي بن الطيب ← القادري
	عزوز ← ابن مسعود
	علال ← الطاهري الحسني الجوطي
1844	العلمي السلامي، أحمد بن محمد
1979	العلمي، محمد بن الطيب
2001.1996	العلوي، إسماعيل بن الشريف (السلطان)
2083	العلوي، سليمان بن إسماعيل
1910	العلوي، محمد بن إسماعيل
	علي ← ابن حمدوش
	علي ← أعزوز
	علي بن أحمد ← الأغصاوي
	علي بن أحمد ← الحريشي
	علي بن منصور ← الزموري
	علي ← جسوس

أرقام الصفحات	سنوات الوفيات
	علي الحاج ← بركة
	علي ← الزعتري المصري
1913	العمرائي ← ابن إدريس .. إدريس
1963	العمرائي الطود، أحمد بن أحمد
2066	العميري، سعيد بن أبي القاسم
1872	العياشي الرحماني، محمد
	العياشي، محمد بن يوسف
	- غ -
1839	الغساني ← الوزير ... محمد (حم) بن عبد الوهاب
	القماري، محمد بن علاء
	- ف -
1904	الفاسي ← ابن مقلب ... محمد بن العربي
2052	الفاسي، أبو عسرية بن أحمد
2052	الفاسي، أحمد بن عبد الرحمان
1883	الفاسي، أحمد بن يوسف
1964	الفاسي، الطيب بن محمد
1978.1974	الفاسي، عبد الله بن محمد
1903.1899	الفاسي، محمد بن عبد الرحمان
2030.2027	الفاسي، محمد بن عبد القادر
1892	الفاسي، محمد بن محمد
1846.1842	الفاسي، محمد الطيب
	الفاسي، محمد المهدي
1896	الفاسي ← الهواري ...
	الفاسي، يوسف بن محمد بن أبي عسرية
	- ق -
1969	القادري، أحمد بن عبد القادر

أرقام الصفحات		سنوات الرقيات
1871.1847	القادري، عبد السلام بن الطيب	1110
1836.1831	القادري، العربي بن الطيب	1106
1901	قاسم ← ابن رحمون القسمطيني، محمد بن أحمد	1116
1872	القصري ← ابن حم ... محمد بن إبراهيم القصري ← الجابري ... طاهر القواس، الحسين بن محمد	1111
- ك -		
2060	الگندوز، محمد	1148
1787	الکوراني الشهرزوري، إبراهيم بن حسن	1101
- ل -		
1891	اللبار، محمد بن حمدون	1113
1870	اللخمي حاط روجو، محمد بن المهدي	1110
- م -		
1826.1823	المجاطي، محمد بن الحسن	1103
1995	محلي، أبو جيدة محمد ← ابن الحسن محمد ← ابن العروسي محمد ← ابن عيسى الميسوري محمد ← ابن عيشون الشراط محمد ← ابن قريش التظاوني محمد ← أبو مدين السوسي محمد ← أمسي الخيزر محمد بن إبراهيم ← ابن حم القصري محمد بن أحمد بن الشاذلي ← الدلائي محمد بن أحمد بن عبد الله ← معن	1138

- محمد بن أحمد ← الحريشي
 محمد بن أحمد ← الزجني
 محمد بن أحمد ← القسمطيني
 محمد بن أحمد ← ميارة
 محمد بن إدريس ← العراقي
 محمد بن إسماعيل ← العلوي
 محمد بن الحسن ← الأبار
 محمد بن الحسن ← المجاطي
 محمد بن الحسن ← اليوسي
 محمد بن حمدون ← بناني المحوَّجَب
 محمد بن حمدون ← الشديد
 محمد بن حمدون ← اللبار
 محمد بن سعيد ← الجماعي المستغائمي
 محمد بن الطيب ← العلمي
 محمد بن عبد الرحمان ← ابن زكري
 محمد بن عبد الرحمان ← التادلي الصومعي
 محمد بن عبد الرحمان ← الدلائي
 محمد بن عبد الرحمان ← الصني التازي
 محمد بن عبد الرحمان ← الفاسي
 محمد بن عبد القادر ← الفاسي
 محمد بن عبد الكريم ← الجزائري
 محمد بن عبد الله ← الوزاني اليملحي
 محمد بن العربي ← ابن مقلب.. الفاسي
 محمد بن العربي ← العراقي
 محمد بن علاء ← الغماري
 محمد بن علي ← مروان الأندلسي
 محمد بن قاسم ← ابن زاكور
 محمد بن محمد ← بيو
 محمد بن محمد الشاذلي ← الدلائي
 محمد بن محمد ← الفاسي
 محمد بن المهدي ← اللخمي (حَاطُ رُوْحُو)
 محمد بن يوسف ← العياشي

أرقام الصفحات

سنوات الوفيات

	محمد حمّ بن عبد الوهاب ← الوزير الغساني	
	محمد ← الحاج الخياط الرقعي	
	محمد (حمّ) ← الرّاموش	
	محمد (حمّ) ← الصقلي	
	محمد ← الخرشبي	
	محمد ← الدريّج التطواني	
	محمد ← السالمي	
	محمد ← السوسي	
	محمد الشادلي ← الدلائي	
	محمد الطيب بن مسعود ← المريني	
	محمد العربي بن محمد ← العافية	
	محمد ← العياشي الرحماني	
	محمد الكبير بن الطالب ← ابن سودة	
	محمد الكبير ← الصقلي الرّداني	
	محمد ← الكندوز	
	محمد ← المدرّع	
	محمد المسناوي ← الدلائي	
	محمد المهدي ← الفاسي	
	المحوجب ← بناني ... محمد بن حمدون	
2059.2055	المدرّع، محمد	1147
1831	مروان الأندلسي، محمد بن علي	1106
1830	المريني، أحمد	1105
2047	المريني، محمد الطيب بن مسعود	1145
	المستغامي ← الجماعي ... محمد بن سعيد	
	مسعود بن عبد القادر ← الطليطلي	
	مسعود بن محمد ← جمّوع	
2024	المشاط، إدريس	1142
	المصري ← الزعتري ... علي	
	المصري ← النفراوي ... أحمد	
1827	معاد التواتي، عبد الرحمان	1104
2002	المعدّتي، الحسن بن رجال	1140
1940.1922	معن، أحمد بن عبد الله	1120

أرقام الصفحات		سنوات الوفيات
1977	معن، محمد بن أحمد بن عبد الله	1134
2070	الملواتية، الحاجة	1149
1886	الميسوري ← ابن عيسى ... محمد	1113
2044	ميارة، أحمد حد	1144
	ميارة، محمد بن أحمد	
	- ن -	
1945	النقراوي المصري، أحمد	1124
	- هـ -	
1830	الهوراي الفاسي	1105
	- و -	
2023_2010	الوجاري، أحمد بن علي	1141
1949	الوزاني اليملحي، التهامي بن محمد	1127
1930	الوزاني اليملحي، محمد بن عبد الله	1120
2053	الوزير الغساني، أحمد بن عبد الوهاب	1146
1915	الوزير الغساني، محمد (حم) بن عبد الوهاب	1113
1956	الولائي، أحمد بن محمد	1128
	- ي -	
	يعيش ← ابن الرغاي الشاوي	
	اليملحي ← الوزاني ... التهامي بن محمد	
	اليملحي ← الوزاني ... محمد بن عبد الله	
1892_1875	اليمني، أحمد بن محمد	1113
	يوسف بن محمد بن أبي عسرية ← الفاسي	
1822_1801	اليوسي، الحسن بن مسعود	1102
1837	اليوسي، محمد بن الحسن	1107



دار الغرب الإسلامي

بيروت - لبنان

لصاحبها الحبيب العمسي

شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - نهاية الأسود

تلفون مباشر: 350331 - جليوي: 638535 (03) - فاكس: 742587

ص.ب: 113-5787 بيروت - لبنان

DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN

الرقم: 1996 / 11 / 1000 / 296

التنضيد: المغرب

الطباعة: دار الريحاني بيروت - لبنان

Dictionnaire des Célébrités Marocaines

établi et coordonné

par

Hajji Mohamed

Doyen honoraire de la Faculté des Lettres

Université Mohammed V - Rabat

TOME 5

1101 - 1150 H / 1690 - 1737

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)



DAR AL-GHARB AL-ISLAMI